

بجوت موتہ العالیہ الخیری

مقاصدہ و قواعدہ و تطبیقاتہا



حقوق الطبع محفوظة

بجوت مؤتمر العلماء الخيري

مقاصده وقواعده وتطبيقاتها

الجزء الثاني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سنة ١٤٢٠

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

الدكتور

مفرح سليمان عبد الله القوسي



ملخص البحث

يسلط البحث الضوء على تعريف العمل الخيري، وبيان مشروعيته وأهميته ومجالاته، ويستهدف الإسهام في تعزيز ثقافة العمل الخيري في المجتمع الإسلامي، ودراسة الأثار الإيجابية الحسنة لهذا العمل من الناحية الاجتماعية.

ويتكون من : مقدمة، وتمهيد، وستة مطالب، وخاتمة.

- المقدمة: تشتمل على تحديد موضوع البحث، وأهدافه، وخطته، ومنهجه.

- التمهيد: يشتمل على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالمصطلحات الأساسية للبحث.

المسألة الثانية: بيان أهمية العمل الخيري.

المسألة الثالثة: مجالات العمل الخيري.

- المطلب الأول: في تحقيق تماسك المجتمع وتعاضد أفراده.

- المطلب الثاني: في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

- المطلب الثالث: في تحقيق الأمن بمفهومه الشامل في المجتمع المسلم.

- المطلب الرابع: في تعزيز قيم البذل والإيثار وتحمل المسؤولية في المجتمع

المسلم.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

- المطلب الخامس: في الإسهام في علاج كثير المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية.
- المطلب السادس: في الاستفادة من مَلَكَاتِ التفكير والإبداع لدى أفراد المجتمع.
- الخاتمة: وتشتمل على أبرز النتائج العلمية للبحث، والتوصيات والمقترحات.

وخلص إلى التوصيات والمقترحات التالية:

- ١- الحفاظ على استمرارية العمل الخيري الإسلامي وديمومته؛ وذلك بإبراز فضائله وفوائده وآثاره، والتأكيد على ضرورته ومسيس الحاجة إليه، وبدعم جمعياته ومؤسساته مادياً ومعنوياً، وتسليط الضوء على الجهود التطوعية الكثيرة التي تضطلع بها في مختلف المجالات الخيرية.
- ٢- استثمار جميع وسائل الإعلام، بما فيها وسائل التواصل الاجتماعي في الدعوة إلى المشاركة في الأعمال الخيرية التطوعية، ودعم الجمعيات والمؤسسات الخيرية بما يُمكنها من أداء رسالتها والنهوض بمسؤولياتها.
- ٣- الاستعانة بأصحاب الخبرات الاقتصادية في حُسن استثمار الموارد المالية للأعمال الخيرية، ولاسيما الأوقاف الخيرية في المجتمعات الإسلامية؛ لما لذلك من إيجابية حسنة على العمل الخيري.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وأما بعد:

فإن من كمال دين الإسلام ومحاسنه العظام، عناية شريعته الغراء بفعل
الخيرات، وحثها على التطوع بالأعمال الصالحات؛ سعيًا للفلاح ووصولاً
للنجاح في الدنيا والآخرة.

وقد استجابت أمة الإسلام منذ مبعث النبي محمد ﷺ وإلى وقتنا الحاضر
لهذا الحث، فعُنيت بالأعمال الخيرية، وسخرت لها كل إمكاناتها وطاقاتها.

ولا شك أن اضطلاع الأمة -أفراداً وجماعات- بالأعمال الخيرية، وإقبالها
عليها وعنايتها بها له آثار إيجابية كثيرة نافعة للبلاد والعباد.

ويأتي هذا البحث العلمي؛ لتسليط الضوء على جانب واحد فقط من تلك
الآثار، وهو الجانب الاجتماعي؛ وذلك سعيًا للمشاركة به في المؤتمر الدولي
(العمل الخيري: مقاصده وقواعده وتطبيقاتها)، الذي تنظمه كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة خلال الفترة ١-٢/ صفر
١٤٤٠هـ، الموافق ١٠-١١/ ٢٠١٨م.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

أهداف البحث:

- ١- الإسهام في تعزيز ثقافة العمل الخيري في المجتمع الإسلامي.
- ٢- تحديد مفهوم العمل التطوعي تحديداً دقيقاً.
- ٣- تسليط الضوء على أهمية العمل الخيري ومشروعاته ومجالاته.
- ٤- دراسة الآثار الإيجابية الحسنة للعمل الخيري من الناحية الاجتماعية.

خطة البحث:

- يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وستة مطالب، وخاتمة.
- المقدمة: تشتمل على تحديد موضوع البحث، وأهدافه، وخطته، ومنهجه.
 - التمهيد: يشتمل على ثلاث مسائل:
 - * المسألة الأولى: التعريف بالمصطلحات الأساسية للبحث.
 - * المسألة الثانية: بيان أهمية العمل الخيري.
 - * المسألة الثالثة: بيان مجالات العمل الخيري.
 - المطلب الأول: تحقيق تماسك المجتمع وتعاضد أفراده.
 - المطلب الثاني: إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.
 - المطلب الثالث: تحقيق الأمن بمفهومه الشامل في المجتمع المسلم.
 - المطلب الرابع: تعزيز قيم البذل والإيثار، وتحمل المسؤولية في المجتمع المسلم.
 - المطلب الخامس: الإسهام في علاج كثير المشكلات التي تعاني منها

الآثار الاجتماعية للعمل الخيري

المجتمعات الإسلامية.

- المطلب السادس: الاستفادة من ملكات التفكير والإبداع لدى أفراد المجتمع.

- الخاتمة وتشتمل على: أبرز النتائج العلمية للبحث، والتوصيات والمقترحات.

❖ منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث اتباع المنهجين التاليين:

- المنهج التأصيلي^(١): عند بيان مشروعية العمل الخيري ومجالاته؛ وذلك بالاستشهاد بنصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الجانب، مع الاسترشاد بأقوال علماء الأمة وفهمهم لهذه النصوص.

- والمنهج الاستنباطي^(٢): عند بيان الآثار الاجتماعية للعمل الخيري؛ وذلك باستنباط هذه الآثار من واقع الأعمال الخيرية التي تَصْطَلَعُ بها المؤسسات والأفراد في المجتمعات الإسلامية.

مع العناية بما يلي:

١- ترقيم الآيات القرآنية وبيان سُورِها.

(١) لمعرفة المراد بالمنهج التأصيلي هنا راجع كتاب (مدخل في المعرفة والعلم والبحث العلمي) للأستاذ الدكتور مفرح القوسي، ص ٢٠١.

(٢) لمعرفة المراد بالمنهج الاستنباطي هنا راجع كتاب (منهج البحث في العلوم الإسلامية) للدكتور محمد الدسوقي، ص ١٠٥-١٠٦.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

- ٢- تخريج الأحاديث النبوية، وبيان ما ذكره أهل الشأن في درجتها، إذا لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، فإن كانت كذلك اكتفيت حينئذ بتخريجهما.
- ٣- العناية بقواعد اللغة العربية، والإملاء وعلامات الترقيم.
- ٤- تزويد البحث بفهرس للمصادر والمراجع.

✽ أما بالنسبة للنقول والإحالات في الحواشي، فهي على النحو التالي:

(أ) إذا تصرفت في النص المنقول تصرفاً يسيراً، أوردته بين قوسي تنصيص، وأشرت في الحاشية إلى أن النقل كان بتصرف يسير، وإذا تصرفت فيه تصرفاً كثيراً، ذكرت في الحاشية كلمة (انظر)، أما إذا لم أتصرف فيه مطلقاً؛ بأن كان نقلاً حرفياً، أوردته بين قوسي تنصيص، واكتفيت بالإشارة إلى المرجع دون كلمة (انظر).

(ب) إذا اقتبست من المرجع فكرة ما، أو استفدت منه معلومة، أو أخلت إلى مرجع فأكثر توسع في بحث المسألة التي كنت أعالجها، ذكرت في الحاشية كلمة (راجع).

(ج) إذا كررت النقل من المرجع دون أن يفصل بين النقلين نقل من مرجع آخر، ذكرت في الحاشية عبارة (المرجع السابق)، أو (المصدر السابق).

وبعد: فهذا جهد بشرى؛ فما كان فيه من حق وصواب فمن الله وحده، وله الحمد والثناء على توفيقه، وما كان فيه من خطأ وزلل وتقصير فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه من ذلك.

والله أسأل أن يلهمني الرشيد والتوفيق والسداد، وأن يرزقني إخلاص النية وصلاح العمل.

التمهيد

❖ أولاً: التعريف بالمصطلحات الأساسية للبحث:

لا شك في أن التعريف في مطلع أي بحث علمي بمصطلحاته الأساسية مهم جداً؛ لتحديد إطار البحث وحدوده، ولمعرفة مراد الباحث ومقصوده، ولدينا في البحث -بحسب عنوانه الرئيس- مصطلحان اثنان؛ أحدهما: الآثار الاجتماعية. والثاني: العمل الخيري. وأبيّن المراد بهما وفق مايلي:

أ) الآثار الاجتماعية:

الآثار الاجتماعية مصطلح مركب من كلمتين، هما: الآثار، والاجتماعية، أُعْرِفُ بِكُلِّ مِنْهُمَا فِيمَا يَلِي:

١- الآثار:

الآثار في اللغة العربية كلمة جمع، مفردتها: (أثر)، والآثر في اللغة: بقية الشيء، والجمع: آثار وأثور، يقال: خرجت في إثره وفي أثره، أي: بَعْدَهُ، وتأثرت: تَبَعْتُ أثره. والآثر بالتحريك: ما بقي من رَسْمِ الشيء، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء. وأثر في الشيء: ترك فيه أثراً^(١).

(١) انظر: لسان العرب- لابن منظور، مادة (أثر).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ونستنتج مما تقدم أن كلمة (الأثر) تستخدم في اللغة بمعنى نتيجة الشيء وما يترتب عليه من أحوال وأمور.

ولم يخرج استخدام العلماء لكلمة (الأثر) في الاصطلاح عن معناها في اللغة، فهُمْ يستخدمونها في الاصطلاح على ما يترتب عليه الشيء، وهو المسمّى بالحكم عندهم، كما أنهم يضيفون الأثر إلى الشيء، فيقولون مثلاً: أثر العقْد، وأثر الفسخ، وأثر النكاح.

ويذكر الجرجاني أن الأثر يطلق في الاصطلاح على ثلاثة معانٍ، هي: النتيجة وهو الحاصل من الشيء، والعلامة، والجزاء^(١).

٢- الاجتماعية:

الاجتماعية نسبة إلى (الاجتماع)، والاجتماع في اللغة العربية: من جمع الشيء عن تفرقة، وأصل المعنى الضمُّ، فالجيم والميم والعين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تضام الشيء، يقال: جمعتُ الشيء جمعاً، ويُقال: استجمع السيل: اجتمع من كل موضع، وجمعتُ الشيء: إذا جئتُ به من ههنا وههنا، وتجمع القوم: اجتمعوا أيضاً من ههنا وههنا^(٢).

ونستنتج مما تقدم أن الاجتماع في اللغة ضد الافتراق.

وأما الاجتماع في الاصطلاح فهو: التقاء جماعة متجانسة، أو مجموعة أفراد في مكان واحد تربطهم علاقات منظمة وخدمات متبادلة، وتسودهم روح عامة

(١) انظر: التعريفات، ص ١٣.

(٢) انظر: مقاييس اللغة- لابن فارس، مادة (جمع). والصحاح- للجوهري، باب العين، فصل الجيم. ولسان العرب- لابن منظور، مادة (جمع).

الآثار الاجتماعية للعمل الخيري

وتقاليد مشتركة يخضعون لها جميعاً^(١).

وهذا يقودنا إلى تعريف المجتمع اصطلاحاً، حيث يُراد به: "مجموعة من الأفراد يربط بينهم رابط مشترك يجعلها تعيش عيشة مشتركة، وتُنظم حياتها علاقات منتظمة معترفٌ بها فيما بينهم"^(٢)، وجاء في مصطلح العلوم الاجتماعية أنه عبارة عن "جماعة من الناس يعيشون معاً في منطقة معينة، وتجمع بينهم ثقافة مشتركة ومختلفة عن غيرها، وشعور بالوحدة، كما ينظرون إلى أنفسهم أنهم كيان متميز"^(٣).

ب) العمل الخيري:

العمل الخيري مصطلح مركب من كلمتين، هما: العمل، والخير، أُعْرِفُ أَوْلًا بكل منهما، ثم أُبَيِّنُ المراد بهذا المصطلح هنا.

١- العمل:

العمل في اللغة العربية: المهنة والفعل، وجمعه: أعمال. والعامل: هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله وملكه وعمله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٦٠]، وهم السُّعَاة الذين يأخذون الصدقات من أربابها^(٤).

(١) انظر: المعجم الفلسفي - لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص ١٧١، وكيفية إدارة الاجتماع لتحقيق أهدافه - للدكتور إبراهيم الخضر، ص ٦-٧، وهو بحث علمي منشور على الإنترنت في شهر يونيو عام ٢٠١٦ م.

(٢) المجتمع الإسلامي المعاصر - لمحمد المبارك، ص ٧.

(٣) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية - للدكتور أحمد زكي بدوي، ص ٤٠٠.

(٤) انظر: لسان العرب - لابن منظور، مادة (عمل).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

والعمل في الاصطلاح: هو كل نشاط جسمي أو عقلي يقوم به الإنسان بهدف الإنتاج في مؤسسة؛ حكومية كانت أو خاصة، أو في حِرْفَة، أو مهنة^(١).

والعمل بهذا المفهوم الشمولي لفظ واسع الدلالة تدخّل فيه مفاهيم ألفاظ عديدة، هي: الوظيفة، والحرفة، والمهنة.

فالوظيفة: هي العمل الذي يقوم به الموظف في القطاع الحكومي أو الخاص الذي ينتمي إليه في مجالات العمل الكتابي أو العمل الإداري ونحوه.

والحرفة: هي العمل اليدوي والبدني الذي يمارسه الحِرْفِيُّ في الورشة أو المصنع، أو الخدمة في البيوت ونحوها، وليس بالضرورة أن يكون إتقان مهارات هذا العمل الحِرْفِيِّ عن طريق الدراسة النظرية المكثفة، بل يمكن اكتساب ذلك عن طريق تكرار المشاهدة والتجربة.

وأما المهنة: فهي عمل يشغله العامل بعد أن يتلقى دراسة نظرية كافية، وتدريباً عملياً طويلاً في مراكز علمية، أو معاهد وجامعات متخصصة. فالمهنة تتطلب مجموعة من المهارات والمعارف النظرية، والقواعد التي تنظم العمل بها^(٢)، كمهنة الطب والهندسة والتعليم...

وبناءً على ما تقدم يمكن القول بأن كلّ وظيفة عمل، وكلّ حِرْفَة عمل، وكلّ مهنة عمل.

(١) انظر: أخلاقيات المهنة - لرشيد عبد الحميد ومحمود الحيارى، ص ٩.

(٢) انظر: المرجع السابق.

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

٢- الخيري:

الخيري نسبة إلى (الخير)، والخَيْرُ في اللغة العربية: ضد الشر، وجمعه: خُيُور، والخِيَارُ: خلاف الأشرار^(١)، وتستخدم كلمة (الخير) في اللغة العربية بمعانٍ عدة:

- منها: ما يقابل الشر، وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

- ومنها: ما يقابل الضر، وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ يَخَيِّرْ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]^(٢).

- ومنها: الحسن لذاته.

- ومنها: المال الكثير الطيب، وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]^(٣).

وتستعمل هذه الكلمة أيضاً اسم تفضيل على غير قياس؛ فيقال مثلاً: زيدٌ خيرٌ من عمر، أي: أفضل منه^(٤).

وأما الخير في الاصطلاح الشرعي فقد اجتهد العلماء قديماً وحديثاً في

(١) انظر: لسان العرب - لابن منظور، مادة (خير).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني، ص ١٦٨.

(٣) انظر: الصحاح - للجوهري، مادة (خير)، ولسان العرب - لابن منظور، مادة (خير).

(٤) انظر: الصحاح - للجوهري، مادة (خير)، والقاموس الفقهي - لسعدي أبو جيب، ص ١٢٧.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

تعريفه، فقد عرّفه الإمام الطبري بأنه: "العمل الذي يرضاه الله تعالى"^(١)، وعرّفه الإمام الرازي بأنه: "النفع الحسن"^(٢).

وعرّفه الكفوي بأنه: "وجدان كل شيء كمالته اللاتقة، والشر: ما به فقدان ذلك، والخير يعم الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي"^(٣).

كما عرّفه الراغب الأصفهاني بأنه: "ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل والفضل، والشيء النافع، وضده الشر"^(٤).

٣- العمل الخيري:

وبناءً على ما تقدم يمكن تعريف العمل الخيري بأنه: "أعمال البر وصنائع المعروف التي وجودها المجتمع المدني، بدءاً من الفرد، ومروراً بالجماعة، وانتهاءً بالمؤسسة"^(٥).

ولعل من أبرز تعريفات (العمل الخيري) اصطلاحاً لدى المعاصرين تعريف الإعلان العالمي المتعلق بحقوق ومسؤوليات الأفراد والجماعات في العمل الخيري والإنساني، الذي صدر عن مؤتمر باريس للجمعيات الإنسانية والخيرية

(١) جامع البيان، ج ١/ ص ٦٨٦.

(٢) مفاتيح الغيب، ج ٦/ ص ٥٢.

(٣) الكليات، ص ٤٢٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص ١٦٧.

(٥) قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري - لقطب الريسوني، ص ٧. وانظر: العمل الخيري الإسلامي بين التأصيل وإمكانات التفعيل - لفاتحة فاضل العبدلاوي، ص ٥، وهما بحثان علميان مقدمتان إلى مؤتمر العمل العربي الخليجي الثالث بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، بتاريخ ٢٠-٢٢ يناير ٢٠٠٨ م.

الآثار الاجتماعية للعمل الخيري

بتاريخ ١٠ / ١ / ٢٠٠٣م، فقد جاء في المادة الأولى منه: "يُعنى بالعمل الإنساني والخيري التطوعي أيُّه نشاطات للمساعدة والنجدة، والتضامن والحماية والتنمية لجماعات بشرية أو أفراد، خاصة المستضعفة من ضحايا الكوارث الطبيعية، والنواب الناجمة عن فعل بشري، والأوضاع الاستثنائية، والمظالم التي تحرم الأفراد والجماعات من الحقوق الإنسانية الأساسية فيما يضمن الكرامة الإنسانية، وسلامة النفس والجسد، ويقصد بالتطوعي: الرغبة في عمل شيء من أجل الآخر، وتتوفر العناصر التالية:

- ١- ألا يكون مخالفاً للأنظمة والقوانين الدولية، أو قوانين وأنظمة البلد الذي يتم فيه العمل، ما لم تكن متعارضة مع المواثيق الدولية.
- ٢- ألا يكون مخالفاً بالأمن والسلام الدوليين.
- ٣- أن يقدم خدمات إنسانية أو تنمية أو بيئية.
- ٤- ألا يهدف للربح"^(١).

ونستنتج من التعريفات السابقة ما يلي:

- ١- أن العمل الخيري يشمل كل دعم مادي أو معنوي.
- ٢- أن من طبيعة مقاصده وأهدافه تحقيق تنمية المجتمع وسعادته، وتقديم الخدمات الإنسانية له.
- ٣- أنه لا يُبتغى من ورائه أيُّ نفع مادي دنيوي، وأن عوائده غير ربحية، وأنه يُرجى من القيام به وجهُ الله تعالى، ونيلُ مرضاته وثوابه، ولا سيما في العمل

(١) القطاع الخيري ودعاوي الإرهاب - للدكتور محمد السلومي، ص ٢٥٦-٢٥٧.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الخيري الإسلامي.

ومن المصطلحات التي يكثر استخدامها لدى الباحثين بمعنى مقارب أو مرادف لمصطلح (العمل الخيري) مصطلح (العمل التطوعي)، حيث يُقصد به: كل ما يبذله الإنسان بطوعه واختياره؛ فرداً كان أم جماعة من جهود مادية ومعنوية، وما يقدمه من أعمال البر، وما يبذله من أموال في خدمة المحتاجين وإغااثهم، وتقديم العون لهم؛ ابتغاءً نيل الأجر والثواب من الله تعالى.

وبناءً على كل ما تقدم يكون المقصود بالآثار الاجتماعية للعمل الخيري هنا: الأمور والأحوال الحسنة ذات الطابع الاجتماعي المترتبة على القيام بأعمال البر، وبذل صنائع المعروف في المجتمع؛ أفراداً وجماعات.

❖ ثانياً: أهمية العمل الخيري:

لقد شرع الإسلام أعمال الخير عموماً، وحث على القيام بها، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقال عز وجل: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال أيضاً: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وقال كذلك: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّبُهَا فَاسْتَيفُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال: ﴿فَاسْتَيفُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»^(١)، وقال ﷺ: «من كان معه فضل ظهر، فليعد به

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الإكراه)، باب (يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

على مَنْ لا ظَهَرَ له، ومن كان له فضل زادٍ، فليعد به على مَنْ لا زاد له»^(١)، وقال في حديث آخر: «على كل مسلم صدقة»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فيعمل بيديه؛ فينفع نفسه ويتصدق»، قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: «فيعين ذا الحاجة الملهوف»، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «فيأمر بالخير - أو قال - بالمعروف»، قال: فإن لم يفعل؟ قال: «فيمسك عن الشر؛ فإنه له صدقة»^(٢)، وقال ﷺ أيضاً: «أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سروراً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطعمه خبزاً»^(٣).

وفي معرض بيان ما فطر الله عليه الأئمة المهديين من خصالٍ، قرّن عز وجل فعل الخير بأصول الاعتقاد وأركان الإسلام، فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وجعل سبحانه المسارعة في فعل الخير من سمات أهل الإيمان والتقوى والخشية من الله، فقال عز وجل: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ =

عليه القتل)، الحديث رقم (٦٩٥١)، ١١٩٩، ورواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (البر والصلة)، باب (تحريم الظلم)، الحديث رقم (٦٥٧٨).

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (اللقطه)، باب (استحباب المواساة بفضول المال)، الحديث رقم (٤٥١٧)، ص ٧٦٧.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الأدب)، باب (كل معروف صدقة)، الحديث رقم (٦٠٢٢)، ص ١٠٥٢-١٠٥٣. ورواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الزكاة)، باب (بيان أن

اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف)، الحديث رقم (٢٣٣٣)، ص ٤٠٧.

(٣) أخرجه الأصبهاني في (الترغيب)، ج ١/ص ٢١٤، وأورده الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (٢٧١٥)، وحسّن إسناده.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

[المؤمنون: ٦١]، وقال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [آل عمران: ١١٤].

وهذا جاءت هداية الرسل الكرام؛ حيث يقول تعالى عنهم -صلوات ربي وسلامه عليهم-: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، فقد جعلهم الله أئمة يقتدى بهم ويهدون الناس بالوحي ويحثونهم على فعل الخيرات، ويقول سبحانه عن زكريا ويحيى -عليهما السلام-: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

وهذا بعكس أهل النفاق ودعاة الضلالة، فقد وصفهم الله عز وجل بأنهم ينفرون من العمل الخيري، ويتضايقون منه، ويقللون من شأنه ويشحون به؛ حيث يقول تعالى عنهم: ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَدُورًا عَيْنِهِمْ كَالَّذِي يُعْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُواكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: ١٩]، ويقول عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

وعظم عز وجل من شأن القيام بالعمل الخيري حتى ولو كان ضئيلاً، فقال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

ووعد الله سبحانه القائمين بأعمال الخير بالأجر العظيم في الدار الآخرة،

الآثار الاجتماعية للعمل الخيري

حيث يقول عز وجل: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]، ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ [التين: ٤-٦] (١).

وعَدَّ ﷺ أعمال الخير من الصدقات التي يؤجر عليها القائم بها؛ حيث يقول: «كل سلامي من الناس عليه صدقة؛ كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة» (٢)، ويقول أيضاً: «كل معروف صدقة» (٣)، ويقول كذلك: «من دل على خير، فله مثل أجر فاعله» (٤).

وكما مدح القرآن فاعلي الخير والداعين إليه، ذمَّ أبلغ الذم مانعيه، ومن ذلك: قوله تعالى في التشنيع على بعض المشركين من خصوم رسول الله وأعداء دعوته:

(١) سورة التين، الآيات ٤-٦.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب (الجهاد والسير)، باب (من أخذ بالركاب ونحوه)، الحديث رقم (٢٩٨٩)، ص ٤٩٤، وراه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الزكاة)، باب (بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف)، الحديث رقم (٢٣٣٥)، ص ٤٠٧.

(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب (الأدب)، باب (كل معروف صدقة)، الحديث رقم (٦٠٢١)، ص ١٠٥. وراه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب (الزكاة)، باب (بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف)، الحديث رقم (٢٣٢٨)، ص ٤٠٦.

(٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه في (الإمارة)، باب (فضل إعانة الغازي في سبيل الله)، الحديث رقم (٤٨٩٩)، ص ٨٤٧-٨٤٨.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

﴿وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَا فِي مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أُثِيمٍ﴾، فجعل من أوصافهم الذميمة كثرة المنع للخير، كما جعل هذه الخصلة المرذولة من سمات أهل الكفر والعناد، فقال سبحانه على لسان قرين الإنسان يوم القيامة: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ق: ٢٣-٢٥].

وأنكر الله سبحانه على المجتمع الجاهلي إحجامه عن أعمال الخير، فنجده يقول عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ [الفجر: ١٧-١٨].

وكل ما تقدم يؤكد على أهمية العمل الخيري، وفضله وعلو قيمته وقدره في دين الله، كما يؤكد ضرورته ومدى الحاجة إليه في المجتمعات الإنسانية.

✽ ثالثاً: مجالات العمل الخيري:

مجالات العمل الخيري في منظور الإسلام كثيرة جداً، وأبوابه واسعة، لا يُحَدُّ بِحَدِّ وَلَا يَنْتَهِي بِزَمَنِ، فهو يشمل كلَّ عملٍ احتِسَابِيٍّ خَيْرٍ، يعود بالنفع المشروع للبلاد والعباد، وهو مُمتدٌّ ومُتَّسِعٌ بامتدادٍ واتِّساعٍ كَلِمَةٍ (خير)، كما أنه يشمل كل مجالات الحياة الإنسانية.

ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

١- مجال التعليم: ومن ذلك تطوع العلماء الربانيين بنشر معالم الإسلام وتفقيه المسلمين بأمور دينهم، وتعليمهم أحكام الحلال والحرام؛ ليعبدوا الله على علم وبصيرة، وطباعة الكتب الطيبة النافعة ونشرها وتوزيعها بالمجان؛ لتعم الفائدة والنفع بها.

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

- ٢- مجال التّطبيب: ومن ذلك تطوع العاملين في المجال الصحي بتقديم الخدمات الطبية والرعاية الصحية المجانية لمحتاجيها.
- ٣- مجال البناء والعمارة: ومن ذلك التطوعُ ببناء المساجد وملحقاتها، كحلقات تحفيظ القرآن الكريم للذكور والإناث، وأماكن تغسيل موتى المسلمين وتكفينهم، والتطوع ببناء المستشفيات والمدارس ودور للأيتام والمسنين، وحفر الآبار، ونحو ذلك من أعمال البر.
- ٤- مجال الصدقات، وذلك ببذل المال وإنفاقه على الفقراء والمساكين والأيتام وممن لا عائل لهم من المسنين والمطلقات والأرامل، ونحوهم.
- ٥- مجال التكافل الاجتماعي: ومن ذلك على سبيل المثال قضاء حوائج المحتاجين من المسلمين، ورعاية أسر المسجونين، والشفاعةُ الحسنة لأصحاب الحقوق، وإصلاح ذات بينهم، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، وتفريجُ الكرب عن المكروبين، وعفو الدائن عن المدين المعسر، أو إمهاله لحين يساره.
- ٦- مجال خدمة المنكوبين والمتضررين من جراء الأزمات والكوارث، كالحروب والزلازل، والفيضانات والبراكين.
- ٧- مجال الذودِ عن حمى الوطن ودينه وعقيدته، وقيمِه وأخلاقه وبيئته الصحية، وممتلكاته ومقدراته ومكتسباته الوطنية.



المطلب الأول

تحقيق تماسك المجتمع وتعاضد أفراده

إن من أهم سمات المجتمع الناجح المتكامل أن يكون في بُنيانه مُتماسكاً، تجمعُه لبناتٌ مرصُوصة، تُمثلُ حقيقةَ أفرادِه وبنيهِ، لا تختلفُ فيه لينةٌ عن أُخرى، ولا فرقٌ فيها بين ما يكون منها أسفلَ البناءِ أو أعلاه؛ لأن البناءَ لن يكون راسياً يسندُ بعضُه بعضاً إلا بهذا المجموع، ومتى كان التصدُّع أو الإهمالُ لأي لينةٍ من لبناتِهِ، كان التفكُّك والانفطار لهذا البناء أمراً لا بد منه.

وإذا لم يكن المجتمع بهذه الصورة من التماسك، فإنه يأذنُ لنفسه بالتفَرُّق والتفَرُّق، ويُمهدُّ الطريقَ لمعاوِل الأنايَّة والأثرة، وعدم الاكتراثِ بالآخرين، وما قيمةُ مجتمعٍ الهدمُ فيه أكثرُ من البناءِ!؟

إنه مهما بلغت الدول من العظْمَة وامتلاك الثروات وتحقيق التقدم الاقتصادي، فلن يكون ذلك وحده كافياً في تلبية جميع رغبات أفرادها، وتحقيق جميع تطلعاتهم لحظة الاحتياج، فضلاً عن تحقيقها على الدوام.

وهنا تأتي مهمة المجتمع المترابط المتماسك حينما تُدكَّى بين جنباتِهِ رُوحُ العمل الخيري الذي يُعدُّ رُكنًا أساساً من أركانِ رَأبِ صدعِ الشُّعوب المادِّي والاجتماعي، والغذائي والأمني والفكري، وغير ذلك من الضرورات والحاجيات والتحسينات، ذلك إنه حينما يُعمُّ العملُ الخيري جنباتِ المجتمع،

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

ويفرضُ نفسه شعوراً سامياً لذويه وبني مُجتمعه - قضاءً على الأثرة والشح والاحتكار، والعوز والفاقة - سيتحقق حتماً تماسك المجتمع وتعاضد أفراده.

ويُعد العمل الخيري فطرة سوية في الإنسان، ويؤكد ذلك ما روي عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أرأيتَ أموراً كنتُ أتحنثُ بها في الجاهلية من صلةٍ وعتاقةٍ وصدقةٍ، هل لي فيها أجرٌ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «أسلمتَ على ما سلفَ لك من خيرٍ»^(١)، هذه هي سعةُ الإسلام وسماحته ورحمته، إنه الحثُّ على البرِّ والتعاونِ عليه، وتلمُّسِ احتياجاتِ الناس.

كما أن للعمل الخيري مهمةً جوهرية في دعم التنمية الاجتماعية، وذلك عن طريق تنمية المشاعر الإنسانية، ومدِّ الرعاية للمستضعفين، وتقديم المساعدة للمحتاجين حتى لا تفتك بهم الأزمات.

ولقد كان للعمل الخيري في تحقيق مفهوم هذه التنمية أثرٌ رفيع يعبر عن مدى الترابط القوي بين أفراد المجتمع، مصداقاً لقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضاً»، ثم شبَّك بين أصابعه^(٢).

ويظهر هذا الأثر جلياً في صور كثيرة لا سبيل إلى حصرها، ومن أفضل هذه الصور التي يمكن أن نذكر طرفاً منها، ذلك العتاب الرقيق لأبي بكر رضي الله عنه

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (البيوع)، باب (شراء المملوك من الحربي وهبته وعته)، الحديث رقم (٢٢٢٠)، ص ٣٥٤. وروى نحوه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الإيمان)، باب (بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده)، الحديث رقم (٣٢٣)، ص ٦٥.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الأدب)، باب (تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً)، الحديث رقم (٦٠٢٦)، ص ١٠٥٣. ورواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الأدب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم)، الحديث رقم (٦٥٨٥)، ص ١١٣١.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

حين أقسم ألا ينفق على مسطح بن أثانة بعد أن اشترك مع من خاضوا في حق أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في حديث الإفك، وكان أبو بكر ينفق على مسطح؛ لقربته منه، ولفقره وحاجته أيضاً، فلما أقسم ألا ينفق عليه عاتبة الله بهذا العتاب في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، فقد كادت العلاقة الأسرية أن تنقطع بين أبي بكر وقريبه مسطح - رضي الله عنهما - بسبب هذا الموقف الذي خاض فيه مسطح في عرض عائشة بنت أبي بكر، وهي زوجة الرسول الأكرم ﷺ، ولكن الإسلام يرد للقلوب طهارتها، وللصدور سلامتها، ويرفض أن ينقطع المرء عن العمل الخيري بحال، وذلك من خلال هذا السؤال التقريري: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]؟!.

كما روي "أنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه خَرَجَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، فَرَأَهُ طَلْحَةَ، فَذَهَبَ عُمَرُ، فَدَخَلَ، ثُمَّ دَخَلَ بَيْتًا آخَرَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ طَلْحَةُ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَإِذَا بِعَجُوزٍ عَمِيَاءٍ مُتَعَدَّةٍ، فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَذَا الرَّجُلِ يَا نَيْك؟ قَالَتْ: إِنَّهُ يَتَعَاهَدُنِي مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، يَا نَيْكُ بِمَا يُصْلِحُنِي، وَيُخْرِجُ عَنِّي الْأَذَى، فَقَالَ طَلْحَةُ: ثَكَلْتُكَ أُمَّكَ يَا طَلْحَةَ، أَعَثَرَاتِ عُمَرَ تَتَّبِعُ؟!"^(١).

كما كان موقف عثمان بن عفان رضي الله عنه من العمل الخيري أعظم شاهد على تأصيل معنى التنمية الاجتماعية؛ فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «من يحفر بئر رومة فله الجنة»، فحفرها عثمان رضي الله عنه^(٢).

(١) رواه أبو نعيم في (حلية الأولياء)، الحديث رقم (١٠٩).

(٢) صحيح الإمام البخاري، كتاب (فضائل أصحاب النبي ﷺ)، باب (مناقب عثمان بن عفان)، ص

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

ويُروى أنه لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عينٌ، يقال لها: رومة، وكان يبيع منها القربة بمدًّا، فقال له النبي ﷺ: «تبيعنيها بعين في الجنة؟»، فقال: يا رسول الله، ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: «نعم»، قال: قد جعلتها للمسلمين^(١).

ولا شك أن الأعمال الخيرية بصورها الإنسانية تحفظ على المجتمع ترابطه الاجتماعي وتمنح الفقراء فيه حقهم المشروع في الحياة، وبذلك تسود المجتمع معاني الفضيلة، وتتنامى فيه المشاعر الإنسانية.



(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري، ج ٥/ ص ٤٠٧، وعزاه بسنده إلى البغوي في الصحابة، وانظر: المعجم الكبير - للطبراني، الحديث رقم (١٢٢٦)، وتحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي، ج ١٠/ ص ١٩٦.



المطلب الثاني

إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع

يُقصد بالتكافل الاجتماعي: "أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلاً في مجتمعه يمدّه بالخير، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ودفع الأضرار، ثم المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة"^(١).

ويعرّفه الدكتور عبد العزيز الخياط بأنه: "أن يتساند المجتمع أفراداً وجماعات؛ بحيث لا تغطي مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، ولا تذوب مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة، وإنما يبقى للفرد كيانه وإبداعه ومميزاته، وللجماعة هيئتها وسيطرتها، فيعيش الأفراد في كفالة الجماعة، كما تكون الجماعة متلاقية في مصالح الآحاد ودفع الضرر عنهم"^(٢).

ويقوم التكافل الاجتماعي في الإسلام على بناء فكري متكامل له أساسه من

(١) في المجتمع الإسلامي - للشيخ محمد أبو زهرة، ص ٤.

(٢) المجتمع المتكافل في الإسلام، ص ٧٤.

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

العقيدة ومن المنظومة الأخلاقية الإسلامية، فلم يكن تقرير هذا الحق للإنسان وليد تجارب بشرية فرضته فرضاً، كما هو الشأن في نظم الضمان الاجتماعي التي تسود العالم الحديث؛ فالتكافل في الإسلام يُمثّل فكرة متقدّمة تتجاوز مجرد التعاون بين الناس، أو تقديم أوجه المساعدة وقت الضعف والحاجة، ومبناه ليس الحاجة الاجتماعية التي تفرض نفسها في وقت مُعيّن أو مكان بعينه، وإنما يستمد التكافل الاجتماعي في الإسلام مبناه من مبدأ مقرّر في الشريعة، وهو مبدأ الولاية المتبادلة بين المؤمنين في المجتمع، يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، يقول الإمام الطبري: "وأما المؤمنون والمؤمنات، وهم المصدّقون بالله ورسوله وآيات كتابه، فإن صفتهم أن بعضهم أنصاراً لبعض وأعاونهم"^(١).

فالإنسان في التصور الإسلامي لا يعيش مستقلاً بنفسه منعزلاً عن غيره، وإنما يتبادل مع أفراد المجتمع الآخرين الولاية، بما تعنيه من الإشراف والتساند والتكافل في أمور الحياة وفي شؤون المجتمع^(٢).

وقد اهتم الخلفاء المسلمون عبر تاريخ الإسلام بالتكافل الاجتماعي؛ لبناء مجتمع يتعاون فيه الجميع، ويُغاث فيه المكروب والملهوف والمحتاج، عملاً بسنة رسول الله ﷺ، وسيراً على منهج الإسلام في التكافل والإغاثة، حتى رأينا الأوقاف الإسلامية التي تُعد بحق -ابتكاراً إسلامياً أصيلاً عرّفت أهميته

(١) جامع البيان، ج ٦ / ص ٤١٥.

(٢) الإسلام والتكافل الاجتماعي - للدكتور بدر عبد الحميد هميسة، مقال منشور على موقع (صيد الفوائد) على الشبكة العنكبوتية، بدون ذكر تاريخ النشر ولا ترقيم للصفحات.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

المجتمعات الغربية في العصور المتأخرة.

ويُعَدُّ التعاون والتكافل الاجتماعي -الذي يُمكن أن يُعرَّف بأنه تساعُدُ الأفراد وإعانتهم لبعضهم على عمل الخير والبرِّ والإحسان- من القيم الإنسانية العظيمة التي من شأنها إدماج الفرد ببيئته، وتجنبيه الانطواء والعزلة والأنانية، وتحقيق تضامن المجتمع وقوته ومنعته، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وتحسين الأوضاع الاقتصادية، والقضاء على الفقر والعوز والبطالة، وزيادة معدلات العمل والإنتاجية فيه.

وللتكافل الاجتماعي الذي يُثمره العمل الخيري مظاهرٌ عديدة في حياة الأفراد والمجتمعات، منها على سبيل المثال:

- الاحتساب بالحث على الترابط والتواصل الاجتماعي؛ وذلك بالتواصي على نبذ التفكُّك الأسري، والحفاظ على صلة الرَّحِم، ورعاية حقوق الجار، وإشاعة قيمتي الإيثار والأمانة، ومُشاركة الناس أتراحهم وأفراحهم.
- التعاون على رعاية المبدعين والموهوبين الذين يُمثلون مصدر ثروة الوطن وسعادته، ورواد الحاضر وقادة المستقبل، والقوة التي تدفع الوطن نحو الازدهار والتطور والبناء.
- السعي على القضاء على الأمية، والرفع من كفاءة التربية والتعليم في المجتمعات الإسلامية.
- دعم الأسر المنتجة في المجتمع مادياً ومعنوياً، وتذليل كافة الصعوبات والعقبات التي تعترض طريق عملها.
- السعي إلى إرساء قواعد التعاون والتعاقد في نفوس الشباب؛ وذلك

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

بإعلاء قيم الانتماء الوطني لديهم، والاحتساب في تطوير مهاراتهم وقدراتهم عن طريق إتاحة الفرصة لمشاركاتهم الفاعلة في مُختلف الأنشطة المجتمعية، وتفعيل مهامهم، وإفساح المجال لعرض آرائهم في الأمور العامة في المجتمع.

- قيام الأغنياء والموسرين ورجال الأعمال بدعم المشروعات التي تخدم عامة الناس في المجتمع، أمثال مشروعات البنية الأساسية، والمرافق والمنشآت العامة، والمستشفيات والمدارس ودور المسنين والأيتام، حيث يعود نفع هذه المشروعات على جميع أبناء الوطن، ويُعدُّ هذا السلوك تجسيداً لقيم المواطنة، فجهود مؤسسات المجتمع الرسمية وحدها ربما لا تستطيع سد حاجة كل الفقراء، فتأتي جهود الأفراد وأصحاب الأموال للقيام بهذه الرسالة، التي تحقق سلامة المجتمع ووحدته واستقراره.

- كفالة المطلقات والأرامل وكبار السن ممن لا عائل لهم، ورعايتهم وتأمين كافة متطلباتهم المادية والمعنوية، ولا سيما في الجوانب النفسية والعاطفية، مقابل التضحيات التي قدموها من أجل إسعاد الجيل الذي ربَّوه ورعَّوه.

- كفالة الأيتام ورعايتهم والإحسان إليهم، وتأمين متطلبات سكنهم وعيشتهم وتربيتهم وتعليمهم، ورعايتهم أموالهم - إن كانوا أصحاب أموال - وتنميتها والحفاظ عليها، يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، يقول الشيخ ابن سعدي في تفسير الآية:

"﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: وهم الصغار الذين لا كاسب لهم، فهم في مظنة الحاجة؛ لعدم قيامهم بمصالح أنفسهم وفقد الكاسب، فوصى الله بهم العباد؛ رحمة منه بهم ولطفًا، ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: وهم أهل الحاجات وأرباب الضرورات الذين أسكنتهم

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الحاجة، فينفق عليهم؛ لدفع حاجاتهم وإغنائهم" (١)، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، أي: "ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وتثميته" (٢)، ويقول سبحانه: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْأَسْفَلِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يأمر تعالى بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحلم كاملة موفرة، وينهى عن أكلها وضمها إلى أموالهم" (٣).

- كفالة الفقراء والمساكين، ومشاركتهم آلامهم وتنفيس الكرب عنهم، وبذل العون لهم مادياً ومعنوياً.

- إغاثة المنكوبين والمكروبين ورعايتهم، وقضاء حوائجهم، والتفريج عنهم، يقول ﷺ: «من نفَّس عن مسلم كربةً من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (٤).

- الإحسان إلى الغريب وابن السبيل - وهو من انقطعت به السبل ولم يستطع الوصول إلى بلده - وتقديم العون المادي والمعنوي له، ولأهمية ذلك؛ جعل الله له حقاً واجباً في الزكاة، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٩٦.

(٢) جامع البيان - للطبري، ج ٥ / ص ٣٩٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج ١ / ص ٤٤٩.

(٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الذكر والدعاء)، باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر)، الحديث رقم (٦٨٥٣)، ص ١١٧٣.

الآثار الاجتماعية للعمل الخيري

عَلَيْهَا وَالْمَوْلَفَةَ فَلُوهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرْمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ
وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ [التوبة: ٦٠]، يقول الإمام البغوي: "والصنف الثامن^(١): هُم
أَبْنَاءُ السَّبِيلِ، فَكُلُّ مَنْ يُرِيدُ سَفَرًا مُّبَاحًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَقْطَعُ بِهِ الْمَسَافَةَ يُعْطَى مِنْ
الصَّدَقَةِ بِقَدْرِ مَا يَقْطَعُ بِهِ تِلْكَ الْمَسَافَةَ، سَوَاءً كَانَ لَهُ فِي الْبَلَدِ الْمُتَقَلِّبِ إِلَيْهِ مَالٌ أَوْ
لَمْ يَكُنْ"^(٢).

- توفير فرص العمل وميادينه المناسبة لمن لا يجد عملاً من القادرين عليه؛
للقضاء على ظاهرة البطالة، أو تقليل نسبها على الأقل في المجتمع؛ وذلك بإقامة
المشاريع البناءة التي تسهم في نهضة المجتمع، وإعطاء الأولوية فيها للفئات
الفقيرة المحرومة.

وقد صور الرسول ﷺ هذه الصور التكافلية وأمثالها في مثال رائع بقوله ﷺ:
«مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ
بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا
عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرْقًا، وَلَمْ نُوذِ مِنْ فَوْقِنَا، فَإِن
يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِن أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا
جَمِيعًا»^(٣)، والقائم على حدود الله يدخل فيه القائم على حفظ النظام العام
للمجتمع وأفراده.

(١) يعني الصنف الثامن من أصناف الزكاة.

(٢) مختصر معالم التنزيل، ص ٣٨١.

(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الشركة)، باب (هل يقرع في القسمة والاستهام فيه؟)،
الحديث رقم (٢٤٩٣)، ص ٤٠٣.



المطلب الثالث

تحقيق الأمن بمفهومه الشامل في المجتمع المسلم

من شأن العمل الخيري التطوعي تحقيق الأمن بمفهومه الشامل في المجتمع المسلم، وحماية الفرد والمجتمع من الآفات والجرائم والانحرافات، وتأمين الضروريات التي تحفظ للمجتمع كرامته وتعيّنه على نواب الدهر.

ويؤكد ذلك أمور كثيرة، منها على سبيل المثال ما يلي:

أولاً: إن الاحتساب بالتطوع بتعليم أفراد المجتمع العقيدة الإسلامية بأصولها وأركانها الستة وترسيخها في أنفسهم له أثر كبير في تحقيق الأمن في المجتمع، من حيث:

١- إنه يُوجد في نفس الفرد رقابة ذاتية تزجره عن كل فعل يُخل بأمنه وأمن المجتمع من حوله، ومن شواهد ذلك قول ابن آدم لأخيه: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]، فما رده عن بسط يده لقتل أخيه إلا إيمانه بالله، واستشعاره اطلاعه سبحانه على كل أعماله وتصرفاته، وبالتالي خوفه من عقابه وعذابه، فهذا هو شأن الإيمان الصحيح، إذا خالط بشاشة قلوب الناس استقام سلوكهم، واجتنبوا الاعتداء على الآخرين، وانزجروا عن ارتكاب الذنوب والمعاصي المخلة بالأمن

الآثار الاجتماعية للعمل الخيري

الاجتماعي^(١)، "قال عبد الله بن عمرو: وايم الله، إن كان لأشد الرجلين، ولكن منعه التخرج، يعني الورع"^(٢).

٢- إنه يُفيض على نفس الفرد الشعور بالرضى والسكينة والطمأنينة؛ ليقينه بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ فيرضى بما قسم الله له، فيقنع بالقليل عن الكثير، وبالحلال عن الحرام، فيستقيم سلوكه وتنضبط تصرفاته^(٣).

ثانياً: إن الاحتسابَ بالتطوع بتفقيه أفراد المجتمع بأحكام العبادات والمعاملات، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع له أثرٌ كذلك في تحقيق الأمن في المجتمع، من حيث:

١- إنه يُؤدي في الغالب إلى لزوم الاستقامة، وأداء الحقوق والالتزام بالواجبات، واجتناب الفواحش والمنكرات التي من شأنها تهديد أمن المجتمع واستقراره.

٢- إنه يُؤدي في الغالب إلى تقوية أواصر المحبة والألفة بين أفراد المجتمع، وإلى تعاونهم على البر والتقوى، مما يسهم في تحقيق أمن المجتمع واستقراره.

ثالثاً: تأمين الحاجات الضرورية للفقير والمحروم وصاحب الحاجة يجنب

(١) انظر: وظيفة الاحتساب في تحقيق الأمن الاجتماعي - للدكتور حسن بن يحيى الشهري، ص ٧٥، ٧٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير، ج ٢ / ص ٤٣.

(٣) انظر: وظيفة الاحتساب في تحقيق الأمن الاجتماعي - للدكتور حسن بن يحيى الشهري، ص ٧٦.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

المجتمع وَيَلاتِ الجرائم والفساد، فعدم قدرة هؤلاء المحتاجين على تأمين ضروريات الحياة بالطرق المشروعة، وتقايسُ المجتمع عن رعايتهم وتأمين احتياجاتهم يؤدي غالباً إلى نقمة هؤلاء المحتاجين على المجتمع، ومن ثم فسادهم وانحرافهم بانحرافهم إلى الطرق غير المشروعة؛ للحصول على المال، أمثال: الغش والتزوير، والابتزاز، والسرقة، وترويح المخدرات والاتجار بها، والدعارة والاتجار بالجنس، ونحو ذلك من أنواع الجرائم التي من شأنها شيوعُ الفساد في المجتمع، ومن ثم ضعفه وانهاره.

ولذا حث الإسلام على أعمال البر التطوعية؛ لسد الحاجة وكفاية المؤونة وتخفيف الآلام وحفظ الكرامة وحماية المجتمع من شتى الانحرافات والجرائم والآفات المختلفة، يقول تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]، ويقول رسول الله ﷺ: «أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني»^(١).

وربما يتعدى خطر الفقر والعوز إلى جريمة قتل النفس، أو قتل الأولاد والتخلص منهم بسبب ضيق الحال، ومعلوم أن الله قد حرم الله قتل النفس المعصومة إلا بالحق، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَنَعُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ويقول كذلك: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب (الأطعمة)، باب (قول الله تعالى: كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)، الحديث رقم (٥٣٧٣)، ص ٩٦٠.

الآثار الاجتماعية للعمل الخيري

تَحْنُ نَزْرُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ فَنَلَهُمْ كَانَ خِطَاءًا كَبِيرًا ﴿[الإسراء: ٣١].

رابعاً: من طبيعة القيام بالأعمال الخيرية الميدانية من قِبَلِ أعضاء فرق الكشافة وأصدقاء الشرطة ونحوهم: المشاركة في ضبط المرور وتنظيمه، والتوعية بمخاطر المخدرات والمؤثرات العقلية، والتبليغ عن الفساد والمفسدين والجرائم التي تقع، وهذه الأعمال تُسهم في تحقيق الأمن للمجتمع، من حيث التقليل من الحوادث المرورية، والحذر من الوقوع في برائن المخدرات، ومساعدة الأجهزة الأمنية على سرعة اكتشاف الجريمة، أو كشف غموضها أو غموض بعض التحديات الأمنية التي تمس المجتمع.

خامساً: من طبيعة القيام بأعمال الإغاثة والإنقاذ في حالات الحروب والحوادث والكوارث التقليل من المخاطر الأمنية، من حيث حفظ الأرواح والممتلكات، والحدّ من حالات المجاعات والإصابات الخطيرة، وانتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة والمُعديّة.

سادساً: تأمين فرص العمل الشريف والقضاء على البطالة من شأنه خفض معدلات الفقر في المجتمع، ومن ثمّ الحفاظ على أمن الوطن والسيادة الوطنية فيه، واحترام قوانينه وأنظمتها ورعايتها، والإسهام في تنميته ورُقيّه.

سابعاً: أن كفالة أسر السجناء والموقوفين، ورعاية المفرّج عنهم وتأهيلهم لكي يندمجوا في المجتمع، وتأمين فرص العيش الكريم لهم، من شأنه تحصينهم من الانحراف والجريمة، وتحقيق الأمن النفسي لهم، وهذا يُسهم بشكل كبير في حفظ البناء الأسري في المجتمع، وحمايته من التصدع والانهيار.

المطلب الرابع

**تعزيز قيم البذل والإيثار وتحمل
المسؤولية في المجتمع المسلم**

إن من الثمار الطيبة للعمل الخيري التطوعي تعزيز قيم البذل والإيثار وتحمل المسؤولية في المجتمع المسلم، وتربية أفراده على هذه القيم، ويتضح ذلك في الفقرات التالية:

❖ أولاً: قيمة البذل:

يُقصد بالبذل هنا: "الإعطاء عن طيب نفس"^(١)، ويستخدم دائماً مرادفاً لمصطلحات الكرم والجود والسخاء.

والبذل في مجال العمل الخيري أنواع عدة، منها: بذل المال، وبذل النفس، وبذل الجهد، وبذل الوقت، وبذل العلم في أعمال البر والإحسان؛ ابتغاء مرضاة الله وطلب مثوبته.

ومن ثمار العمل الخيري أنه يربي المسلم على هذا البذل بأنواعه المختلفة، وهو ما يدعو إليه دين الإسلام ويحث عليه، فقد حُبب إلى بنيه أن تكون نفوسهم سخيةً وأكفهم نديَّةً، ووصاهم بالمسارعة إلى البذل والإحسان ووجوه البر، وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم، لا ينفكُون عنه في صباح أو مساءً،

(١) التوقيف على مهمات التعاريف - للمناوي، ص ٧٣.

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

ومما ورد بهذا الخصوص قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]،

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "هذا مدحٌ منه تعالى للمنفقين في سبيله، وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار، والأحوال من سرٍّ وجهارٍ" (١)، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقوله ﷺ: «يا ابن آدم، إنك أن تبدل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى» (٢)، وقوله كذلك: «لا حسد (٣) إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها» (٤).

(١) تفسير القرآن العظيم، ج ١ / ص ٣٢٥.

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الزكاة)، باب (بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى)، وأن اليد العليا هي المنفقة، وأن السفلى هي الآخذة)، الحديث رقم (٢٣٨٨)، ص ٤١٧.

(٣) المقصود بالحسد هنا: الغبطة، وتُجوز في التعبير فُعبّر عنه بالحسد؛ ذلك أن الجامع المشترك بين الغبطة والحسد هو أن في كل واحد منهما تمنى النعمة، إلا أن الحسد فيه تمنى زوال النعمة عن المحسود -نسأل الله العافية- وهو فهو غير جائز شرعاً، بينما الغبطة ليس فيها تمنى زوال النعمة عن الغير؛ ولذا فهي أمر جائز لا إشكال فيه.

(٤) رواه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب (العلم)، باب (الاغتباط في العلم والحكمة)، الحديث رقم (٧٣)، ص ١٧. ورواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها)، باب (فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها)، الحديث رقم (١٨٩٦)، ص ٣٢٨.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ولا شك أن ترسيخ هذه القيمة الخلقية يسهم في بناء مجتمع قوي متماسك متعاون متوازن، ويطهر النفس من آفة التعلق بالمال والتخلص من جعله غاية، وبعد ذلك هو فعل تواصل مع الآخرين، وتأكيد على حبههم وتقديم العون لهم، ولا سيما الصدقات التي تأخذ مكانة بارزة في قيمة البذل والعطاء، يقول تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]

والمعروف هنا هو - كما يقول الإمام الطبري - "كل ما أمر الله به، أو ندب إليه من أعمال البر والخير" (١).

وهناك فوائد إيمانية للصدقة يعود أثرها على الفرد المتصدق؛ إذ تعالج الصدقة في نفس المتصدق ردائل الشح والأثرة، والأنانية وتعوده على البذل والعطاء، كما أن المتصدق يجد بعد إخراج صدقاته الراحة والطمأنينة، والسعادة والمغفرة، والسعة في الرزق وطول العمر، ثم إن العمل الخيري دليل على إيمان الفرد وصدق توجهه لله عز وجل.

وهناك فوائد أخرى تعود على صاحب الحاجة، كإحساسه بمشاركة إخوانه له في الضراء، والحفاظ على كرامة صاحب الحاجة، وصيانة ماء وجهه من المذلة والمسألة.

(١) جامع البيان، ج ٤ / ص ٢٧٦، وراجع: الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي، ج ٥ / ص ٢٤٥، وفتح القدير - للشوكاني، ج ١ / ص ٥١٥.

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

❖ ثانياً : قيمة الإيثار :

يقول الجرجاني: الإيثار "أن يقدم الإنسان غيره على نفسه في النفع له، والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة"^(١)، "وهو فضيلة للنفس بها يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه، حتى يبذلها لمن يستحقها"^(٢).

والإيثار من محاسن الأخلاق الإسلامية وأسمائها، وهو مرتبة راقية من مراتب البذل، ومنزلة عظيمة من منازل العطاء، وأحد أبرز الفضائل والقيم الإنسانية، يقول تعالى في امتداح أهل الإيثار: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

ومن لوازم الإيثار تربية النفس على الخلاص من العديد من الخصال التي تضرُّ بالبنية الاجتماعية، وتدمر وحدته وانسجامه، كالشح والأترة، والأنانية والاستعلاء على الجوانب والمصالح المادية الفردية، والارتقاء بالنفس إلى الجوانب الإيمانية الروحانية، ففيها يحسن المرء إلى نفسه وينفعها، يقول تعالى: ﴿إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وإذا رسخت صفة الإيثار في النفس وغلبت على الأهواء والغرائز، فإنها ستحصن النفس وتحول دون وقوعها في الكثير من المواقف والآثام.

(١) التعريفات، ج ١ / ص ٥٩.

(٢) تهذيب الأخلاق - لمسكويه، ص ١٩.

✦ ثالثاً : تحمل المسؤولية الاجتماعية :

تكتسب قضية المسؤولية الاجتماعية أهميتها من كونها تمثل تنميةً لجانب من جوانب الوجود الاجتماعي يحتاج إليها الفرد للوقاية والعلاج من ظواهر التواكل والسلبية، وعدم المبالاة وافتقاد الهوية، ونحوها من المظاهر التي تُعيق عملية التنمية.

والمسؤولية الاجتماعية ضرورة اجتماعية بقدر ما هي ضرورة فردية؛ لأن المجتمع بجميع طوائفه وفئاته في حاجة إلى الفرد المسؤول اجتماعياً، وذلك من منطلق قول النبي ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

ويُعدُّ الفرد حَجَرَ الأساس واللَبْنَةَ الأساسية الأولى في أي مجتمع إنساني، والمجتمع إنما يتكون من مجموعة من الأفراد، والمجتمع الإسلامي في نظر الإسلام وحدة واحدة لا تتجزأ، ولا يجوز أن تُهْمَلَ أو يُهْمَلَ جزءٌ منها، لئُصاب بالعَطَبِ أو الفساد، ولا سبيل إلى صيانة هذه الوحدة إلا بأن يقوم كل فرد بعمله؛ حاكماً أو محكوماً.

وقد جعل الله الفرد مسؤولاً شخصياً عن حراسة نفسه عن الإضرار بأمته، ومسؤولاً عن حراسة الأمة في بيئته، ومسؤولاً عن عمله وإتقانه والأمانة فيه، ومسؤولاً عن محاربة الجرائم الظاهرة والخفية، وعن محاربة الاتجاهات الخبيثة التي تضر الأمة في حاضرها، أو تؤذيها في مستقبلها، فهو مسؤول عن كل ذلك،

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (النكاح)، باب (المرأة راعية في بيت زوجها)، الحديث رقم (٥٢٠٠)، ص ٩٣٠. ورواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الإمارة)، باب (فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر)، الحديث رقم (٤٧٢٤)، ص ٨٢٠.

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

مهملات لاقى في سبيله من مشقة وتعب.

ويُعدُّ تحمل المسؤولية من أهم الصفات الاجتماعية التي لا يمكن تنميتها إلا عن طريق الممارسة، ومن هذه الممارسة الانخراط في الأعمال الخيرية، وتقديم الخدمات الاجتماعية التطوعية.

ومن طبيعة الخدمات الاجتماعية بوصفها إحدى مهن المساعدة التي تتعامل مع أفراد المجتمع: الاهتمام بتنمية المسؤولية الاجتماعية لديهم؛ لما يحققه ذلك من إحداث تغييرات إيجابية في شخصية الفرد بما يسهم في زيادة معدلات المشاركة الفعالة في تطوير المجتمع وتنميته، حيث إن شعور الأفراد بها نحو مجتمعهم يتوقف على طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وبعضهم، وعلى نسبة المشاركة الاجتماعية لهؤلاء الأفراد مع باقي أفراد المجتمع، وعلى ولاء وانتماء أفراد المجتمع إلى أسرهم ومجتمعهم ووطنهم، ومدى قدرتهم على المحافظة على الممتلكات العامة، فكلما زاد الشعور بهذه المحاور زاد الشعور بالمسؤولية الاجتماعية لأفراد المجتمع تجاه أسرهم ومجتمعهم ووطنهم.

وتنمية الشعور بالمسؤولية عند أفراد المجتمع لها أثر بارز في تطوير المجتمع وتنميته، والمحافظة على الوطن وتحقيق وحدته واستقراره، وكذا المحافظة على قيمه وثقافته وعاداته وتقاليده، التي تمثل ملامح هويته المميزة له عن غيره من الأوطان.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

✽ وبناءً على ما تقدم يمكن أن نقول: إن من الآثار الكثيرة للعمل الخيري التطوعي في تنمية الشعور بالمسؤولية الاجتماعية عند أفراد المجتمع ما يلي:

- ١- تبصير أفراد المجتمع بواجباتهم الدينية والاجتماعية، والتزاماتهم الأخلاقية والقيمية تجاه أسرهم وأقاربهم ومعارفهم ومجتمعهم، وتدعيم علاقته بهم.
- ٢- تبصيرهم بقيمة وطنهم وممتلكاته ونعمة الأمن والأمان فيه.
- ٣- تعزيز محبة وطنهم، والولاء له وخدمته والدُّود عنه.
- ٤- تبصيرهم بواجباتهم تجاه ولاة أمورهم.
- ٥- الحفاظ على ممتلكات الوطن وموارده ومقدراته، والمشاركة في مشروعات الخدمات العامة فيه، كخدمات النظافة، وتشجير البيئة والمحافظة عليها من التلوث.
- ٦- الإسهام في تحقيق الأمن بمفهومه الشامل في الوطن والمحافظة عليه، واحترام أنظمة الوطن والحفاظ عليها، والتظافر على القضاء على كل مظهر من مظاهر الفساد فيه، انطلاقاً من شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي حثَّ الله عليها في قوله عز وجل: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].
- ٧- الإسهام في تعزيز القيم الأخلاقية في المجتمع.
- ٨- إتقان العمل وتحملُّ الأمانة في القيام به.



المطلب الخامس

**الإسهام في علاج كثير من المشكلات
التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية**

يسهم العمل الخيري في علاج كثير من المشكلات الاجتماعية والخلافات الأسرية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

أولاً: علاج مشكلتي الفقر والبطالة:

تعدُّ مُشكَلَتَا الفقر والبطالة من أخطر المشاكل التي تواجه اقتصادات العالم؛ نظراً لما لها من آثار سلبية خطيرة على المستويات السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والأمنية، فقد أكَّدت العديد من الدراسات الاقتصادية أن هناك علاقةً وطيدة بين الفقر والبطالة، فالبطالة هي المكوِّن الرئيس للفقر، وتعاني كثير من دول العالم الإسلامي أشدَّ المعاناة من ظاهرة البطالة، وقد انعكس معدل الفقر المرتفع في هذه الدول بشكل مباشر على الجانب الاجتماعي والثقافي فيها، ويظهر هذا جلياً من خلال ارتفاع معدلات الجريمة، وارتفاع نسبة التسرُّب المدرسي، والهجرة غير الشرعية، وهجرة الأدمغة العلمية، والتفكُّك الأسري، والجهل، والأميَّة، والتدهور الصحي للسكان، وانتشار الأمراض المزمنة.

وتُشكِّل الصدقات مورداً مالياً جيداً لتحسين الأوضاع المعيشية للفقراء

بحوث مؤتمر العمل الخيري

والمُعوزين، وسد حاجياتهم المعيشية.

ورغم أن مشكلتي الفقر والبطالة في العالم الإسلامي تحتاج إلى مواجهة وتنسيق بين كافة المؤسسات الحكومية والدولية ومنظمات المجتمع المدني، فإنه يظل لمؤسسات العمل الخيري الحكومي والأهلي أثرٌ كبيرٌ في إطار هذه المنظومة، وخاصة على صعيد الإسهامات التمويلية في زيادة التشغيل في المجتمع.

ومن الآثار الإيجابية للعمل الخيري في معالجة مشكلتي الفقر والبطالة اضطلاعٌ كثير من مؤسسات وجمعيات العمل الخيري والوقفي^(١) بما يلي:

- رعاية أبناء الفقراء؛ تعليمًا، وابتعائًا، وتوظيفًا.
- توفير مراكز التدريب اللازمة لتعليم الفقراء وإعانة أنفسهم بأنفسهم، ولاسيما مراكز التدريب المهني، وكذا التّقني التي تسعى إلى تأهيل الشباب لأعمال مهنية وحرفيّة يحتاجها سوق العمل.
- بناء الدور الإيوائية للعجزة والمسنين ومراكز التأهيل الطبي والعلاجي لذوي الاحتياجات الخاصة.
- تأمين الأجهزة والأدوية والمستلزمات الطبية للمرضى المحتاجين.

(١) تذكّر وزارة العمل والتنمية الاجتماعية السعودية في موقعها الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية أنها تشرف على ما يقارب (٦٨٦) جمعية خيرية منها عدد (٤٠) جمعية نسائية، وكذلك (١٢١) مؤسسة خيرية منتشرة في أنحاء المملكة تقوم بتقديم العديد من الخدمات والأنشطة الخيرية للمستفيدين منها، هذا في بلادنا المملكة العربية السعودية -حفظها الله- وحدها، فضلاً عن مثيلاتها في مختلف بلاد العالم الإسلامي.

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

- تقديم الصدقات والزكوات للمحتاجين في صورة أصول إنتاجية، مع تمليكهم هذه الأصول.
 - توفير الكثير من الخدمات التعليمية والصحية للفقراء.
 - تنمية مناطق الفقراء من خلال إقامة مشروعات لبنيّة الأساسية، توفر لهم المعيشة بصورة كريمة.
 - إنشاء مشاريع (الإسكان الخيري) للأسر الفقيرة.
 - تخصيص كثير من أموال الصدقات والهبات؛ لدعم المشاريع التجارية الصغيرة للأسر المنتجة؛ إما بصورة هبات، أو قروض مالية حسنة؛ لكي تسد حاجاتها الضرورية والتحسينية في الحياة، وتستغني بها عن صدقات المحسنين.
 - دعم الشباب الفقراء الراغبين في الزواج -بتقديم المساعدات المالية والعينية لهم- لإعانتهم على تحمل أعباء الزواج وتكاليفه المالية.
 - إنشاء مشاريع إنتاجية تنموية للتحسين من المستوى المعيشي للأسر الفقيرة في مختلف الدول النامية، ولاسيما في آسيا وأفريقيا.
- ونحو ذلك من الجهود المشكورة التي أسهمت في رفع كاهل الفقر والعوز عن الفقراء والمحتاجين وأسْرهم، وتوفير فرص مناسبة لهم للعمل والكسب المشروع.
- وقد أظهرت نتائج دراسة علمية أعدّها أحد الباحثين عام ٢٠١٣م في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بعنوان (دور جمعية البر الخيرية في مواجهة الفقر في المجتمع السعودي) أن دور الجمعيات الخيرية في مواجهة الفقر في المجتمع السعودي مرتباً، وحسب أهميته من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة يتحدد في

بحوث مؤتمر العمل الخيري

المساعدة في تنظيم الأسر الفقيرة، وتقديم المعونات والقروض الميسرة، وتوزيع لحوم الأضاحي والهدى، وتوفير أدوية للفقراء المرضى، وتوفير فرص عمل وتشغيل للفقراء المتعطلين عن العمل، وتقديم المساعدات العينية المنتظمة شهرياً للفقراء، ودعم المشروعات الحرفية الصغيرة، وتوفير مراكز صحية تقدم خدمات صحية بأسعار في متناول الفقراء^(١).

ولا شك أن علاج الفقر عن طريق الصدقات والهبات من الموسرين في المجتمع يسهم في علاج الجهل والمرض، فمشكلة الجهل كثيراً ما يكون سببها الفقر؛ حيث لا يستطيع الفقير أن يتعلم ولا أن يعلم أولاده، وترتبط مشكلة المرض كذلك بمشكلة الفقر على أساس أنه إذا ارتفع مستوى المعيشة وتوافر لدى جمهور الأفراد حسن التغذية والمسكن الصحي، والقدرة على العلاج، فإن المرض ينحصر مداه في أضيق نطاق؛ ولذا يمكن القول: إن من لوازم القضاء على الفقر القضاء على الجهل والمرض.

❖ ثانياً: الإصلاح بين الناس:

من مهام الجمعيات الخيرية العناية بفض النزاعات الأسرية، والمحافظة على طهارة المجتمع وخلوه من الآفات، وذلك عن طريق عقد جلسات الصلح الاجتماعية التي كان لها أثر كبير في القضاء على ظاهرة عقوق الآباء والأقارب وذوي الأرحام، وظاهرة ازدياد حالات الطلاق وتشرد الأبناء، ونحو ذلك من

(١) راجع: دور جمعية البر الخيرية في مواجهة الفقر في المجتمع السعودي - لماجد بن محمد العروان، وهي أطروحة ماجستير صادرة عن قسم العلوم الاجتماعية بكلية الدراسات العليا بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، عام ٢٠١٣م.

الآثار الاجتماعية للعمل الخيري

الظواهر الاجتماعية التي تُؤدي إلى التفكك الأسري وكثرة العداوات والشحناء والبغضاء بين كثير من أفراد المجتمع، وبالتالي إلى زعزعة أمن المجتمع واستقراره. وكم من حروب أُخمدت، ودماءٍ حُفِظَتْ، ومشاكلٍ وخلافاتٍ أُسرية عولجت بسبب الصلح الذي حثَّ المولى عز وجل عليه في العديد من الآيات القرآنية الكريمة! كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، وقوله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: "أي: أصْلِحُوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابير، بالتوادد والتحاب والتواصل، فبذلك تجتمع كَلِمَتُكُمْ، ويزول ما يحصل بسبب التقاطع من التخاصم والتشاجر والتنازع"^(١)، وحث عليه رسول الله ﷺ في أحاديث عديدة، منها: ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قال: قلنا: بلى، قال: «إصلاح ذات البين»^(٢).

ثالثاً: علاج الأمراض النفسية والاضطرابات السلوكية:

فقد أكد المتخصصون في مجال الطب النفسي أن ممارسة العمل التطوعي الخيري في حياة الأفراد والمجتمعات عاملٌ أساسي في علاج العديد من الأمراض

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣١٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، ج ٤٥ / ص ٥٠٠، الحديث رقم (٢٧٥٠٨)، وقال محققو المسند وعلى رأسهم الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيحين"، ورواه الترمذي في سننه في أبواب (صفة القيامة والرقائق والورع)، باب (في فضل صلاح ذات البين)، الحديث رقم (٢٥٠٩)، ص ٥٧٠، وقال: "هذا حديث صحيح".

بحوث مؤتمر العمل الخيري

النفسية والاضطرابات والانحرافات السلوكية لدى الشباب والمراهقين، وأن انخراط الشباب الذين يعانون من الاضطرابات والانحرافات السلوكية والأزمات النفسية في الأعمال الخيرية يسهم بشكل كبير وفَعَّال في علاج تلك الاضطرابات والأزمات، وله أثر ملموس في إحساسهم بمشاكل الآخرين، وفي تحملهم المسؤوليات الاجتماعية والأسرية، بالإضافة إلى القضاء على الانطواء والاكئاب والخجل المرضي، وتحقيق الرضا النفسي الذي يحتاجه الكثير من المرضى النفسيين^(١).

كما أن العمل الخيري يسهم في تعزيز قيم الإيجابية والعطاء، والأمانة والصدق مع النفس، ويعمل على نشر ثقافة الانتماء والولاء للمجتمع، وكل ذلك يُعطي دفعات كبيرة من الطاقات الروحية لهذه الفئات المهمة في المجتمعات الإنسانية.

والأعمال الخيرية التطوعية تتسم غالباً بأنها أعمال جماعية، ومن خلالها يُتاح المجال للتفاعل مع الآخرين، والاندماج معهم، وهذا يعالج المرض النفسي الناتج عن فقدان أحد الأقارب أو الأصدقاء، فهذه الأعمال الخيرية تُوجد لدى هؤلاء المرضى النفسيين بيئةً جديدة من الصلحة الصالحة في إطار جيد ومحترم، وتتيح لهم تكوين صداقات على أسس جديدة تبعث فيهم الأمل، ويكسر حاجز الانغلاق والانعزال عن المجتمع.

(١) راجع: العمل التطوعي: كيف يساهم في العلاج النفسي والسلوكي للأفراد والمجتمعات، وهو تحقيق أجره المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد)، ونشره على موقعه الإلكتروني على الإنترنت بتاريخ ٢١ إبريل ٢٠١٣م.

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

والأهم أن ممارسة العمل الخيري تجعل المريض يختلط بالناس الذين يعانون مشكلاتٍ كبيرة، مثل حالات الكوارث الطبيعية والحروب، فيجد مَنْ هم في مصائب حقيقية، فتَهون عليه مشكلته، ويشعر ذاتياً أنه أفضل بكثير، وهذا يعطيه دفعة إيجابية للتحسن.

وثبت أن ممارسة العمل الخيري من أهم أسباب الحصول على السعادة في الحياة، يقول الدكتور مارتن سليجمان (Martin Seligman) رائد علم النفس الإيجابي في كتابه (أسرار السعادة): "الصدقة والتسامح، والتطوع وفعل الخير، والإيجابية تؤدي إلى إفراز نوعيات عالية الجودة من هرمون الدوبامين Dopamine» المسؤول عن الشعور بالسعادة، عش إيجابياً تعش سعيداً"^(١)، وفي دراسة متخصصة نُشرت عام ٢٠٠٩م في (المجلة العلمية لأبحاث الشخصية) التي تصدر عن جامعة هارفرد (Harvard University)، شملت أربعة آلاف شخص من أعمار مختلفة، ثبت أن القيام بعمل إيجابي في الصباح من شأنه أن يفضي إلى علاقات وتعاملات يومية أفضل مع الناس، وتقول الدكتورة فيولين باكس المشرفة على الدراسة: "عندما تقوم بعمل إيجابي لشخص ما في الصباح، فأنت لا تقوم بتغيير يومه ويومك إلى الأفضل، بل تسهم في بثّ الطاقة الإيجابية في الكون كله... وإنَّ أقل ما تفعله في الصباح أن تخرج إلى عملك مبتسماً، وأن تساعد محتاجاً في الطريق، أو تُجري مكالمة هاتفية مشجعة مع مريض، أو مُتوحِّد، أو مهموم، إن هذا يكفي أن تصنع يوماً مختلفاً لنفسك وللآخرين"^(٢).

(١) عش إيجابياً تعش سعيداً- للدكتور عبد الرحمن عبد الله بو علي، وهو مقال منشور في صحيفة (أخبار الخليج) البحرينية، في العدد الصادر بتاريخ ١٢/٥/٢٠١٥م.

(٢) المرجع السابق.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وعندما قام الباحثون في كلية لندن للاقتصاد بدراسة العلاقة بين العمل التطوعي ومعايير السعادة لدى مجموعة كبيرة من البالغين في الولايات المتحدة، تبين لهم أنه كلما تطوع الناس أكثر، زاد مقدار سعادتهم، وذلك وفقاً لدراسة أجريت سنة ٢٠٠٨م، ونشرت في مجلتي (العلوم الاجتماعية)، و(الطب الأمريكي)، وبالمقارنة بالأشخاص الذين لم يتطوعوا مسبقاً، فقد ارتفع احتمال أن يكون الأشخاص الذين تطوعوا بشكل متكرر سعداء أكثر بنسبة ٢٠٪. وفي دراسة أخرى نُشر نتائجها الدكتور مارتن سليجمان في مجلة جمعية (الطب النفسي) الأمريكية في عام ٢٠٠٨م أثبتت أن المجتمع الذي يهتم ويرعى، ويبذل كبار السن فيه هو مجتمعٌ أكثرُ سعادة وإيجابية، وأكثر صحة وإنتاجية^(١).

❖ رابعاً: علاج الإدمان على تعاطي المخدرات:

يُعد تعاطي المخدرات والإدمانُ عليها من أبرز المشكلات التي تُعاني منها المجتمعات الإنسانية المعاصرة؛ لما تسببه من مضار كثيرة جداً على الفرد والمجتمع، ولما يترتب عليه من مخاطر أمنية كبيرة؛ ولذا تبذل الحكومات جهوداً كبيرة في علاج هذه المشكلة المستشرية في كثير من المجتمعات في زمننا الحاضر. ومن سببُ العلاج لهذه المشكلة ما يطلق عليه العلاج بالعمل، وفيه يتم حثُّ متعاطي المخدرات على العمل بشكل كبير؛ ليفرغ طاقاته ونشاطه، وينشغل عن التفكير في تعاطي المواد المخدرة؛ لأن الفراغ من أكثر المشكلات التي تعترض طريق علاجه؛ ولذا من أبرز ما ينصح به الأطباء المعالجون مرضى الإدمان اللجوء إلى العمل الخيري التطوعي؛ ليستثمر المدمن وقته في عمل مفيد يُشعره

(١) المرجع السابق.

الآثار الاجتماعية للعمل الخيري

بالمسؤولية والطمأنينة، كما يُشعره بقيمة حياته^(١)، وإقناعه بأن ذلك العمل الخيري من أحب الأعمال إلى الله تعالى، كما قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الناس إلى الله أنفعُهُم، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تُدخِلُه على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تَزِلُّ الأقدام»^(٢).

ويؤكد الأطباء المعالجون لمرضى إدمان المخدرات أن من أهم برامج إعادة التأهيل الاجتماعي والمهني لهؤلاء المرضى: إدماج المدمن المتعافي في مشاريع العمل الخيري التطوعي بمختلف قطاعاته، فمن شأن ذلك المساعدة في تغيير البرنامج اليومي لهذا المدمن، وتجديد أهدافه في الحياة، ومن ثم مساعدته في تحويل مسار حياته إلى الأفضل، وضمان عدم انتكاسته ورجوعه إلى الإدمان مرة أخرى^(٣).

(١) انظر: إعادة التأهيل النفسي: مراحل علاج الإدمان، وهو مقال منشور على الموقع الإلكتروني على الإنترنت لمستشفى الأمل للطب النفسي وعلاج الإدمان في مصر.

(٢) سبق تخريجه في هذا البحث.

(٣) انظر: إعادة التأهيل من المخدرات، وهو تقرير منشور على الموقع الإلكتروني لمدونة مركز الكابيين العربي) المتخصص في علاج الإدمان على المخدرات، بتاريخ ٣٠ نوفمبر ٢٠١٦م.

المطلب السادس

الاستفادة من ملكات التفكير والإبداع
لدى أفراد المجتمع

يُراد بالتفكير هنا: "كل نشاط ذهني أو عقلي يختلف عن الإحساس والإدراك الحسي، أو يتجاوز الاثنين إلى الأفكار المجردة"^(١).

والتفكير من أرقى السمات التي يتسم بها الإنسان الذي كرمه عز وجل، وميّزه على غيره من سائر الكائنات الحية، ومن أهم الأمور التي حث عليها سبحانه عليها في الكثير من الآيات القرآنية في كتابه الكريم، وهو عملية وجدانية راقية تُبنى وتُؤسس على محصلة العمليات العقلية الراقية، كالتذكر والاستدلال، والتحليل والمقارنة والتنسيق^(٢)، ومن شأنه مساعدة الإنسان على علاج المشكلات، وتجنب الكثير من المخاطر.

وأما مصطلح الإبداع فمن أبرز ما قيل في تعريفه: إنه القدرة على إنتاج الأفكار الأصيلة والحلول المناسبة للمشكلات، والقدرة على اكتشاف ما هو

(١) موسوعة علم النفس والتربية، ص ١٩٧٧.

(٢) انظر: المعجم الفلسفي، ص ١٣٧.

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

جديد، وإعطاء معانٍ للأفكار^(١).

والإبداع نقيض للتقليد والمحاكاة، ويعني في حقيقته: ابتكار شيء جديد عن الموضوع الذي يُبدع فيه، ويتميز بالتعامل مع الأشياء والمواقف بمنظور جديد غير مألوف، ويمتاز صاحبه بالقدرة على الإتيان بحلول متميزة للمشكلات^(٢).

ويستخدم مصطلح (الإبداع) لدى الباحثين مرادفًا لمصطلح (الابتكار)؛ فمن يتَّصف بصفة الابتكار يكون مالكاً للقدرات الإبداعية والتفكير الإبداعي.

والتفكير الإبداعي: عملية ذهنية يتم فيها توليد الأفكار وتجميع الحقائق والمعلومات في أبنية وتراكيب جديدة؛ لتقديم الحلول المناسبة للمشكلات^(٣)، و"أسلوب فكري يستخدمه الشخص في إنتاج أكبر عدد ممكن من الأفكار حول مشكلة يتعرض لها، وتتصف هذه الأفكار بالطلاقة والمرونة والأصالة"^(٤)، كما أنه مظهر سلوكي في نشاط الفرد يظهر من خلال تعامله مع أفراد المجتمع ويتسم بالحدثة وعدم النمطية أو جمود الفكر، مع إنتاج يتصف بالجدة، وهو دليل على قدرة الإنسان على إبداع ما هو فريد من نوعه من

(١) انظر: التفكير الإبداعي - لحوراء عباس السلطاني، وهو بحث علمي منشور على الموقع الإلكتروني لكلية التربية الأساسية في جامعة بابل، بتاريخ ٣/١/٢٠١٧م، بدون ترقيم للصفحات.

(٢) انظر: هدي النبي في التربية الإبداعية والابتكار - للدكتور موسى البسيط، وهو بحث علمي منشور في مجلة (رسالة الخليج العربي)، في العدد (١٢)، ص ١١.

(٣) انظر: التفكير الإبداعي - لحوراء عباس السلطاني.

(٤) التفكير الإبداعي: مفهومه، أنواعه، خصائصه، مكوناته - للدكتورة فضيلة عرفات، وهو بحث علمي منشور على الموقع الإلكتروني لمركز النور للدراسات بتاريخ ٢٩/٩/٢٠١٠م.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الابتكارات^(١).

وللعمل الخيري التطوعي أثر في استكشاف مهارات التفكير والإبداع لدى أفراد المجتمع وتنميتها واستثمارها والاستفادة منها، وتوفير فرص التطوع المناسبة لهؤلاء الأفراد، وتطوير البرامج والأنشطة التطوعية، ورفدها بمخرجات الإبداع والتميز والنفعة المستدام.

فكثير من المتطوعين بتقديم الأعمال الخيرية والمتفانين فيها؛ طمعاً في ما عند الله في الدار الآخرة يتمتعون بامتلاك مهارات التفكير والإبداع في مختلف المجالات، وإفساح المجال لهم للمشاركة في الأعمال الخيرية يثمر عن اكتشاف تلك المهارات والطاقات والإمكانات والملكات، والكشف عنها واستثمارها، وحسن الاستفادة منها في توثيق الترابط الاجتماعي، وفي الإسهام في مجهودات تنمية المجتمع، وفي تحسين مستوى الخدمات الخيرية المقدمة لمستحقيها، وفي التوصل إلى أحسن الطرق وأنجع السبل لعلاج الكثير من المشكلات التي يعاني منها أصحاب الحاجات في المجتمع في المسلم.

وتنمية الإبداع عن طريق العمل وبذل الجهد حقيقةً وقَفَتْ عليها الدراسات العلمية التي أثبتت أن حبَّ العمل والميل إليه يحرك الاستعدادات الموجودة لدى العامل ويُسهّم في تطويرها^(٢).

كما أن الاستفادة من ملكات الإبداع والابتكار لدى المنخرطين في الأعمال الخيرية يؤدي بدوره إلى المثابرة على العمل والإلتقان في أدائه، حيث تُعد

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: هدي النبي في التربية الإبداعية والابتكار - للدكتور موسى البسيط، ص ٣٣.

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

هذه المثابرة مقوّم مهم من مقومات الإبداع، يجسّد العلاقة بين المبدع والعالم المحيط به بكل أشكاله ومظاهره، فمن لوازم الإبداع: النشاط في العمل الذي يؤدي إلى إنتاج جديد ينفع المجتمع، ولا يمكن للمرء أن يبتكر إلا بالعمل الجادّ الدؤوب^(١).

ولأهمية إحسان العمل والإتقان فيه حثّ الإسلام عليه في العديد من النصوص الشرعية، منها قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»^(٢).

وصاحب التفكير الإبداعي يجتهد في فكرته، استناداً إلى قانون الإحسان؛ ليلبغ بذلك الغاية، ويستجلب بذلك محبة خالقه حين يصل إلى مقام الإحسان، فيكون المبدع المحسن.

كما أن الاستفادة من ملكات الإبداع والابتكار لدى المنخرطين في الأعمال الخيرية يؤدي إلى الوعي بقيمة الوقت، ومن ثم الحفاظ عليها والعناية بها، وحسن استثمارها وإدارتها.

ولقيمة الوقت وأهميته أقسم الله تعالى به في مطالع سور عديدة، منها قوله سبحانه: ﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ و﴿لَيْلٍ عَشْرٍ ٢﴾ [الفجر: ١-٢]، وقوله: ﴿وَالضُّحَىٰ ١﴾ و﴿إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ [الضحى]، وقوله أيضاً: ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ [العصر: ١-٢]. والإسلام في شرائعه وعباداته المفروضة إنما يُربي المسلم على

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٣٢.

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الصيد والذباح)، باب (الأمر بإحسان الذبح والقتل)، الحديث رقم (٥٠٥٥)، ص ٨٧٣.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

التوقيت الدقيق وأداء كل عمل في وقته.

كما أن بناء الحضارة يحتاج إلى وعي بالزمن من جهة أنه طاقة تملؤ الزمن بالحركة الحية المتجددة؛ ولذا نجد النبي ﷺ يبيث هذا الوعي في المسلمين، ويأمر بمملء الزمن بالحركة الفاعلة، والنبض الخافق، والطاقة المتجددة قبل أن تُداهم المسلمم الخطوب، فيقول: «بادروا بالأعمال سبعاً: هل تُنظرون إلا إلى فقير مُنْسٍ، أو غني مُطْع، أو مرضي مُفسد، أو هَرَم مُفند، أو موت مُجهز، أو الدجال، فشَرُّ غائب يُتظر، أو الساعة، فالساعةُ أدهى وأمرُّ؟!»^(١).

والمسارعة والمسابقة صفتان أصيلتان في تنمية ملكة الإبداع، وهما من الصفات التي يتربى عليها المبدع في ممارسته للعمل الخيري، يقول الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]، ويقول في الحث على المسارعة والمسابقة في أعمال الخير والبر والإحسان: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ويقول سبحانه: ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

إن التميز بالإبداع والتقدم، والانفراد بالابتكار جرّاء المنافسة الشريفة في مساعدة المحتاجين وتقديم الخدمات لهم - هو أحد أهداف العمل الخيري، وثمره من ثماره المرجوة.

(١) رواه الترمذي في سننه، في (أبواب الزهد)، باب (ما جاء في المبادرة بالعمل)، الحديث رقم (٢٣٠٦)، ص ٥٢٩، وقال: "هذا حديثٌ غريبٌ حسنٌ".

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وفي ختام هذا البحث أُبينُ فيما يلي أبرز نتائجه العلمية، ثم التوصيات والمقترحات.

❖ أولاً: أبرز النتائج العلمية:

- ١- إن المراد بالعمل الخيري أعمالُ البر وصنائع المعروف التي يتطوع المجتمع المدني ويوجد بها، بدءاً من الفرد، ومروراً بالجماعة، وانتهاءً بالمؤسسة.
- ٢- إن للعمل الخيري أهميةً بالغة في دين الإسلام، فهو من هداية الرسل الكرام، ومن خصال أهل الإيمان وسماتهم، ومما امتدح الله به القائمين به والداعين إليه، كما أنه من الطاعات التي رتبَّ الله عز وجل عليها الأجر الجزيل والثواب العظيم في الدار الآخرة، وذلك مما يُؤكد ضرورته ومدى الحاجة إليه في المجتمعات الإنسانية.
- ٣- إن مجالات العمل الخيري في منظور الإسلام كثيرة جداً، وأبوابه واسعة، لا يُحدُّ بحدٍّ، ولا ينتهي بزمنٍ؛ فهو يشمل كلَّ عملٍ احتسابيٍّ خيِّرٍ، يعود بالنفع المشروع للبلاد والعباد، وهو مُمتدٌّ ومُتَّسعٌ بامتدادٍ واتِّساعٍ كلمةٍ (خير)، كما أنه يشمل كل مجالات الحياة الإنسانية.
- ٤- إن للعمل الخيري فوائدَ جمَّة، وآثاراً مهمة في حياة الفرد والمجتمع في مختلف مجالات الحياة الإنسانية؛ دينيةً كانت، أم اجتماعية، أم اقتصادية.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

٥- إن الآثار الاجتماعية للعمل الخيري كثيرة ومتعددة، يتمثل أبرزها

فيما يلي:

أ) تحقيق تماسك المجتمع وتعاضد أفراده وتماسكهم، وطهارة قلوبهم وسلامة صدورهم من أمراض النفس، كالبعوض، والحقد، والحسد.

ب) إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع على أساس من العقيدة الصحيحة، ومن المنظومة الأخلاقية الإسلامية النبيلة، التي من شأنها إدماج الفرد ببيئته وتجنبيه الانطواء والعزلة والأنانية، وتحقيق تضامن المجتمع وقوته ومنعته، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وتحسين الأوضاع الاقتصادية، والقضاء على الفقر والعوز والبطالة، وزيادة معدلات العمل والإنتاجية فيه.

ج) تحقيق الأمن بمفهومه الشامل في المجتمع المسلم على كافة الأصعدة العقدية والسلوكية، والنفسية والاقتصادية، والصحية والبيئية.

د) تعزيز قيم البذل والإيثار، وتحمل المسؤولية في المجتمع المسلم، وتربية أفراد على هذه القيم، وتنشئتهم على الاستعلاء على المصالح المادية الفردية، ومعالجة رذائل الشح والأثرة والأنانية، والتعلق بالمال ومنعه عن المستحقين له.

هـ) الإسهام في علاج كثير من المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية، كعلاج مشكلتي الفقر والبطالة، والإصلاح بين الناس، وعلاج الأمراض النفسية والاضطرابات السلوكية، وعلاج الإدمان على تعاطي المخدرات.

و) الاستفادة من ملكات التفكير والإبداع لدى أفراد المجتمع، وما يترتب على ذلك من استثمار هذه الملكات والقدرات في تنمية المجتمع، وفي تحسين

الآثار الاجتماعية للعمل الخيري

مستوى الخدمات الخيرية المقدّمة له، وفي الحفاظ على الوقت، والمثابرة على العمل، والمصارعة إليه، والإتقان في أدائه.

❖ ثانياً: التوصيات والمقترحات:

١- الحفاظ على استمرارية العمل الخيري الإسلامي وديمومته؛ وذلك بإبراز فضائله وفوائده وآثاره، والتأكيد على ضرورته ومسيب الحاجة إليه، وبدعم جمعياته ومؤسساته مادياً ومعنوياً، وتسليط الضوء على الجهود التطوعية الكثيرة التي تضطلع بها في مختلف المجالات الخيرية.

٢- استثمار جميع وسائل الإعلام بما فيها وسائل التواصل الاجتماعي في الدعوة إلى المشاركة في الأعمال الخيرية التطوعية، ودعم الجمعيات والمؤسسات الخيرية بما يُمكنها من أداء رسالتها والنهوض بمسؤولياتها.

٣- الاستعانة بأصحاب الخبرات الاقتصادية في حسن استثمار الموارد المالية للأعمال الخيرية، ولاسيما الأوقاف الخيرية في المجتمعات الإسلامية؛ لما لذلك من إيجابية حسنة على العمل الخيري.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...



فهرس المصادر والمراجع

❖ أولاً: الكتب:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أخلاقيات المهنة- لرشيد عبد الحميد ومحمود الحيارى، ط الثانية ١٩٨٥ م، دار الفكر، عمان- الأردن.
- ٣- الترغيب والترهيب- لإسماعيل بن محمد الأصبهاني، ط الأولى عام ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، دار الحديث- القاهرة.
- ٤- التعريفات- لعلي بن محمد الجرجاني، ط الأولى عام ١٤١١ هـ- ١٩٩١ م، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني.
- ٥- تفسير القرآن العظيم- لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، ط عام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٠ م، دار المعرفة- بيروت.
- ٦- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق- لأحمد بن محمد مسكويه، ط دار مكتبة الحياة- بيروت.
- ٧- التوقيف على مهمات التعاريف- لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية، ط الأولى عام ١٤١٠ هـ، دار الفكر المعاصر- بيروت ودمشق.
- ٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط الأولى عام ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م، مؤسسة الرسالة- بيروت.

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

- ٩- جامع البيان في تأويل القرآن- لمحمد بن جرير الطبري، ط الثالثة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ١٠- جامع الترمذي- للإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذي، ط الأولى عام ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار السلام للنشر- الرياض.
- ١١- الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ط الخامسة عام ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ١٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط الثالثة عام ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، دار الكتاب العربي- بيروت.
- ١٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة- لمحمد ناصر الدين الألباني، ط عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، مكتبة المعارف- الرياض.
- ١٤- الصحاح- لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط الثانية عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار العلم للملايين- بيروت.
- ١٥- صحيح البخاري- للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ط الثانية عام ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، دار السلام للنشر- الرياض.
- ١٦- صحيح مسلم- للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط الأولى عام ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، دار السلام للنشر- الرياض.
- ١٧- فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري- لابن حجر العسقلاني، ط رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية- الرياض.
- ١٨- فتح القدير- لمحمد بن علي الشوكاني، ط دار المعرفة- بيروت.
- ١٩- في المجتمع الإسلامي- للشيخ محمد أبو زهرة، ط عام ١٩٧٦م، دار الفكر العربي- القاهرة.
- ٢٠- القاموس الفقهي- لسعدي أبو جيب، ط الثانية عام ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الفكر - دمشق.

٢١- القطاع الخيري ودعاوي الإرهاب- للدكتور محمد بن عبد الله السلومي، ط
عام ٢٠٠٣م، مجلة البيان- لندن.

٢٢- الكليات- لأبي البقاء الكفوي، ط عام ١٢٨٧هـ، المطبعة العامرة بمصر.

٢٣- لسان العرب- لجمال الدين بن منظور، ط الثالثة عام ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م،
دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٤- المجتمع الإسلامي المعاصر- لمحمد المبارك، ط الثانية عام ١٣٩٢هـ، دار
الفكر- بيروت.

٢٥- المجتمع المتكافل في الإسلام- للدكتور عبد العزيز الخياط، ط دار السلام
للطباعة والنشر والترجمة- القاهرة.

٢٦- مختصر تفسير البغوي (معالم التنزيل)- لأبي محمد الحسين بن مسعود
الفراء البغوي، اختصار وتعليق: الدكتور عبدالله بن أحمد الزيد، ط دار السلام-
الرياض.

٢٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط مؤسسة
الرسالة- بيروت.

٢٨- المعجم الكبير- للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي
السلفي، ط الأولى عام ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية-
بغداد.

٢٩- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية- للدكتور أحمد زكي بدوي، ط مكتبة
لبنان- بيروت.

٣٠- مفاتيح الغيب- لفخر الدين الرازي، ط الأولى عام ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، دار
الكتب العلمية- بيروت.

الأثار الاجتماعية للعمل الخيري

- ٣١- المفردات في غريب القرآن- للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط دار المعرفة- بيروت.
- ٣٢- مقاييس اللغة- لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، ط عام ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، دار الفكر- بيروت.
- ٣٣- موسوعة علم النفس والتربية، ط عام 1421هـ- ٢٠٠١م، بيروت.
- ٣٤- وظيفة الاحتساب في تحقيق الأمن الاجتماعي- للدكتور حسن بن يحيى الشهري، ط الأولى عام ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية- الرياض.

❖ ثانياً: الرسائل والبحوث العلمية:

- ١- التفكير الإبداعي - لحوراء عباس السلطاني، بحث علمي منشور على الموقع الإلكتروني لكلية التربية الأساسية في جامعة بابل، بتاريخ ٣/ ١/ ٢٠١٧م.
- ٢- التفكير الإبداعي: مفهومه، أنواعه، خصائصه، مكوناته- للدكتورة فضيلة عرفات، بحث علمي منشور على الموقع الإلكتروني لمركز النور للدراسات بتاريخ ٢٩/ ٩/ ٢٠١٠م.
- ٣- دور جمعية البر الخيرية في مواجهة الفقر في المجتمع السعودي- لماجد بن محمد العروان، أطروحة ماجستير صادرة عن قسم العلوم الاجتماعية بكلية الدراسات العليا، بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض عام ٢٠١٣م.
- ٤- العمل الخيري الإسلامي بين التأصيل وإمكانات التفعيل- لفاطحة فاضل العبدلاوي، بحث علمي مقدم إلى مؤتمر العمل العربي الخليجي الثالث بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، بتاريخ ٢٠-٢٢ يناير ٢٠٠٨م.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

- ٥- قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري - لقطب الريسوني، بحث علمي مقدم إلى مؤتمر العمل العربي الخليجي الثالث بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، بتاريخ ٢٠-٢٢ يناير ٢٠٠٨ م.
- ٦- هدي النبي في التربية الإبداعية والابتكار- للدكتور موسى البسيط، بحث علمي منشور في مجلة (رسالة الخليج العربي)، في العدد (١٢).

ثالثاً: المقالات:

- ١- الإسلام والتكافل الاجتماعي - للدكتور بدر عبد الحميد هميسة، مقال منشور على موقع (صيد الفوائد) على الشبكة العنكبوتية.
- ٢- إعادة التأهيل من المخدرات، تقرير منشور على الموقع الإلكتروني لمدونة مركز (الكابين العربي) المتخصص في علاج الإدمان على المخدرات، بتاريخ ٣٠ نوفمبر ٢٠١٦ م.
- ٣- إعادة التأهيل النفسي: مراحل علاج الإدمان، مقال منشور على الموقع الإلكتروني على الإنترنت لمستشفى الأمل للطب النفسي وعلاج الإدمان في مصر.
- ٤ - عش إيجابياً تعش سعيداً- للدكتور عبد الرحمن عبد الله بو علي، مقال منشور في صحيفة (أخبار الخليج) البحرينية، في العدد الصادر بتاريخ ٥/١٢/٢٠١٥ م.

العمل الخيري
ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

دراسة تأصيلية تطبيقية

الباحث

إياد عبدالحميد نمر

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة



المقدمة

الحمد لله الذي تعبدنا بأعمال الخير، وجعل أهل الخير أحب الخلق إليه، ووعد بامتداد الأعمار والأجور بامتداد هذا الخير، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، الداعي إلى الخير والمبعوث للعالمين برسالة الخير، وبعد

فإن مفتاح سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة في تحقيق الإخلاص للخالق وفي تقديم النفع للمخلوق، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ والعمل الخيري في الإسلام عنوان للإيمان، وطريق لصلاح الحال والذرية، وبوابة للتوفيق والبركة، والحق أن الإسلام يحمل أتباعه (خلفاء الله في أرضه) على الإيجابية في المجتمع وتحمل المسؤولية تجاه الكون، ويدفع عنهم الأناية والخمول، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وشمولية العمل الخيري وتنوعه التي تتجاوز حدود الفرد إلى المجتمع، ومحيط المرء إلى البيئة والكون من حوله، والعمر المحدود إلى الأجيال من بعده، هي الحل الأمثل، والعلاج الأنجع لتحقيق سعادة الإنسان في مجتمعه ومعها، وإزالة القلق من المجهول الذي يكاد يعصف بالمجتمعات الغربية، والطمأنينة من الخوف على البيئة وثروات الحياة بعد تدخلات الإنسان وفساده فيها.

ويسعى البحث إلى توضيح هذه المهمة للعمل الخيري من خلال بيان دوره

بحوث مؤتمر العمل الخيري

في تحقيق التنمية المستدامة التي تتجه أنظار العالم إليها اليوم خطة إنقاذ للبشرية من مهددات الأمن البيئي والغذائي والاجتماعي، ولا يكتفي البحث بالتأصيل للعمل الخيري في أهميته ومبادئه وأهدافه، بل يعرض واحدة من تطبيقاته العملية التي أثبتت دورها قديماً وحديثاً في تحقيق التنمية المستدامة بمفهومها الإسلامي الشمولي الذي تجاوز اهتمامات الجسد، للعناية بحاجات العقول والأرواح التي بها تكون الحياة.

❖ **ولتحقيق أهداف هذا البحث؛ فقد عرضت محاوره في ثلاثة مباحث وخاتمة،**

وهي كالآتي:

المبحث الأول: العمل الخيري، مفهومه وخصائصه ومقاصده.

المبحث الثاني: التنمية المستدامة، مفهومها ومبادئها وأبعادها.

المبحث الثالث: العمل الخيري (الوقف الخيري دراسة تطبيقية) ودوره في

تحقيق التنمية المستدامة.

متضرعاً إلى الله تعالى أن يستعملنا في خدمة الدين، وأن يجعلنا أهلاً للخير،

نافعين به أينما حللنا، إنه سميع مجيب.

المبحث الأول
العمل الخيري
مفهومه وخصائصه ومقاصده

✦ **المطلب الأول: مفهوم العمل الخيري، وأهميته.**

✦ **المطلب الثاني: خصائص العمل الخيري في الإسلام^(١)**

✦ **المطلب الثالث: مقاصد العمل الخيري في الإسلام**

(١) انظر: أصول العمل الخيري، ص ٣٣ وما بعدها.

المطلب الأول

مفهوم العمل الخيري، وأهميته

يعد العمل الخيري من المفاهيم الحاضرة في ذهن كل أمة تسعى للعالمية، إذ يمثل العمل الخيري مع معرفة الحق واتباعه قوام كل ديانة سماوية، أو فلسفة أرضية، وهو وإن لم يكن معروفاً في كتب الفقهاء والتراث الإسلامي كمصطلح مركب، إلا أن معانيه التي تدور حول تقديم الخير للآخرين، وإرادة النفع لهم، والحرص على الإيجابية في الحياة، وإضافة بصمة في تطوير المجتمع، تمثل جوهر الرسائل السماوية والدعوات الإنسانية.

ومن التعريفات الجامعة لمعاني العمل الخيري: أنه كل مال أو جهد أو وقت يُبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم، والتخفيف من معاناتهم.^(١)

وفي الإشارة إلى ما يحرك الإنسان لمثل هذا العمل عرفه مؤلف كتاب أصول العمل الخيري في الإسلام: هو النفع المادي أو المعنوي الذي يقدمه الإنسان لغيره، من دون أن يأخذ عليه مقابلاً مادياً؛ ولكن ليحقق هدفاً خاصاً أكبر من المقابل المادي، وهو تحقيق الحياة الطيبة والبركة، والشعور بالسكينة القلبية والسعادة الروحية في الدنيا، وتحصيل ثواب الله تعالى، والفوز بجنت النعيم في الآخرة، وهو ما لا يقدر بثمن.^(٢) قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا

(١) بكّار، ثقافة العمل الخيري، ص ١٢.

(٢) أصول العمل الخيري في الإسلام، ص ٢١. (بتصرف).

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

وَأَسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿[الحج: ٧٧].

وتتفق تعريفات المهتمين بالعمل الخيري على الغاية المرجوة منه، المتمثلة بخدمة المجتمع والتفاعل الاجتماعي بين مؤسسات المجتمع ومنظماته وأفراده بغية الوصول إلى تعزيز ثقافة التكافل والتضامن فيه، وفي المحصلة فالعمل الخيري مظهر من مظاهر تطور الأمم وتقدمها.^(١)

ومن الألفاظ ذات الصلة بالعمل الخيري: العمل التطوعي، والعمل الإنساني، وخدمة المجتمع والمسؤولية الاجتماعية، والعمل الاجتماعي^(٢)، وكثيراً ما يعبر عن العمل الخيري بصوره فيقال: أعمال البر والإحسان والصدقة، وإغاثة الملهوف، وتفريج الكرب وغيرها.

ومن ناحية أخرى ينقسم العمل الخيري من حيث القائمون عليه إلى: عمل خيري فردي وآخر مؤسسي، ومن حيث طبيعته إلى: عمل خيري إلزامي، وآخر طوعي أو تطوعي.^(٣)

❖ أما أهمية العمل الخيري عموماً فتظهر في النقاط الآتية:

١. يشكل العمل الخيري القطاع المالي الثالث في المجتمعات المعاصرة، إذ يقف رديفاً للقطاعين العام والخاص، ولا شك أن تميز القطاع الخيري عن هذين القطاعين من حيث البواعث والأهداف يجعله فاعلاً في تنمية المجتمع، وخادماً لمصالح أفرادهم، ولا يزال التاريخ الإسلامي يزرع بأمثلة الإنفاق الخيري على

(١) انظر، مسدود، الريادة في العمل الخيري وربطه بالتنمية- الزكاة والأوقاف نموذجاً. ص ٣.

(٢) انظر: الخرافي، مفهوم وتاريخ العمل الإنساني، ص ٩ وما بعدها.

(٣) العفيشات، دور الاستثمار الخيري في التنمية المستدامة، ص ٨.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

تجهيز الجيوش وتأسيس المدارس والمساجد ودور الإيواء للأيتام والعجزة وغيرها، والذي أسهم ويسهم في دعم الاقتصاد الوطني للبلاد التي تولي العمل الخيري بمؤسساته وبرامجه عناية ورعاية.^(١)

٢. يعزز العمل الخيري قيمة التماسك المجتمعي، بما يحققه من تكافل اجتماعي وتضامن إنساني تتظاهر صورته في إغاثة المكروب، ونصرة المظلوم، وقضاء حاجة العاجز، ونفع الناس عموماً والتخفيف من معاناتهم، والإسهام بالحفاظ على التواصل الاجتماعي الذي يحكم العلاقات الإنسانية.

٣. يسهم العمل الخيري في إحداث الوعي بالمسؤولية الفردية تجاه المجتمع، فيضفي طابع الإيجابية والمبادرة على الأفراد، ويزيد من انتماء الإنسان لدينه ووطنه وأمته، ويوفر البيئة الحاضنة لطاقات الشباب، والضرورية لتطوير مواهبهم وملء أوقاتهم، وهذا بدوره يقلل نسبة الجريمة والانحلال الأخلاقي في المجتمع.

(١) .. في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من مليون ونصف مليون مؤسسة خيرية غير ربحية، ويبلغ عدد الذين ينخرطون في أعمال تطوعية، نحواً من ثلاثة وتسعين مليون متطوع، أي قرابة (٣٠٪) من السكان، وهم يقدمون نحواً من عشرين مليار ساعة عمل سنوياً، وتستقبل المؤسسات الخيرية سنوياً من الأموال ما يزيد على مائتي مليار دولار أمريكي. وفي بريطانيا أكثر من عشرين مليون شخص من البالغين يمارسون نشاطاً تطوعياً منظماً كل عام، وتبلغ ساعات العمل التطوعي الرسمي نحواً من تسعين مليون ساعة عمل كل أسبوع، وتقدر القيمة الاقتصادية للتطوع الرسمي بأربعين مليار جنيه إسترليني سنوياً. كما جاء في تقرير لجمعية فرنسا للشؤون الاجتماعية أن أكثر من عشرة ملايين فرنسي يتطوعون آخر الأسبوع للمشاركة في تقديم خدمات اجتماعية في مجالات مختلفة. وتحظى فرنسا بنحو ستمائة ألف مؤسسة خيرية، وغير ربحية". انظر، بكار، ثقافة العمل الخيري، ص ٧ وما بعدها.



المطلب الثاني

خصائص العمل الخيري في الإسلام^(١)

يختص العمل الخيري في الإسلام بعدة خصائص تجعله عاملاً أساسياً في نهضة الأمة وتحقيق تطورها، وهذه الخصائص ترجع في حقيقتها إلى خصائص الدين الإسلامي، والذي يمثل العمل الخيري فيه واحداً من أعمدته الأساسية، بل إنه خير أعماله وأحبها إلى الله تعالى، ف(عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله: أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً (يعني مسجد المدينة)، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام»)^(٢)

(١) انظر: أصول العمل الخيري، ص ٣٣ وما بعدها.

(٢) الطبراني، المعجم الصغير، ج ٢، ص ١٠٦.

❖ ومن خصائص العمل الخيري في الإسلام:

١. العمل الخيري عبادة وقربة إلى الله تعالى: وهذا من أكبر البواعث على العمل الخيري والصبر في سبيله، والحرص عليه، فأَنْ يجعل العمل الخيري مسؤولية شرعية متوجبة على المسلمين بعضهم تجاه بعض والمخلوقات كلها ميزة لهذا الدين، وتفوق ريادي على بقية الأمم التي يكون العمل الخيري فيها لطلب الشهرة، أو انتشار الصيت، أو لنيل ترخيص، أو وسيلة لتسويق تجارة، أو طريقاً لتهرب ضريبي، أو وجهة لعمل حضاري إنساني لا غير، أما العمل الخيري في الإسلام فواجب شرعي يُسأل صاحبه عن أدائه وعن حصّ غيره عليه، قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبْرِ ۚ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلَيْتِيَمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِصُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۗ﴾ [الماعون: ١-٣]. ولا التفتات فيه لحظوظ النفس، بل غاية مقصود صاحبه نيل رضا الله جل شأنه، سواء أعلم الناس بها أم لم يعلموا.

٢. الشمول للفئات المستهدفة: فالعمل الخيري موجه في الإسلام إلى عموم الخلق من البشر والبهائم والطيور، بل البيئة بمكوناتها، وهذا يتناسب مع عنوان الرحمة العالمية التي جاء بها الإسلام: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۗ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فشمول العمل الخيري للبشر يتجاوز حدود العرق والدين والقبيلة واللغة، قال تعالى في مدح فاعلي الخير: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۗ﴾ [الإنسان: ٨]. وفي شموليته للبهائم والحيوانات قال رسول الله - ﷺ -: «في كل كبد رطبة أجر»^(١)، إضافة إلى شموله للنبات والهواء والماء كما سيأتي لاحقاً.

(١) البخاري، الصحيح كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، حديث رقم ٢٣٦٣.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

ويعمم الشمول أيضاً من ناحية المدعوين إلى العمل الخيري، فيشمل كل مقتدر، بل كل إنسان، فقيراً كان أم غنياً، أما الغني فيفعل الخير بماله وجاهه، وأما الفقير فيفعل الخير بيده وقلبه ولسانه وعمله، ولن تجد في الإسلام إنساناً لا يستطيع أن يوجد في ميادين البر والخير، ولقد كان مما شكاه الفقراء إلى النبي - ﷺ - أن الأغنياء يسبقونهم في فعل الخير إذ يتصدقون بأموالهم، ولا يجد هؤلاء الفقراء ما يتصدقون به، فبيّن لهم النبي - ﷺ - أن فعل الخير ليست وسيلته المال فحسب، بل كل نفع للناس فهو من عمل الخير،^(١) فقال: «إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة»^(٢).

٣. **التنوع في ألوان العمل الخيري:** فصورُ العمل الخيري ومظاهره لا حصر لها، لعلها تبدأ بالابتسامة بل بالشعور والاهتمام بالآخرين، وقد لا تنتهي عند عتق الرقاب أو الجهاد، أو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وما بينهما من تفريج الكرب، وإطعام الجائع، وكسوة العريان، وكفالة اليتيم، ورعاية الأرملة، ونصرة المظلوم، وتعليم الجاهل، وإيواء النازح، ونجدة اللاجئ وغيرها الكثير، وقال نبي الخير - ﷺ - «إمطة الأذى عن الطريق صدقة»^(٣).

وعن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله» قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: «أنفسها عند

(١) السباعي، من روائع حضارتنا، ص ١٦٨.

(٢) مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم (١٠٠٦).

(٣) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، حديث رقم (٣٥).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

أهلها وأكثرها ثمناً» قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعا أو تصنع لأخرق» قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك»^(١).

٤. دوام العمل الخيري واستمراريته: يتخذ العمل الخيري في الإسلام صوراً متعددة، فمنه الإلزامي كالزكاة وبر الوالدين، ومنه الاختياري غير المقيّد بالزمان كعموم الصدقات، وإطعام الجائع، ومنه الواجب كالكفارات والندور، ومنه المندوب ككفالة اليتيم، غير أن اصطباغ العمل الخيري عموماً بالتقرب إلى الله تعالى وطلب مرضاته وهو مقصد كل مسلم، جعل له أثراً في انسحاب العمل الخيري على أيام السنة كلها، وتزايد لمرات ومرات في مواسم الخيرات خاصة كرمضان، وأيام ذي الحجة وغيرها. ويكفي للإشارة إلى حث الإسلام على استمرارية العمل الصالح ما جاء في الحديث عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»^(٢).

وتقديم رسول الله ﷺ الصدقة الجارية على غيرها في امتداد الأعمال المتوافق مع امتداد الأجور، قال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له»^(٣).

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، حديث رقم: ١٣٥.

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم (٦٤٦٤)

(٣) الترمذي، السنن، كتاب الأحكام، باب في الوقف، حديث رقم: ١٣٧٦، والحديث حسن صحيح.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

٥. إفاضة العمل الخيري بركاته وثمراته على أصحابه: لا يقتصر أثر العمل الخيري على الآخذ أو المستفيد من الأعمال الخيرية، بل يمتد وبصور مختلفة على القائمين عليه، فيشعرون بأثره في أعمارهم وأموالهم وأهاليهم، ويجدون بركته وثمرته في دنياهم قبل آخرتهم في سلامة من مصارع السوء، وتحصينات من المخاطر، وراحة نفسية، وسعادة قلبية، وقد أصلت أمانا خديجة رضي الله عنها لذلك، وهي تُهدى من روع رسول الله ﷺ يوم أن فاجأه الملك في غار حراء فدخل عليها فزعا مرعوبا، قال: «يا خديجة، لقد خشيت على نفسي». فقالت: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»^(١)،

فقد أيقنت رضي الله عنها قبل إسلامها في أن ثمرات العمل الخيري تنفع صاحبها في الدنيا، وتحصنه من الخزي فيها، وأما ثوابه في الآخرة فلا يعلمه إلا الله، ويكفي في ذلك وعد الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].



(١) البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٣.

المطلب الثالث

مقاصد العمل الخيري في الإسلام

تنبثق مقاصد العمل الخيري في الإسلام عن مقاصد الشريعة الإسلامية عموماً، والعمل الخيري وإن كان يصنّف أساساً في جانب التحسينيات إلا أن له إسهام واضحة في توفير الحاجيات وخدمة الضروريات الكلية اللازمة لبقاء الحياة الإنسانية، والتي بمجموعها يحيا الإنسان بكرامة واحترام^(١)، ولذا يوظف الإسلام العمل الخيري لخدمة هذه المقاصد، وتتكامل صورته في التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع عن طريق الدعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمه، وسدّ حاجات أبناء المجتمع وتخفيف معاناتهم، والحفاظ على مكونات الحياة البشرية والفكرية والاقتصادية والبيئية، ويمكن تلخيص أهداف العمل الخيري ومقاصده بالعناوين الآتية:

❖ أولاً: حفظ الضروريات الخمس.

والضروريات الخمس هي: حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل، وسميت بالضروريات لأنه كما يقول الشاطبي: " لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران

(١) البيهقي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ١٨٢.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

المبين"^(١). وسأجمل إسهام العمل الخيري في تحقيق هذه المقاصد الضرورية بالنقاط الآتية:

١. حفظ الدين والدعوة إليه ومواجهة الاعتداءات عليه.

إن بصمات العمل الخيري في خدمة هذا المقصد واضحة بيّنة في الإسهام في حفظ الدين من جانبي الوجود والعدم، وتمثل ببناء المساجد والمدارس الشرعية في العالم عموماً، وفي مناطق الأقليات المسلمة خصوصاً، وفي نشر الكتب الشرعية والدعوية، وتأهيل الدعاة والعلماء، والإنفاق في مواجهة أهل البدع والأهواء، والرد على الشبهات الفكرية والإلحادية، وفتح الفضائيات والمواقع الإلكترونية الدعوية والعلمية، ودعم المجاهدين الصادقين، وكفالة أسر الشهداء وغيرها، وفي الحديث: «من جهز غازياً، فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله، فقد غزا»^(٢).

٢. حفظ النفس الإنسانية.

لا جرم أن الشريعة الإسلامية قد أولت النفس الإنسانية عناية فائقة، فشرعت من الأحكام وندبت إلى الأعمال التي تجلب المصالح لها، وتدرأ عنها المفاسد، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وإسهامات العمل الخيري في هذا المقصد كثيرة وكبيرة ومنها: الأعمال الإغاثية للمسلمين وغير المسلمين في أوقات المجاعات والزلازل والحروب، بإيواء النازحين واللاجئين، وتوفير الطعام والشراب واللباس للفقراء والمعوزين،

(١) الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ٧.

(٢) مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، حديث رقم (١٨٩٥).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وإعتاق الرقاب، والإسهام في الدّيات والحث على العفو عن القصاص،
والحملات التثقيفية ضد التدخين، وغيرها من صور التطوع والعمل الخيري
الهادف إلى حماية الإنسان.

٣- حفظ العقل.

والمحافظة على سلامة العقل من المفسدات المادية والمعنوية أمر متفق
عليه في بدهة العقول، وقد جاءت الشرائع كلها بالمحافظة عليه، وما دعوات
التوحيد والإيمان إلا سبل لسلامة العقل من الخرافات والأوهام، وتسهم الأعمال
الخيرية التعليمية والتثقيفية، والمحاضرات التوجيهية في الحفاظ على العقل،
وذلك من خلال التحذير من الخمر والمخدرات، والإنفاق على علاج المدمنين
وتأهيلهم، ورعاية أصحاب الإعاقات العقلية وأمراض التوحّد والجنون،
بالإضافة إلى مواجهة اللوثات الفكرية والانحرافات العقلية بأساليب إقناعية يُعدُّ
من أجلها المتخصصون والخبراء.

٤- حفظ النسل.

يُعدُّ حفظ النسل أو النسب أو العرض - على اختلاف بين العلماء مشهور -
واحداً من الضرورات الخمس، شرع الإسلام الأحكام الموجدة له مثل الزواج،
وبين الضوابط المتعلقة به من جانب عدم كمنع الإجهاض وترك الإنجاب
وغیرها، وإسهام العمل الخيري في هذا المقصد عن طريق تيسير سبل الزواج
والحث عليه، بدعم العزّاب والتوفيق بين المقبلين على الزواج، وعقد الدورات
التأهيلية لهم، وإقامة الأعراس الجماعية للشباب الفقراء الراغبين في الزواج
وغیرها.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

٥- حفظ المال.

والمال من ضروريات الحياة التي لا تستقيم مصالح الدنيا إلا به، فهو عصب الحياة وبه قوامها كما قال الله جل وعز: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾، وللعمل الخيري دور كبير في الحفاظ على هذا المقصد من خلال الاتجار به بنية عمارة الأرض ومساعدة الخلق، وكذا استثمار الوصي لأموال اليتيم خشية الضياع والاستهلاك، ومن صور العمل الخيري في المال الصدقة والإنفاق من المال على المحتاجين له وعدم الامتناع عن مساعدتهم، وإقامة صناديق التكافل الاجتماعي، وفتح المشاريع الخيرية لدعم أوجه الخير، وكذلك المبادرات المعاصرة لحفظ النعم من الإسراف والتبذير عن طريق جمع الفائض من الطعام عن الحاجة، وإعادة تأهيله وتقديمه للفقراء.

❖ ثانياً: رفع المشقة عن الخلق بالإسهام في توفير الحاجيات.

والحاجيات: "هي ما كان مفتقراً إليه من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراعى دخل على المكلفين - على الجملة - الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة. وهي جارية في العبادات، والعادات، والمعاملات، والجنایات"^(١).

وإسهام العمل الخيري في هذا الجانب متفاوتة بين الدور الإرشادي والتثقيفي للأئمة والعلماء والوعاظ في بيان الأحكام الشرعية للخلق، وتعريفهم بالرخص والتيسيرات التي شرعها الدين رفعاً للحرج عنهم وذلك في باب العبادات، وبين

(١) الشاطبي، الموافقات ج ٢، ص ٨.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الإسهام المادي في توفير بعض عادات الناس كالطعام والشراب واللباس، مثلما اشتهر في الآونة الأخيرة مبادرات شبابية خيرية لتوفير هذه الحاجيات، مثل بنك الملابس، وبنك الطعام، وأما في جانب المعاملات فتقدم شركات التمويل الإسلامية الدعم المالي والتوجيهي للمشاريع الشبابية الصغيرة، وتعد الإسهام الخيرية في الدية المترتبة على العاقلة في القتل الخطأ صورة من صور العمل الخيري في جانب الجنائيات.

✦ ثالثاً: الإسهام في التحسينات.

والتحسينات هي: " ما لا يرجع إلى ضرورة ولا إلى حاجة ولكن يقع موقع التحسين والتزيين والتيسير للمزايا والمزائد ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات"^(١). ويمكن التمثيل للعمل الخيري في هذا الجانب بالأوقاف الخيرية التي تقام لخدمة الناس، كإنشاء الحمامات العامة، والمتنزهات، وكذلك اللوحات التثقيفية والرسائل الإلكترونية والملصقات التي تحوي آداب الطعام والشراب، ودخول الخلاء، وأدعية السفر وغيرها، والله أعلم.



(١) الغزالي، المستصفى، ج ١، ص ١٧٥.

المبحث الثاني
التنمية المستدامة،
مفهومها ومبادئها وأبعادها

✦ المطلب الأول: مفهوم التنمية المستدامة.

✦ المطلب الثاني: مبادئ التنمية المستدامة

✦ المطلب الثالث: أبعاد التنمية المستدامة.



المطلب الأول

مفهوم التنمية المستدامة

ظهر أول تعريف للتنمية المستدامة في عام ١٩٨٧م، إذ جاء في تقرير برونديتلاند للجنة العالمية للبيئة والتنمية بأنها: ضرورة إشباع حاجات الأفراد في الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المستقبلية على تلبية حاجاتها".^(١)

وبناء عليه توسعت وجهات النظر عند الغربيين في تعريف التنمية المستدامة وفق اختصاص كل منها، فجاءت تعريفات العلماء للتنمية المستدامة اقتصادياً واجتماعياً وبيئياً وتكنولوجياً، وتدور جميعها حول إيجاد حلول منطقية لضمان استمرارية العيش من جيل إلى آخر، مع تحسين نوعية الحياة دون الإضرار بالموارد الطبيعية والبيئية.^(٢)

ويلاحظ على هذا المفهوم للتنمية المستدامة مخالفته للرؤية الإسلامية من

حيث:

- غلبة الطابع المادي على الحياة الإنسانية، إذ تقاس مستويات التنمية

(١) موقع وثائق الأمم المتحدة على الشبكة، مكتبة داغ هومر شولد.

<https://library.un.org/ar/content/678>

(٢) عشي، صليحة، التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، منشورات جامعة باتنة، الجزائر ٢٠١٢م، ص ١٣٢.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

المختلفة بالمشورات المادية البحتة. (١)

• عدم الالتفات إلى وجود مصدر للمعرفة مستقل عن المصدر البشري المشاهد والمحسوس (مفهوم: يمحق الله الربا ويربي الصدقات)، وإسقاط فكرة (معتقد) الخالق من دائرة الاعتبارات العلمية. (٢)

• التركيز على فكرة إشباع الرغبات ونيل رضا الفرد (فكرة المجتمعات الاستهلاكية)، وإغفال القيم الأخلاقية من عمارة الأرض و نفع الإنسان، وتعزيز دوره في البناء وتحقيق أهداف الاستخلاف.

وعليه فإن نظرة الإسلام للتنمية المستدامة تتسم بالتوازن والشمول والسعة، والإسلام ينظر للتنمية على أنها الحياة الطيبة، وتنبعث الرؤية التنموية في الإسلام من قضية الاستخلاف، وفلسفته في العلاقة بين الإنسان والكون ومالكهما رب العالمين. وهو مفهوم يجمع بين التنمية الروحية والمادية، ويعلي من شأن النفس الإنسانية، ويضعها موضع التكريم اللائق بها، ويمكنها من أداء دورها في تعمير الكون وتحقيق العبودية الخالصة لخالق هذا الكون وحده، (٣) قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

إن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام يتجاوز المنظور المادي وتحقيق

(١) جمعة، مصطفى عطية، الرؤية الإسلامية لقضايا التنمية المستدامة، مقال بتاريخ ١٦/٨/٢٠١٦م

على شبكة الألوكة، <http://www.alukah.net>

(٢) المصدر السابق.

(٣) دوابة، أشرف محمد، نحو مؤشر إسلامي للتنمية المستدامة، مجلة آراء حول الخليج، العدد ٨٧،

ديسمبر ٢٠١١م.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الرفاهية القائمة على إشباع متطلبات الجسد، ويمتد إلى متطلبات الروح والعقل التي لا تقل أهمية عن الناحية المادية في الحياة، ولذا تهدف التنمية المستدامة إلى تحقيق الأمن المادي من الجوع، والأمن المعنوي من الخوف^(١)، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤-٣].

وقد عرف بعض المهتمين التنمية المستدامة في الإسلام بقوله: " عملية تطوير وتغيير قدر الإمكان نحو الأحسن، وبشكل مستمر وشامل لقدرات الإنسان ومهاراته المادية والمعنوية، تحقيقاً لمقصود الشارع من الاستخلاف في الأرض، برعاية أولي الأمر، ضمن تعاون إقليمي وتكامل أممي، بعيداً عن أي نوع من أنواع التبعية".^(٢)



(١) المصدر السابق.

(٢) مقدمة عمر عبيد حسنة على كتاب الهنداوي، حسن، التعليم وإشكالية التنمية،

<http://library.islamweb.net>

المطلب الثاني

مبادئ التنمية المستدامة^(١)

يعرض البحث لأهم مبادئ التنمية المستدامة كما يراها الغرب، وسيحرص الباحث على إثبات سبق الإسلام إليها وإلى غيرها من المبادئ بإيراد الشواهد الشرعية على إسهام العمل الخيري في الدعوة إليها، وهذه المبادئ هي:

١. تحقيق عدالة تستوعب الأجيال الحاضرة والمستقبلية.

فكرة الوقف بشكل عام قائمة على أساس حفظ حقوق الأجيال القادمة في الثروات، وهذا المبدأ القائم على حفظ حقوق الأجيال القادمة هو الذي جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتوقف في توزيع الأراضي المفتوحة على الفاتحين؛ لأنه رأى في ذلك إغداقاً على الجيل الحاضر في زمنه (جيل الفتح) على حساب الأجيال اللاحقة من أبناء الأمة، ولهذا كان يقول: "إني إن قسمتها بينكم جاء آخر الناس وليس لهم شيء"^(٢)، ويأتي تشجيع الدين في إقامة الصدقات الجارية من مساجد ومدارس ومستشفيات واحداً من شواهد إسهام العمل الخيري في تحقيق التنمية المستدامة؛ لحفظ حقوق الأجيال وتقديم الخدمات المتنوعة لهم عن طريق هذه الصدقات الجارية.

(١) عشي، التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي، ص ١٣٦.

(٢) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص ٥٦.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

٢. العمل على تحقيق كفاية اقتصادية.

وذلك لاستغلال الموارد البيئية والطبيعية بعقلانية ورشد، بعيداً عن الإسراف والتبذير، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف ٣١]. وإن كان ذلك في وجوه الخير كما جاء في الحديث: " عن سعد رضي الله عنه، قال: كان النبي - ﷺ - يعودني وأنا مريض بمكة، فقلت: لي مال، أوصي بمالي كله؟ قال: «لا» قلت: فالشطر؟ قال: «لا» قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث والثلث كثير، أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم»^(١)، وفي سبيل ذلك جعل الإسلام لمن يعمل على تحقيق التنمية حوافز دنيوية وأخروية، فقال رسول الله - ﷺ -: « من أحيا أرضاً ميتة فهي له »^(٢).

٣ - المحافظة على التوازن في النظام البيئي.

وذلك من خلال مراعاة وظيفة وتنوع مكونات هذا النظام، وعدم تعدي الأنشطة الاقتصادية على القدرة الاستيعابية والإنتاجية لهذه البيئة، قال الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ١٩-٢٢]. ودعا الإسلام إلى المحافظة على مقدرات الحياة وحذر من العبث فيها أو إفسادها، مبيناً عواقب تدخل الإنسان وتلاعبه بثروات الحياة حيث قال جل ذكره: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

(١) البخاري، الصحيح، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، حديث رقم (٥٣٥٤).

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، رقم (٢٣٣٥) معلقاً.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

وتظهر بصمات العمل الخيري في المحافظة على البيئة من خلال ما يلي:

أ. الجمعيات البيئية التطوعية التي تأخذ على عاتقها العناية بالبيئة الحيوانية عن طريق رعاية الحيوان وإقامة المحميات الخاصة بها، وقد حفظ لنا التاريخ أوقافاً خاصة للكلاب الضالة والقطط العمياء وغيرها^(١) من صور حضارية، أسهم العمل الخيري في رسمها تحقيقاً للتنمية المستدامة على نطاق الثروة الحيوانية.

ب. وعلى نطاق الثروة المائية تسهم الفعاليات والمبادرات الخيرية الشبابية في إحداث نوع من التوعية بضرورة ترشيد استهلاك المياه، ومواجهة النقص الحاصل فيها من خلال توزيع قطع توفير استهلاك المياه في صنابير مواضع المساجد والحمامات العامة.

ت. وعلى نطاق الثروة الحرجية والأشجار تتصدر المبادرات التطوعية في المدارس والجامعات قائمة الأعمال الخيرية الساعية لزراعة الأشجار، وقطف الثمار، وتنظيف الحدائق والمنتزهات وغيرها الكثير. وقد حثَّ النبي - ﷺ - على ذلك فقال: « ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»^(٢).

ويمكن أن يضاف إلى مبادئ التنمية المستدامة السابقة ما تختص به التنمية الإسلامية بمفهومها الواسع وشموليتها وتوازنها ومن ذلك:

١ - توفير المناخ الآمن.

والمقصود به المناخ الذي يقضى فيه على الخوف والظلم، ويتنصر فيه

(١) السباعي، من روائع حضارتنا، ص ١٥٢ وما بعدها.

(٢) مسلم، الصحيح، كتاب المزارعة، باب فضل الغرس والزرع، حديث رقم (١٥٥٣).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

للمظلوم على الظالم، وتسود فيه العدالة بين الناس على اختلافهم، ويحيا فيه الناس بأمن وأمان، وهو ما امتن الله به على قريش بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُنْخِطُفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. وقد شارك النبي - ﷺ - في الجاهلية بحلف الفضول، (تعاهد واتفق تطوعي بين زعامات مكة، أهدافه خيرية نبيلة، قائمة على نصره المظلوم وإرجاع الحقوق لأصحابها) قال عنه - ﷺ - بعدها: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت»^(١).

٢ - تحقيق التقوى والشكر.

وهذا مما يعتقده أهل الإيمان من أن التقوى والشكر باب من أبواب البركة في الرزق، وسبيل من سبل حفظ النعم ودوامها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وقد وعد ربنا جل في علاه على الشكر بالزيادة في الرزق فقال: ﴿وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [ابراهيم: ٧]، ولعل هذه المعاني حاضرة في أذهان القائمين بالعمل الخيري، خاصة أهل الإيمان منهم، وهم يؤدون شكر نعم الله تعالى عليهم قولاً وعملاً كل نعمة من جنسها، فمن شكر نعمة الصحة والعافية إعانة المرضى والعاجزين، ومن شكر نعمة المال إنفاقه في وجوه الخير، ومن شكر نعمة العلم تعليمه لمن يطلبه أو يحتاجه، وهكذا.

(١) ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ١٣٤.

المطلب الثالث

أبعاد التنمية المستدامة.

يرى المختصون بالتنمية المستدامة أن أبعاد هذه التنمية وآثارها تستوعب مجالات الحياة المختلفة ومنها: ^(١)

١. البعد الاجتماعي.

ويتمثل في تحقيق الحياة الكريمة للناس عموماً بتوفير أسباب العيش المادية والمعنوية من صحة وتعليم وطعام ومأوى وأمن وعدالة، في جو من احترام الإنسان وعدم استغلال ضعفه أو كبر سنه، وجاء في الأثر أن عمر بن الخطاب مرَّ بشيخ من أهل الذمة، يسأل على أبواب الناس، فقال: ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبته، ثم ضيّعناك في كبرك. قال: ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه. ^(٢) وهذا تأصيل لفكرة الضمان الاجتماعي وكفالة الدولة لكبار السن ومن أقعد عن الكسب.

ومن السهل تسجيل دور للعمل الخيري في تحقيق هذا البعد من خلال إيواء المشردين والمنكوبين، والسعي لكفاية الفقراء والمعوزين، والعمل على إغاثتهم، وكذا كفالة الأيتام ورعاية الأراامل، وغيرها من صور الخير.

(١) قهوجي وحسان، المسؤولية الاجتماعية لمنظمات الأعمال.. ص ١٠ وما بعدها.

(٢) ابن زنجويه، حميد بن مخلد، كتاب الأموال، ج ١، ص ١٦٩.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

٢. البعد الاقتصادي.

وهو الهدف الأساس من التنمية المستدامة المتحصل بالحفاظ على الموارد الطبيعية، وضمنان حق الأجيال فيها، ولا شك أن مثل هذه الاهتمامات جاءت بعد تغوّل وطمع الإنسان المعاصر في الحياة، مما جعله أنانياً لا يلتفت إلا لمصلحة نفسه، والعالم اليوم يعاني من شره الاستهلاك، وغزو الأسواق بالمنتجات والسلع الكمالية والترفيهية، التي حولت الإنسان إلى مستهلك يساق إلى السلع سوقاً دون خيار أو حاجة.

وللعمل الخيري التثقيفي والإرشادي دور كبير في الدعوة إلى الاقتصاد في العيش، ومن ذلك ما جاء على لسان النبي الكريم - ﷺ - حيث قال: « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، حسب ابن آدم لقمات يقمن صلبه، فإن غلبته نفسه فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث للنفس»^(١).

وفي التحذير من الغزو الاستهلاكي، والتذكير بالفقراء والمعوزين، ودعوة الأغنياء إلى طي بطونهم للفقراء، وذلك سعياً لتحقيق البعد الاقتصادي في التنمية المستدامة للدول، وجاء في الأثر أن عمر - رضي الله عنه، كان يأتي مجزرة الزبير بن العوام بالبيع، ولم يكن بالمدينة مجزرة غيرها فيأتي معه بالدرّة فإذا رأى رجلاً اشترى لحمًا يومين متتابعين ضربه بالدرّة، وقال: "ألا طويت بطنك لجارك وابن عمك"^(٢). وهذا القرار من الخليفة عمل خيري إلزامي يأتي ليحفظ حق الفقراء في

(١) الترمذي، السنن، كتاب الوليمة، باب ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل، حديث رقم (٦٧٣٨).

(٢) مسند عمر بن الخطاب، ابن كثير، ج ١، ص ٢٦٦.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

الشراء بأسعار تناسبهم، فإن الأغنياء والمقتدرين إذا داوموا على شراء اللحم يوماً زادت أسعاره بازدياد الطلب عليه ولم تنخفض، فيأتي الأمر بالترشيد وجوباً مع المعاقبة على مخالف الفعل ليحافظ على قيم الأشياء.^(١)

٣. البعد البيئي.

المحافظة على البيئة بمكوناتها المختلفة، والحرص على استفادة الأجيال منها واحد من أهم أبعاد التنمية المستدامة، حيث أدى التدخل السلبي للإنسان في مكونات البيئة إلى تهديدات حقيقية في الثروة الحيوانية والنباتية، وتراكم النفايات وغيرها من المخاطر البيئية التي يعاني منها العالم، ولذا جاءت صيحات اللجان البيئية منذرة بالخطر الكبير إن لم يتوقف الإنسان عن الممارسات البيئية السلبية، ويسهم في حماية العالم من خطر التعدي على الثروات الطبيعية أو زوالها، فما هي مشاركة العمل الخيري في هذا البعد؟

البعد البيئي للعمل الخيري ممتدة صورته، وكبيرة آثاره تبدأ من دينٍ عظيم يعدُّ أتباعه بالأجر على إمطة الأذى عن الطريق، ويجعل هذا العمل واحداً من أبواب الإيمان، كما في الحديث: «الإيمان بضع وستون أو سبعون باباً، أدناها إمطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله، والحياء شعبة من الإيمان»^(٢) ولا تنتهي آثاره بمغفرة الذنوب لمن أحسن في سقاية حيوان بلغ به العطش مبلغاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً، فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من

(١) نمر، إدارة المال وأثرها في الحد من ظاهرة النزعة الاستهلاكية، ص ٢٠.

(٢) ابن ماجه، السنن، كتاب الإيمان، باب في الإيمان، حديث رقم (٥٧).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملاً خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له»، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر».^(١) ومحافظة على الثروة البيئية حرم الإسلام التلهي بصيد الطيور، وقتلها لغير حاجة، فجاء في الحديث: «من قتل عصفوراً عبثاً عجز إلى الله عز وجل يوم القيامة يقول: يا رب، إن فلانا قتلني عبثاً، ولم يقتلني لمنفعة»^(٢).



(١) البخاري، الصحيح، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، حديث رقم (٢٣٦٣).
(٢) النسائي، السنن، كتاب الضحايا، باب من قتل عصفوراً بغير حقها، حديث رقم (٤٤٤٦).



المبحث الثالث

العمل الخيري (الوقف الخيري دراسة تطبيقية) ودوره في تحقيق التنمية المستدامة.

يتناول هذا المبحث الوقف الخيري واحدا من أدوات العمل الخيري الإسلامي، ويسلط الباحث فيه الضوء على دور الوقف الخيري في تحقيق التنمية المستدامة، ولا عجب في ذلك، فإذا كانت التنمية المستدامة تهدف إلى تحقيق تنمية شاملة في الجوانب التي تحيط بالإنسان (اجتماعياً واقتصادياً وبيئياً)، فإن الوقف نفسه كان ولا يزال له دور عظيم في تغطية هذه الجوانب، بل الوقف نفسه تنمية بشرية، وتنمية اجتماعية، وتنمية اقتصادية، حتى يمكن القول إن الحضارة الإسلامية كانت حضارة الوقف، التي جسدت عملية التنمية المستدامة قبل أن تعرفها الأدبيات الغربية،^(١) ويظهر ذلك من خلال الوقوف على حقيقة الوقف، وخصائصه التنموية، وآلياته المحققة للتنمية المستدامة، والتي نعرضها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم الوقف الخيري وأهميته وخصائصه.

المطلب الثاني: علاقة الوقف الخيري بالتنمية المستدامة.

(١) عيشت، دور الاستثمار الخيري في التنمية المستدامة، ص ٨٥.



المطلب الأول

مفهوم الوقف الخيري وأهميته وخصائصه.

✦ الفرع الأول: مفهوم الوقف الخيري.

لعلّ الأخذ بالتعريف المستقى من حديث النبي - ﷺ - في أن الوقف هو تحييس الأصل، وتسبيل الثمرة،^(١) يسلمنا من الخوض في اختلافات فقهاء المذاهب في تعريفهم للوقف، وتفاوت وجهات نظرهم في الشروط والضوابط والأموال التي تشترط فيه عند كل منهم، فهو كما يقول أبو زهرة رحمه الله: أجمع تعريف لمعاني الوقف عند الذين أجازوه^(٢)؛ كونه ينأى عن التفاصيل محل الاختلاف، ودليله ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب أصاب أرضاً بخير، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضاً بخير لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها» قال: فتصدق بها عمر، أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القربى وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير

(١) يشار إلى أن هذا التعريف من اختيار الحنابلة، انظر: ابن قدامة، المغني، ج ٦، ص ٣.

(٢) أبو زهرة، محمد، محاضرات في الوقف، ص ٤٧.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

متمول. ^(١) والمقصود بالأصل في الحديث أي: العين الموقوفة، وأما تسبيل الثمرة، فيعني إطلاق فوائد العين الموقوفة على الموقوف عليه.

واقترح بعضهم إضافة عبارة: تقرباً لله تعالى على التعريف ليصبح: تحبب الأصل وتسبيل الثمرة تقرباً لله تعالى، ^(٢) وأرى أن لفظ التسبيل فيه الإشارة إلى القربة المقصودة، إذ هو جعل ثمرة العين الموقوفة في سبيل الله عموماً.

ومن تعريفات المعاصرين الموافقة لهذا الإطلاق والمبتعدة عن التفاصيل، تعريف منذر قحف للوقف بأنه: "حبس مؤبد ومؤقت لمال، للانتفاع المتكرر به، أو بثمرته في وجه من وجوه البر العامة أو الخاصة" ^(٣).

ويتنوع الوقف عموماً إلى عدة تقسيمات، والذي يهمنا هنا أن الوقف من حيث الغرض منه يتنوع إلى: ^(٤)

أ. الوقف الخيري: وهو ما كان في أي من وجوه البر العامة، سواء أكان وقفاً

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الوقف، باب الشروط في الوقف، حديث رقم (٢٧٣٧).

(٢) صبري، عكرمة، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص ٤١.

(٣) قحف، منذر، الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، ص ٦٢.

(٤) انظر: أبو زهرة، محاضرات في الوقف ص ٤٤، قحف، الوقف الإسلامي، ص ٦٢، صبري، الوقف الإسلامي، ص ٨٤ وما بعدها، وينقسم الوقف من حيث التوقيت إلى: مؤبد ومؤقت، ومن حيث استعمال المال الموقوف إلى: وقف مباشر ووقف استثماري، ومن حيث تواجده التاريخي إلى: خيرى، ذرى، وإرصاد) وهي حبس شيء من بيت مال المسلمين، بأمر من السلطان؛ ليصرف ريعه في مصلحة من مصالح العامة كمدسة أو مستشفى، وأعشار) وهي ما يؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم عليها أهلها، أو التي أحيها المسلمون بالماء والنبات، وهي من الأوقاف المعتمدة زمن الدولة العثمانية).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

خيريًا دينيًا محضًا كالمساجد، أو وقفًا خيريًا دينيًا دنيويًا كمدارس التعليم، ودور الأيتام، والتكايا، والمشافي، والمقابر وغيرها.

ب. الوقف الذري أو الأهلي: وهو ما كان لمنفعة الواقف وأهله وذريته، أو لأشخاص بأعيانهم.

ت. الوقف المشترك: وهو ما كان فيه نصيب خيري ونصيب ذري.

ويمثل الوقف الخيري النوع الأكبر والأشمل والأكثر استمرارية للعمل الخيري عمومًا، إذ هو إدامة لعمل الخير الذي تبقى ثمرته وتدوم منفعته إلى يوم الدين، ولعموم وجوه البر، مما جعله أنموذجًا خيريًا متميزًا عن بقية الأعمال الخيرية الأخرى، إلزامية كانت أم طوعية.^(١)

بقي أن نؤكد على أن الوقف الخيري لا ينبغي أن يقتصر على المبادرات الفردية، والتبرعات الشخصية لأبناء المجتمع، بمعزل عن مسؤولية الدولة وخططها الاستراتيجية في إقامة الأوقاف العامة المحققة لأهدافها في خدمة أفراد المجتمع، فالفاروق عمر - رضي الله عنه - كما وقف أرضه الخاصة بخيبر، أصدر باسم الدولة أمر توقيف أراضي العراق وسواها للأجيال القادمة، وذلك حتى تتكامل جهود الدولة بمؤسساتها مع جهود الأفراد بمبادراتهم، ولا تتكئ جهة على أخرى.^(٢)

(١) عبيشات، دور الاستثمار الخيري في التنمية المستدامة، ص ١٣.

(٢) انظر، السهاني، عبد الجبار، بحث دور الوقف في التنمية المستدامة، مجلة الشريعة والقانون، العدد (٤٤)، ٢٠١٠م.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

✦ الفرع الثاني: أهمية الوقف الخيري.

تظهر أهمية الوقف الخيري من خلال النقاط الآتية:

١. يقوم الوقف الخيري على تنمية قطاع ثالث، يتميز عن كل من القطاع الخاص، والقطاع الحكومي، ويتحمل هذا القطاع مسؤولية النهوض بمجموعة من الأنشطة - هي بطبيعتها - لا تحتمل الممارسة السلطوية للدولة، كما يفيد إبعادها عن الدوافع الربحية للقطاع الخاص، وذلك لأن صيغة الأنشطة تدخل في إطار البر، والإحسان، والرحمة، والتعاون، لا في قصد الربح الفردي، ولا في ممارسة قوة القانون وسطوته. (١)

٢. يمثل ذراعاً فاعلاً للدولة في توجيه طاقات أبنائها نحو التكافل المجتمعي، وترسيخ قيم التضامن والأخوة والمحبة، بينهم، بما يوفره من موارد مالية ثابتة، تسهم في تحقيق الاستقرار المالي المطلوب لدعم المشاريع الدعوية والإغاثية والاجتماعية، التي تعاني غالباً من ارتفاع الكلف التشغيلية، وضعف السيولة المالية.

٣. ينحو الوقف الخيري بالأمة منحى الإيثار، والتعاون، وهذا بدوره يحدث تحولاً كبيراً في اهتمامات الجيل وتطلعاته، ويجعله يتحرر من تبعية الأنا، والتقليد الاستهلاكي، إلى إيجابية التشاركية والاستثمار الآمن لثروات الأرض، والعمل لمستقبل الأجيال القادمة، مع استشعار الأجر والقرب من الله تعالى على أعماله.

(١) قحف، الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، ص ٧٠.

✦ الفرع الثالث: خصائص الوقف الخيري.

يتميّز الوقف الخيري بعدة خصائص تجعله يشكل نظاماً فريداً في العمل الخيري، ويمكن إجمال هذه الخصائص بما يلي:

١. الاستمرارية والتأبيد.

الهدف المرجو من حبس العين الموقوفة عن البيع أو الهبة أو التنازل، وتسبيل ثمرتها بإطلاقها في وجوه البر، لا يتأتى إلا بالاستمرارية والتأبيد، وهاتان الصفتان تُدرجان الوقف الخيري ضمن الصدقات الجارية، التي لا ينقطع الأجر عن واقفها، ولا المنفعة عن الموقوف عليه فيها، وهذا ما تميّزت به الأوقاف الخيرية عن كثير من صور الأعمال الخيرية الأخرى غير الوقفية كالصدقات والزكوات التي يبلغ الإنفاق عليها مبالغ طائلة، غير أن أعيانها أو منافعها تُنفق في تحقيق هذه الأهداف الخيرية في وقته، ولا يبقى لها دور بعدها.

وتحقيقاً لهاتين الخاصيتين اعتنى الفقهاء بموضوع إدارة الوقف، وصيانته ورعايته حتى يستمر في عطائه، ويحافظ على بقاءه، ونص الفقهاء على أن الإنفاق من غلة الوقف يتوجه أولاً إلى عمارته وصيانته، ثم إلى الموقوف عليهم، جاء في فقه الحنفية: " يبدأ من غلة الوقف بعمارته.... حتى يبقى على ما كان عليه"^(١). ولعل هذا الأمر اليوم يعالج أكبر التحديات التي تواجه الأملاك الوقفية التي تعاني من قدم بناء الوقف، وتعطل وظائفه، أو ضعف كفاءته، وتراجع الرغبة فيه.

(١) ابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، ج ٤، ص ٣٦٦.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

٢. الإنتاجية والاستثمار.

الوقف عمل خيري استثماري يبعد الصدقة عن الاستهلاك بتأييد الأصل، خاصة أن مشكلة العمل الخيري أنه يزيد الاستهلاك، بينما الوقف باعتباره عملاً خيرياً متميزاً هو بحد ذاته استثمار لتنمية الموارد ولتغطية الجهات الموقوف عليها كالمساجد، ودور العلم، والفقراء؛ لأن الوقف تحسيس للأصل وتسهيل للمنفعة، والمنفعة بحد ذاتها هي الاستثمار أو نتيجة الاستثمار. ^(١) ومن جهة أخرى فالوقف الإسلامي ثروة استثمارية متزايدة، فالوقف الدائم في أصله وشكله العام، وسواء أكان مباشراً أم استثمارياً يمنع بيعه واستهلاك قيمته، ويمنع تعطيله عن الاستغلال، ويجب صيانته، والإبقاء على قدرته على إنتاج السلع والخدمات التي خصص لإنتاجها، ويحرم الإنقاص منه والتعدي عليه، فالوقف إذن ليس استثماراً في المستقبل فقط، بل هو استثمار تراكمي أيضاً يتزايد يوماً بعد يوم. ^(٢)

٣. تحقيق الكفايات الاجتماعية.

من أهم خصائص الوقف الخيري اهتمامه بتلبية حاجات المجتمع الإنساني، والاستقراء التاريخي للأوقاف الخيرية يثبت إسهامها في إرساء مظلة التكافل الاجتماعي، وتوفير أسباب الحياة الكريمة للإنسانية عموماً، من خلال توفير الكفايات الاجتماعية ببناء المساجد والمدارس، والمستشفيات، وبناء

(١) الزحيلي، محمد، استثمار أموال الوقف، ضمن أعمال مؤتمر الشارقة للوقف الإسلامي، ٢٠٠٥م.

(٢) قحف، الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، ص ٦٨ وما بعدها.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الاستراحات والفنادق للمسافرين المنقطعين، وبيوت للفقراء يسكنها من لا يجد داراً، وأوقاف لتجهيز العرائس، ومطاعم، وأماكن للرباط على الثغور، وأوقاف خاصة يعطى ريعها للجهاد وشراء الأسلحة، وأوقاف لإصلاح الطرقات والقناطر والجسور، وأوقاف النقود للإقراض الحسن، وأوقاف للترفيه كالمتنزهات والبرك، ومنها ما كان للمقابر، بل وأعجب من ذلك وقف الزبادي للأولاد الذين يكسرون الزبادي وهم في طريقهم إلى البيت، وأخرى لعلاج الحيوانات المريضة، ووقف للكلاب الضالة، وغيرها من روائع حضارتنا.^(١)



(١) السباعي، من روائع حضارتنا، ص ١٧١ وما بعدها.

المطلب الثاني

علاقة الوقف الخيري بالتنمية المستدامة.

يمكن القول إن الوقف الخيري سابق لفكرة التنمية المستدامة ومؤصل لموضوعها، فالوقف الخيري في مضمونه وحقيقته الاقتصادية عملية نمووية، بما يتضمنه من بناء الثروة الإنتاجية من خلال عملية استثمار جاهزة، تنظر بعين الإحسان للأجيال القادمة، والوقف الخيري يتجاوز المحتوى التنموي لعملية الاستثمار إلى التأكيد على الجانب الغيري المجتمعي، وهو ما ترمي إليه التنمية المستدامة.^(١) فهو نمط تنموي مستدام، يتميز بثلاث مرتكزات رئيسة تجعل منه أداة فاعلة في التنمية المستدامة، وهي التأييد الذي يقابل الاستدامة، والادخار والاستثمار اللذين يتميز بهما الوقف عن مصادر التمويل التقليدية الأخرى.^(٢) وسأتناول هذا المطلب ضمن الفرعين الآتيين:

❖ الفرع الأول: أوجه التوافق بين الوقف الخيري والتنمية المستدامة.

يظهر التوافق بين الوقف الخيري والتنمية المستدامة في أن كلا منهما يسعى لتأكيد جملة من المبادئ المشتركة، ومنها:

أ. الوقف ومبدأ استدامة التحسيس واستمرارية التسبيل: يشترك الوقف

(١) قحف، منذر، التكوين الاقتصادي للوقف في بلدان الهلال الخصيب، ص ٤١٤ وما بعدها (بتصرف يسير).

(٢) العبيشات، دور الاستثمار الخيري في التنمية المستدامة، ص ٨٥.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الخيري والتنمية المستدامة في هذا المبدأ الذي يمثل الركيزة الأساسية لتحقيق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية لكل منهما، ويتميز الوقف في هذا الجانب بالطابع الديني الإيماني بوصفه خاصة لهذه الأمة^(١)، ويتمتع بحماية الدين والعرف، إذ هو صدقة جارية يتوجب حمايتها ورعايتها لتؤدي ثمرتها فيما جعلت له، ولذا منع الشارع بيعها أو هبتها، أو رهنها، أو أي تصرف يحول بينها وبين الاستمرارية والتأييد.

ب. تحقيق العدالة في توزيع الثروات بين الأجيال: فالوقف مثله مثل التنمية المستدامة يقوم على آلية الاستدامة والربط بين الأجيال، وذلك عبر ضمانه أن تظل الأملاك الموقوفة مستغلة فيما عينت له، لا تباع ولا تتعرض إلى الإلتاف بسبب شهوة عارضة أو سوء تصرف، وبالتالي تظل أملاك الوقف تنتقل من جيل إلى آخر، الكل ينتفع بها دون نقصان بل إنها تزايدت مع الزمن.^(٢)

ت. حماية البيئة: تولى التنمية المستدامة مسألة السلامة البيئية أهمية بالغة، إذ تحرص على التوازن بين التنمية والبيئة، غير أن الوقف الخيري يتميز في هذا المبدأ عن التنمية المستدامة في إضفاء صفة التعبد والتدين في الأنماط السلوكية والتصرفات الإنسانية تجاه البيئة، وهذا بلا شك يمثل فارقاً بين من يدعو إلى حماية البيئة حرصاً على مصلحته أو حق أجيال المستقبل فيها، وبين من يحمي

(١) المسألة ليست محل اتفاق، إذ يرى بعض الفقهاء أن الوقف كان في الأمم السابقة أيضاً، وعند الإمام الشافعي الوقف الذي من خصائص الأمة الإسلامية هو وقف الأرض والعقار، انظر:

البيجرمي، سليمان بن محمد، الحاشية على الخطيب (تحفة الحبيب) ج ٣، ص ٢٤٢.

(٢) عبد الرزاق، عادل، تعزيز استفادة العالم الإسلامي من التوافق بين الوقف الإسلامي والتنمية المستدامة، ص ٥ وما بعدها.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

البيئة ويحرص عليها تقرباً إلى الله تعالى، وبوصفه خليفة الله في الأرض، كما سيظهر ذلك في الشواهد اللاحقة.

✦ الفرع الثاني: أثار وشواهد تحقيق الوقف الخيري لأبعاد التنمية المستدامة.

يعتني هذا الفرع في الاستدلال لسبق الوقف الخيري (أداة تطبيقية للعمل الخيري) في تحقيق التنمية المستدامة، ولذا سأقتصر على ذكر الشواهد والآثار المتعلقة ببعض أبعاد التنمية المستدامة التي تم تناولها في هذه الدراسة.

أولاً: البعد الاجتماعي.

شواهد هذا البعد كثيرة ومتعددة، ولعلي أعرض بعضها ضمن النقاط الآتية:

أ. إسهام الوقف الخيري في التنمية البشرية المستدامة عن طريق بناء المساجد والمدارس والمعاهد العلمية، والتي تهدف إلى تنمية الإنسان بكل أبعاده الروحية والنفسية والعقلية والبدنية، وهي التنمية الحقيقية بلا شك، ولذا خصص الوقف الخيري الجزء الأعظم منه للأوقاف ذات المنافع المعنوية والتربوية؛ تنمية للإنسان، وتزكية لنفسه، وترقية لفكره وسلوكه.^(١)

وتمثل المساجد بالأخص الحصاة الأكبر من الأوقاف الخيرية، حيث يتوجه الواقفون نحو بنائها رغبة في الأجر والثواب، وإسهاماً في تحقيق نهضة المجتمع وصلاحه الاجتماعي والأخلاقي والديني، وهذه الأعداد الكبيرة للمساجد المنتشرة في بقاع الأرض لها دور كبير في خدمة أبعاد التنمية المادية والبيئية أيضاً بما تبثه هذه المساجد، وكذا المدارس الوقفية من رسائل توعوية، وإرشادات

(١) الريسوني، أحمد، الوقف الإسلامي، مجالاته وأبعاده، ص ٦٣.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

سلوكية لها أكبر الأثر في تحقيق التنمية المستدامة المنشودة.

ب. إسهام الوقف الخيري في الرعاية الاجتماعية، من خلال ما ترصده هذه الأوقاف لسد جيوب الفقر، وكفالة الأيتام، وإغاثة المحتاجين، وما لهذا من دور في تحقيق التكافل الاجتماعي على مستوى الأفراد والمجتمعات.

ولقد حفظت لنا كتب التاريخ صوراً لا حصر لها في إسهام الوقف الخيري في تحقيق الرعاية الاجتماعية المستدامة للأفراد، وتأمين الحياة الكريمة لهم، فقد وظفت أموال الأوقاف الخيرية في إيواء اليتامى واللقطاء ورعايتهم، وكانت هناك أوقاف مخصصة لرعاية المقعدين والعميان والشيوخ، وأوقاف لإمدادهم بمن يقودهم ويخدمهم، وأوقاف لتزويج الشباب والفتيات ممن تضيق أيديهم وأيدي أوليائهم عن نفقاتهم، وأنشئت في بعض المدن دور خاصة لإيواء العجزة المسنين والقيام على خدمتهم، وأقيمت الموائل والخانات لكي ينزل بها المسافرون في حلهم وترحالهم، وامتد نطاق الخدمات الاجتماعية التي يشملها نظام الوقف حتى تضمن مدافن الصدقة لمن لا يقوى على دفع تكاليف دفن ميتة.

ت. إسهام الوقف الخيري في الرعاية الصحية: حيث أسهم الوقف في تطوير حركة الطب سواء أكان ذلك على مستوى الإنفاق على التأليف في كتب الطب والصيدلة، أم على مستوى بناء المستشفيات التي كانت تعرف قديماً بالبيمارستانات.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

ثانياً: البعد الاقتصادي.

ومن إسهامات الوقف الخيري في تحقيق التنمية المستدامة في بعدها الاقتصادي ما يلي:

أ. إسهام الوقف الخيري في دعم القوة الاقتصادية للدولة عن طريق الحد من الإنفاق العام للدولة على بعض المرافق التي تولي الوقف أمرها مثل المساجد والمدارس، ومن ناحية أخرى من خلال قيام الأوقاف بعمليات إنتاج سلع مختلفة وخدمات، وتنفيذ مشاريع ضخمة في قطاعات حيوية وما يتبع ذلك من توفير فرص عمل.^(١) ومن الشواهد على هذه الإسهام أن الأراضي الزراعية الموقوفة في مصر بلغت قرابة ثلث أراضي الدولة، وكان لها إسهامات كبيرة في الثروة الزراعية المصرية، ويضاف إلى ذلك المساجد الموقوفة والمدارس وعيون الماء والآبار وغيرها من المرافق الحيوية التي قدمها الوقف الخيري، اسهاما منه في الحد من ظاهرة الإنفاق الحكومي.^(٢)

ب. إسهام الوقف الخيري في إقامة مشاريع البنية التحتية، من إقامة الجسور والقناطر والسكك الحديدية، وتعميد الطرق للمسافرين بصفة عامة والحجاج بصفة خاصة، ووقف السفن والعبّارات لنقل الناس عبر الأنهار، وتوفير البذور للفلاحين والمزارعين، وإقامة المدارس والمستشفيات، وإصلاح المباني والأسواق، وتظهر أهمية هذه الأوقاف الخيرية في أنها ترتبط بالمصالح العامة

(١) عبد الله، طارق، دعم الوقف للموازنة العامة للدولة، مجلة أوقاف، العدد ١٦، سنة ٢٠٠٩م.

(٢) أبو زهرة، محاضرات في الوقف، ص ٦.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

للناس، وبضرورتها لتسيير الحياة الاقتصادية.^(١)

ت. الإسهام في نشر ثقافة القرض الحسن، عن طريق ما يمكن تسميته ببنوك التسليف، وهو مقصد رغب الشارع فيه؛ لقضاء حوائج الناس، وسد خلة المكرويين، وفيه أيضاً جانب اقتصادي متمثل في تنشيط الاستثمار والحركة التجارية عن طريق تسليف النقود، في وقف خاص للنقود أجازته كثير من الفقهاء قديماً، وخاصة المالكية.^(٢)

ثالثاً: البعد البيئي.

ومن إسهامات الوقف الخيري في التنمية المستدامة في بعدها البيئي، ما يلي:

أ. إسهام الوقف الخيري في العناية بالحيوان، عن طريق إقامة مؤسسات لعلاج الحيوانات المريضة، أو لإطعامها، أو لرعيها حين عجزها، كما هو شأن المرح الأخضر في دمشق، الذي كان وقفاً للخيل والحيوانات العاجزة المسنة ترعى منه حتى تلاقي حتفها. ومثل ذلك يقال في وقف علي الكلاب الضالة، أو القطط التي لا مأوى لها، أو صنف من الطيور المهاجرة، وغير ذلك مما سبق فيه الإسلام تعاليم الإنسانية وجمعيات حقوق الحيوان المعاصرة.^(٣)

ب. الإسهام في توفير الأمن المائي، وكان أول وقف في الإسلام متوجه لهذه الغاية، ووقف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، عندما وقف بئر رومة على

(١) السباني، دور الوقف في التنمية المستدامة، ص ٢٦.

(٢) انظر: الدسوقي، محمد بن أحمد، الحاشية على الشرح الكبير، ج ٤، ص ٧٧.

(٣) السباعي، من روائع حضارتنا، ص ١٧٥.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

المسلمين، وحقق لهم بذلك أمناً مائياً وقاهم به تسلط اليهود عليهم واستبدادهم في استعماله. وفي الحديث: قال النبي ﷺ: «من يشتري بئر رومة، فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين» فاشتراها عثمان رضي الله عنه،^(١)

ت. الإسهام في الحفاظ على الأراضي الزراعية من التصحر، وذلك عن طريق وقف البساتين والأراضي الزراعية، والمحافظة على خصوبتها وإنتاجها، ولا شك أن استدامة ثمرتها تعني توفير الأمن الغذائي للمجتمع^(٢).



(١) البخاري، الصحيح، كتاب المساقاة، باب في الشرب، والحديث معلق. وبئر رومة: اسم لبئر معروفة في المدينة. زمعنئ قوله: (دلوه فيها كدلاء المسلمين) أي: يوقفها ويكون نصيبه منها كنصيب غيره من المسلمين دون مزية، تعليق البغا على الحديث ج ٣، ص ١٠٩.

(٢) عبد الرزاق، تعزيز استفادة العالم الإسلامي من التوافق بين الوقف الإسلامي والتنمية المستدامة، ص ١١.

المطلب الثالث

آليات الوقف الخيري المعاصر
في تحقيق التنمية المستدامة.

المعروض في هذا المطلب هو إلماحة إلى مشاريع معاصرة للوقف الخيري المعاصر، دون الخوض في تفاصيل أنواعه وأحكامه، يهدف إلى تأكيد صلاحية الوقف الخيري لمواكبة حاجات ومتطلبات التنمية المستدامة من خلال مشاريع إسلامية إبداعية كان لها السبق في خدمة الإنسانية عموماً.

❖ أولاً: الصناديق الوقفية:

والصناديق الوقفية هي الإطار الأوسع لممارسة العمل الوقفي، ومن خلالها يتمثل تعاون الجهات الشعبية مع المؤسسات الرسمية في سبيل تحقيق أهداف التنمية الوقفية. وعرفها الزحيلي بأنها: عبارة عن تجميع أموال نقدية من عدد من الأشخاص، عن طريق التبرع أو الأسهم لاستثمار هذه الأموال، ثم إنفاقها أو إنفاق ريعها وغلتها على مصلحة عامة تحقق النفع للأفراد والمجتمع، بهدف إحياء سنة الوقف، وتحقيق أهدافه الخيرية، وتكون لها إدارة تعمل على رعايتها واستثمار أموالها وتوزيع الأرباح.^(١)

(١) الزحيلي، محمد، الصناديق الفقهية المعاصرة (تكييفها حكمها أشكالها مشكلاتها)، ص ٤.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

وتمثل الصناديق الوقفية التابعة للأمانة العامة للأوقاف في الكويت^(١) تجربة رائدة في العمل الخيري التنموي المستدام، إذ تهدف الصناديق الوقفية إلى المشاركة في الجهود التي تخدم إحياء سنة الوقف، عن طريق طرح مشاريع تنموية في صيغ إسلامية للوفاء باحتياجات المجتمع، وطلب الإيقاف عليها، بالإضافة إلى حسن إنفاق ريع الأموال الموقوفة لتلبية الاحتياجات الاجتماعية والتنموية التي يفرزها الواقع، من خلال برامج عمل تراعي تحقيق أعلى عائد تنموي، وتحقق الترابط فيما بين المشروعات الوقفية، وبينها وبين المشروعات الأخرى التي تقوم بها الأجهزة الحكومية وجمعيات النفع العام. وفي ضوء هذه الفلسفة التي وقفت وراء عملية إنشاء الصناديق وتنظيم عملها، تم إنشاء أربعة صناديق وقفية تخصص في مجالات مختلفة، وهي:

- الصندوق الوقفي للقرآن الكريم.
- الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية.
- الصندوق الوقفي للتنمية الصحية.
- الصندوق الوقفي للدعوة والإغاثة.

(١) موقع الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، <http://ww2.awqaf.org.kw> تاريخ الزيارة

٢٠١٨/٧/٢٥.

❖ ثانياً: الصكوك الوقفية: (١)

هي عبارة عن وثائق أو شهادات خطية متساوية القيمة قابلة للتداول تمثل المال الموقوف. وتقوم على أساس عقد الوقف، ويقصد بتصكيك الموارد الوقفية تجزئة المال المطلوب لإنشاء وقف جديد إلى أجزاء متساوية ويدعى المحسنون للاكتتاب بها.

وتهدف الصكوك الوقفية إلى مشاركة أكبر نسبة ممكنة من طبقات المجتمع في الوقف الخيري، والخروج من تأطير الوقف بإطار الأغنياء والموسرين فقط، وذلك حرصاً على نشر ثقافة الوقف الخيري، وإسهاماً من المجتمع بعمومه في توفير حاجاته والوقوف إلى جانب أبنائه وتلبية متطلبات الحياة.

وتتنوع الصكوك الوقفية إلى:

- الأسهم الوقفية.
- السندات الوقفية.
- سندات المقارضة.

(١) انظر: خطاب، كمال، الصكوك الوقفية ودورها في التنمية، جامعة اليرموك ٢٠٠٦، رملي، حمزة، فرص تمويل واستثمار الوقف الجزائري بالاعتماد على الصكوك الوقفية، جامعة سطيف ٢٠١٢، بن زيد، ربيعة، الصكوك الوقفية كآلية لتحقيق التنمية المستدامة، مؤتمر التمويل الإسلامي غير لبؤبيحي، جامعة قاصدي مرباح، ٢٠١٣م.



الخاتمة وفيها أهم النتائج

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، هي:

- من التعريفات الجامعة لمعاني العمل الخيري: أنه كل مال أو جهد أو وقت يُبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم، والتخفيف من معاناتهم.
- تظهر أهمية العمل الخيري في كونه يشكل قطاعاً مالياً ثالثاً، يحمل على مسؤوليته القيام بواجب المسؤولية الاجتماعية وتقيق التكافل الاجتماعي، وإحداث التغيير في الأفراد نحو الإيجابية وخدمة الإنسانية، وتحقيق أسباب السعادة الدنيوية والأخروية.
- ويختص العمل الخيري بكونه قرينة إلى الله تعالى، وأن آثاره وصوره تتسم بالشمولية والتنوع والاستمرارية، وبجلبه البركة والتوفيق للعاملين به.
- يهدف العمل الخيري عموماً إلى خدمة مقاصد الوجود الإنساني الضرورية والحاجية والتحسينية.
- التنمية المستدامة: عملية تطوير وتغيير قدر الإمكان نحو الأحسن، وبشكل مستمر وشامل لقدرات الإنسان ومهاراته المادية والمعنوية؛ تحقيقاً لمقصود الشارع من الاستخلاف في الأرض، برعاية أولي الأمر، ضمن تعاون إقليمي وتكامل أممي، بعيداً عن أي نوع من أنواع التبعية. وهي تهدف إلى تحقيق

بحوث مؤتمر العمل الخيري

مبادئها في العدالة بين الأجيال، والمحافظة على البيئة، وتحقيق الكفايات الاقتصادية الكفيلة بحفظ حقوق الأجيال القادمة.

• استطاع البحث بفضل الله الوقوف على الأدلة والشواهد التراثية والحاضرة التي تشهد بقدوم السبق للعمل الخيري في تحقيق التنمية المستدامة، وذلك من خلال عرض واحدة من أدوات العمل الخيري المتعلقة بالوقف الخيري المستدام، وتناول مقاصده وآلياته المعاصرة.





قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٢- بكار، عبد الكريم، ثقافة العمل الخيري، دار السلام، القاهرة، ط ١، ٢٠١٢م.
- ٣- البيجرمي، سليمان بن محمد، تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البيجرمي على الخطيب، دار الفكر، بدون طبعة، تاريخ النشر ١٩٩٥م.
- ٤- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٢، ١٩٧٥م.
- ٥- جمعة، مصطفى عطية، الرؤية الإسلامية لقضايا التنمية المستدامة، مقال على شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة ١٦/٨/٢٠١٦م.
- ٦- خطاب، كمال، الصكوك الوقفية ودورها في التنمية، موقع مركز واقف للوقف والوصاي، تاريخ الإضافة ١٢/٧/٢٠١٢.
- ٧- الخرافي، عبد المحسن عبد الله، مفهوم وتاريخ العمل الإنساني، من إصدارات الاتحاد العالمي للمؤسسات الإنسانية.
- ٨- الدسوقي، محمد بن أحمد، الحاشية على الشرح الكبير، دار الفكر، بدون

بحوث مؤتمر العمل الخيري

طبعة.

- ٩- دوابه، أشرف محمد، نحو مؤشر إسلامي للتنمية المستدامة، مجلة آراء حول الخليج، العدد ٨٧، ديسمبر ٢٠١٠.
- ١٠- رملی، حمزة، فرص تمويل واستثمار الوقف الجزائري بالاعتماد على الصكوك الوقفية، جامعة سطيف ٢٠١٢.
- ١١- الزحيلي، محمد، استثمار أموال الوقف، ضمن أعمال مؤتمر الشارقة للوقف الإسلامي، ٢٠٠٥م.
- ١٢- أبو زهرة، محمد، محاضرات في الوقف، اصدار جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩م.
- ١٣- الريسوني، أحمد، الوقف الإسلامي، مجالاته وأبعاده، دار الكلمة لنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.
- ١٤- الزحيلي، محمد، الصناديق الفقهية المعاصرة (تكييفها حكمها أشكالها مشكلاتها)، موقع وقف على الشبكة.
- ١٥- بن زيد، ربيعة، الصكوك الوقفية كآلية لتحقيق التنمية المستدامة، مؤتمر التمويل الإسلامي غير لبؤبحي، جامعة قاصدي مرباح، ٢٠٢٠م.
- ١٦- ابن زنجويه، حميد بن مخلد، كتاب الأموال، تحقيق: شاعر ذياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٩٨٦م.
- ١٧- السباعي، مصطفى حسني، من روائع حضارتنا، دار ابن حزم، ط١، ٢٠١٠م.
- ١٨- السبهاني، عبد الجبار، بحث دور الوقف في التنمية المستدامة، مجلة الشريعة

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

والقانون، العدد (٤٤)، ٢٠٠٢ م.

١٩- الشاطبي، ابراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: خالد شبل، مؤسسة الرسالة، بدون طبعة، ١٩٩٩ م.

٢٠- صبري، عكرمة، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، عمان، ٢٠١١ م.

٢١- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الصغير (الروض الداني)، تحقيق: محمد شكور، المكتب الإسلامي، دار عمار، عمان، ١٩٨٥ م.

٢٢- ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت، ٢٠١٢ م.

٢٣- عبد الله، طارق، دعم الوقف للموازنة العامة للدولة، مجلة أوقاف، العدد ٦، سنة ٢٠٠٩ م.

٢٤- عبد الرزاق، عادل، تعزيز استفادة العالم الإسلامي من التوافق بين الوقف الإسلامي والتنمية المستدامة، ملتقى حول: مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة قلمة، ٣/٤/١٢/٢٠١٢ م.

٢٥- عشي، صليحة، التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، منشورات جامعة باتنة، الجزائر ٢٠١٣ م.

٢٦- العفيشات، أمينة، دور الاستثمار الخيري في التنمية المستدامة، الوقف أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بوعلي، الجزائر، ٢٠١٥ م.

٢٧- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، مصر، ١٩٩٣ م.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

- ٢٨- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، دار القاهرة، القاهرة، بدون طبعة، ١٩٦٨م.
- ٢٩- قحف، منذر، الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.
- ٣٠- قحف، منذر، التكوين الاقتصادي للوقف في بلدان الهلال الخصيب، بدون ناشر وطبعة، على موقعه الخاص.
- ٣١- أصول العمل الخيري في الإسلام، دار الشروق، مصر، ط٢، ٢٠٠٨م.
- ٣٢- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
- ٣٣- قهواجي وحسان، المسؤولية الاجتماعية لمنظمات الأعمال، مؤتمر دور المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في ترسيخ استراتيجية التنمية المستدامة، جامعة محمد بومدراس، الجزائر، ١٤ و١٥/١١/٢٠١٦.
- ٣٤- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، مسند عمر بن الخطاب، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٩٩١م.
- ٣٥- ابن ماجه، محمد بن يزيد، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، بدون طبعة.
- ٣٦- مسدود، الريادة في العمل الخيري وربطه بالتنمية- الزكاة والأوقاف نموذجاً، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، العدد ١٣، حزيران/ ٢٠١٨م.
- ٣٧- مسلم، أبو الحسن بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المعروف بصحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

٣٨- نمر، إياد، توجيهات السنة النبوية في إدارة المال وأثرها في الحد من ظاهرة النزعة الاستهلاكية، مؤتمر إدارة المال والأعمال في السنة النبوية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، ٢٠١٤م.

٣٩- ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٥٥م.

٤٠- اليوبي، محمد سعد بن أحمد، مقاصد الشريعة الإسلامية، وعلاقتها بالأدلة الشرعية، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.
المواقع الالكترونية:

• <https://library.un.org/ar/content/678> . موقع وثائق الأمم المتحدة،


مكتبة داغ هومرشولد

• <http://ww2.awqaf.org.kw> موقع الأمانة العامة للأوقاف بالكويت،

• <http://library.islamweb.net> الهنداوي، حسن، التعليم وإشكالية

التنمية،





العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية

إعداد: د. ثامر علي النويران

المقدمة

تعاني البلاد الإسلامية خصوصًا ودول العالم الثالث عمومًا من مشكلة التخلف، التي تتمثل في الجهل والفقر والمرض، أو ما يُسمى بثالوث التخلف، وهي تسعى جاهدة منذ سنوات طويلة للخروج من هذا المأزق ومن ثم تحقيق التنمية الاقتصادية، وذلك من خلال تطبيق عديد من نظريات التنمية المختلفة، إلا أنها - وللأسف - لم تفلح في الوصول إلى غايتها، بل إن بعض تلك السياسات أدت إلى تكريس التخلف، ولعل سبب ذلك عدم توافق تلك النماذج التنموية لواقع تلك الدول، لذا جاءت الدعوات لضرورة أن تُطبَّق نماذج تنموية تتلاءم مع معتقدات وأفكار المجتمعات المسلمة، وهذا الأمر يمكن تطبيقه من خلال النموذج الإسلامي للتنمية، الذي لا تقع فيه مسؤولية تحقيق التنمية على القطاع العام فقط (الدولة) بل تقع على كاهل الفرد والجماعة بوصفهم بناءً متماسكًا يشد بعضه بعضًا لتحقيق التنمية المنشودة، مع التركيز على إمكانيات المجتمع الذاتية ويوظف خبراته وطاقاته المختلفة في سبيل الارتقاء بأوضاعه المختلفة.

ونحن هنا نتحدث عن العمل الخيري أو ما يسمى بالقطاع الثالث بصفته أحد أنجح نماذج التنمية الاقتصادية، فأدبيات التنمية الحديثة تصف العمل الخيري برأس المال الاجتماعي بعدّه ثروةً عامة يمتلكها المجتمع وتمكنه من تطوير نفسه، مصدرًا فعالًا يعتمد عليه في تطبيق مختلف السياسات، ومواجهة كثير من المشكلات على أساس أن المنظمات الخيرية أكثر ديناميكية ومرونة من الجهات الرسمية في الوصول إلى كثير من الفئات المهمشة، التي يصعب أن تصل إليها

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الحكومات، ويكتسب العمل الخيري اليوم أهمية متزايدة باعتباره مصدرًا للتوازن الاقتصادي، وخاصة بعد اتساع الهوة بين موارد الدولة المتاحة وزيادة احتياجات ومتطلبات الشعوب، وذلك لتجسيده القيم النظرية للتكافل الاجتماعي بين شرائح المجتمع، إذ برز دور العمل الخيري في سد تلك الفجوة، لذا فقد جاءت هذه الدراسة لبيان دور القطاع الخيري في تحقيق التنمية الاقتصادية وتوضيحه.

❖ مشكلة الدراسة

تعاني معظم دول العالم الإسلامي من مشاكل اقتصادية متعددة، تتمثل في عجز الموازنات الحكومية واتساع نطاق مديونيتها، الأمر الذي أدى إلى نقص الموارد المالية اللازمة لإحداث التنمية الاقتصادية المنشودة، ولما كانت الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان فهي توفر النظم والتشريعات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة كالزكاة والوقف والميراث والوصية والكفارات والأعمال الخيرية التطوعية وغيرها، التي إذا فُعِّلت وطُورَت لأمكن التخفيف من حدة النقص في الموارد اللازمة لإحداث التنمية، والإنسان هو أساس التنمية ووسيلتها، وقد ساهم عبر التاريخ بجهوده التطوعية المختلفة في تحقيق مصالح أفراد المجتمع وتحسين وتنمية أوضاعه المختلفة في جميع المجالات. ولذا فإن مشكلة هذه الدراسة تبرز في معرفة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي: ما الدور الذي يمكن أن يقوم به العمل الخيري في تحقيق التنمية الاقتصادية؟

❖ أهمية الدراسة

تتلخص أهمية هذا البحث في تزايد الاتجاه الدولي نحو الاهتمام بالعمل الخيري الذي يركز على الاستدامة، والذي ينظر إليه على أنه يمكن أن يسهم بفعالية في تحقيق التنمية الاقتصادية من خلال تنمية الأسر والمجتمعات المحلية

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية

والفئات المهمشة، وخاصة مع ما يعانيه العالم حالياً من أزمات اقتصادية متتالية، وبحثه عن مصادر محلية لتمويل التنمية، إذ يعد العمل الخيري مورداً مهماً لتحقيق ذلك. فالتنمية الاقتصادية في أي مجتمع لا تتم إلا من خلال منظومة متكاملة ومتناسقة تتعاون فيها جميع قطاعات المجتمع ومؤسساته المختلفة سواء أكانت مؤسسات عامة أم مؤسسات خاصة، لذا فقد جاء هذا البحث لإبراز الدور المتنامي للقطاع الخيري ومدى مساهمته في تحقيق التنمية الاقتصادية، وذلك من خلال اعتبار مؤسسات العمل الخيري في أي مجتمع مؤسسات متوسطة بين القطاعين العام والخاص، تساعد وتساوم معهما في إحداث التنمية الشاملة من خلال المجالات المتعددة والمتنوعة التي تساهم فيها.

لذا فإنه يمكن تلخيص أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

- ارتباط العمل الخيري بإحدى أهم شرائح المجتمع، وهي الطبقات الفقيرة والمهمشة والتي أمرنا أن نُحسن إليها.
- نجاح العمل الخيري في أي مجتمع يعد مقياساً لمستوى رقي هذا المجتمع وتقدمه، وعاملاً من عوامل التوازن بين طبقات المجتمع المختلفة.
- يغطي هذا البحث جانباً مهماً في الاقتصاد ويبرز دور العمل الخيري في التنمية الاقتصادية.

أهداف الدراسة

يهدف هذا البحث لبيان فعالية القطاع الخيري في تحقيق التنمية الاقتصادية، وذلك من خلال النقاط التالية:

- التعرف على مفهوم العمل الخيري وأنواعه ومجالاته المختلفة.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

- توضيح الدور التنموي للعمل الخيري في مختلف المجالات.
- الخروج بتوصيات ملائمة قد تسهم في تطوير العمل الخيري وتدعيمه.

✪ أسلوب البحث

لتحقيق أغراض البحث سيستخدم الأسلوب الوصفي التحليلي؛ وذلك لكون هذا الأسلوب يناسب هذا النوع من الدراسات، إذ سيعتمد الباحث على مصادر المعلومات المختلفة من الكتب والمجلات العلمية والابحاث، بالإضافة إلى تجربته الشخصية، وذلك للوصول للنتائج المتوقعة من هذا البحث.

تتكون خطة البحث مما يلي:

المبحث الأول: مقدمة عامة: العمل الخيري.

- مفهوم العمل الخيري.
- أنواع العمل الخيري.
- مجالات العمل الخيري.

المبحث الثاني: دور العمل الخيري في تحقيق التنمية الاقتصادية

- تعريف التنمية الاقتصادية.
- أثر العمل الخيري في الإنتاج.
- أثر العمل الخيري في الاستثمار.
- أثر العمل الخيري في إعادة توزيع الدخل والاستهلاك.
- أثر العمل الخيري في تحقيق الاستقرار الاقتصادي.
- ثم النتائج والتوصيات.



المبحث الأول

مقدمة عامة: العمل الخيري.

❖ مفهوم العمل الخيري.

بداية لابد من تعريف معنى العمل الخيري، فالعمل هو المهنة والفعل^(١)، أما الخير فهو الكرم والجود والشرف، وهو ضد الشر، وجمعه (خيور) و (أخيار) و (خيار)، والخير هو ما يكون مرغوبًا فيه بكل حال وعند كل أحد^(٢)، أما في الاصطلاح فيمكن تعريف العمل الخيري بأنه "مساهمة الأفراد والهيئات غير الرسمية في أعمال الرعاية والتنمية الاجتماعية سواء بالرأي أو بالعمل أو بالتمويل أو بغير ذلك من الأشكال"^(٣)، ويرى البعض أن العمل الخيري "نوع من أنواع الخدمات الاجتماعية"^(٤)، على حين يراه آخرون أنه "النفع المادي أو المعنوي

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، دار صادر، بيروت، مادة عمل، باب اللام، ج ١١، ص ٤٧٤.

(٢) الرازي، محمد بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ج ١، ص ٨١.

(٣) حمزة، اسماعيل، جمعيات العمل الخيري، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص ٣٤.

(٤) اليوسف، عبد الرحمن، ثقافة العمل التطوعي، الدار الجامعية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص ٢٤.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الذي يقدمه الإنسان لغيره دون أن يأخذ عليه مقابلًا ماديًا، ولكن ليحقق هدفًا خاصًا له أكبر من المقابل المادي الذي قد يكون عند بعض الناس؛ كالحصول على الثناء والشهرة، ويؤمل من ذلك أغراض تتعلق بالأخرة، ورجاء الثواب من عند الله^(١).

✦ أنواع العمل الخيري.

لا يأخذ فعل الخير لدى الفرد المسلم صورة واحدة ولا نمطًا واحدًا، بل تعددت صورته وأشكاله بحسب حاجات الناس ومطالبهم، وبحسب قدرة فاعل الخير وإمكاناته، أو حسب ظروف الموقف وما يتطلبه في حينه^(٢)، وهذا يشير إلى أن فعل الخير قد يكون نقدياً أو عينياً أو تعليمياً أو معنوياً أو نفسياً أو ثقافياً أو دينياً أو تعليمياً أو طبياً أو اجتماعياً، كما أنه ليس بالضرورة أن يكون فعل الخير محصوراً ببني الإنسان بل الثابت بالقرآن والسنة أنه يوجه إلى كل ذات نفس أو كبد رطبة^(٣)، عملاً بحديث الرسول - ﷺ - الذي يرويه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «في كل ذات كبد رطبة أجر»^(٤).

(١) الناصري، محسن، ثمار العمل الخيري في الاسلام، دار حباب للنشر، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠١٢، ص ٢٦.

(٢) جرادات، منى، اثر القيم الاسلامية على التنمية الاقتصادية، دار المريخ، الخرطوم، الطبعة الثانية، ٢٠١٣، ص ٤٢.

(٣) الرمالي، زيد، الاسلام والتنمية الاقتصادية، مؤسسة الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٣٥هـ، ص ٤٩.

(٤) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ كتاب الايمان، باب ما جاء ان العمل بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، ج ١، ص ٣، رقم =

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية

ويقسم العمل الخيري إلى نوعين رئيسيين هما^(١):

١- ما يكون العمل فيه قاصراً على فاعله، مثل الصلاة والصيام والحج، وغيره من الأعمال التعبدية، ويكون فوائد هذا النوع وثماره للعبد نفسه.

٢- وما كان متعدداً أثره إلى الآخرين وينقسم إلى قسمين هما: عمل فردي يقوم به الأفراد، وعمل مؤسسي جماعي، تشرف عليه المؤسسات المتخصصة.

✦ مجالات العمل الخيري.

على الرغم من أن الأعمال الخيرية لها أشكال عديدة ومجالات متنوعة إلا أنها تعمل معاً في اتجاه واحد ينعكس إيجابياً على المجتمع ويشارك في إحداث التنمية التي تسعى المجتمعات إلى تحقيقها، ومما يدل على كثرة مجالات وخصال الخير حديث النبي - ﷺ - الذي يقول فيه «الخير ثلاثمائة وستون خصلة، إذا أراد الله - عز وجل - بعبده خيراً جعل فيه واحدة منهن يدخله بها الجنة...»^(٢)، ويمكن ذكر مجالات متنوعة ومتعددة للعمل الخيري نذكر منها^(٣):

١- مجال الدعوة والإرشاد الديني: وهو ما يتعلق بالدعوة إلى الله والتوعية

الحديث ١.

(١) حمزة، اسماعيل، جميعات العمل الخيري، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢) ابن ابي الدنيا، مكارم الاخلاق، دار النور للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣، حديث رقم ٢٨، ص ٤٢.

(٣) خالد، عبد الحميد، التكافل الاجتماعي في الاسلام، دار السلام للنشر، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩، ص ٥٦.

- علوان، ناصح، العمل التطوعي ريادة وانجاز، دار المعرفة، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠١٤، ص ٦٩.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

والإرشاد وتذكير الناس بفضائل الإسلام.

٢- **المجال الاجتماعي:** ويركز هذا المجال على معالجة الظواهر السلبية في المجتمع، والعمل على إحلال البدائل الإسلامية مكانها لبناء مجتمع متحاب متعاون، ويركز هذا النوع على رعاية الأيتام والعناية بالأرامل والمساكين وحل المشكلات الأسرية.

٣- **المجال التعليمي الثقافي:** ويكون ذلك من خلال تعليم الناس ومحاربة الأمية وتعليم أبناء الفقراء ورعاية الموهوبين وغيرها من الخدمات.

٤- **مجال الخدمات الصحية:** وذلك لأن حفظ النفس واجب ومقصد من مقاصد التشريع، لذا فإن العمل الخيري يشمل هذا الجانب بما يتضمنه من إقامة المراكز الصحية وبناء المستشفيات للفقراء والمحتاجين.

٥- **مجال حماية البيئة ورعاية الحيوانات:** ويتمثل هذا المجال بنظرة الإسلام الشمولية للبيئة والحيوان والمحافظة عليهما، ويتم ذلك من خلال المؤسسات الهادفة إلى نشر الوعي البيئي والقيام بحملات النظافة وغيرها من الخدمات البيئية ورعاية الحيوانات.

٦- **مجال الأمن وحماية البلاد:** ففتح باب العمل التطوعي لحماية البلاد من أي تهديد داخلي أو خارجي من أفضل أنواع التطوع؛ وذلك لأن تحقيق الأمن يعد من متطلبات تحقيق التنمية في أي مجتمع.

٧- **مجال الإغاثة:** وذلك في حال حدوث كوارث طبيعية وانتشار الأمراض والحرائق؛ إذ يتطلب الأمر في هذه الاوقات مزيداً من الجهود التي قد تعجز عنها الحكومات فيكون التطوع في هذا المجال مهماً وذا نفع.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية

٨- المجال الاقتصادي: وهذا المجال لا يمكن فصله عن المجالات السابقة، فهي حلقة متصلة في عملية التنمية من خلال تشجيع الشباب على العمل الحلال، وترك البطالة، وتمويل إقامة مشاريع لتشغيل الشباب، أو تملك غير المقتدر أدوات حرفة مناسبة له ليكسب العيش.



المبحث الثاني

دور العمل الخيري
في تحقيق التنمية الاقتصادية

❖ مفهوم التنمية الاقتصادية

لا يوجد تعريف متفق عليه للتنمية الاقتصادية، فهناك تعريفات متعددة ومن جوانب مختلفة بحسب النظام الاقتصادي السائد^(١). فيعرف البعض التنمية الاقتصادية على أنها "مجموعة إجراءات وسياسات وتدابير متعمدة تتمثل في تغيير بنية وهيكلة الاقتصاد القومي بهدف زيادة سريعة ودائمة في متوسط دخل الفرد الحقيقي عبر فترة ممتدة من الزمن، بحيث يستفيد منها الغالبية العظمى من الأفراد"^(٢)، ويعرفها آخرون على أنها "العملية التي يحدث من خلالها تغير شامل ومتواصل مصحوب بزيادة في متوسط دخل الفرد، مع تحسن في توزيع الدخل لصالح الطبقات الفقيرة، وتحسن في نوعية الحياة، وتغير هيكلي في الإنتاج"^(٣).

-
- (١) العجلوني، خالد، التنمية الاقتصادية دراسات نظرية وتطبيقية، دار روابي عمان للنشر، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠١٧، ص ١٢٥.
- (٢) الخالدي، محمد، اقتصاديات التنمية دراسات في التجارب العربي، دار عاصم للنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٢، ص ٣٩.
- (٣) الزمايل، عبد الرحمن، التنمية الاقتصادية في الفكر الاقتصادي الاسلامي، دار شباب الجامعة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٥، ص ٤٥.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية

أما الأمم المتحدة فتعرفها على أنها "عبارة عن مجموعة من الوسائل والطرق التي تستخدم بقصد توحيد جهود الأهالي مع السلطات العامة من أجل تحسين مستوى الحياة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات القومية والمحلية وإخراج هذه المجتمعات من عزلتها لتشارك إيجابيا في الحياة القومية، ولتسهم في تقدم البلاد"^(١).

وتهدف التنمية لتحقيق عدد من الأهداف وهي^(٢):

- زيادة الدخل الحقيقي وتحسين معيشة المواطنين.
- توفير فرص عمل للمتعطلين.
- توفير السلع والخدمات المطلوبة لإشباع حاجات المواطنين وتحسين المستوى الصحي والتعليمي والثقافي لهم.
- تقليل الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين طبقات المجتمع.
- تحقيق الأمن القومي للدولة والاستقرار، الذي من خلاله يُرتقى بالمجتمعات.

أما مفهوم التنمية بمنظور إسلامي فتعني عمارة البلاد لقوله سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]^(٣)، فالتنمية في الإسلام هي عمارة البلاد من خلال تحقيق التقدم الاقتصادي وتوفير عدالة التوزيع، وتحقيق الإنسان

(١) محمد، عبد السلام، دراسات في التنمية الاقتصادية، مجموعة محاضرات في المركز الوطني للبحوث، عمان، ٢٠١٣، ص ٧٩.

(٢) العجلوني، خالد، التنمية الاقتصادية دراسات نظرية وتطبيقية، مرجع اسبق، ص ١٩٤.

(٣) الزمايل، عبد الرحمن، التنمية الاقتصادية في الفكر الاقتصادي الاسلامي، مرجع اسبق، ص ٦٧.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

درجات متزايدة من السيطرة على الموارد المتاحة، التي سخرها الله - سبحانه وتعالى - لخدمة الإنسان وذلك بهدف تحقيق تمام الكفاية^(١).

ومما لاشك فيه أن العمل الخيري أصبح صمام أمان ومصدر إنقاذ لكثير من الفئات المهمشة، وتحقيق الاستقرار في المجتمع، وبث روح الطمأنينة والراحة النفسية بين أبنائه، والسير بالمجتمع نحو الأمان وإقامة مجتمع متلاحم مترابط آمن مستقر، وبما أن التنمية الاقتصادية تحدث في أي مجتمع من خلال منظومة متكاملة متناسقة، وبجهود مؤسسات المجتمع المختلفة، فلا يستطيع أي قطاع بمفرده تحقيقها مهما بذل من جهد، لذا كان واجباً أن تتعاون جميع القطاعات لتحقيق ذلك الهدف، وتعد مؤسسات العمل الخيري مؤسسات متوسطة بين القطاعين العام والخاص، تساعد وتساوم معهما في إحداث التنمية الشاملة، عن طريق المجالات المتعددة والمتنوعة التي تساهم فيها^(٢).

تحدث التنمية الاقتصادية في أي مجتمع من المجتمعات من خلال منظومة متكاملة ومتناسقة، تتعاون فيها قطاعات المجتمع ومؤسساته المختلفة، ويشارك فيها المجتمع بجميع أفرادهم عبر جملة من التغييرات التي تشمل مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع. ويمكن القول أن العمل الخيري يساهم في إحداث التنمية الشاملة عن طريق مجالات متعددة ومتنوعة^(٣)،

(١) علوان، ناصح، العمل التطوعي ريادة وانجاز، دار المعرفة، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠١٤، ص ٦٩

(٢) حمود، هاشم، استراتيجيات تحقيق التنمية في الاقتصاد الاسلامي، دار حماه للنشر، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠٠٠، ص ١٧٥.

(٣) الرمالي، زيد، الاسلام والتنمية الاقتصادية، مؤسسة الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٣٥هـ، ص ٤٩.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية

✦ ويتضح دور العمل الخيري في التنمية الاقتصادية من خلال آثاره المباشرة

وغير المباشرة على عدة محاور، هي:

١ - أثر العمل الخيري في الإنتاج:

يمكن القول أن العمل الخيري يساهم في زيادة الإنتاج من خلال توظيفه في تعليم العنصر البشري وتدريبه، حيث يعد التعليم والتدريب من أهم العناصر التي تسهم في رفع إنتاجية العامل، ويمكن توضيح دور العنصر البشري في تحقيق النمو الاقتصادي من خلال الإشارة إلى معدل نمو الناتج القومي بدلالة هذا العنصر وإنتاجيته، كما أنه يمكن الإشارة أيضًا إلى تأثير الأعمال الخيرية في حجم الإنتاج من خلال استثمار الأعمال الخيرية في تعليم العمال وتدريبهم، وتوظيف العمل الخيري في البحث والتطوير الذي سيؤدي إلى تحسين الآلات المستخدمة في العملية الإنتاجية، والتأثير في المستوى التكنولوجي في التصنيع، وبالتالي تخفيض تكاليف الإنتاج من حيث تخفيض كمية الموارد المستخدمة، وتخفيض الوقت اللازم للإنتاج من جهة أخرى، وبصورة عامة فإنه يمكن القول أن العمل الخيري يمكن أن يؤثر في الإنتاج من خلال جانبين؛ الأول باعتباره متغيرًا داخليًا يؤثر في عنصري العمل ورأس المال، والجانب الآخر باعتباره متغيرًا خارجيًا من خلال تأثيره في المستوى التكنولوجي المستخدم في الإنتاج^(١).

(١) إبراهيم، يوسف، مؤسسات العمل الخيري ودورها في تحقيق التنمية الاجتماعية في مصر، بحث مقدم لمؤتمر العمل الخيري، عُمان، ٢٠٠٩، ص ٤٣.

٢ - أثر العمل الخيري في الاستثمار:

كما هو معلوم فإن هدف الاستثمار بشكل عام في الاقتصاد الإسلامي يتمثل في الرغبة في الحفاظ على استدامة تنمية المال وزيادته، تلبية لازدياد الحاجات البشرية للمال، والحفاظ على ديمومة تداول المال وتقلبه في أيادٍ عديدة، ومنع تحكم فئة قليلة بهذا المال، وبالتالي تحكمها في مصائر الأغلبية العظمى في المجتمع، كما تتمثل في رغبة الشارع في إيجاد مجتمع ينعم أفرادُه بالفراخية التي تعين كل فرد من أفراد المجتمع على حسن القيام بمهمة الخلافة في عمارة الأرض وفق المنهج الشرعي الذي ارتضاه الله عز وجل، ولتحقيق ذلك فقد فرض الشارع على كل رصيد غير مستغل دفع نسبة ٢.٥٪ غرامةً لذلك التعطيل بهدف تفعيل الطلب الاستثماري^(١).

وحيث إن العمل الخيري مرتبط بالاستثمار فإنه يسهم في زيادة الاستثمار في المجتمع من خلال ما يلي^(٢):

- يعمل العمل الخيري على نقل الدخل من الأغنياء إلى الفقراء من خلال الصدقات المختلفة، وزيادة دخل الفقراء مما يؤدي إلى زيادة استهلاكهم خاصة أن الميل الحدي للاستهلاك في الأجل القصير يتسم بالثبات، لذا فإن الاستهلاك يعتمد على الدخل المخصص للاستهلاك، ونتيجة لزيادة الاستهلاك فلا بد من زيادة الاستثمار استجابة لهذه الزيادة مع التأكيد على أن هذه الزيادة لن تكون

(١) حمود، هاشم، استراتيجيات تحقيق التنمية في الاقتصاد الإسلامي، مرجع سبق، ص ٢٠٣.

(٢) وديع، عبد الله، العمل التطوعي في الضفة الغربية ودوره في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، دار خلد للنشر، عمان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨، ص ١٦٤.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية

عابرة بل ستكون مستمرة طالما وجد الفقراء في المجتمع.

- يمكن تمييز أموال الصدقات أو جزء منها من خلال إقامة مشروعات منتجة للسلع الضرورية وخلق فرص عمل جديدة أو من خلال توفير أدوات إنتاج للقادرين على العمل لحثهم على الإنتاج أو تقديم المساعدات بوصفها سلعا إنتاجية ليتمكن الفرد من إيجاد مصدر دخل له.

- يؤدي الإنفاق الخيري إلى إعادة توزيع الدخل لصالح الفئات الفقيرة في المجتمع، التي تتميز بميل استهلاك مرتفع، وهذا الأمر ينعكس على النشاط الاقتصادي عبر آلية مضاعف الاستثمار ومعدل الاستثمار بشكل إنفاقات متتالية على الاستهلاك من جانب الفئات الفقيرة، الأمر الذي ينعكس طردا على الاستثمار والتشغيل.

كما تساهم الأعمال الخيرية في تنشيط الاستثمار وزيادته من خلال المساهمة في تهيئة البنية التحتية، وتوفير الاستقرار الاقتصادي والأمني، وتقديم التمويل اللازم للاستثمار من خلال تقديم القروض الحسنة لتمويل المشاريع الصغيرة، أو المشاركة في إقامة المشاريع، أو من خلال الآثار غير المباشرة والمتمثلة في: تشجيع الاستثمار وحب العمل المنظم والكسب، وتحسين مستوى المهارات الذاتية للأفراد، ورفع القدرة الإنتاجية لهم من خلال التعليم والصحة والتدريب، وتحقيق الأمن لتهيئة البيئة المناسبة للاستثمار^(١). وأخيرا يمكن الإشارة إلى أنه وحسب النظرية الاقتصادية فإن الزيادة في الطلب الاستهلاكي سرعان ما تتحول

(١) ابراهيم، يوسف، مؤسسات العمل الخيري ودورها في تحقيق التنمية الاجتماعية في مصر، مرجع سابق، ص ٥٣.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

إلى زيادة في الطلب الاستثماري، وبالتالي يزداد الإنتاج بزيادة طلب المجتمع على السلع.

٣ - أثر العمل الخيري في إعادة توزيع الدخل والاستهلاك.

يعد عدم العدالة في توزيع الدخل في المجتمع من أهم معوقات التنمية، ومن أكثر أسباب التخلف، لذا فإنه وفي حال تحقيق تنمية في أي مجتمع لابد من السؤال عما حدث للفقر والبطالة وتوزيع الدخل، ليُحكَم بعدها على مقدار التنمية المتحققة، وعلى الرغم من أن الإسلام يقر التفاوت في الدخل، حيث يقول الله تعالى ﴿أَمْهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزُّخْرُف: ٣٢] ألا أنه جعل هذا التفاوت منضبطاً ومقبولاً يضمن لكل فرد من أفراد المجتمع حد الكفاية، لذا فقد كُلف كل فرد من أفراد المجتمع بتأمين هذا الحد له وللمن يعول، وفي حال تعذر ذلك عليه، انتقل الواجب للمجتمع المسلم لتأمين هذا الحد له من خلال عدة قنوات منها العمل الخيري^(١).

ولعل من أبرز آثار الأعمال الخيرية العمل على إعادة توزيع الدخل من الفئات الغنية للفئات المحتاجة في المجتمع، وهذا الأمر يؤدي إلى تقليل حدة التفاوت، وزيادة الاستخدام الأمثل للموارد، وبالتالي زيادة النمو والاستقرار الاقتصادي، وذلك أن نقل الأموال من الأغنياء للفقراء يُمكنهم من إشباع مزيد من

(١) حمود، الشامي، العمل الخيري ودوره في ضبط وتحقيق استقرار المجتمع، تجارب الجمعيات الخيرية في جنوب الاردن، بحث مقدم لمؤتمر التمكين الاقتصادي، مركز الاردن الحديث للدراسات، عمان، ٢٠٠٩، ص ٥٣.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية

الحاجات الأساسية التي لم تشبع سابقاً، ونظراً لأن الفقراء يتميزون بميل حدي استهلاكي مرتفع مقارنة بالأغنياء، فإن أي زيادة في دخولهم تؤدي إلى زيادة الطلب الاستهلاكي، مما يدفع المستثمرين إلى زيادة إنتاج هذه السلع، وبفعل المضاعف فإن تحفيز الطلب الاستهلاكي سوف يحفز الطلب الاستثماري^(١).

ويشير عديدٌ من الاقتصاديين إلى أن إعادة توزيع الدخل سوف تؤدي إلى مزيد من النمو والاستقرار الاقتصادي وذلك من خلال ما يلي^(٢):

- زيادة الاستهلاك والادخار لدى الفقراء ستؤدي إلى زيادة الإنتاج وحدوث مزيد من النمو والاستقرار الاقتصادي.
- يعطي مزيداً من الاستقرار السياسي والاقتصادي على المستوى الكلي في المجتمع ويوفر مناخاً إيجابياً للتنمية.
- رفع الكفاءة الإنتاجية عند الفقراء، مما يؤدي إلى زيادة الإنتاج وحدوث النمو الاقتصادي.
- زيادة المستوى التعليمي للفقراء، مما ينعكس على زيادة الإنتاجية والنمو الاقتصادي.

وقد بين الاقتصاديون أن عملية إعادة توزيع الدخل تحقق مزيداً من الرفاهية على المستوى المجتمعي، وذلك لأن مجموع المنافع التي يفقدها الأغنياء نتيجة لانخفاض دخولهم أقل من مجموع المنافع التي يحصل عليها الفقراء الذين

(١) الرمالي، زيد، الإسلام والتنمية الاقتصادية، مرجع سابق، ص ١١٢.

(٢) وديع، عبد الله، العمل التطوعي في الضفة الغربية ودوره في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، مرجع سابق، ص ١٩٧.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

يتلقون المساعدات، أما في الإسلام فإن الأغنياء الذين يقدمون النفقات الخيرية، إنما يسعون إلى تعظيم منافعهم في الآخرة، وذلك لأن المنفعة التي يسعى المسلم إلى تعظيمها لا تقتصر على الحياة الدنيا بل تمتد إلى الحياة الآخرة^(١)، وبذلك يمكن القول أن الإنفاق الخيري يرفع مستوى الرفاه في المجتمع من خلال التأثير في عملية إعادة توزيع الدخل في المجتمع المسلم، كما يمكن توضيح العلاقة بين العمل الخيري وإعادة توزيع الدخل وأثر ذلك في الاستهلاك، من خلال علاقة الاستهلاك الديني بثواب الآخرة حيث يرتبط مستوى الاستهلاك في الإسلام بتحقيق المصلحة، وهي التي تحقق للمسلم الفلاح في الدنيا والآخرة^(٢).

وأخيرًا يمكن الإشارة إلى أنه وحسب النظرية الاقتصادية فإن الزيادة في الطلب الاستهلاكي سرعان ما تتحول إلى زيادة في الطلب الاستثماري، وبالتالي يزداد الإنتاج بزيادة طلب المجتمع على السلع، كما يمكن بيان أثر الأعمال الخيرية في الطلب الاستهلاكي من خلال إعادة توزيع الدخل ورفع المستوى التعليمي والصحي للأفراد المستفيدين^(٣)، حيث إن ذلك سيؤدي إلى زيادة قدرتهم على الإنتاج، وبالتالي زيادة دخولهم، ومن ثم زيادة طلبهم الاستهلاكي.

(١) عماد، حمدان، العمل التطوعي في الإسلام تجارب من العصر الحديث، دار الانوار للنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠١٣، ص ١٥٧.

(٢) حمود، الشامل، العمل الخيري ودوره في ضبط وتحقيق استقرار المجتمع، مرجع سابق، ص ٦١.

(٣) ابراهيم، يوسف، مؤسسات العمل الخيري ودورها في تحقيق التنمية الاجتماعية في مصر، مرجع سابق، ص ٧٤.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية

٤ - أثر العمل الخيري في تحقيق الاستقرار الاقتصادي:

يشير مفهوم الاستقرار الاقتصادي إلى الحالة التي تغيب فيها التقلبات الحادة في متغيرات الاقتصاد الكلي، مثل النمو الاقتصادي والبطالة والتضخم والاستهلاك والاستثمار^(١)، ويعد تحقيق الاستقرار الاقتصادي هدفاً لكل سياسات التنمية في دول العالم المتقدم والنامي على حد سواء، كونه يسهم في تحقيق عملية التخطيط الاقتصادي، كما يسهم في تعزيز الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، وفي هذا المجال تشير الدراسات الاقتصادية المتخصصة إلى أن تحقيق الاستقرار الاقتصادي يمكن تحقيقه ليس بمجهودات القطاع العام والخاص فقط بل من خلال إضافة الجهود التي يقوم بها القطاع الثالث وهو القطاع الخيري^(٢).

وفي سبيل الوصول إلى هدف الاستقرار الاقتصادي، فإن الحكومات تلجأ لاستخدام أدوات مالية واقتصادية مختلفة أهمها السياسات المالية والنقدية وسياسات الأجور والأسعار والعمالة^(٣)، أما عن دور العمل الخيري في تحقيق هذا الهدف، فيمكن توضيح ذلك الدور من خلال تأثيره في المتغيرات الاقتصادية المختلفة، وخاصة في عمل السياسات المالية والنقدية التي يمكن توضيحها فيما يلي:

(١) وديع، عبد الله، العمل التطوعي في الضفة الغربية ودوره في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، مرجع سابق، ص ٢٣٤.

(٢) العياصرة، حمزة، العمل الخيري في الاردن الواقع والتطلعات، بحث مقدم لمؤتمر العمل الخيري، جامعة جرش، الاردن، ٢٠٠٨، ص ٤٧.

(٣) عماد، حمدان، العمل التطوعي في الاسلام تجارب من العصر الحديث، مرجع سابق، ص ٨٥.

- أشار العمل الخيري في أداء السياسة المالية :

تعرف السياسة المالية بأنها مجموعة الأدوات التي تستخدمها الدولة للتأثير في النشاط الاقتصادي لتحقيق هدف معين^(١)، وتتكون الأدوات من أدوات الإنفاق العام وأدوات الإيرادات العامة، وبما يحقق الأهداف الاقتصادية للدولة، التي من أهمها الاستقرار الاقتصادي، ومما لا شك فيه أن من أهم أدوات السياسة المالية الإنفاق العام والضرائب، إذ تلجأ الحكومات إلى زيادة الإنفاق العام في حالات الانكماش والبطالة، وخفضه في حالات التضخم، كذلك تلجأ إلى تخفيض الضرائب في حالات الانكماش وزيادتها في حالات التضخم^(٢).

وعندما تكون مصادر العمل الخيري كبيرة في المجتمع فإن الحكومة يمكنها أن تخفض كثيراً من النفقات، أما في الحالات التي تكون فيها مصادر العمل الخيري قليلة في المجتمع فإن هذا الأمر يزيد من العبء الملقى على كاهل الحكومة، وبالتالي يزيد من عجز الموازنة، ويحدث العكس في حالة التضخم إذا ما استمرت مؤسسات العمل الخيري في زيادة إنفاقها، وبالتالي فإنه يجب أن يقتصر عمل هذه المؤسسات في حالات التضخم على التبرعات العينية تجنباً لمزيد من التضخم، وإذا نظرنا إلى أشكال العمل الخيري المختلفة فإنها تعمل على نقل الأموال من الأغنياء إلى الفقراء مما يسهم في زيادة التشغيل والحد من البطالة، كما يسهم في الحد من التضخم من خلال انتقال الأموال الفائضة والمكتنزة إلى الفقراء لتصبح ذات منفعة حدية أعلى من خلال توجيهها إلى

(١) خالد، جبرين، الأهمية الاقتصادية للأعمال التطوعية، دار الجيل الجديد للنشر، القاهرة، الطبعة

الثالثة، ١٤٣٢، ص ٧٩.

(٢) العياصرة، حمزة، العمل الخيري في الاردن الواقع والتطلعات، مرجع سابق، ص ٤٩.

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية

الإنفاق وإشباع الحاجات الأساسية^(١).

- أثر العمل الخيري في أداء السياسة النقدية:

تعد السياسة النقدية أداة من أدوات السياسة الاقتصادية الكلية، إذ يمكن من خلال أدوات السياسة النقدية تحقيق الأهداف الاقتصادية ذات الأولوية للمجتمع، وتعرف السياسة النقدية على أنها مجموعة الإجراءات والترتيبات التي تتخذها الدولة في إدارة النقد والائتمان وتنظيم السيولة العامة للاقتصاد^(٢).

وتنقسم هذه السياسة إلى سياسات كمية، التي تهدف إلى زيادة كمية النقد والتسهيلات الائتمانية في أوقات الانكماش، وخفضها في أوقات التضخم، وسياسات نوعية، التي تهدف إلى دعم تحقيق الأهداف السابقة^(٣).

وللعمل الخيري دور مهم في دعم تلك الأهداف، وذلك أن إنفاق الأفراد الخيري يزداد في أوقات الشدة والعسر، ويقل أوقات الرخاء والتضخم، إلا أنه يجب التنسيق بين المؤسسات الحكومية والخيرية من أجل ضبط نمو عرض النقد وبما ينسجم مع النمو الحاصل في الإنتاج، وكذلك بما يتناسب مع النمو السكاني، وهذا الأمر يتطلب أن تكون مؤسسات العمل الخيري لديها الدراية الكافية بالمتغيرات الاقتصادية المختلفة، تجنباً لحدوث آثار اقتصادية

(١) الفنجري، محمد، العمل الخيري في الخليج العربي دراسة تطبيقية، دار شادي للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص ١٦٩-١٧٣.

(٢) ابراهيم، يوسف، مؤسسات العمل الخيري ودورها في تحقيق التنمية الاجتماعية في مصر، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٣) عماد، حمدان، العمل التطوعي في الاسلام تجارب من العصر الحديث، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

معاكسة للتوجهات التي تسعى السياسة النقدية للدولة لتحقيقها^(١).

كما يستلزم أن تكون السلطات النقدية محيطة بمؤسسات العمل الخيري وطبيعة أعمالها العينية والنقدية، وذلك من أجل توجيه هذه الأعمال بما يتفق مع السياسة النقدية العامة للدولة^(٢).

وقد أشار بعض الاقتصاديين إلى أن وظيفة إصدار النقد والتأثير في حجم التداول من اختصاص الدولة، وبناء على ذلك فيمكن للدولة أن تقيد أو تشجع الأعمال الخيرية بالقدر الذي يضمن نفاذ سياساته النقدية بما فيه مصلحة المجتمع، وبما يحقق الاستقرار ويحول دون حدوث التقلبات والأزمات الاقتصادية^(٣).

وأخيرًا فإنه يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها أن للعمل الخيري آثارًا في التنمية الاقتصادية من خلال آثاره في الإنتاج والاستثمار وإعادة توزيع الدخل والاستهلاك، وكذلك تحقيق الاستقرار الاقتصادي من خلال التأثير في أدوات السياسة المالية والنقدية، بالإضافة لدوره في تخفيض معدلات البطالة والفقر وزيادة معدلات الدخل الفردي وتحقيق معدلات نمو في الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي، وهذه هي من أهم مؤشرات الاستقرار الاقتصادي.

(١) خالد، جبرين، الأهمية الاقتصادية للأعمال التطوعية، مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٢) ابراهيم، يوسف، مؤسسات العمل الخيري ودورها في تحقيق التنمية الاجتماعية في مصر، مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٣) خالد، جبرين، الأهمية الاقتصادية للأعمال التطوعية، مرجع سابق، ص ١٨٢.



التوصيات

- الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية، التي تغرس قيم العمل الخيري التطوعي في نفوس أجيال المستقبل، لتنمية الموارد المجتمعية، سواء أكانت مادية أم بشرية.
- الاهتمام بدور التعليم بمؤسساته ومناهجه؛ لتشجيع العمل التطوعي.
- الاهتمام بتدريب المتطوعين حتى تكون مجهوداتهم موجهةً ومؤثرةً في المجتمع.
- الاستعانة بوسائل الإعلام؛ لتقييم النماذج المشرقة للعمل التطوعي.
- تشجيع البحوث والدراسات العلمية التي تهتم بالعمل التطوعي ودور مؤسسات المجتمع المدني في هذا المجال.



المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابراهيم، يوسف، مؤسسات العمل الخيري ودورها في تحقيق التنمية الاجتماعية في مصر، بحث مقدم لمؤتمر العمل الخيري، عُمان، ٢٠٠٩.
- ٣- ابن ابي الدنيا، مكارم الاخلاق، دار النور للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.
- ٤- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة الاولى، ١٩٨٦، دار صادر، بيروت.
- ٥- البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- ٦- جرادات، منى، اثر القيم الاسلامية على التنمية الاقتصادية، دار المريخ، الخرطوم، الطبعة الثانية، ٢٠١٣.
- ٧- حمزة، اسماعيل، جمعيات العمل الخيري، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩.
- ٨- حمود، الشاملي، العمل الخيري ودورة في ضبط وتحقيق استقرار المجتمع، تجارب الجمعيات الخيرية في جنوب الاردن، بحث مقدم لمؤتمر التمكين الاقتصادي،

العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية

مركز الاردن الحديث للدراسات، عمان، ٢٠٠٩.

٩- حمود، هاشم، استراتيجيات تحقيق التنمية في الاقتصاد الاسلامي، دار حماه للنشر، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠٠٠.

١٠- خالد، عبد الحميد، التكافل الاجتماعي في الاسلام، دار السلام للنشر، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩.

١١- خالد، جبرين، الاهمية الاقتصادية للأعمال التطوعية، دار الجيل الجديد للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢.

١٢- الخالدي، محمد، اقتصاديات التنمية دراسات في التجارب العربي، دار عاصم للنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٢.

١٣- الرازي، محمد بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ج ١.

١٤- الرمالي، زيد، الاسلام والتنمية الاقتصادية، مؤسسة الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٣٥هـ.

١٥- الزمايل، عبد الرحمن، التنمية الاقتصادية في الفكر الاقتصادي الاسلامي، دار شباب الجامعة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٥.

١٦- العجلوني، خالد، التنمية الاقتصادية دراسات نظرية وتطبيقية، دار روابي عمان للنشر، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠١٧.

١٧- علوان، ناصح، العمل التطوعي ريادة وانجاز، دار المعرفة، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠١٤.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

- ١٨ - عماد، حمدان، العمل التطوعي في الاسلام تجارب من العصر الحديث، دار الانوار للنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠١٣.
- ١٩ - العياصرة، حمزة، العمل الخيري في الاردن الواقع والتطلعات، بحث مقدم لمؤتمر العمل الخيري، جامعة جرش، الاردن، ٢٠٠٨.
- ٢٠ - الفنجري، محمد، العمل الخيري في الخليج العربي دراسة تطبيقية، دار شادي للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
- ٢١ - محمد، عبد السلام، دراسات في التنمية الاقتصادية، مجموعة محاضرات في المركز الوطني للبحوث، عمان، ٢٠١٣.
- ٢٢ - الناصري، محسن، ثمار العمل الخيري في الاسلام، دار حبايب للنشر، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠١٢.
- ٢٣ - وديع، عبد الله، العمل التطوعي في الضفة الغربية ودورة في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، دار خلدا للنشر، عمان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨.
- ٢٤ - يوسف، عبد الرحمن، ثقافة العمل التطوعي، الدار الجامعية، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠١١.





دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

- الوقف الإسلامي أنموذجا -

الباحث: جمال الدين بوقزاطة



ملخص البحث

يعتبر العمل الخيري من أهم الأساليب المستخدمة للنهوض بمكانة المجتمعات، حيث يكتسب أهمية متزايدة يوماً بعد يوم، خاصة مع اتساع الهوة بين موارد الدولة وازدياد احتياجات الشعوب، حيث برز العمل الخيري، وخاصة الوقف الإسلامي، باعتباره إطاراً متميزاً للعمل الخيري، والذي لعب دوراً كبيراً بالغ الأهمية عبر التاريخ الإسلامي في سد تلك الفجوة. فالدولة لم تعد قادرة على توفير احتياجات أفرادها؛ لذلك كان لا بد من وجود جهة أخرى تساند الجهات الحكومية، وتكمل دورها لتلبية الاحتياجات الاجتماعية للشعوب. ومن هنا جاء هذه البحث ليبين جانباً من جوانب هذا التعاون؛ حيث إنه أبرز مفهوم العمل الخيري، والمفهوم الفقهي التقليدي والمعاصر والاقتصادي للوقف الإسلامي، ودوره في تخفيف العبء عن الدولة، كما أبرز - أيضاً - مفهوم الموازنة العامة للدولة وعجزها، وخصائصها. وقد أثبت هذا البحث أن للوقف دوراً كبيراً في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة، كما أثبت أن استقلالية موازنة الوقف مرجحة على دمجها في الموازنة العامة للدولة.



مقدمة

يعتبر العمل الخيري باباً من أهم أبواب الشريعة الإسلامية؛ حيث نادت به، وحثت عليه. ومن أهم موارد العمل الخيري الوقف الإسلامي، الذي يعتبر إطاراً متميزاً له؛ فهو سمة من سمات المجتمع المسلم، و يتصف بالدوام؛ لأن من شروطه بقاء الأصل والتصدق بثمرته، حيث إنه يتمتع بقيمة اقتصادية كبيرة، يعتمد عليها في تمويل مختلف المشروعات غير الربحية، ويعتبر قطاعاً ثالثاً بشكل مواز للقطاعين الحكومي والخاص؛ فهو يلعب دوراً مهماً في تفعيل الدورة الاقتصادية، وتخفيف العبء عن الدولة، التي تسعى بذاتها إلى الموازنة بين إيراداتها ونفقاتها العامة.

ومع توسع الدولة ونشاطها، وتدخلها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية؛ أدى ذلك إلى زيادة حجم الإنفاق الحكومي؛ وبالتالي زيادة الأعباء المالية للدولة، وتبعاً لذلك زادت حاجة الدولة إلى موارد إضافية.

ومن هنا يأتي اقتراح موازنة الوقف كإيراد مالي إضافي، له دوره وأثره في دعم الموازنة العامة للدولة.

❖ مشكلة البحث:

لم يجعل الإسلام المسؤولية كاملة على عاتق الدولة، بل ترك المجال أمام المجتمع للمشاركة في تدبير شؤونه، وكل ذلك مرتبط بالعمل الخيري. ويعتبر الوقف مؤسسة كبرى في منظومة العمل الخيري. والمتتبع لتاريخ الوقف

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

الإسلامي يجد أنه لعب دوراً في المجال الاقتصادي والاجتماعي. وفي الوقت المعاصر، ومع اتساع الدولة، وازيد حجم نفقاتها العامة على المجتمع، وتقصيرها في تلبية احتياجات أفرادها؛ بسبب قلة الموارد وزيادة المتطلبات؛ فإن الأمر الذي يطرح إشكالية محددة تتعلق بالكيفية التي يمكن للوقف من خلالها القيام بهذا الدور لعلاج هذا العجز. وبالتالي يمكن صياغة إشكالية هذا البحث كالآتي: "ما هو دور الوقف في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة؟"

ويمكن إبراز معالم هذه الإشكالية من خلال الأسئلة الآتية:

- ما هو الدور الاقتصادي للوقف في تخفيف العبء عن الدولة؟
- ما هي العناصر المشتركة بين موازنة الوقف والموازنة العامة للدولة؟
- ما هي الوضعية المناسبة للوقف، هل هي الدمج أو الاستقلالية؟

❖ أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته من كونه يتناول نظام الوقف الإسلامي كمورد فعال يساهم في تحقيق أهداف السياسة الاقتصادية للدولة، ويساعد على توفير موارد إضافية، باعتباره يملك وعاء اقتصادياً؛ فهو يضم الأراض الفلاحية، والبساتين، والأراضي البيضاء، والمحلات التجارية، والشركات الوقفية، وغيرها....

ويهدف البحث إلى:

أولاً: تحديد مفهوم العمل الخيري عموماً، والوقف الإسلامي كإطار متميز

له.

ثانياً: إبراز الدور الاقتصادي للوقف، ومساهمته في تخفيف أعباء الدولة.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ثالثا: تحديد مفهوم الموازنة العامة، وخصائصها، وبنودها، وأسباب عجزها.

رابعا: إبراز دور الوقف في دعم الموازنة العامة كمؤسسة لها شخصيتها

المعنوية.

❖ فرضية البحث:

ينطلق هذا البحث من فرضية مضمونها أن الوقف قوة اقتصادية، يملك من

العناصر التنموية والأدوات المالية ما يؤهله لعلاج أزمات الموازنة العامة للدولة.

ومن أجل اختبار الفرضية السابقة، وتحقيق الأهداف المتوخاة من البحث؛

فقد جاءت هذه الدراسة في: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة، فقد تضمنت أهمية هذا الموضوع، وأهدافه، وإشكاليته، وخطته

الهيكلية.

المبحث الأول: موازنة العمل الخيري:

الفرع الأول: مفهوم العمل الخيري.

الفرع الثاني: الوقف كإطار متميز للعمل الخيري.

الفرع الثالث: الدور الاقتصادي للوقف.

الفرع الرابع: مساهمة الوقف في تخفيف العبء عن الدولة.

المبحث الثاني: مدخل عام للتعريف بالموازنة العامة:

الفرع الأول: مفهوم الموازنة العامة.

الفرع الثاني: مفهوم عجز الموازنة العامة.

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

الفرع الثالث: مبادئ الموازنة العامة.

الفرع الرابع: بنود الموازنة العامة.

المبحث الثالث: موازنة الوقف وعلاقته بالموازنة العامة للدولة:

الفرع الأول: العناصر الوظيفية المشتركة بين موازنة الوقف والموازنة العامة للدولة.

الفرع الثاني: موازنة العمل الخيري: الدمج أو الاستقلالية؟

الفرع الثالث: مقترحات تطبيقية.

وأما الخاتمة، فقد حوت تقييماً عاماً لمباحث الدراسة، ورصداً دقيقاً لنتائجها.



المبحث الأول

موازنة العمل الخيري

مما لا شك فيه أن التاريخ الإسلامي سجّل حافل بأعمال الخير، التي تعددت وتنوعت مفاهيمه ومصادر تمويله، وكانت إحدى الخصائص التي لازمت الحضارة الإسلامية. والمتأمل في تاريخ العمل الخيري يجد أن الوقف يمثل أهم أنواع الأعمال التطوعية؛ وذلك بما يمتاز به من نظام متكامل دقيق، وما يتصف به من الاستمرارية، فما حقيقة العمل الخيري؟ وما حقيقة الوقف؟ وما مكانته في القرآن والسنة؟

❖ الفرع الأول: مفهوم العمل الخيري:

إن مصطلح العمل الخيري لم يرد بهذا التركيب في كتب الفقه الإسلامي، ولا في مصادر الدراسات الإسلامية، غير أن بعض الباحثين المعاصرين وضعوا تعريفات لمفهوم العمل الخيري، ومن هذه التعريفات ما يأتي:

١- ما قاله الدكتور علي بن إبراهيم النملة بأنه: "النفع المادي أو المعنوي، الذي يقدمه الإنسان لغيره، دون أن يأخذ عليه مقابلًا ماديًا، ولكن ليحقق هدفًا خاصًا أكبر من المقابل المادي"^(١).

(١). علي بن إبراهيم النملة، العمل الخيري الإسلامي في ضوء التحديات المعاصرة، (ص ١)، يوجد رابط في الصفحة ٨، من مذكرة الماستر للعمل الخيري.

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

٢- وعُرفَ بأنه: "مساهمة الأفراد في أنشطة الرعاية والتنمية الاجتماعية، يقوم على تعاون الأفراد مع بعضهم البعض في سبيل تلبية احتياجات مجتمعهم؛ الأمر الذي يدفعهم لتقديم التبرع بجهودهم وأوقاتهم وأموالهم لخدمة هؤلاء الأفراد، بهدف تحقيق الخير والمنفعة"^(١).

٣- وعرفه الباحث الاقتصادي فارس مسدود بأنه: "مجموع النشاطات المنظمة، التي يقوم بها الأفراد والمؤسسات ومنظمات المجتمع المدني، التي تهدف إلى خدمة المجتمع، وتعزيز ثقافة التكافل والتضامن فيه"^(٢).

✦ الفرع الثاني: الوقف كإطار متميز للعمل الخيري:

يعتبر الوقف أهم مكون لمنظومة العمل الخيري والتضامن الاجتماعي؛ فهو نظام شرعي وعمل خيري، وهذا ما جعل منه أنموذجاً خيراً متميزاً عن باقي الأعمال الخيرية الأخرى، إلزامية كانت أو طوعية.

١- تعريف الوقف:

١-١- الوقف (لغة):

أَي حَبَسَهُ حَبْسًا وَمَنَعَهُ وَأَمْسَكَهُ سَجْنَهُ، وَحَبَسَ الشَّيْءَ، وَقَفَهُ فَلَا يَبَاعُ

(١). كلثوم وهابي، التسويق في المنظمات غير الهادفة للربح، الجمعيات نموذجا، رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد بوقرة، بومرداس، ٢٠١٠-٢٠١١، (ص ٣).

(٢). فارس مسدود، الزيادة في العمل الخيري وربطه بالتنمية: الزكاة والأوقاف نموذجا، (ص ٣)، بحث موجود على الرابط التالي:

<https://giem.kantakji.com/article/details/ID/103>

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ولا يورث، وإنما تملك غلته ومنفعته^(١).

وجاء في معجم لسان العرب بمعنى: الوقوف خلاف الجلوس، يقال: وقف بالمكان وقفًا ووقُوفًا، ويقال: وقفت الدابة تقفُ ووقُوفًا، ووقفتها أنا وقفًا^(٢).

١-٢-١- الوقف في الفقه الإسلامي التقليدي:

اختلف الفقهاء في تعريفهم للوقف، غير أن الاختلاف الحاصل يكمن في أن معظمهم يدرج بعض الشروط أو الأركان في تعريفه، والبعض الآخر يكتفي بمفهومه، حتى إن التعاريف المنسوبة للأئمة الأربعة ليست تعريفات خاصة بهم، وإنما استنبطها أتباع المذاهب من فقه أئمتهم. والتعريف المختار هو تعريف ابن قدامة المقدسي، حيث عرفه بأنه: "تحسيس الأصل وتسبيل الثمرة"^(٣).

وسبب اختيار هذا التعريف أمران:

- كونه مستنبطًا من حديث النبي - ﷺ -: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها»^(٤).

(١). المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤، (ص ١٥٢).

(٢). أبو الفضل محمد ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، الجزء الأول، دار المعارف - القاهرة، مصر، ١٩١٩، (ص ٤٨٩٨).

(٣). محمد بن قدامة المقدسي، المغني، تحقيق: محمد شرف الدين خطاب، محمد السيد، الجزء السابع، دار الحديث، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤، (ص ٤٨٧).

(٤). أخرجه مسلم عن أبي هريرة (١٦٣١)، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، والترمذي عنه (١٣٧٦)، كتاب الأحكام، باب: في الوقف، وأبو داوود عنه (٢٨٨٠)، كتاب الوصايا، باب: ما جاء في الصدقة عن الميت.

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

- أن هذا التعريف لم يخُص في الأركان والشروط، والخوض في الأركان والشروط قد يخرج التعريف عن الغرض الذي وضع لأجله.

١-٢-٢- الوقف في الفكر الإسلامي المعاصر:

عرفه الدكتور منذر قحف بأنه: " منع التصرف في رقبة العين التي يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها، لجهة من جهات البر ابتداءً وانتهاءً"^(١).

وعرفه علي محمد يوسف المحمدي بأنه: " جهود مجتمع متمكن، بدواع ورؤى متفاوتة، لتثبيت خير أو استحداثه، أو درء شر أو التحصين منه، وضمان الاستمرار بمنع الزوال الإرادي، وإلزام التشغيل المستقبلي بحده الأدنى؛ وذلك لحفظ قرار وذاتية المجتمع إذا مادّت به ظروف ومتغيرات السياسة أو الاقتصاد برواسٍ محمية، ومشروعية محققة، وإشرافٍ منضبطٍ، وهذا التعريف ما هو إلا تفصيل مجمل لرسالة الوقف"^(٢).

١-٢-٣- الوقف من منظور اقتصادي:

عرفه الخبير الاقتصادي منذر قحف بأنه: "تحويل للأموال عن الاستهلاك، واستثمارها في أصول رأسمالية إنتاجية، تنتج المنافع والإيرادات التي تستهلك في المستقبل، جماعياً أو فردياً"^(٣). أي: تحويل جزء من الدخول والثروات الخاصة

(١). منذر قحف، الوقف الإسلامي: تطوره إدارته تنميته، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠، (ص ٦٢).

(٢) علي محمد يوسف المحمدي، الوقف فقهِه وأنواعه، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠١، (ص ١٥٠).

(٣) منذر قحف، الوقف الإسلامي تطوره إدارته تنميته، مرجع سابق (ص ٦٦).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

إلى موارد تكافلية دائمة، تخصص منافعها من سلع وخدمات وعوائد لتلبية احتياجات الجهات والفئات المستفيدة؛ مما يساهم في زيادة القدرات اللازمة لتكوين ونمو القطاع الخيري، الذي يعد أساس الاقتصاد الاجتماعي في الاقتصاد الإسلامي^(١)؛ لأنه من المعاني والمقاصد المدركة عقلاً وعرفاً أن الوقف لا يراد به ذات الوقف، إنما يراد منه استدامة دَرِّ العَلَّةِ، وذلك يستدعي توطيد الطبيعة الاستثمارية للوقف والاستثمار؛ لأجل توسيع الأصول الوقفية^(٢).

✦ الفرع الثالث: الدور الاقتصادي للوقف:

الوقف ليس مسألة تعبدية، غايتها البر والتقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - فحسب، وذلك بتطبيق أحكامه الفقهية التقليدية، بل هو مسألة تهتم بأعمال المال والاقتصاد والاستثمار والتسيير والرقابة، ومرتبطة بالتوقعات، وبطبيعة الإنسان والتحول التي تطرأ عليه فكرياً وعملياً واقتصادياً وسياسياً في المجتمع المعاصر، على المستويين الوطني والدولي معاً^(٣).

وإذا نظرنا إلى طبيعة الأموال الوقفية، بحسب محلها، نجد أنها أموال عقارية أو منقولة، بالإضافة إلى عنصر العمل، والذي يتمثل في النظارة والرقابة والإشراف. فهذه العناصر كفيلة بإنشاء مؤسسة اقتصادية قائمة بذاتها، يكون لها

(١) صالح صالح، المنهج التنموي البديل في الاقتصاد الإسلامي، دار الفجر، ط ١، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦، (ص ٦٣٨).

(٢) عبد الجبار السبهاني، دور الوقف في التنمية المستدامة، مجلة الشريعة والقانون، العدد ٤٤، كلية القانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، أكتوبر ٢٠١٠، (ص ٥١).

(٣). انظر: حسن القرواشي، الوقف الإسلامي في ضوء تحديات التاريخ ومستلزمات الفكر، مجلة الأوقاف، العدد ١٣، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ماي ٢٠١٣، (ص ١٩).

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

دور كبير وفعال في التنمية الاقتصادية، قياساً على المؤسسات الاقتصادية الأخرى المنتشرة في المجتمعات المعاصرة.

ما معناه أن الوقف في أصله وصورته ثروة إنتاجية، توضع من أجل التوظيف الاستثماري على سبيل الديمومة والاستمرارية، يمنع بيعه أو استهلاك قيمته، ويمنع تعطيله عن الاستغلال، كما يحرم الاعتداء عليه. وهذا يعني أن الوقف ليس ملكاً جامداً في الحاضر، ولكنه استثمار تراكمي، يتزايد يوماً بعد يوم^(١).

✦ الفرع الرابع: مساهمة الوقف في تخفيف العبء عن الدولة:

يستطيع الوقف أن يساهم في تخفيف العبء عن الموازنة العامة للدولة، من خلال أدائه لبعض الوظائف التي تؤديها الموازنة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية. ويتوقف الدور الذي يؤديه الوقف في التخفيف عن الموازنة العامة حسب نوعه والغرض منه، فالوقف يصنف - من حيث الشكل الفقهي والقانوني - إلى عام وخاص ومشترك؛ فالوقف العام: هو ما كان غرضه يشمل المجتمع بكامله أو جزءاً منه، سواء أكان هذا الشمول للناس كلهم أم للمسلمين أم لمن يقيمون في منطقة محددة، وبذلك يكون الوقف عاماً إذا كان للفقراء، مسلمهم وغير مسلمهم، أو كان لفقراء المسلمين فقط أو لفقراء غير المسلمين وحدهم، أو كان لفقراء منطقة بعينها دون غيرها. أما الوقف الخاص - ويسمى الأهلي أو الذُّرِّي -: فهو ما اختص الواقف بثمراته ومنافعه شخصاً معيناً أو أشخاصاً بأعيانهم، وأنهم يعينون بصلاتهم التي التي يمتون بها إليه، كأن يكون الوقف على

(١). صالح المالك، تنمية موارد الوقف والمحافظه عليها، أبحاث مؤتمر الأوقاف الأول، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١، (ص ٧٢).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

جيران للواقف بعددهم وبأسمائهم، أو على زوجة، أو أولاده وذرياتهم من بعدهم. والوقف المشترك: وهو أكثر شيوعاً من الوقف الدُّرِّي؛ إذ غالباً ما يجمع الواقف في أغراضه أعمال البر العامة مع البر الخاص بأهله وذويه؛ فيجعل نصف إيراد الوقف للفقراء والمساكين - مثلاً - ونصفه لأهله وذريته^(١).

لذلك؛ يمكن القول بأن الوقف يعتبر مصدر قوة مزدوجة، لكل من المجتمع والدولة معاً؛ أما من حيث كونه مصدراً لقوة المجتمع؛ فهو يوفر مؤسسات وأنشطة أهلية تلبى حاجات عامة وخاصة. وأما كونه مصدراً لقوة الدولة؛ فهو يخفف عنها أعباء القيام بأداء خدمات التكافل؛ مما يعينها على القيام بوظائفها الأساسية في حفظ الأمن، والقيام بواجب الدفاع، والقيام بالمشروعات التنموية العملاقة^(٢).



- (١). أحمد عبد الصبور عبد الكريم أحمد، دور الوقف في تخفيف العبء عن الموازنة العامة - دراسة مطبقة على الموازنة المصرية - أبحاث اقتصادية وإدارية، العدد ٣، جوان ٢٠١٣، (ص ٣٢٧).
- (٢). المرجع السابق، (ص ٣٢٧/٣٢٨).



المبحث الثاني

مدخل عام للتعريف بالموازنة العامة

✦ الفرع الأول: مفهوم الموازنة العامة:

هناك العديد من التعاريف التي أوردت للموازنة العامة، وعلى الرغم من اختلاف هذه التعاريف في صياغتها، إلا أنها تصب في نفس المضمون. ومن أهم هذه التعاريف وأوضحها: "الموازنة العامة هي تقدير معتمد من طرف السلطة التشريعية المعتمدة، للنفقات والإيرادات العامة للدولة، خلال فترة زمنية معينة. وهي عبارة عن وسيلة لتحقيق أهداف اقتصادية ومالية واجتماعية لفترة زمنية، فهي خطة مالية توضع سنوياً، ومعتمدة قانونياً، و تتضمن عدداً من البرامج والمشاريع التي سوف تنجزها الدولة خلال هذه الفترة الزمنية^(١)."

✦ الفرع الثاني: مفهوم عجز الموازنة العامة:

تعددت التعاريف التي حاولت أن تحدد مفهوماً دقيقاً لعجز الموازنة العامة للدولة، ومن أهمها:

"عجز الموازنة العامة للدولة هو إحدى الظواهر الأساسية للمالية العامة،

(١). إبراهيم علي عبد الله، أنور العجارمة، المالية العامة، دار صفاء للطباعة والنشر، عمان، (ص ٢٩).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ويقصد بالعجز في الموازنة زيادة الإنفاق الحكومي عن طريق الإيرادات الحكومية، أي: عدم توازن الموازنة العامة^(١). وهي قصور الإيرادات العامة المقدره للدولة عن سداد النفقات المقدره^(٢).

✦ الفرع الثالث: مبادئ الموازنة العامة:

١- مبدأ السنوية:

مضمون هذا المبدأ أن تقوم السلطة التنفيذية بإعداد مشروع الموازنة العامة للدولة في مدة اثني عشر شهراً المقبلة، على أن تقوم السلطة التشريعية بالمصادقة على هذا المشروع. ومنه يتضح لنا أنه من خلال مبدأ السنوية يتم تقدير نفقات الدولة وإيراداتها لمدة سنة واحدة، فيتم إعدادها وتنفيذها خلال فترة زمنية وهي السنة.

٢- مبدأ الشمولية:

لا بد أن تكون الموازنة العامة شاملة لكل النفقات العامة وإيراداتها، فلا بد أن تدرج فيها جميع الموارد قبل أن توجه لمختلف مجالات الإنفاق العام، ومبدأ الشمول يعتمد أساساً على أن تشمل الموازنة على النفقات والإيرادات بطريقتها بشكل كامل، وليس بشكل ناقص، بين أجزاء من النفقات والإيرادات، أي: لا بد

(١). عبد اللطيف ماجد، مأمون دقاسمة، الدين العام الداخلي وعجز الموازنة العامة للدولة الأردنية،

مجلة آفاق اقتصادية، مجلد ٢٢، العدد ٨٧ / الإمارات العربية، ٢٠٠١.

(٢). حسين راتب يوسف ريان، عجز الموازنة وعلاجه في الفقه الإسلامي، دار النفائس، الأردن،

١٩٩٩، ص ٩٢.

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

أن تكون النفقات مفصولة عن الإيرادات، ولا بد أن تظهر بكل مبالغها دون استثناء.

٣- مبدأ وحدة الموازنة:

الحكومة تعد موازنة واحدة تحتوي على كل النفقات العامة والإيرادات العامة، مهما تعددت مصادر الإيرادات العامة، ومهما تنوعت أوجه الإنفاق العام، بتنوع وتعدد المؤسسات والهيئات العامة التي تنفق عليها الدولة، فذكر كل الإيرادات العامة والنفقات العامة في جدول واحد يبسط ويسهل على السلطة التشريعية عملية الرقابة من جهة، ويسهل على السلطة التنفيذية عملية التقدير من جهة أخرى، والتعرف على رصيد الموازنة العامة للدولة؛ وبالتالي التعرف على المركز المالي للدولة^(١).

٤- مبدأ توازن الموازنة:

تعتمد هذه القاعدة على ضرورة تساوي كل الإيرادات العامة العادية مع كل النفقات العامة للدولة، ولا بد أن تكون هناك زيادة ولا نقصان فيها، فالإيرادات العامة لا تشمل الأموال التي تحصل عليها الدولة عن طريق الاقتراض أو عن طريق خلق وسائل جديدة. ولقد شهدت هذه القاعدة تطوراً كبيراً في الفكر المالي؛ نتيجة لتطور دور الدولة في الحياة الاقتصادية، فلقد كانت النظرية التقليدية السائدة في القرن التاسع عشر، وخلال النصف الأول من القرن العشرين، تقدر

(١). انظر:- لحسن دردوري، سياسة الميزانية في علاج الموازنة العامة للدولة - دراسة مقارنة:

الجزائر - تونس - أطروحة دكتوراه، ٢٠١٣ / ٢٠١٤.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

توازن الموازنة العامة؛ أي: أنها تؤمن بضرورة تساوي النفقات العامة مع الإيرادات العامة، لكن بعد الأزمة الاقتصادية عام ١٩٢٩، التي أعقبتها الحرب العالمية الثانية، أصبح من غير الممكن الالتزام بتحقيق التوازن بالوسائل الاعتيادية؛ لذلك تلجأ الدولة إلى المصادر غير الاعتيادية لتمويل نفقاتها العامة والمتزايدة، وكتيجة لذلك فقدت قاعدة توازن الموازنة العامة صفتها، وأصبح من الممكن أن يكون رصيدها موجباً أو سالباً، وفي بعض الأحيان يكون متوازياً، وذلك وفقاً لما يتماشى مع الأحوال الاقتصادية للدولة^(١).

٥- مبدأ عدم التخصيص:

وأساس هذه القاعدة هو عدم تخصيص إيراد معين من أجل تغطية نفقة معينة، ولكن تجمع كل الإيرادات دون تخصيص في قائمة واحدة، وفي الجانب الآخر قائمة النفقات العامة، فلا يجوز تخصيص إيراد معين من أجل تمويل إنفاق معين؛ فتخصيص إيرادات معينة يفقد الموازنة العامة مرونتها، زيادة على ذلك فقد يؤدي إلى الإسراف إذا كان حجم الإيراد المخصص للإنفاق العام كبيراً، أو قد يخل بأداء الخدمة إذا كان حجم الإيراد يقل عن النفقات اللازمة للخدمة^(٢).

❖ الفرع الرابع: بنود الموازنة العامة:

الموازنة العامة في مجملها تتكون من عنصرين: الإيرادات العامة والنفقات العامة، وبينهما ارتباط وثيق؛ لأن النفقات العامة هي من وظائف الدولة، وهذا

(١). عبد الحميد عبد المطلب، اقتصاديات المالية العامة، الدار الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٢٣٠.

(٢). فوزي فرحات، المالية العامة، منشورات الحلبي، بيروت، ٢٠٠١، ص ٦٩.

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

يجعلها بحاجة إلى إيرادات عامة تكون قادرة على تغطية هذه النفقات، ومن هنا وجب توضيح موجز لهذين العنصرين:

الإيرادات العامة: يقصد بالإيرادات العامة مجموعة من الدخول التي تحصل عليها الدولة من المصادر المختلفة؛ من أجل تغطية نفقاتها العامة، وتحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي^(١).

❖ والإيرادات العامة قد تكون عادية أو غير عادية:

١- ١- الإيرادات العادية:

يقصد بها تلك التي تحصلها الدولة بصفة منتظمة ودورية، وهي: الضرائب والرسوم ودخل أملاك الدولة.

١-١-١- الضرائب:

مبلغ من النقود، يجنيه أحد الأشخاص العامة جبراً من الأفراد، بشكل نهائي، ودون مقابل خاص؛ بهدف الوفاء بمقتضيات السياسة العامة للدولة^(٢).

وتعرف - أيضا - بأنها فريضة مالية، يدفعها الفرد جبراً إلى الدولة أو أحد هيئاتها العامة المحلية، وبصفة نهائية؛ مساهمة منه في التكاليف والأعباء العامة، دون أن يعود عليه نفع خاص مقابل دفعه للضريبة^(٣).

(١). سوزي عدلي ناشد، الوجيز في المالية العامة، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٠، (ص ٨٥).

(٢). مجدي شهاب، أصول الاقتصاد العام، الدار الجامعية الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٤، (ص ٣٠٣).

(٣). محمد الصغير بعلي، المالية العامة، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٣، (ص ٥٥).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

١-١-٢- الرسوم:

الرسم مبلغ من المال تحدده الدولة، ويدفعه الفرد في كل مرة تؤدي إليه خدمة معينة تعود عليه بنفع خاص، وتنطوي في نفس الوقت على منفعة عامة غالبية، وهذا ما يميز الرسم عن الضريبة؛ فالضريبة تجبى من الفرد جبراً، بغض النظر عن المنافع التي تعود عليه. أما الرسم، فأساس تحصيله هو المنفعة الخاصة التي تعود على دافعه من خدمة معينة تؤديها الدولة^(١).

✦ دخل أملاك الدولة:

ويقصد بأملاك الدولة جميع ممتلكات الدولة مهما كان نوعها، وتشمل جميع ممتلكات الدولة العقارية التي تتكون منها الأراضي الزراعية، والغابات، والمناجم، والمحاجر، والملاحات، يضاف إلى ذلك ما أصبحت تملكه الدولة في العصر الحديث من مشروعات صناعية وتجارية، وأسهم وسندات الشركات، وغيرها^(٢).

١-٢- الإيرادات غير العادية:

وهي الإيرادات الاستثنائية، ومنها: القروض، والإصدار النقدي، والإعانات، والهدايا...

١-٢-١- القروض العامة:

القرض هو عبارة عن عقد تبرمه الدولة أو أحد هيئاتها مع الجمهور أو مع

(١). حامد عبد المجيد دراز، مبادئ الاقتصاد العام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط٤،

١٩٧٩، (ص ٥٣).

(٢). المرجع نفسه (ص ٥٣).

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

دولة أخرى، تلتزم بموجبه على سداد مبلغ القرض وفوائده بحلول موعد السداد، ويكون ذلك طبقاً لإذن السلطة التشريعية^(١).

وقد تلجأ الحكومة إلى القروض العامة لتمويل بعض نفقاتها، وخاصة في حالات تمويل عمليات تكوين رأس المال (الاستثمار)، أو مواجهة نفقات الحروب، وتعويض الخسائر الناتجة عنها، أو مواجهة عجز مؤقت في الإيرادات العامة للدولة^(٢).

١-٢-٢- الإصدار النقدي:

يتمثل الإصدار النقدي في خلق كمية إضافية من النقد الورقي، تستخدمها الدولة في تمويل نفقاتها العامة. وتستطيع الدولة أن تقوم بإصدار النقود الإضافية إذا كانت هي التي تتولى عملية الإصدار، أو إذا كان بنك الإصدار - البنك المركزي - فيها مؤمماً^(٣).

١-٢-٣- الإعانات والهدايا:

تتلقى بعض الدول النامية إعانات من دول أو مؤسسات أجنبية، وتسمى هذه الإعانات بالإعانات الخارجية، وتساعد الإعانات هذه الدول في تنفيذ بعض

(١). سعيد علي العبيدي، اقتصاديات المالية العامة، دار دجلة، الطبعة الأولى، عمان، ٢٠١١، (ص ١٦٤).

(٢). علي لطفي، اقتصاديات المالية العامة، القاهرة، مكتبة عين شمس، ١٩٨٧/١٩٨٨، (ص ٧٦).

(٣). عادل فليح العلي وطلال محمود كداوي، اقتصاديات المالية العامة، العراق، جامعة الموصل، ١٩٨٩، ج ٢، (ص ٢٦٢).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

المشاريع، وفي سد العجز في موازنتها^(١).

وأما الهبات، فهي المبالغ النقدية أو الممتلكات التي تؤول إلى الدولة نتيجة لانقطاع الوارث، أو التي تدفع وتقدم اختياراً بواسطة الأفراد والشركات على شكل تبرعات لمواجهة حالات الحروب أو الكوارث التي تقع داخل البلاد^(٢).

٢ - النفقات العامة:

٢-١ - تعريف النفقات العامة:

من أهم التعاريف الواردة عند علماء المالية للنفقة العامة ما يأتي:

- النفقة العامة هي: صرف إحدى الهيئات والإدارات العامة مبلغاً معيناً لغرض سدّاد إحدى الحاجات العامة^(٣).

- هي: مبلغ نقدي يخرج من الذمة المالية للدولة، أو أحد تنظيماتها، بقدر إشباع حاجة عامة^(٤).

٢-٢ - الغرض من النفقات العامة:

يشترط في النفقة العامة أن تكون موجهة لصالح المجتمع من أجل إشباع حاجاته ورغباته، أي: أن الهدف منها هو تحقيق النفع العام أو المصلحة العامة،

(١). محمد شاكر عصفور، أصول الموازنة العامة، الرياض، مكتبة الصفحات الذهبية، ١٩٨٨، (ص ٣٥٥).

(٢). المرجع نفسه (ص ٣٥٦).

(٣). محمد الصغير بعلي، المالية العامة، دار العلوم والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٣، (ص ٢٣).

(٤). عبد الكريم صادق بركات، الاقتصاد المالي، ط ٢، دمشق: منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٢/١٩٩٣، (ص ٦٠).

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

بحيث لا تعتبر نفقة عامة تلك التي تهدف إلى إشباع الحاجات الخاصة، أو تحقيق منفعة خاصة. ومن أمثلة النفقات العامة الإنفاق على القضاء والدفاع والتعليم والصحة، فإذا قامت الدولة بإنفاق مبلغ من المال لإنشاء حديقة خاصة لأحد أصحاب السلطة والنفوذ، فهذا المبلغ لا يعتبر بأي شكل من الأشكال نفقة عامة. والنفقات العامة تمول من الضرائب والرسوم والقروض بأنواعها المختلفة، والتي يقع عبؤها على جميع الأفراد، ومنه يكون من حقهم جميعاً الاستفادة من هذه النفقات؛ تماشياً مع مبدأ العدالة ومراعاة الصالح العام^(١).

ومنه نلاحظ أن الهدف الأول للنفقة العامة هو إشباع الحاجات العامة، والتي

تقسم إلى نوعين، وهما:

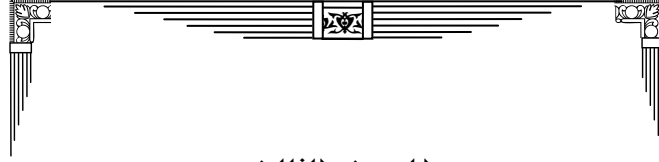
أ- الحاجات المستحقة:

وهي تلك الحاجات الحديثة الإشباع، مثل: إشباع حاجات الإسكان والنقل والتعليم، وتحدد نوعية هذه الخدمات وأهميتها حسب المذهب الاقتصادي والسياسي السائد، إضافة إلى ميول الدولة في التدخل بشكل متزايد في الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

ب- الحاجات الاجتماعية:

وهي عبارة عن الحاجات الأساسية التي ترتبط بقيام الدولة بأدائها، مثل: إشباع حاجات الدفاع والأمن، والقضاء، والبنية الأساسية.

(١). سوزي عدلي ناشد، الوجيز في المالية العامة، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٠، (ص ٣٣).



المبحث الثالث

موازنة الوقف وعلاقتها بالموازنة العامة للدولة

✦ الفرع الأول: العناصر الوظيفية المشتركة بين موازنة الوقف والموازنة العامة

للدولة:

من خلال التعرف على كل من ماهية الموازنة العامة، والوقف، يمكن القول بوجود عناصر مشتركة بين موازنة الوقف ومبادئ الموازنة العامة.

• العنصر الاجتماعي:

تستهدف نفقات الموازنة العامة للدولة - غالباً - رفع المستوى المعيشي للفئات المحرومة والطبقات الهشة في المجتمع، ولو نظرنا في الوقف نجد له نفس الهدف من الاهتمام بعلاج المرضى، وكفالة الأيتام، ومساعدة الفقراء وذوي الاحتياجات الخاصة، وغيرها...

• عنصر السنوية:

سبق البيان أن الموازنة العامة للدولة تقدير مفصل ومعتمد للنفقات والإيرادات العامة عن فترة مالية مقبلة، غالباً ما تقدر بالسنة الواحدة، وحددت بالسنة؛ لأنها المدة التي تستطيع فيها الحكومة تحضير وإقرار الموازنة ثم

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

تنفيذها^(١).

والمتمأمل في عائدات الوقف يجد أنها كثيراً ما تُحد بالسنة؛ فأغلب الموقوفات مما يقطع كل سنة، كالمحاصيل الزراعية، والدور، والحوانيت المستأجرة، كما أن الجهات القائمة على صرف ريع الوقف تراعي حاجة الفقير، وقد ضبطها الفقهاء بالسنة.

• عنصر الشيوخ:

تقوم الموازنات الحديثة على أساس مبدأ الشيوخ؛ أي: شمولية الموازنة العامة على كافة النفقات والإيرادات، بحيث لا نخصم نفقات أي مرفق من إيراداته، كما لا يخصص إيراد معين لنفقة معينة.

فلا يجوز - بناء على هذا المبدأ - أن نخصص - على سبيل المثال - الرسوم القضائية لنفقات المحاكم، ورسم الأجهزة السلوكية لنفقات محطات الإذاعة، ولا رسوم التعليم، التي يدفعها الطلبة، لتغطية جزء من نفقات الجامعة، وهكذا^(٢).

ونظام الوقف يزاوج بين قاعدتي الشيوخ والتخصيص، فبعض مصارف الوقف قد تكون محددة معينة من طرف الواقف، كما أنه يمكن أن تخضع مصارف الوقف لمبدأ الشيوخ، فناظر الوقف يملك المرونة في التصرف في التعامل مع مصروفات أوقاف المحسنين، الذين لا يرون حرجاً في الوقف على غرض

(١). جمال لعمارة، منهجية الميزانية العامة للدولة في الجزائر، الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، ١٤٢٣هـ، (ص: ٨٧).

(٢). حمدي بن محمد، توازن الموازنة العامة، عمان، دار النفائس، ط ١، ١٤٣٣هـ، (ص: ٥١، ٥٠).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

غير محدد، بل يتكون ذلك لناظر الوقف، ويخولون له حرية التصرف فيه ما دام أميناً. وقد وقف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أرض السواد على كافة المسلمين، وأقرها في أيدي أربابها بخراج ضربه على رقاب الأراضين يكون أجرة لها تؤدى في كل عام، ويكون المأخوذ من خراجها مصروفاً في المصالح، التي منها أرزاق الجيش، وتحصين الثغور، وبناء الجوامع والقناطر، وكراء الأنهار، وأرزاق من تعم بهم المصلحة من القضاة والشهود والفقهاء والقراء والأئمة والمؤذنين^(١).

✦ الفرع الثاني: موازنة العمل الخيري الدمج أو الاستقلالية؟

تحكم الموازنة العامة قواعد فنية عديدة، منها: قاعدتا وحدة الموازنة وشيوعها. أما التنظيم الفني لموازنة الوقف، فهو لا ينبني على القاعدتين السابقتين؛ إذ إن إيراداته المتجددة مخصصة المصارف على المستوى النوعي؛ فهو يستهدف فئات معينة من المواطنين.

فهل يمكن في ظل هذا التباين أن نحافظ على قاعدتي الوحدة والشيوع في الموازنة العامة للدولة، بإدماج مخرجات الوقف في الموازنة العامة، دون أن تنحرف بالوقف عن مقاصده الشرعية، أم أنه لا بد من استقلالية موازنة الوقف؟

هناك من يرى ضرورة وضع موازنة واحدة وعامة لكل من الإيرادات والنفقات^(٢)، بينما يرى فريق آخر من الباحثين تخصيص موازنة للضمان

(١). الماوردي، الأحكام السلطانية، القاهرة، دار الحديث، (ص: ٢٦٠).

(٢). وهو مختار الأستاذ عبد الوهاب خلّاف، السياسة الشرعية، المطبعة السلفية، ١٣٥٠ هـ، (ص: ١٣٦).

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

الاجتماعي، وأخرى عامة؛ مبرراً ذلك بإمكانية التخصيص من جهة، ولدفع الناس إلى الوثوق بالعمليات التضامنية من جهة أخرى^(١).

ويمكن ترجيح مبدأ الاستقلالية؛ اعتباراً بالأوجه الآتية:

أ- إن طبيعة الفكر الإسلامي - بما في ذلك الوقف - لا تتفق مع مبدأ وحدة الموازنة العامة للدولة؛ فقد اعتمد على قاعدة تعدد الموازنات، وهي قاعدة مشتقة من فكرة التخصيص، التي تهدف إلى تحقيق التنمية الاقتصادية ورفع كفاءة استخدام المال العام، وضمان مكانة خاصة لنفقات الضمان الاجتماعي، فجعل للزكاة موازنة، وللوقف موازنة، وهكذا...^(٢).

ب- قياساً على الموازنة المستقلة للزكاة، وقد كتب أبو يوسف إلى هارون الرشيد: "ولا تولها عمال الخراج؛ فإن مال الصدقة لا ينبغي أن يدخل في مال الخراج؛ لأن الخراج فيء لجميع المسلمين، والصدقات لمن سمى الله - عز وجل - في كتابه"^(٣).

ج- إن المالية الحديثة أصبحت تسمح بإيجاد موازنات مستقلة لخدمة أهداف إنسانية واجتماعية واقتصادية، فنجد إلى جانب الموازنة الرئيسية موازنات أخرى، مثل: الموازنات غير العادية، (نفقات الحروب مثلاً)، والموازنات المستقلة، والموازنات الملحقة.

(١). وهو مختار الشيخ محمد أبو زهرة، بحث الزكاة، كتاب المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، ١٩٦٥م، (ص: ١٨٩).

(٢). خليف عيسى، هيكل الموازنة العامة للدولة، عمان، دار النفائس، ط١، ١٤٣٢، (ص: ٨٢).

(٣). أبو يوسف، الخراج، بيروت، دار الحديث، ١٩٩٠، (ص: ١٩٦).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ويجدر التنبيه إلى أن الأخذ بمبدأ استقلالية موازنة الوقف عن الموازنة العامة لا يظهر أثرها على حصيلة الإيرادات العامة للدولة، وإنما يظهر أثرها في جانب النفقات العامة، حيث تتولى حصيلة الوقف التكفل بكثير من النفقات الاجتماعية التي كانت الدولة تتولى الإنفاق عليها، مما يعني أن الجزء المخصص لهذا النوع من النفقات سوف يتم توفيره ليوجه إلى تغطية نفقات أخرى في الموازنة العامة.

❖ الفرع الثالث: مقترحات تطبيقية:

لقد سبق تناول العلاقة بين موازنة العمل الخيري والموازنة العامة للدولة؛ مما يسمح بوضع مقترحات تطبيقية لدور الوقف في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة:

١- تفعيل الدور الاجتماعي للوقف:

حينما كانت أهم وظائف موازنة الوقف في المجتمعات الإسلامية تحقيق الرعاية الاجتماعية، من خلال التكفل المستمر بالفئات الضعيفة؛ فإن ذلك يحدث تقاطعاً وظيفياً بين ما يخصص في الموازنة العامة لتمويل الفئات الاجتماعية، وما يخصص في موازنة الوقف لنفس الأعراس، وهذا ما يدفع إلى البحث عن آثار الوقف في دعم الموازنة العامة. ويكَيَّفُ الوقف على أنه نوع ثالث من أنواع الملكية (الملكية الاجتماعية التكافلية)؛ فهو قطاع توازني بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة. والمتبع لنظام الوقف عبر التاريخ الإسلامي يدرك ما له من دور فعال في تخفيف الأعباء المالية للدولة الإسلامية؛ حيث سجل التاريخ نماذج رائعة من الأوقاف يصعب تكرارها في أية حضارة إنسانية أخرى؛ فقد

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

تجاوز الوقف الإسلامي حاجات الناس إلى حاجات الدواب والحيوان^(١).

٢- الاستثمار الوقفي:

لا يخفى أن الأوقاف - بشكلها الحالي - تقتصر على الجانب التوزيعي، فناظر الوقف يحرص على ضمان توزيع المنفعة على المستحقين، مع المحافظة على الأصل، ولا يتعداه إلى استثمار الأموال الوقفية ومضاعفة عائداتها^(٢).

ولذا؛ يقترح توظيف ودائع تحت الطلب باسم الودائع الوقفية، التي تمكن صاحب مبلغ من المال، هو ليس بحاجة إليه لفترة معينة، أن يسلمه للمؤسسة الوقفية، على أساس "وقف مؤقت" في شكل وديعة يسترجعها متى شاء، وتقوم المؤسسة بدمج هذه الوديعة مع ما لديها من أوقاف نقدية وتوظفها^(٣).

ويجدر التنبيه إلى وجوب تخصيص جزء من ريع الأوقاف المستثمرة إلى جهات البر التي حددها الواقفون.

٣- صكوك العقارات المؤجرة:

حيث إن إجارة الموقوف والانتفاع بإجارته محل اتفاق بين الفقهاء، وأن تحويل الأعيان والمنافع التي تتعلق بها عقد الإجارة إلى أوراق مالية (صكوك) أصبحت إحدى الأدوات المالية المتبعة بعد إجازتها من مجمع الفقه الإسلامي،

(١) أحمد ديب، ماذا يمكن للوقف أن يقدمه للموازنة العامة في الجزائر- الأسس والمحددات - مجلة الشريعة والاقتصاد، العدد ١٠، كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/ قسنطينة، الجزائر، (ص ٣٩٣).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٣٩٧).

(٣) حمدي بن محمد، توازن الموازنة العامة، مصدر سابق، (ص ٣٥٥).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

فيمكن للمؤسسة الوقفية أن تطرح هذه الصكوك وتبيعها للجمهور لتنفيذ مشاريع تستفيد من أعيانها الدولة بالإيجار، ولا تحتاج إلى إنفاق بقصد التمليك^(١).

وقد نص قرار مجمع الفقه الإسلامي على أن "صك الإجارة لا يمثل مبلغاً محدداً من النقود/ ولا هو دين على جهة معينة، سواء أكانت شخصية طبيعية أم اعتبارية، وإنما هو ورقة مالية تمثل جزءاً شائعاً (سهماً) من ملكية عين استعمالية، كعقار أو طائرة أو باخرة، أو مجموعة من الأعيان الاستعمالية - المتماثلة أو المتباينة - إذا كانت مؤجرة، تدر عائداً محدداً بعقد الإجارة"^(٢).

٤- القروض الوقفية الحسنة:

إن من الأغراض التي تحدث عنها الفقهاء قديماً لوقف النقود هي القرض الحسن، فيقع التحبب على رأس المال ويتصدق بمنفعة استخدام النقود مدة للمحتاج إليها، ثم يردها بلا زيادة، ويمكن للصندوق أن يستفيد منها من صيغة الوقف المؤقت التي أجازها المالكية، فيسمح لذوي اليسار إيداع أموالهم الفائضة عن الحاجة وقتاً ثم استردادها، وهي في هذه الفترة تقرض للمحتاج يتفجع بها^(٣).

إلا أن العائق الأكبر الذي يهدد نجاح هذا الإجراء هو غياب عنصر الثقة بين الحكومة والمقرضين في بعض البلدان بشأن سداد الديون في مواعيدها المحددة.

(١). طارق عبد الله، دعم الوقف للموازنة العامة، مجلة الأوقاف، السنة التاسعة، العدد ١٦، جمادى الأولى، ١٤٣٠هـ، ماي ٢٠٠٩، (ص ١٣١).

(٢). قرار رقم ١٣٧ (١٥.٣)، الدورة ١٥، بمسقط ١٤-١٩ محرم ١٤٢٥هـ، الموافق ل ٦-١١-٢٠٠٤ م.

(٣). أحمد ديب، ماذا يمكن للوقف أن يقدمه للموازنة العامة في الجزائر- الأسس والمحددات - مرجع سابق، (٣٩٥).

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

٥- التمويل بالمشاركة:

إن التمويل بالمشاركة بين الدولة والمؤسسات الوقفية هو أنجع الأساليب لتمويل موازنة الدولة والحد من عجزها؛ لأن هذا الأسلوب يتميز بميزتين^(١):

أ- أنه البديل الإسلامي للفوائد الربوية المحرمة شرعاً.

ب- أن التزامات التسديد - لمن قدموا التمويل بالمشاركة - مرتبطة في مقدارها وترتيبها بإيرادات المشروعات الممولة نفسها، فلا يشكل عبئاً على ميزانية الدولة، بخلاف صيغ التمويل الأخرى.



(١). حمدي بن محمد، توازن الموازنة العامة، مصدر سابق، (ص ٢٣٣).



الخاتمة

في ختام هذه الدراسة، وبعد محاولة علاج هذا الموضوع، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

- ١- أثبت البحث أن نظام الوقف الإسلامي هو نظام متكامل، له دور في المجال الاجتماعي والاقتصادي، يساهم في تخفيف الأعباء عن الدولة.
- ٢- الموازنة العامة خطة مالية قصيرة الأجل، تعكس عملية إعدادها وتنفيذها طبيعة العلاقة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية؛ فهي تقع في قلب العملية السياسية، كما أنها - بالإضافة إلى ذلك - تعبر عن الأهداف الاقتصادية والاجتماعية للدولة.
- ٣- توجد عناصر وظيفية مشتركة بين الوقف والموازنة العامة للدولة، غير أن القواعد والمبادئ المتعلقة بالموازنة العامة للدولة، التي يذكرها علماء المالية، اجتهادية؛ فلا يجوز أن تشكل عقبات فنية في سبيل الإفادة من الأساليب التنموية الإسلامية.
- ٤- كشف البحث أن للوقف - إذا تم تفعيله - دوراً مهماً في علاج أزمات الموازنة العامة.
- ٥- حتى يتم تفعيل دور الوقف في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة؛ لا بد من آليات تطبيقية، منها: تفعيل الدور الاجتماعي للوقف، والاستثمار الوقفي، وصكوك العقارات المؤجرة، والقروض الوقفية الحسنة، والتمويل بالمشاركة.

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

المقترحات:

- ١- تعميق البحث في موضوع الوقف وعلاقته بالموازنة العامة للدولة، وكشف أوجه التنافي والتلاقي بينهما، ومدى فاعلية نظام الوقف في دعم الموازنة العامة، والبحث عن آليات جديدة.
- ٢- تشجيع الأبحاث والدراسات المتعلقة بالدور الاقتصادي والتنموي للوقف.
- ٣- ضرورة الاستفادة من تجارب الدول الإسلامية الناجحة في الوقف، ويمكن - أيضا - الاستفادة من تجارب الدول الغربية، التي تعمل بالأنظمة المشابهة للوقف، كنظام الترسّات / trust.
- ٤- زرع الثقة بين الواقفين والحكومات؛ من أجل توسيع الوعاء الوقفي، وكذلك إمكانية تطبيق بعض الآليات المتعلقة بدعم الوقف للموازنة العامة للدولة.
- ٥- تشجيع الجمعيات الخيرية القائمة على الأوقاف، ودعمها من قبل الحكومة، ومتابعة أعمالها، وضرورة تحديث نظم الرقابة عليها.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

- (١) إبراهيم علي عبد الله، أنور العجارمة، المالية العامة/ دار صفاء للطباعة والنشر، عمان.
- (٢) بحث الزكاة، كتاب المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، ١٩٦٥م.
- (٣) جمال لعمارة، منهجية الميزانية العامة للدولة في الجزائر، الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، ١٤٢٣هـ، (ص: ٨٧).
- (٤) حامد عبد المجيد دراز، مبادئ الاقتصاد العام، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ١٩٧٩.
- (٥) حامد عبد المجيد دراز، مبادئ الاقتصاد العام، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ط٤، ١٩٧٩.
- (٦) حسين راتب يوسف ريان، حجز الموازنة وعلاجه في الفقه الإسلامي، دار النفائس، الأردن.
- (٧) حمدي بن محمد، توازن الموانة العامة، عمان، دار النفائس، ط١، ١٤٣٣.
- (٨) خليف عيسى، هيكل الموازنة العامة للدولة، عمان، دار النفائس، ط١، ١٤٣٢هـ.

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

- ٩) سعيد علي العبيدي، اقتصاديات المالية العامة، دار دجلة، الطبعة الأولى، عمان، ٢٠١١.
- ١٠) سوزي عدلي ناشد، الوجيز في المالية العامة، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٠.
- ١١) صالح صالح، المنهج التنموي البديل في الاقتصاد الإسلامي، دار الفجر، ط١، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦.
- ١٢) عادل فليح العلي وطلال محمود كداوي، اقتصاديات المالية العامة، العراق، جامعة الموصل، ١٩٨٩.
- ١٣) عبد الحميد عبد المطلب، اقتصاديات المالية العامة، الدار الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٥.
- ١٤) عبد الكريم صادق بركات، الاقتصاد المالي، ط٢، دمشق: منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٢/١٩٩٣.
- ١٥) عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية، المطبعة السلفية، ١٣٥٠هـ.
- ١٦) علي لطفي، اقتصاديات المالية العامة، القاهرة، مكتبة عين شمس، ١٩٨٧/١٩٨٨.
- ١٧) فوزي فرحات، المالية العامة والاقتصاد المالي، منشورات الحلبي، بيروت، ٢٠٠٣.
- ١٨) فوزي فرحات، المالية العامة، منشورات الحلبي، بيروت، ٢٠٠١.
- ١٩) الماودي، الأحكام السلطانية، القاهرة، دار الحديث.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

- ٢٠) مجدي شهاب، أصول الاقتصاد العام، الدار الجامعية الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
- ٢١) محمد الصغير بعلي، المالية العامة، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٣.
- ٢٢) محمد بن قدامة المقدسي، المغني، تحقيق: محمد شرف الدين خطاب، محمد السيد، الجزء السابع، دار الحديث، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤.
- ٢٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤.
- ٢٤) محمد ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، الجزء الأول، دار المعارف القاهرة، مصر، ١٩١٩.
- ٢٥) منذر قحف، الوقف الإسلامي: تطوره.. إدارته.. تنميته، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠.
- ٢٦) يعقوب بن إبراهيم، أبو يوسف، الخراج، بيروت، دار الحداثة، ١٩٩٠.

الاطروحات:

- ١- لحسن دردوري، سياسة الميزانية في علاج الموازنة العامة للدولة: دراسة مقارنة الجزائر- تونس، أطروحة دكتوراه، ٢٠١٣/٢٠١٤.
- ٢- كلثوم وهابي، التسويق في المنظمات غير الهادفة للربح، الجمعيات نموذجاً، رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد بوقرة، بومرداس، ٢٠١٠-٢٠١١.

دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة

المجلات:

- ١ - عبد اللطيف ماجد، مأمون دقاسمة، الدين العام الداخلي وعجز الموازنة العامة للدولة الأردنية، مجلة آفاق اقتصادية، مجلد ٢٢، العدد ٨٧ / الإمارات العربية، ٢٠٠١.
- ٢- عبد الجبار السبهاني، دور الوقف في التنمية المستدامة، مجلة الشريعة والقانون، العدد ٤٤، كلية القانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، أكتوبر ٢٠١٠.
- ٣- حسن القرواشي، الوقف الإسلامي في ضوء تحديات التاريخ ومستلزمات الفكر، مجلة الأوقاف، العدد ١٣، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ماي ٢٠١٣.
- ٤- أحمد عبد الصبور عبد الكريم أحمد، دور الوقف في تخفيف العبء عن الموازنة العامة - دراسة مطبقة على الموازنة المصرية - أبحاث اقتصادية وإدارية، العدد ٣، جوان ٢٠١٣.
- ٥- أحمد ديب، ماذا يمكن للوقف أن يقدمه للموازنة العامة في الجزائر: الأسس والمحددات - مجلة الشريعة والاقتصاد، العدد ١٠، كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية / قسنطينة، الجزائر.

المؤتمرات:

- ١ - علي محمد يوسف المحمدي، الوقف: فقهه وأنواعه، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠١.
- ٢- صالح المالك، تنمية موارد الوقف والمحافظه عليها، أبحاث مؤتمر الأوقاف الأول، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١.

المواقع الإلكترونية:

١ - <https://giem.kantakji.com/article/details/ID/103>

**الوقف وأثره
في دعم إصلاح السياسة
المالية والاقتصادية للدولة**

إعداد:

د. صالح النشاط

المخلص

تتناول هذه الورقة موضوع الوقف ودعومه لإصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة، وذلك بمقاربة وظيفية، تسعى إلى رسم معالم الالتقائية والتكاملية بين الدولة والمجتمع، عبر آلية العمل الخيري الوقفي.

وإذا كان الأساس الذي من أجله شرع الوقف، هو تحقيق التكافل والتضامن مع ذوي الحاجة والخصاص؛ إذ هو من الصدقات الجارية التي يُحسب أصلها وتُسبل ثمرتها لفائدة الجهات الموقوف عليها؛ فإن وجود فكرة الدولة - كشخص اعتباري - يصبها ما يصيب الأفراد، من حاجة وفقر، يُحتم عليها الاستفادة من ريع الوقف؛ وذلك بمقتضى المصلحة الشرعية؛ لدوام خدماتها، واستمرارية وظيفتها الدينية والدنيوية.

ويعتبر الوقف مؤهلاً - بحكم وظيفته الدينية - لإدراج "الدولة" ضمن قائمة المستفيدين من ريعه وعائده، وخصوصاً الدولة التي تعرف عجزاً بُنيوياً في ميزانياتها السنوية، وتضخماً في هيكله نفقاتها الاجتماعية والاقتصادية، واختلالاتٍ على مستوى سياستها الاقتصادية؛ حيث إن أحوال المجتمع لا تستقيم إذا كانت سياسة الدولة المالية والاقتصادية غير متوازنة أو مستقرة، والأخطر أن تكون مرتبهة لدى مؤسسات مالية دولية؛ بسبب لجوئها إلى الاقتراض منها لتمويل عجزها المالي، وتخلف نموها الاقتصادي.

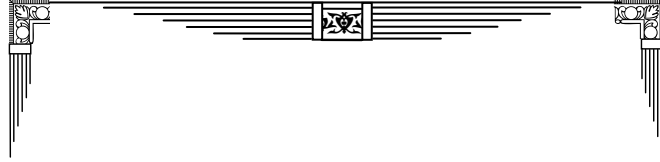
بحوث مؤتمر العمل الخيري

ويمكن للوقف أن يدعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة؛ وذلك من حيث التخفيف من عجز الميزانية و الإنفاق الحكومي، وتوفير السيولة المالية، ودعم التنمية الاقتصادية، وتحسين مؤشرات النمو الاقتصادي، وترشيد السلوك الضريبي، وتنمية الفرص الاستثمارية.

الكلمات المفتاحية:

الوقف - السياسة المالية - السياسة الاقتصادية.





المقدمة

يُعَدُّ البحث في ربط علاقة الوقف بدعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة، بحثاً في محددات الالتقائية بين أثر الوقف باعتباره أحد وسائل العمل الخيري لتحقيق التكافل المالي بين أفراد المجتمع، وآلية لتأمين التضامن الاقتصادي بين المجتمع والدولة، في الحالة التي تكون فيها السياسة المالية والاقتصادية للدولة في حاجة إلى دعم وإصلاح.

كما وأن أهمية البحث في طبيعة هذه العلاقة تتجلى في تقدير الحاجة المجتمعية والدولية في توسيع مساحة إشراك خطاب الوقف واستثماراته في التمويلات العمومية التضامنية، ودعم القدرات المالية للدولة والمجتمع من محصلات العمل الخيري، بهدف تمكين مواجهة الاختلالات المجتمعية، والإشكالات التنموية المهددة لاستقرار الحياة الاقتصادية.

وتتجلى أهداف البحث في هذا الموضوع في إسهام القطاع الوقفي - إلى جانب دوره الاجتماعي - في دعم إصلاحات السياسة المالية والاقتصادية للدولة، وذلك من خلال ترشيد الإنفاق العام على الخدمات الاجتماعية، وتوازن ميزانية الدولة، والتخفيف من الضغط الضريبي، ودرجة تحرير الاقتصاد، وتنمية الفرص الاستثمارية، وتيسير ولوج سوق الشغل؛ وبالتالي تحسين مستويات الدخل، وتحريك دورة الإنتاج، وانتعاش الحياة الاقتصادية بصفة عامة.

إن انتفاع الدولة من مخرجات العمل الخيري الوقفي، يفرض سياسة مالية

بحوث مؤتمر العمل الخيري

واقتصادية وطنية عامة، تُعنى بتشجيع الناس على فعل الخير، وخصوصاً العمل الوقفي في تحصيل أكبر قدر من المال؛ لتضييق هُوَّة الفقر في المجتمع، ورتق الفتق الاجتماعي، وإصلاح الأعطاب والاختلالات التي يفرزها تباين مستويات العيش بين أفراد المجتمع الواحد، على اعتبار أن الدولة - من خلال سياساتها المالية والاقتصادية - تستهدف إعادة التوازن بين الناس، وتقوية أصول النظام الاجتماعي القائم على الشرط القيمي والخيري، الذي يُؤطر حياة الناس؛ فالتنمية الاقتصادية لا تتحقق ما لم تكن مستصحبة لمضمون اجتماعي.

وتتجلى مشكلة هذا البحث في تقدير مدى قدرة العمل الخيري الوقفي على الانفتاح على احتياجات الدولة المعاصرة، والإسهام في سد خصاصها من التمويل؛ لتحسين جودة خدماتها لعموم الأفراد والمؤسسات، وتحرير سياساتها المالية والاقتصادية، وتقوية إرادتها وسيادتها من التبعية والارتهاق لدى المؤسسات المالية الدولية المانحة.. فالإلى أي حد يمكن للعمل الوقفي أن يدعم إصلاح السياسة المالية والسياسة الاقتصادية للدولة؟

ويتفرع من مشكلة البحث هاته سؤالان أساسيان مهيكلان للموضوع، وهما:

الأول: ما هو أثر الوقف في دعمه لإصلاح السياسة المالية للدولة؟

والثاني: ما هو أثر الوقف في دعمه لإصلاح السياسة الاقتصادية للدولة؟

وبخصوص المنهج العلمي المعتمد في هذه الدراسة، فقد زاحج بين أمرين:

الأول: وهو المنهج الوصفي؛ لقدرتة على الوصف والتقرير، بهدف استنباط المادة العلمية التي تخدم قضية البحث، انطلاقاً من دراسة المقدمات والنتائج، والأشياء وعللها.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

أما المنهج الثاني: فهو الوظيفي، بحيث يعمل على وظيفة متغيرات هذا البحث ومجالاته المعرفية، وتحديد المداخل الوظيفية لعلاقة العمل الخيري بالسياسة المالية والاقتصادية.

تتناول خطة البحث ثلاثة مباحث: الأول: يتناول مُحدّدات علاقة الدولة بالوقف، وفيه سيتم بيان ماهية الدولة والوقف، وخصوصية المال الوقفي، وضوابط استفادة الدولة من ريع الوقف.

وفي المبحث الثاني: سيتم التطرق إلى بيان أثر الوقف على السياسة المالية للدولة، بحيث يرصد ملامح استقرارها، وعناصر توازنها المالي؛ وذلك من خلال الحد من العجز المالي، والتخفيف من الإنفاق الحكومي، وتوفير السيولة المالية.

وأما المبحث الثالث: فسيتم فيه الحديث عن أثر الوقف على السياسة الاقتصادية للدولة، وذلك عبر مدخل الإصلاح المرتبط بدعم الوقف للتنمية الاقتصادية، وترشيد السلوك الضريبي، وجذب الاستثمارات، وتنمية الفرص الاستثمارية.



المبحث الأول

محددات علاقة الدولة بالوقف

إذا كان الوقف من الصدقات الجارية، والتي يُراد منها استدامة العطاء والنفع للجهة الموقوف عليها، وتحقيق التكافل الاجتماعي، على اعتبار أنه "قربة اختيارية يضعها الواقف فيمن يشاء، وله أن يضع من الشروط عند إنشائه الوقف ما لا يخالف بها مقصود الشارع"^(١)؛ فإن استقراء مختلف منجزات الحضارة الإسلامية في المجال الوقفي أثبت أن المستفيد الأول من العمل الخيري الوقفي كان - ولا زال - هو "المجتمع" بكل شرائحه وفئاته من ذوي الحاجات، بل إن الوقف شمل حتى حاجات الحيوانات والطيور. لكن السؤال الذي يتعين طرحه: هل يمكن للدولة أن تكون ضمن المستفيدين من خدمات هذا العمل الخيري الوقفي؟ سيما إذا كان معيار الحاجة والفقير ينطبق - أيضا - عليها؛ باعتبارها راعية المصالح العامة الدينية والدنيوية.

إن الحديث عن مُحدّات علاقة الدولة بالوقف، يقتضى أن نُعرِّج على ماهية الدولة والوقف، وخصوصية المال الوقفي، ثم تحديد ضوابط استفادة الدولة من ريع الوقف.

(١). إدارة واستثمار أموال الوقف في الفقه الإسلامي وأنظمة الإدارة العامة للأوقاف القطرية، الجمّال، محمد محمود، مطبوعات الإدارة العامة للأوقاف، دولة قطر، ص: ٣٣.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

❖ أولاً: ماهية الدولة والوقف:

نتناول في هذه النقطة تعريف الدولة، وسياساتها المالية والاقتصادية، ثم الوقف من حيث دلالاته اللغوية والاصطلاحية والفقهية.

١- مفهوم الدولة وسياساتها المالية والاقتصادية:

تطلق كلمة "الدولة"^(١) للدلالة على وجود شعب يستقر على إقليم محدد، ويخضع لسلطة سياسية تدبر شؤونه. فهي تُعرّف بأنها: "تجمع بشري، ثابت على إقليم محدد، يقام في نظام اجتماعي وسياسي وقانوني، وتصونه سلطة تتمتع بسلطة إكراه"^(٢)، والتي تتمتع بالشخصية الاعتبارية، وتستمد مشروعيتها من مبدأ سيادة الدولة.

وتعتبر "الشخصية الاعتبارية" من المفاهيم الحديثة التي أثبتتها القانون للدولة وللمؤسسات العامة، وكل من في حكمها؛ وذلك لتمييز ذمتها عن ذمم المؤسسين لها، ومنحها أهلية كاملة لاكتساب الحقوق، وأداء الواجبات في حدود

(١). أصل كلمة "الدولة" من: دالّ وأندال ودول، والذي يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، ومنه "اندال القوم"، إذا تحولوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب: تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض. ويقال: الدولة في المال والدولة في الحرب، وإنما سميت بذلك من قياس الباب؛ لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذلك، ومن ذلك إلى هذا. ووردت - أيضاً - على أساس معنى أنها العاقبة في المال والحرب، وتطلق على من تكون له الغلبة. ينظر في: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس أبو الحسن أحمد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الجزء الرابع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م، ص: ٣١٤.

(٢). علاقات دولية، إدمون جوف، ترجمة: منصور القاضي، ط/١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٣، ص: ٣٧.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الغرض الذي أنشئت لأجله؛ فهي "شخص يتمتع بالحقوق، ويلتزم بالواجبات، ويتحمل توقيع الجزاءات في حدود ذمته المالية الحكيمية"^(١)؛ وعليه يجوز في حقه ما يجوز في حق الأشخاص العاديين، ويستفيد مما يستفيد منه غيره من الأشخاص؛ فالدولة لها الحق في الهبة والوصية والوقف، وكل أنواع العمل الخيري، إذا كانت تعيش وضعا ماليا يجعلها عاجزة عن القيام بوظيفتها العامة.

وأما من جهة تعريف "السياسة المالية" للدولة؛ ففي الاقتصاد الإسلامي تعنى: "استخدام الدولة لإيراداتها ونفقاتها لتحقيق أهداف في ضوء القواعد والأصول الإسلامية الحاكمة في هذا المجال"^(٢). وحينما تستخدم الدولة إيراداتها ونفقاتها، فهي تستخدمها "بالصورة التي تحقق أهدافها الاقتصادية والاجتماعية، أي أننا هنا بصدد سلوك متعمد تجاه الإيرادات والنفقات لإحداث أثر ما في الاقتصاد القومي"^(٣)، هدفه هو السير بشكل حر في طريق التقدم، مع تأمين التوزيع العادل للتحملات والامتيازات التي يتيحها المجتمع^(٤)، وكل ذلك في إطار مكونات النظام المالي والنقدي للبلد، والتي تشمل النظام المالي، والتنظيم

(١). الشخصية الاعتبارية في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة، أحمد علي عبد الله، سلسلة إصدارات الهيئة العليا للرقابة الشرعية على المصارف والمؤسسات المالية (٢)، ط/٢، الخرطوم ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م، ص: ١٩٢.

(٢). مدخل للنظرية الاقتصادية من منظور إسلامي، البطاينة، إبراهيم وآخرون، ط/١، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٥، ص: ٤٢.

(٣). تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي: دراسة مقارنة، أحمد شوقي دنيا، ط/١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٩٨٤، ص: ٥٧٦.

(٤). Finances Publiques, Loïc Philip, 4eme Ed. Cujar Paris, 1992, P. 30(٤)

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

المالى الحكومى، وإشراف البنك المركزى^(١).

وأما "السياسة الاقتصادية" للدولة، فهى تعبير عن مجموعة من الاختيارات والإجراءات التى تختارها دولة معينة لنمو اقتصادها داخليا وخارجيا، وهى تلتقى مع فكرة "النمو الاقتصادي" كحصيلة لمجموعة من المؤشرات والإجراءات المتخذة من قبل الدولة فى سياق ظرفية اقتصادية، ووفق سياسة اقتصادية معينة؛ ذلك أن "النمو ليس هدفا فى حد ذاته، وإنما هو وسيلة لأهداف عديدة ذات أهمية عميقة للأفراد والمجتمعات، إلا أنه فوق كل اعتبار آخر، يمثل أحد أضمن السبل لعنق المجتمعات من إسهار الفقر"^(٢).

٢- مفهوم الوقف:

تدل كلمة "الوقف" - فى اللغة - على: الحَبْسِ والمنعِ والسُّكُونِ والسُّكُوتِ والإدامة، قال الأزهرى: "قال الليث: الوقف: مصدرٌ قولك: وَقَفْتُ الدابة ووقفتُ الكلمةَ وَقْفًا، وهذا مُجاوِز، فإذا كان لازماً قلت: وَقَفْتُ وَقُوفًا، وإذا وَقَفَتِ الرجلَ على كلمةٍ قلت: وَقَفْتُهُ توقيفًا"^(٣). كما و ذكرت الموسوعة الفقهية

(١) . The Financial System, Financial Regulation and Central Bank Policy, (١) THOMAS F. CARGILL, University Printing House, Cambridge CB2 8BS, United Kingdom, Thomas F. Cargill 2017, p.4

(٢). "ملاحظات استكشافية على النمو المستدام والتنمية فى الدول العربية"، على عبد القادر، (مقالة ص ص: ٢٣ - ٧٤)، من مؤلف جماعى: "النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة فى الدول العربية، الأبعاد الاقتصادية"، الناشر: المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، ط/١، بيروت، ٢٠١٣، ص: ٣٢.

(٣). تهذيب اللغة، الأزهرى أبو منصور، ج/٩، تحقيق: هارون عبد السلام، مراجعة: النجار محمد =

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الكويتية أن من معاني الوَقْفِ "الحبس"، يُقال: وَقَفْتُ الدارَ وَقْفًا: حبستها في سبيل الله؛ ومنها: المنع، يقال: وَقَفْتُ الرجلَ عن الشيءِ وَقْفًا: منعتُه عنه؛ ومنها: السُّكون، يقال: وَقَفَتِ الدابةُ تَقْفُ وَقْفًا وَوُقُوفًا (١).

وفي الاستعمال الفقهي، فالوقف هو الحبس؛ أي حبس العين الموقوفة، وأصل المال المتصدق به، وتسهيل ثمرته وعائده لفائدة الموقوف عليهم، فهو "تحبيس الأصل وتسهيل الثمرة"، مصداقا لقول الرسول - ﷺ - لعمر بن الخطاب لما أصاب بخير أرضا: «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أصلها وتصدقت بها» (٢). وقد عرَّفَ الفقهاءُ الوقفَ بتعريفات متعددة؛ من أهمها: ما قاله الحنفية في الوقف أنه: "حبس العين على ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة" (٣)، وعرفه ابن عَرَفَةَ - أحد أئمة المالكية - بأنه: "إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاءه في ملك معطيه، ولو تقديرا، فتخرج عطية الذوات والعارية والعمرى والعبد المُخَدَم حياته بموت قبل سيده..." (٤). وعرفته الشافعية بقولهم: "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه على مَصْرِفٍ مُباح". وأما الوقف عند الحنابلة، فهو: "تحبيس مالِكٍ مُطْلَقٍ

علي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ص: ٣٣٣.

(١). الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج/ ٤٤، (وضيعة - وقف)،

مطبعة المقهوي الأولى، الكويت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص: ١٠٨.

(٢). السنن الكبرى، النسائي، تحقيق: شلبي حسن عبد المنعم، ج/ ٦، (رقم الحديث ٦٣٩٣)،

مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ١ / ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص: ١٣٩.

(٣). كنز الدقائق في الفقه الحنفي (كتاب الوقف)، النَّسْفِي أبي البركات عبد الله، تحقيق: بكداش

سائد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ودار السراج المدينة، ط/ ١ / ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص: ٤٠٣.

(٤). المختصر الفقهي لابن عَرَفَةَ، ابن عَرَفَةَ أبو عبد الله، تحقيق: حافظ عبد الرحمن محمد خير،

ج/ ٩، مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، ط/ ١ / ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ص: ٤٢٩.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

التصرف ماله المُنْتَفَع به، مع بقاء عينه، بقطع تصرفه وغيره في رقبته بنوع من أنواع التصرفات، تحبباً يَصْرِفُ ريعه إلى جهة برّ، تقرباً إلى الله - سبحانه وتعالى - (١) .

❖ ثانياً: خصوصية أموال الوقف:

تعتبر أموال الوقف أموالاً مستقلة، ولها ذمتها المالية الخاصة بها، فلا هي تعد أموالاً عامة مملوكة للدولة، ولا أموالاً خاصة في ذمة المؤسسات والأفراد الذين تبرعوا بها، بعد تحببها على جهة بر وإحسان، كما أن مقتضى التصرف في الوقف يعود إلى الجهة التي يحددها الواقف بنفسه؛ فقد تكون مؤسسة وقفية مخصصة لهذا الغرض^(٢)، وقد تكون شخصاً يقوم بمهام النظارة على الوقف، كما قد يسند أمر تدبيرها إلى سلطة الحاكم باعتباره ولي أمر الناس جميعاً، وولي من لا ولي له، كما جرى العمل في ذلك عند المسلمين منذ عهد رسول الله - ﷺ - وإلى حدود اليوم^(٣).

(١). المعتمد في فقه الإمام أحمد، الشيباني عبد القادر وابن ضويان إبراهيم، ج/٢، ط/٢، ١٤١٤/١٩٩٤، ص:٥.

(٢). تنص المادة الثانية من القرار رقم ٧٣، المؤرخ في ٢٥/٢/١٤٣٧هـ، والمتعلق بنظام الهيئة العامة للأوقاف بالمملكة العربية السعودية، والذي صدر في شأنه المرسوم الملكي رقم ١١، المؤرخ بتاريخ ٢٦/٢/١٤٣٧، على أن الهيئة العامة للأوقاف هي هيئة ذات شخصية اعتبارية مستقلة، تتمتع بالاستقلال الإداري والمالي. وبذلك تكون قد فصلت إدارتها عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية السعودية، والتي حلت محل نظام "مجلس الأوقاف الأعلى" الصادر بالمرسوم الملكي رقم (م/٣٥)، بتاريخ ١٨/٧/١٣٨٦هـ.

(٣). في المملكة المغربية يعتبر الملك هو الناظر الأول للأوقاف؛ باعتبار صفته الدينية "أمير المؤمنين"، المحددة في النظام السياسي المغربي، ويستعين بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، =

بحوث مؤتمر العمل الخيري

إن مرد تمتع المال الوقفي بهذه الخصوصية، هو أن الوقف محكومٌ بالقاعدة الفقهية العامة: "شرط الواقف كنص الشارع"، وهي "قاعدة مشهورة في باب الوقف، وتعد الدستور الفقهي المتبع في شروط الواقفين"^(١).

إن إرادة الواقف هي التي تنشئ الوقف، "فلا شيء يلزم شخصا باقتطاع جزء من ماله وتحبيسه لاستفيد منه جهة أخرى غيره؛ فالمنطق إذن يقتضي الوفاء لهذه الإرادة الخيرة التي كانت وراء نشوء الوقف"^(٢)؛ الأمر الذي يقتضي معه لزوماً عدم مخالفة شرط الواقف، بشرط أن يكون شرطاً صحيحاً، وألا يخالف الشرع. فما دامت هناك شروط جائزة، فلا يجوز مخالفتها بحال^(٣).

ونظراً لأهمية خصوصية الوقف الدينية والاجتماعية والاقتصادية، بات من الضروري أن يتم الاجتهاد في تأطير هذه الخصوصية؛ بهدف تيسير دعم الأوقاف لمختلف الاحتياجات الحديثة والمعاصرة للمجتمعات والدول، وذلك على منوال ما تميزت به الخبرة الفقهية في إطلاق إرادة الواقف دون تضيق في تعيين المصرف، بحيث: "لا يشترط إعلام المصرف، بل لو قال: وقفت، ولم يعين مصرفاً، صح وصرف للفقراء، قاله مالك وأحمد، قياساً على الأضحية والوصية؛

التي تعمل تحت إمرته المباشرة، في تدبير قطاع الأوقاف.

(١). أحكام الأوقاف، الزرقا، مصطفى أحمد، دار عمار، عمان، الأردن، ط/ ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص: ١٥٥.

(٢). التجربة المغربية في الأوقاف صرفاً وتقنياً واستثماراً، اصبيحي، عبد الرزاق، سلسلة المعارف القانونية والقضائية، منشورات مجلة الحقوق، ط/ ٢٠١٧، ص: ٤٦.

(٣). أحكام الأوقاف، الزرقا، مرجع سبق ذكره، ص: ١٤٣.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

وقال القاضي أبو محمد: "يصرف في وجوه الخير والبر"^(١). وفي هذا سعة لمطلق الحاجة في المجتمع، وسد ثغر الفقر والحاجة والخصائص؛ سواء كانت ذات طبيعة دينية أو علمية أو اجتماعية أو اقتصادية، وسواء كان المحتاج شخصاً طبيعياً، أو شخصاً معنوياً.

✦ ثالثاً: ضوابط استفادة الدولة من ريع الوقف:

تتعدد الضوابط في تقدير استفادة الدولة من ريع الوقف، على اعتبار أنها في حكم من ينوب عن عموم المواطنين في تدبير المصلحة العامة؛ ولذلك استحقت الإعانة من مال الأوقاف، إذا لم يوجد موارد ومصادر لتمويل وظيفتها التي من أجلها هي موجودة، وقد جعل العزُّ بن عبد السلام الأوقاف ضمن الحقوق المركبة من حقوق الله وحقوق العباد، إلى جانب الزكوات والصدقات والكفارات والأموال المنذورات والضحايا والهدايا والوصايا؛ فهي "قربة إلى الله من وجه، ونفع لعباده من وجه"، والغرض الأظهر منها نفع العباد وإصلاحهم بما وجب من ذلك أو نُذِب إليه؛ فإنه قربة لباذليه، ورفق لآخذيهِ"^(٢).

ومن جملة هذه الضوابط، سنقتصر على ضابطين اثنين، وهما:

١- ضابط المصلحة:

يدخل دعم العمل الوقفي للسياسة المالية والاقتصادية للدولة في إطار فقه

(١). الذخيرة، القرّافي شهاب الدين أحمد، تحقيق: سعيد أعراب، ج/٦، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/١، ١٩٩٤، ص: ٣٢٦.

(٢). القواعد الكبرى، الموسوم بـ"قواعد الأحكام في إصلاح الأنام"، عزّ الدين بن عبد السلام، تحقيق: نزيه حماد، وعثمان ضميرية، ج/١، دار القلم دمشق، ص: ٢١٩.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

المصلحة بشكل عام، والمصلحة المُرسَلَة بشكل خاص؛ ذلك أن "الوقف ليس من التعدييات التي لا يعقل معناها، بل هو من معقول المعنى"^(١)، والتعريف المشهور عند غالبية الفقهاء للمصلحة المرسلَة هي أنها محمولة على كل منفعة داخلية في مقاصد الشرع، دون أن يكون لها شاهد بالاعتبار أو الإلغاء، أو تلك التي لم ينص الشارع على اعتبارها، ولا على منعها. ولهذا سميت "مرسلَة"؛ أي لم تعتبر ولم تلغ^(٢)، فهي مصلحة حقيقية لا وهمية، وملائمة لمقاصد الشرع. ونقل عن الإمام مالك: "الاحتجاج بالمصالح المرسلَة، أي المطلقة من الاعتبار والإلغاء، أي التي لم يرد عن الشارع أمر بجلبها، ولا نهي عنها، بل سكت عنها"^(٣).

وبالتالي، فالتصرف في العمل الخيري، والوقف بشكل خاص، محمول على قاعدة "كُلُّ مُتَصَرِّفٍ عَنِ الْغَيْرِ فَعَلِيهِ أَنْ يَتَصَرَّفَ بِالْمَصْلَحَةِ"^(٤)، يقول العز بن عبد السلام: حتى وإن كانت المصلحة أعظم من المفسدة حصلنا المصلحة مع التزام

(١). إعمال المصلحة في الوقف، سبيل الاستثمار الناجح للأوقاف ومضاعفة أجور الواقفين، بن بيّه، عبد الله بن الشيخ المحفوظ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط/ ١/ ٢٠٠٥، ص: ١٧.

(٢). البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي بدر الدين، ج/ ٦، تحرير أبو غدة عبد الستار، مراجعة العاني عبد القادر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط/ ٢، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، الغردقة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص: ٧٦.

(٣). إيصال السالك إلى أصول مذهب الإمام مالك، الولّاتي، محمد يحيى، ط/ ١، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص: ١٨٤.

(٤). الأشباه والنظائر، السبكي تاج الدين، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي عوض، ج/ ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص: ٣١٠.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

المفسدة، وإن استوت المصالح والمفاسد فقد يتخير بينهما، وقد يتوقف فيهما، وقد يقع الاختلاف في تفاوت المفاسد" (١).

إن الذي يشفع بأن تكون الدولة مستفيدة من ريع الوقف، إذا كانت فقيرة، وتعرف عجزاً في مالياتها، ولا تستطيع أن تحفظ مقاصد الشريعة الإسلامية وكلياتها الخمس: "الدين والنفس والعقل والنسل والمال"، والتي "لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين" (٢). وتبقى الدولة باعتبارها تقوم بمهمة ولاية الأمر، مسؤولةً لحماية هذه المقاصد الضرورية، وإذا احتاجت إلى المساعدة المادية للقيام بهذه المهمة؛ يتعين على الجميع أن يسهم في تأمين هذه المساعدة.

وعليه، تقوم مقاصد الشريعة الإسلامية في التصرف في أموال الوقف على تقدير المصلحة المرجوة من سلوك الوقف، ومن إرادة الواقف، والجهة الموقوف عليها، إضافة إلى الاجتهاد في ترشيد إدارة تدبير هذه الموارد، والاعتماد على أحسن الطرق والوسائل لتدبيرها.

٢- ضابط الاجتهاد في توسيع أوعية الوقف:

إن خصوصية العمل الوقفي المرتبطة بإرادة الواقف، وطبيعة الجهة المنتفعة

(١). القواعد الكبرى، الموسوم بـ "قواعد الأحكام في إصلاح الأنام"، عزّ الدين بن عبد السلام، مرجع سبق ذكره، ص: ١٣٦.

(٢). الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، القسم الثالث: كتاب المقاصد، شرح وتخريج: عبد الله دراز، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص: ٢٢١.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

بريع الوقف وعائده، تجعل من الصعب أن يتم تحويل هذه الإرادة، لتستفيد الدولة، بدل أن تستفيد الجهات المعنية، وهذا ما يجعل الدعوة قائمة إلى الاجتهاد في إنشاء أوقاف خاصة ومُوجَّهة لدعم فقر الدولة وعوزها؛ تبرعاً وإقراضاً، سواء على مستوى عجز ميزانياتها العامة، أو التخفيف من إنفاقها على بعض القطاعات.

وقد شهدت مسيرة الوقف، خلال النصف الثاني من القرن الماضي، حركية فقهية كبيرة، من خلال الندوات والملتقيات العلمية لمدارسة سبل تطوير العمل الخيري، عموماً، والوقف بشكل خاص، حتى أصبح النظر في قضايا الوقف يخضع للاجتهاد الجماعي، وتقدير فقهاء الشريعة الإسلامية وغيرهم من المتخصصين والخبراء، تبعاً للتغيرات والمستجدات التي طرأت على الحياة المعاصرة.

وإذا أمكننا إعادة الوقف إلى سابق عهده، ليقوم بدوره في تنمية المجتمع، فإنه لن يعود بأشكاله القديمة، مثل: الكتائب والزوايا والملاجئ والتكايا، وإنما سيعود بأشكال تتماشى مع الحياة المعاصرة بكل فنونها وتقنياتها الحديثة^(١)، حيث تم اختزال وظيفة الوقف في القيام بالأمر المتعلقة بالعبادات، كبناء المساجد وطباعة المصحف، والمدارس الدينية - وهذا أمر بالغ الأهمية في تقدم المجتمعات - إلا أن وظيفة الوقف تتعدى ذلك بكثير، ويمكن لها أن توسع من أوعية العمل الوقفي، ولها قابلية أن تَسَع مجموعة من المجالات والقطاعات؛ ومنها تلك التي ترهق ميزانية الدولة، وتسهم في توسيع هامش العجز المالي والضعف الاقتصادي، وتعالج اختلالات السياسة المالية للدولة.

(١). مصارف الوقف في القديم والحديث، الجاسر، سليمان، مدار الوطن للنشر، ط/١،

١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص: ٦٩.



المبحث الثاني

أثر الوقف على السياسة المالية للدولة

يعتبر الوقف الإسلامي الخيري دعامة للتكافل الاجتماعي، ووسيلة من وسائل علاج مشكلة الفقر في المجتمع، فقد شرعت الأوقاف ليكون ريعها صدقة جارية لا تنقطع، تُدرُّ الثواب المتصل على الواقفين، وعملاً صالحاً يُدرُّ الخير الوافر على المحتاجين والمستحقين^(١)، وينسحب هذا الدور - أيضاً - حتى على الدول الفقيرة، والتي تعاني من شحِّ الموارد، وزيادة النفقات الحكومية.

وإذا كان الوقف شكّل السند العالي في إغاثة الملهوف، وإعانة الفقير والمحتاج في ظل غياب مؤسسة الدولة في حياة الناس، فإنه طيلة القرن الماضي تعزز حضور فكرة الدولة، وأصبحت تزاحم المجتمع في أداء وظائفه الاجتماعية والاقتصادية، بل أثقلت كاهله بالضرائب والمساطر والإجراءات؛ فلا الدولة أصبحت قادرة على إشباع الاحتياجات المجتمعية، ولا المجتمع تعززت ثقته في الدولة التي ضيقت عليه عمله الخيري والتضامني.

إن هذا الواقع فرض ضرورة البحث عن خيار ثالث لتقوية التكاملية بين المجتمع والدولة، ويعتبر قطاع الوقف المؤهّل للقيام بهذه المهمة، وذلك - على الأقل - للتخفيف من عجز الميزانية العامة للدولة، ومن الإنفاق الحكومي،

(١). دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية، الجمل، أحمد عبد العظيم، ط / ١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص: ١٥٩.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وتوفير السيولة المالية.

❖ أولاً: التخفيف من عجز الميزانية العامة للدولة:

تُعرّف الميزانية أنها وثيقة مكتوبة يتم فيها "تقدير ما تعتزم الدولة إنفاقه، وما تتوقع تحصيله من موارد، فالحسابات الواردة على الميزانية هي حسابات تقديرية قد تتحقق كما قد لا تتحقق"^(١). وهذا يعني أن تنفيذ الميزانية يتوقع: إما تحقيق فائض، وإما حدوث عجز؛ وهذا الأخير ينجم في حالة ما إذا تجاوزت النفقات والمصاريف حجم الإيرادات والمداحيل المحصلة.

ولنجاح إعداد الميزانية العامة للدولة، "ينبغي أن تركز على دراسات مستفيضة ودقيقة، تأخذ بعين الاعتبار كامل الجوانب الاقتصادية والمالية والسياسية والاجتماعية، واحتمالات تغييرها على المستوى الوطني، مع مراعاة الظروف الخارجية والدولية، والتي من شأنها التأثير على الوضع الداخلي"^(٢).

إن بيان أثر الوقف على مستوى التخفيف من عجز ميزانية الدولة، يظهر من خلال تحديد مختلف الأسباب المؤدية إلى وقوع العجز الموازناتي، وتحديد الزاوية التي يمكن للوقف أن يسهم من خلالها في هذا التخفيف، إلى جانب تقوية مقترح إنشاء أوقاف خاصة بتمويل العجز الميزانياتي.

١- دور الوقف في معالجة أسباب عجز الميزانية:

تعرف مجموعة من الدول عجزاً على مستوى ميزانياتها السنوية، وتلجأ في

(١). المالية العامة، التبعلاقي، عبد القادر، ج/١ (قانون الميزانية)، منشورات المعهد العالي

للدراستات القانونية والجبائية التطبيقية، ط/١، ١٩٩٥، ص: ٢٧.

(٢). المالية العامة، التبعلاقي، مرجع سبق ذكره، ص: ٢٧ و٢٨.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

ذلك إلى البحث عن تمويل هذا العجز، وذلك من خلال الاقتراض، إما من الخارج أو من الداخل. ويمكن للوقف أن يكون مصدراً من بين مصادر تمويل عجز خزانة الدولة من خلال الاقتراض من الداخل، ويكون عبر طرح الحكومة سندات وصكوكاً لعموم الأفراد والمؤسسات قصد اقتنائها، وبذلك يُجنَّب الوقف الدولة الاقتراض من الخارج، والارتهان إلى المؤسسات المالية الدولية، كما يسهم في الحد من آثار الأسباب المحدثة للعجز في ميزانية الدولة، وهي التي يمكن تصنيفها إلى صنفين، وهما:

- **الصنف الأول** من هذه الأسباب، والذي يقع بدون إرادة الدولة؛ كوقوع الحوادث الطارئة وغير المتوقعة (زلازل، فيضانات، حرائق، انهيار أسعار الصادرات، ارتفاع أسعار الواردات، تراجع مداخيل السياحة، تغير في أسعار الصرف...).

- **الصنف الثاني**، ويقع بإرادة الدولة، وذلك حينما تلجأ إلى إجراءات مالية واقتصادية، وفق سياساتها المالية والاقتصادية؛ ك (توسيع دائرة الإعفاءات الضريبية، أو الزيادة في الأجور والمرتبات بهدف الزيادة في الاستهلاك لتحريك دورة الإنتاج، وجلب استثمارات...).

إن كل هذه الأسباب الإرادية وغير الإرادية تستلزم ضرورة تدخل الدولة عن طريق ضخ أموال غير متوقعة وغير مدرجة في ميزانيتها السنوية، وذلك من خلال البحث عن موارد إضافية لمواجهة هذا العجز الحاصل بعد تدخل الدولة في تلك الحوادث، أو قيامها بتلك الإجراءات.

ويدخل العمل الخيري الوقفي ضمن خيار الاقتراض الداخلي، كأحد الخيارات الممكنة، التي يمكن للدولة أن تلجأ إليه للتخفيف من عجزها

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الموازناتي، بحيث يعتبر العمل الخيري أحد الوسائل المتاحة والممكنة في هذا الأمر، وذلك من خلال تمكين خزانة الدولة من توفير السيولة اللازمة، والاستفادة من مقدرات العمل الخيري الذي ينتعش بقوة في الحالات التي تكون سبباً مباشراً في حدوث هذا العجز؛ كالكوارث الطبيعية، والجوائح، والأزمات (...). نتيجة السلوك التضامني والتكافلي بين عموم الأفراد والمؤسسات، وهذا الأمر يشجع في اتجاه مأسسة هذا السلوك التضامني، حتى يثمر مؤسسات وقفية قائمة الذات، تخصص ريعها لتمويل عجز ميزانية الدولة، باعتبارها أصبحت قَدراً شبه محتوم في عالمنا المعاصر.

٢- إنشاء أوقاف خاصة بتمويل العجز الميزناتي:

تعد الاختلالات المالية والاقتصادية، التي تصيب ميزانية الدولة، مَصْرَفاً من بين مَصَارِفِ الوقف، والتي يتعين إنشاء صناديق ومؤسسات وقفية يستهدف ريعها، وبشكل مباشر، معالجة هذه الاختلالات، والتي تحدث نتيجة ظروف قاهرة، وطوارئ غير متوقعة.

وعلى اعتبار أن ظاهرة العجز الموازناتي أصبحت اليوم أمراً متفهماً عند خبراء السياسة المالية وعموم الاقتصاديين؛ بدعوى تقديرهم لطبيعة الظرفية السياسية والاقتصادية العالمية، ومحدودية موارد الدولة في مقابل تنامي الطلب المجتمعي على التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وهذا يقتضي ضرورة، تفهم وتقدير إسهام العمل الخيري الوقفي في دعم وتقوية إصلاح الميزانية العامة للدولة؛ على أساس أن الميزانية ليست وثيقة حسابية فقط، تسجل فيها الموارد والنفقات، بل تعكس في مضمونها اختيارات اجتماعية واقتصادية وثقافية وبيئية؛ وبالتالي التخفيف من ثقل الإنفاق العام الموجه للقطاعات الاجتماعية

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

والخدماتية على ميزانية الدولة.

وفي انتظار العمل بمقتضى هذه المشاريع الوقفية، تعمل كل دولة بطريقتها الخاصة للتغلب على عجزها المالي؛ ففي المملكة العربية السعودية - على سبيل المثال - تم توقع عجز ميزانية ٢٠١٨ ب ٥٢ مليار دولار؛ نتيجة انخفاض أسعار النفط، كما مُوّل العجز المتوقع عام ٢٠١٦م ب ٢٩٧ مليار ريال، بعد أن وصل إلى أعلى مستوياته عام ٢٠١٥م بنحو ٣٦٦ مليار ريال، من خلال الاقتراض من الأسواق المحلية والدولية، حيث بلغ إجمالي الإصدارات لأدوات الدين المحلية والخارجية والقروض، خلال السنة المالية ١٤٣٧/١٤٣٨ (٢٠١٦م)، ما مجموعه ٢٠٠١ مليار ريال... كما تم تمويل باقي العجز بالسحب من الاحتياطي العام للدولة^(١).

إن هذه الوضعية المالية، التي عرفت المملكة العربية السعودية، تشبه حالة العديد من الدول، وخصوصاً الدول العربية والإسلامية، بحيث تعرف ميزانياتها عجزاً بنوياً، وهي تحتاج إلى إرادة قوية لتشجيع الأفراد والمؤسسات للانخراط في مثل هذه الأوقاف، التي تستهدف مساعدة الدولة في مواجهة اختلالاتها المالية والاقتصادية، بدل لجوئها الاضطراري إلى الاقتراض من الخارج لتمويل حاجة إنفاقها الحكومي.

(١). ميزانية المملكة العربية السعودية ٢٠١٧، وزارة المالية، نسخة البيان العام، ص: ١٦. منشورة

على الموقع الرسمي للوزارة:

<https://www.mof.gov.sa/docslibrary/Budget/Documents/2017.pdf>

✪ ثانياً: دور الوقف في التخفيف من الإنفاق الحكومي:

يعتبر الوقف - بكل أشكاله المعاصرة - اليوم أداة مهمة في دعم ميزانية الدولة بطريقة غير مباشرة؛ من حيث التخفيف من الإنفاق الحكومي على مجموعة من المجالات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، والتي كانت إلى عهد قريب مجالاتٍ وقفية.

وقد سجلت الحضارة الإسلامية دورَ الوقف في الإسهام في تحسين أحوال الناس، وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، ذلك أن حياة الإنسان كانت - ولا تزال - قائمة على الوقف؛ منذ ولادته وإلى وفاته. ومما يذكر في هذا الصدد، الدور الاجتماعي للأوقاف بالدولة العثمانية: "أن رجلاً يولد في منزل وقفى (رباط)، وينام في مهد وقفى، ويأكل ويشرب من أموال الأوقاف، ويقرأ من كتب الأوقاف، ويدرس في مدرسة وقفية، ويستلم راتبه من إدارة الوقف، ويوضع في تابوت وقفى لما يموت، ويدفن في مقبرة وقفية"^(١).

وفي واقعنا المعاصر، تزايد الإنفاق الحكومي على مجموعة من القطاعات، حتى أصبح أهم قطاع يحظى بأكبر مخصصات هذا الإنفاق من المال العام هو قطاع التربية والتعليم، وقطاع الصحة العمومية.

١- قطاع التربية والتعليم:

وهو من القطاعات المهمة التي كان يتولاها المجتمع بنفسه، من خلال فعالية العمل الخيري والوقفى، إلا أن حلول الدولة محل المجتمع في هذه

(١). الأوقاف في تركيا، صابان، سهيل، (مقال في مجلة الفيصل، عدد: ٣٣٢، صفر ١٤٢٥هـ-أبريل ٢٠٠٤م، ص: ٦٧.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

المهمة؛ أسهم في تضييع مجموعة من الفرص؛ وإضعاف قدرة المجتمع على فعل الخير في هذا القطاع.

وحتى يخفف العمل الخيري الوقفي من الإنفاق الحكومي على هذا القطاع، أصبحت الحاجة اليوم قائمة في أن يولي هذا العمل مزيدا من الاهتمام بكل ما له علاقة بالتربية والعلم، والتنشئة الثقافية والفكرية، على اعتبار أن هذا النوع من الاستثمار، هو استثمار في أجيال الغد، والاطمئنان على المستقبل، ويدخل في هذا استثمار أموال الوقف في إنشاء محافظ استثمارية، أو أسهم وسندات وصكوك في شركات قائمة، وفتح اكتتاب وقفي ودعوة عموم الأفراد إلى التبرع بجزء من أموالهم، وغيرها من الصيغ المعاصرة، بهدف خدمة هذا النوع من الوقف؛ من أجل تيسير بناء وتجهيز المدارس والمعاهد والجامعات، والمكتبات، وإقامة الأحياء الجامعية، ودور الطلبة، واقتناء وسائل النقل المدرسي؛ لتقريب المدرسة من التلاميذ؛ وخصوصا في الأرياف والقرى، فضلا عن تخصيص منح دراسية، وإعانة الأسر الفقيرة في تمويل دراسة أبنائها.

ونذكر في هذا الصدد حالة المملكة المغربية، حيث تصل الاعتمادات المخصصة لوزارة التربية الوطنية ما يقارب ربع الميزانية العامة للدولة، فقد خصصت الميزانية العامة لسنة ٢٠١٨ لقطاع التعليم اعتمادات مالية تقدر بـ: ٥٩.٢٩ مليار درهم (٦.٢٩ مليار دولار^(١))، مسجلا زيادة بنسبة ٩٪ عن سنة ٢٠١٧، وهي موجهة لتغطية نفقات ١٠٩١٥ مؤسسة تعليمية، و٤٣١ مؤسسة

(١). دولار أمريكي واحد يعادل ٩.٤٢١٥ درهم مغربي (سعر الصرف ليوم ٢٥/٧/٢٠١٨،

<https://www.currencyc.com/ar/usd-mad.html>

بحوث مؤتمر العمل الخيري

تعليم عالٍ^(١).

كما أن الدولة المغربية أخذت على عاتقها تمويل مجموعة من البرامج، والتي هي في جوهرها عمل إحساني خيري، لو شجعت المبادرات المدنية والعمل الوقفي لفائدتها؛ لخففت الدولة من عجزها الموازناقي، ونذكر من ذلك^(٢):

- "برنامج تيسير": وهو أحد البرامج التي تم إحداثه بهدف تشجيع التلاميذ المنحدرين من الأسر الفقيرة على التّمدُّس، ويقضي بتخصيص مبلغ من المال لكل أسرة فقيرة، لها أبناء في سن التّمدُّس، وقد سجلت ميزانية ٢٠١٨ استفادة ٧٣٦٣٨٠ تلميذاً من "برنامج تيسير".

- "برنامج محفظتي": والذي يدخل في إطار دعم الأسر الفقيرة لتمكينهم من مختلف اللوازم المدرسية التي يحتاجها أبنائها في دخولهم المدرسي، بحيث سجلت ميزانية ٢٠١٨ استفادة ٤.٢٦ مليون تلميذ من هذا البرنامج.

في المقابل، نجد بعض الدول الغربية سلكت منحى مغايراً عما هو عليه الأمر في بعض الدول العربية والإسلامية، وذلك أن أشهر الأوقاف التعليمية الكبرى في الولايات المتحدة هي الأوقاف الجامعية، وأشهرها الصندوق التبرعي لجامعة "هارفارد"، والصندوق التبرعي لجامعة "تكساس"، وتقدر مبالغ كل من

(١). ميزانية المواطن، وزارة الاقتصاد والمالية، قانون المالية لسنة ٢٠١٨ (المغرب)، ص: ١٢، منشورة على الموقع الرسمي للوزارة:

[pdf/https://www.finances.gov.ma/Docs/DB](https://www.finances.gov.ma/Docs/DB)

(٢). ميزانية المواطن، وزارة الاقتصاد والمالية، قانون المالية لسنة ٢٠١٨ (المغرب)، مرجع سبق ذكره، ص: ١٢.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

الصندوقين بسبعة مليارات دولار تقريبا، ومؤسسة "فورد"، التي توزع المنح الكثيرة لأسباب متعددة في البحث العلمي، وفي الفنون، ومؤسسة "ماك آرثو"، التي توزع المنح للدراسات في مجال الصحافة وحرية التعبير^(١).

وليس غريبا عن مؤسسة الأوقاف أنها كانت تتكفل حتى بأجور ومرتبات العلماء والفقهاء والأساتذة، وكل متعهدي الخدمة التعليمية؛ ف"الفقهاء والعلماء والدعاة تحرروا قديما، وفي مختلف العصور، عن طريق الأوقاف، من تسلم المرتبات الرسمية؛ مما جعلهم يتحررون من التبعية والقيود، ويتمكنون من القيام على حرمة الكلمة بأمانة وحرية"^(٢)؛ بحيث "بقي العلماء مستقلين عن السلطة، غير خاضعين لها، معتمدين على الأموال الموقوفة التي تغدق عليهم. كما بقي القضاة قائمين بالحق يحكمون بالعدل؛ وذلك لاعتماد هؤلاء القضاة على ما كانوا يديرونه من الأموال الموقوفة، التي أعطتهم الاستقلال المادي والفكري"^(٣).

٢- قطاع الصحة العمومية:

سجلت الحضارة الإسلامية مجموعة من المبادرات الوقفية الرامية إلى

(١). التجربة الأمريكية في العمل الخيري (التُرست)، الكبيسي، عبد العزيز شاكر، بحث مقدم للمؤتمر

الثاني للأوقاف (الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية)، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص: ١٦، وثيقة

إلكترونية: <https://drive.google.com/file/d/0BzS3WyJn8V-sT01Yc0ZKOTVPbjQ/view>

sT01Yc0ZKOTVPbjQ/view

(٢). الوقف في الفكر الإسلامي، بنعبد الله، محمد بن عبد العزيز، ج/١، منشورات وزارة الأوقاف

والشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص: ٢٩.

(٣). الوقف في الشريعة الإسلامية، وأثره في تنمية المجتمع، الصالح محمد بن أحمد، ط/١، فهرسة

مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص: ١٩٠.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

تحسيس جزء من الأموال لخدمة المرضى، من حيث بناء المستشفيات وتجهيزها، وتوفير الدواء، وتشجيع العلماء على طلب علوم الطب؛ فقد "اهتم المسلمون بالصحة العامة اهتماما عظيما، وتمثل ذلك فيما وقفوه من الأموال لإنشاء المستشفيات والدور الصحية لعلاج الإنسان، بل والحيوان.."^(١).

ومن جملة تلك المبادرات، يذكر تاريخ الوقف في العالم الإسلامي وثيقة لوقف مستشفى قلاوون في عهد المماليك في مصر، والتي أنشئ بمقتضاها "بیمارستان" لمداداة مرضى المسلمين، الرجال والنساء، من الأغنياء المثريين، والفقراء المحتاجين، من المقيمين والوافدين، على اختلاف أجناسهم، وتباين أمراضهم وأوصابهم^(٢).

كما أقام أحمد بن طُولُون، في عاصمة القطائع، أول "بیمارستان" كبير في مصر عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م؛ للعناية بالمرضى منذ دخوله إلى شفاثه، وفي حالة وفاة المريض فإنه يجهز ويكفن على نفقة المستشفى، الذي يتوفر على صندوق وقفي^(٣).

ونظراً لتزايد احتياجات إدارة هذه المستشفيات من الموارد المالية؛ تم تخصيصها بأوقاف مُدْرَرة للدخل؛ حتى تصير مصدرا لتمويل هذه الاحتياجات

(١). الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري، الماضي والحاضر والمستقبل، الضحيان، عبد الرحمن بن إبراهيم، ط/ ١، دار المآثر، المدينة، ٢٠٠١، ص: ١١١.

(٢). مشكلة الفقر وكيف عالجه الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص: ١٣٥.

(٣). الوقف في الفكر الإسلامي، بنعبد الله، محمد بن عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص: ١٤٥ - ١٤٦.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

المتنامية،" وكانت هذه المستشفيات تقوم على أموال الأوقاف التي كانت تكون واردات كبيرة، تكفي القيام بحاجات المستشفى من غذاء وكساء وأدوية وأجور الأطباء والممرضين والخدم والوقود والمياه والأثاث"^(١)، فكان الناظر يصرف من "ريع هذا الوقف لمن ينصبه من الأطباء المسلمين، الذين يباشرون المرضى مجتمعين ومتناوبين، ومن كان مريضا في بيته وهو فقير، كان الناظر أن يصرف إليه ما يحتاجه من الأشربة والأدوية والمعاجين، وغيرها"^(٢).

إن الرجوع إلى ثقافة الوقف، وإعادة إحيائه بين عموم المسلمين، وتوجيه إرادة الواقفين إلى مجال الصحة العمومية، سيسهم في تضييق حضور الدولة في هذا القطاع؛ وبالتالي التخفيف من إنفاقها الحكومي المرصود للخدمات الصحية، وهذا أحد مداخل إصلاح بنية الميزانية العامة للدولة، وتوفير السيولة المالية للقطاعات التي يتعذر الوقف لفائدتها.

✦ ثالثا: توفير السيولة المالية:

حينما تتجاهل الدول قدرة العمل الخيري على تعبئة الإمكانيات المالية لأفرادها ومؤسساتها الأهلية، وتمكين المجتمع الأهلي من أن يكون في خدمة التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وتوفير السيولة المالية اللازمة لذلك؛ فإنها تكون قد حرمت نفسها من ميزة تنافسية لاقتصادها الوطني، ومن خدمات العمل الخيري، باعتباره قطاعا ثالثا، يعزز مجهودات القطاع العام والقطاع الخاص.

(١). الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري، الماضي والحاضر والمستقبل، الضحيان، عبد الرحمن

بن إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص: ١١٥.

(٢). مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص: ١٣٦.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وتظهر أهمية هذا القطاع حينما تعترض الدولة ظرفية اقتصادية سيئة؛ فتضعف مواردها من الضرائب، وتزداد الحاجات الاستهلاكية، ويختل الميزان التجاري بين الصادرات والواردات، فتصبح الدولة ملزمة إلى مد اليد للخارج من أجل تمويل اقتصادها الوطني؛ وبالتالي تدخل في دوامة المديونية، وما يعني ذلك من فقدان قرارها السيادي، والارتهان لدى مؤسسات مالية أجنبية.

ونظرا لقدرة الوقف على توفير الأموال، ودفع الواقفين وعموم المحسنين لإخراجها والتبرع بها؛ فإن الاجتهاد الفقهي في هذا الموضوع قد سمح بإمكانية تحسيس النقود، وإصدار صكوك وسندات وقفية لتوفير هذه السيولة المالية.

١- تحسيس النقود:

يقوم القطاع الوقفي بدور مهم في توفير إمكانيات وأرصدة مالية لفائدة الجهات الموقوفة عليها، وهي جهات بر وإحسان، وهذا يعني أن الحاجة إلى تطوير ممارسة الوقف أصبحت اليوم ضرورة اقتصادية، بحيث إن السوق المالي والنقدي بات يطرح مجموعة من الخدمات والإمكانيات من شأنها تطوير جاذبية العرض الوقفي، ونماء الرأسمال الوقفي؛ وبالتالي الزيادة في عوائده لفائدة الجهات الموقوفة عليها، بحيث "أصبح تحسيس النقود اليوم ميسورا، وأكثر نفعا وفاعلية؛ بفضل الخدمات المصرفية، وتقدم الإمكانيات العلمية والتقنية للضبط والمحاسبة والمتابعة"^(١)؛ ونذكر منها وقف الأسهم في الشركات، فقد لا يتمكن رأس المال الخاص من تمويل مشروعات زراعية وصناعية وتجارية كبرى، والتي

(١). الوقف الإسلامي: مجالاته وأبعاده، الريسوني، أحمد، ط/١، دار الكلمة للنشر والتوزيع،

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ص: ٦٧.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

تحتاج إلى أموال ضخمة، كالشركات المساهمة؛ ولذا فقد ظهر في العصر الحديث طريقة تجزئة رأس المال الكبير بما يسمى بالأسهم، والتي يدفع قيمتها مئات أو آلاف الناس^(١).

إن هذه الإمكانيات والموارد، التي يحصلها القطاع الوقفي، تشكل دعماً غير مباشر لسياسة الدولة المالية والاقتصادية، من حيث تشجيع الناس على الإنفاق، وإخراج أموالهم ووضعها رهن إشارة مشاريع خيرية، وفي هذا محاربة لآفة الاكتناز، والاحتكار، والتضخم، فضلاً عن إسعاف السوق المالية الوطنية بالسيولة اللازمة.

٢- الصكوك الوقفية والتمويل الوطني:

تعتبر الصكوك والسندات الوقفية أحد التطبيقات الوقفية، القادرة على تمكين المجتمع من ثروات مالية مهمة، من شأنها الإسهام في خدمة قضايا التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وذلك من "خلال تشجيع الادخار الوقفي للأفراد أو الادخار الوقفي المجتمعي لخدمة مشاريع التنمية، التي تنفذها الصناديق الوقفية"^(٢).

وتدخل هذه الصكوك والسندات في حكم القرار رقم ٣٠ (٤/٣) بشأن

(١). ضوابط المال الموقوف: دراسة فقهية تطبيقية مقارنة، زين الدين عبد المنعم، دار النوادر، سوريا، ط/١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص: ٤٥٧.

(٢). دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية، الجمل، أحمد محمد عبد العظيم، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٥.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

سندات المقارضة وسندات الاستثمار^(١)، والذي عرف سندات المقارضة كونها أداة استثمارية، تقوم على تجزئة رأس مال القراض (المضاربة)، بإصدار صكوك مُلكية، برأس مال المضاربة، على أساس وحدات متساوية القيمة، ومسجلة بأسماء أصحابها، باعتبارهم يملكون حصصاً شائعة في رأس مال المضاربة وما يتحول إليه، بنسبة ملكية كل منهم فيه.

وإذا كان حكم الصكوك الوقفية هو حكم الوقف نفسه؛ من حيث تحجيس الأصل، وتسييل المنفعة لفائدة الموقوف عليهم؛ فالمنفعة الناتجة عن هذه الصكوك لا تكون إلا عن طريق الاستثمار والجهد في العين الموقوفة، أو على الأقل توفير الشروط المادية لضمان استدامة منفعة الأصل الوقفي، أخذاً بعين الاعتبار شرط المصلحة في ذلك.

إن المشاريع التي استفادت من الصكوك السيادية الوقفية تبقى في حاجة ماسة إلى مورد يؤمن استمرارية خدماتها ومنافعها للجهة المستفيدة، وهو ما يتحقق من خلال آلية الاستثمار في الأموال الوقفية العامة وغير الموجهة للانتفاع المباشر لجهة محددة، وفق ما ذكره قرار مَجْمَعِ الفقه الإسلامي الدولي بشأن "الاستثمار في الوقف وفي غلاته وريعه"، بضرورة أنه "يجب استثمار الأصول الوقفية، سواء أكانت عقارات أم منقولات، ما لم تكن موقوفة للانتفاع المباشر بأعيانها"^(٢).

(١). قرار رقم ٣٠ (٤/٣) بشأن سندات المقارضة وسندات الاستثمار، مجلس مَجْمَعِ الفقه الإسلامي الدُولي، المنعقد في دورة مؤتمره الرابع بجدة في المملكة العربية السعودية، من ١٨ - ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٠٨ الموافق ٦ - ١١ شباط (فبراير) ١٩٨٨م، والمنشور على الموقع الرسمي: <http://www.iifa-aifi.org/1713.html>

(٢). قرار رقم ١٤٠ (٦/١٥) بشأن الاستثمار في الوقف وفي غلاته وريعه، لمَجْمَعِ الفقه الإسلامي

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

وتظهر قيمة هذه المساهمة الوقفية من خلال النظر في التجارب المقارنة، ومن أبرزها التجربة الأمريكية في العمل الخيري (trust)، ففي سنة ٢٠١٦ أسهم الأفراد الأمريكيون والمؤسسات والشركات بنحو ٣٩٠ مليار دولار أمريكي للجمعيات الخيرية الأمريكية، حسب التقرير السنوي عن الأعمال الخيرية^(١).

ونخلصُ من هذا المبحث إلى أن الوقف بإمكانه أن يسهم في إصلاح السياسة المالية للدولة، وخصوصاً في دعم ميزانية الدولة، ولو بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال التخفيف من عجزها الموازني، والإسهام في الإنفاق على مجالات وقطاعات، كانت الدول - ولا زالت - تنفق عليها. وهذا الأمر من شأنه أنه يعيد ترتيب التوازن في علاقة الدولة بالمجتمع؛ فهناك وظائف خاصة بالدولة، ووظائف أخرى خاصة بالمجتمع، ولا يجب التداخل بين هاتين الوظائف، ولا أن تحل الدولة مكان المجتمع، ولا المجتمع مكان الدولة. كما وأن هذه العلاقة بين الدولة والمجتمع، تتقوى - أيضاً - في دعم إصلاح السياسة الاقتصادية للدولة، من حيث دعم مؤشرات نموها الاقتصادي، وتوفير بيئة اقتصادية منتجة ومنتعشة.

الدولي، في دورته الخامسة عشرة بمسقط (سلطنة عُمان) ١٤ - ١٩ المحرم ١٤٢٥هـ، الموافق ٦ - ١١ مارس ٢٠٠٤م. والمنشور على موقعه الإلكتروني: <http://www.iifa-aifi.org/2157.html>

(١) <https://givingusa.org/giving-usa-2017-total-charitable-donations-rise-to-new-high-of-390-05-billion>



المبحث الثالث

أثر الوقف على السياسة الاقتصادية للدولة

ترتبط السياسة الاقتصادية بتشخيص الحالة الاقتصادية للدولة، وتحليلها وفق قضايا النمو الاقتصادي، ونسبة الادخار والاستثمار، ودرجة تحرير الاقتصاد، ومستوى المعيشة والأسعار والتشغيل، فإذا كان الاقتصاد السياسي يهتم باكتشاف العلاقات القائمة بين مختلف الظواهر الاقتصادية، وتفسيرها وتحليلها، وبيان اتجاهات تطورها، فإن السياسة الاقتصادية تمثل الجانب التطبيقي لهذا العلم؛ بهدف تقديم النصح فيما ينبغي أن يكون عليه الوضع الاقتصادي والاجتماعي لتدبير الشأن العام^(١).

وقد اقتصر الفكر الاقتصادي، ولفترة طويلة لتطوره، على الحديث عن نوعين من الاستراتيجيات التي يمكن تبنيها عند القيام بالتنمية الاقتصادية عموماً، والتنمية الصناعية على وجه الخصوص في الدول الآخذة بالنمو، وهما: استراتيجية "الإحلال محل الواردات"، واستراتيجية "تشجيع الصادرات"، إلا أن تفاقم النتائج السلبية لهاتين الاستراتيجيتين أدت بالفكر الاقتصادي إلى البحث عن بديل؛ فكان هو استراتيجية "إشباع الحاجات الأساسية للسكان"^(٢).

(١). الاقتصاد السياسي لتدبير الشأن العام، حركات، محمد، ط/ ١، ٢٠٠٠، ص ١٧٧ و ١٧٨.

(٢). اقتصاديات الإنتاج الصناعي، المعماري، عبد الغفور، ط/ ١، دار وائل للنشر والتوزيع عمان/

الأردن، ٢٠١٠، ص: ٢٦٢.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

إن إشباع الحاجات الأساسية للأفراد والمؤسسات يبقى من بين أكبر الرهانات التي يجب على السياسة الاقتصادية للدولة أن تكسبه؛ فهو عنوان الاستقرار والاستمرار، وعلى أساسه يشتغل القطاع الوقفي؛ وذلك من خلال دعمه للتنمية الاقتصادية، وترشيد السلوك الضريبي، باعتبار الضريبة أساس علاقة الانتفاع بين المواطن ودولته، إضافة إلى تيسير السبل لجلب الاستثمارات، وتقوية الفرص الاستثمارية.

✦ أولاً: دعم التنمية الاقتصادية:

يقصد بالتنمية الاقتصادية "تحقيق معدل سريع للتوسع الاقتصادي، يؤدي بالدولة المتخلفة من معيشة الكفاف إلى مستويات مرتفعة جداً من الرفاهية الاقتصادية"^(١)، كما أن "التنمية الاقتصادية لمجتمع نام لن يتحقق لها من سبل النجاح ما لم تكن مرسومة في إطار اجتماعي، أو يحتويها - على الأقل - مضمون اجتماعي"^(٢).

إن العلاقة بين الوقف والتنمية الاقتصادية هي علاقة أصلية مقصدية؛ فكلما اتسعت المبادرات الوقفية، وزاد حجم التوظيف الاقتصادي لها؛ أدى ذلك حتماً إلى نماء المنفعة المتحصلة منها، وزيادة مقدار استفادة الجهات الموقوف عليها، وهذا هو مقصود التنمية الاقتصادية.

وتعتبر نظرة بعض علماء الاقتصاد إلى الوقف أن هذا الأخير يمنع من

(١). أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام، خضر، عبد العليم عبد الرحمن، سلسلة دعوة الحق، العدد ٤١، ١٩٨٥/١٤٠٥، ص ٤٢.

(٢). أفكار في التنمية، العبادي، عبد الله حسن، كتاب الرياض، العدد ١٥، ١٩٩٥، ص ٥٠.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

التصرف في الأموال، ويخرج الثروة من التعامل والتداول؛ فيؤدي إلى ركود النشاط الاقتصادي، ويقضي على الملكية ومزاياها. كما وأنه غير ملائم لحسن إدارة الأموال؛ لانتفاء المصلحة الشخصية في نُظَار الأوقاف، فلا يهتمون في إصلاح العقارات الموقوفة؛ مما يؤدي إلى خراب الكثير منها^(١). وهذا المُعْطَى الموضوعي عَجَل بمعالجة فلسفة الوقف ومقاصده الشرعية على منوال التدبير الاقتصادي؛ على اعتبار أن الرأسمال الوقفي هو مجموعة من الأموال الثابتة والمنقولة، يتعين استثمارها وتشغيلها، بدل أن تبقى معطلة وجامدة.

١- التقويم الاقتصادي للوقف:

يتأسس مدخل دعم الوقف للتنمية الاقتصادية على التقويم الاقتصادي لوظيفة الوقف، والتي تتجلى في القدرة على الانتقال من خانة الاستهلاك إلى خانة الاستثمار للأصول الوقفية؛ مع أن الخانة الأولى تستهدف الأصل الوقفي وثمرته في آن واحد، بينما الثانية تعمل على حماية وديمومة الأصل الوقفي، وفي نفس الوقف تدر عائداً قابلاً للاستهلاك من قبل الجهات المنتفعة به.

ويتعزز الحديث عن مقصد التقويم الاقتصادي للوقف من خلال إبراز أن نظام الوقف في بعض الجهات أصبح أداة لحبس المال، بحيث إن تطور الأوضاع الاقتصادية في عالم اليوم كشف عن مسافة الخُلف بين آثار نظام الوقف وما تتطلبه أوضاع التنمية الاقتصادية من حرية تداول المال؛ فأموال الأوقاف ظلت - إلى عهد قريب - أموالاً جامدة، ونصيب الفقراء المنتفعين منها يتضاءل يوماً بعد يوم، حتى أصبحت عديمة الجدوى المالية، مقارنة مع باقي التوظيفات المالية في عالم

(١). أحكام الأوقاف، الزرقا، مرجع سبق ذكره، ص: ١٧.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

اليوم.

ويدخل في باب التنمية الاقتصادية - أيضا - إسهام الوقف في تحرير الاقتصاد الوطني من الارتهاق لدى المؤسسات المالية الأجنبية، وذلك حينما تصبح موارد الدولة المالية عاجزة كليا عن الوفاء بنفقاتها العامة والضرورية، بحيث تتأثر السياسات المالية والاقتصادية لهذه الدول، وتصبح مرتهنة لدى مؤسسات التمويل الدولية، كما عُرف في عقد الثمانينات من القرن الماضي بـ "سياسة التقويم الهيكلي"، التي فرضتها المؤسسات المالية الدولية على الدول الراغبة في الاقتراض لتغطية نفقاتها الاجتماعية والاقتصادية، والتي وجدت نفسها أمام مقترح وحيد، وهو "إعادة التفاوض مع صندوق النقد الدولي حول برنامج التقويم الهيكلي، والحصول على موافقته لضمان نجاح المفاوضات مع المجموعات البنكية المقرضة"^(١).

٢- التشغيل ومحاربة البطالة:

اشتهر عند المسلمين، منذ قرون من الزمن، ولا زال إلى اليوم، أن المجتمع هو الذي ينفق على مجموعة من القطاعات ذات الطبيعة الاقتصادية، وذلك من خلال تحبيس جزء من أموال المحسنين خدمة لهذه المصالح العامة؛ وعلى رأسها التشغيل. بل إن الوقف اليوم، يمكنه أن يسهم في "حل المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية في الوقت الحالي، مثل: مشكلة الأمية، والبطالة، والتخلف العلمي والتقني، ومشكلات التنمية الاقتصادية"^(٢). وقد وصل أثر

(١) علم المالية العامة والتشريع المالي، بلخال، عبد الفتاح، ط/١، ٢٠٠٥، مطبعة فضالة، ص: ٨٥.

(٢) مصارف الوقف في القديم والحديث، الجاسر، سليمان، مرجع سبق ذكره، ص: ٦٢.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الوقف الخيري إلى مستويات فاقت احتياجات الإنسان، ووصلت إلى إشباع احتياجات الحيوانات والطيور...

ويعتبر التشغيل الذاتي، أحد المجالات التي تسهم في دعم التنمية الاقتصادية؛ لأن تمكين الأفراد من الولوج إلى سوق الحرف والمهن الذاتية هو من مجالات عمل الأوقاف، والاستثمار فيها؛ خصوصا وأن واقع العديد من الدول أثبت قصورا ملحوظا في احتواء مشكلة البطالة؛ مما زاد في مساحة الفقر، وحادّة التفاوت بين الأفراد.

وفي المقابل، سجل تاريخ الوقف مجموعة من المبادرات الوقفية الرامية إلى الحد أو التخفيف من عطالة الأفراد، بحيث يمكن للوقف أن يسهم في القضاء على مشكلة البطالة، وتوفير الخدمات الإنتاجية والتوزيعية، بما يسهم في تشكيل طلب على اليد العاملة في المجتمع، وذلك عن طريق وقف بعض الأموال لإنشاء بعض الصناعات الحرفية؛ لتشغيل الكثير من العاطلين بها، كذلك يمكن عن طريق الوقف إمداد بعض العاطلين بالمال اللازم على سبيل القرض الحسن؛ من أجل الاتجار فيها، بمعرفة ذوي الخبرة منهم في هذا المجال^(١).

وتعتبر فكرة التشغيل الذاتي نتيجة عملية لفكرة الإحسان المجتمعي الدائم، وإشاعة التعاون والتكافل المنتج للوظائف والمهن المدرة للدخل؛ ذلك أن هذه الوظائف الإحسانية لا تعني، بصفة مطلقة، العطاءات الموسمية للمحتاجين، وإنما تعني - أيضا - تقديم وسائل الإنتاج من رأس مال، وأرض،

(١). الوقف في الشريعة الإسلامية، وأثره في تنمية المجتمع، الصالح، محمد بن أحمد، مرجع سبق ذكره، ص: ٢٢١.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

وأدوات؛ لمزاولة الإنتاج، وتحقيق الاكتفاء عن طريق العمل، وذلك فيما يخص المحتاجين القادرين على العمل^(١).

❖ ثانياً: ترشيد السلوك الضريبي:

من الناحية النظرية، تعد الضريبة مساهمة مالية يدفعها المكلف باعتبارها "واجباً قومياً ووطنياً وتضامنياً يؤهله للإشتراك في أعباء الحكم ومنافعه"^(٢)؛ وبالتالي فهي تفرض على جميع الأشخاص الملزمين بنص القوانين المعمول بها. أما من الناحية العملية، فكثير من الدول تعاني من اختلالات على مستوى ممارسة هذا السلوك الضريبي؛ وذلك من حيث بروز ظواهر ضريبية غير سليمة، تعاني منها الدول، ومن أهمها: التهرب والتجنب الضريبيين.

إن توسيع ثقافة العمل الخيري الوقفي، القائمة على التطوع والتبرع لخدمة المصالح العامة، تفرض أسلوباً لصالح المواطنة الضريبية، وتغرس في الأفراد والمؤسسات قيمة الوفاء بأداء الضريبة في تقوية المركز المالي والاقتصادي للدولة، أي أن يشارك الجميع في دعم التكاليف والنفقات العامة؛ بمعنى أن يتحمل "المجتمع تكاليف الخدمة العامة التي تحقق المنفعة العامة، وفقاً لمقدرتهم على الدفع، بغض النظر عن استفادة البعض أساساً"^(٣).

(١). الإحسان الإلزامي في الإسلام وتطبيقاته في المغرب، التجكاني، محمد الحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص: ١٣٧.

(٢). المحاسبة الضريبية، ياسين، فؤاد توفيق، نشر اليازوري، الأردن، ٢٠٠٥، ص: ١٠.

(٣). النظم الضريبية: النظرية والتطبيق، بركات، عبد الكريم صادق، الدار الجامعية، ١٩٧٦، ص:

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وتعد كلُّ من ظاهرة التهرب الجبائي وظاهرة التجنب الجبائي، وهما يدوران معا في فلك الغش والتحايل الضريبي، من بين العوامل المهددة للسياسة الاقتصادية والتوازن المالي للدولة، بحيث إن معظم موارد الدولة تأتي من الضرائب (المغرب: حوالي ٧٠٪ من إيرادات الدولة مصدرها الضرائب المباشرة وغير المباشرة). ونظرا لأهمية الحديث عن آثار السلوك الضريبي على السياسة الاقتصادية للدولة؛ نعرض هاتين الظاهرتين، مع بيان دور الوقف في الحد من آثارهما وترشيد السلوك الضريبي.

١- ظاهرة التهرب والتجنب الضريبيين:

يعتبر التهرب الضريبي من الجرائم الاقتصادية، التي فرضت أغلب التشريعات الضريبية في العالم عقوبات جنائية ومدنيّة تجاهه، وهو يمثل "أحد العيوب التي أفرزها نظام الربح في النظام الرأسمالي"^(١). والتهرب الضريبي هو سلوك يراد منه التخلص من دفع المستحقات الضريبية لفائدة خزنة الدولة، وهو عادة ما يعرف بكونه يستعمل كل الوسائل التي من شأنها تمكين المُلزم الضريبي من عدم أدائه للواجبات المفروضة عليه، فالمتهرب ضريبيا هو كل شخص، معنويا كان أم طبيعيا، توافرت فيه شروط أداء الضريبة، يحاول عدم أداء واجباته الضريبية، كليا أو جزئيا، مستعملا في ذلك أساليب التدليس والغش والتحايل^(٢).

(١). عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي، الدموهي، حمزة الجمعي، ط/ ١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٨٥، ص: ٢٨١.

(٢). على سبيل المثال: حرم الإسلام التحايل لإسقاط الزكاة، والمقصود بالحيّل هنا هي تلك الحيّل التي يسميها بعض الفقهاء (الحيّل الشرعية)، وهي ما تقابل في المالية ما يسمّى بالقهر المشروع، ومثالها: أن يَهَبَ الشخص ماله، قبل تمام الحَوْل (أي العام) بقليل، لزوجته؛ لينقطع الحَوْل، ثم

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

وتتعدد الأسباب والاتجاهات التي تجعل الملمزمين يفكرون في التهرب الضريبي، من قبيل ضعف العدالة الجبائية، ووجود غموض في فقرات القانون الضريبي، إلى جانب ضعف الوعي والمواطنة الضريبية، وسوء استخدام حصيلة الضرائب في التنمية الاجتماعية والاقتصادية...

وإذا كان التهرب الضريبي هو ذلك التخلص غير المشروع من الواجبات الضريبية؛ لأنه يتم بمخالفة مقتضيات قانونية واضحة، فإن التجنب الضريبي هو تخلص مشروع من التكاليف الجبائية؛ لأنه يتم دون مخالفة النصوص القانونية؛ وإنما يتم عن طريق الاستفادة من وجود ثغرات تشريعية على خريطة القانون الضريبي في حد ذاته.

فالتجنب الضريبي، إذن، يحصل حينما يعمد الملمزم إلى تجنب الواقعة المنشئة للضريبة، من خلال امتناعه أو تغييره للنشاط الخاضع للتضريب، انطلاقاً من الثغرات القانونية المسجلة على القانون الضريبي، فيتجنب بذلك الضريبة أو يخفف من وعائها. وهذا أحد المداخل التي يسلكها المتجنبون من أجل تحويل الإعفاءات الجبائية عن سكتها لتفيد في الإفلات، كلياً أو جزئياً، من الضريبة من طرف الملمزم "كأن يمارس نشاطاً لا يعرف إعفاء كلياً أو جزئياً من الضريبة، ويدرجه في الاستثمار المعفي ضريبياً"^(١).

تهبه له ثانية فيسترده.

(١). التهرب الضريبي وانعكاساته بالمغرب، حلبية، أحمد، أطروحة لنيل دكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الخامس، أكادال - الرباط، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص: ٩٠.

ويمكن سرد بعض الانعكاسات السلبية والخطيرة لظاهرة الغش الجبائي، في صورة التهرب والتجنب الجبائيين، والتي من شأنها تهديد الأمن الضريبي، وأهمها:

- الإخلال بقاعدة العدالة الضريبية، وخلخلة الأمن الجبائي، التي تراهن عليه السياسة الجبائية بالدولة، حيث يصير أولئك المكلفون، الذين لا يستطيعون التهرب من أداء الضرائب المستحقة، هم الذين يقع عليهم تحمل العبء الجبائي، في مقابل، يُعفي الآخرون أنفسهم بأنفسهم من ذلك؛ الأمر الذي يحصل معه انخفاض وتقهر في الحصيلة الجبائية.

- هذا الإنخفاض الملاحظ على مستوى مداخيل الضرائب، وما يستتبع ذلك من انخفاض في الإنفاق العام، وتقليص وتيرة الخدمات والاستثمارات العمومية، عادة ما تضطر معه الدولة إلى نهج سياسة رفع سعر الضرائب الموجودة، أو فرض ضرائب جديدة؛ لتعويض الحكومة عن نقص الحصيلة الناتج عن التهرب والتجنب الجبائيين.

٢- دور الوقف في ترشيد السلوك الضريبي:

إن الوسيلة الناجحة لمحاربة التهرب والتجنب الضريبيين، والحد من آثارهما على الاقتصاد الوطني، لا يمكنها أن تخرج عن ضرورة تخفيف العبء الضريبي عن المُلزمين، وتوسيع قاعدة الإعفاءات الضريبية، لجلب وتنمية الاستثمارات، وتنشيط الإنتاج، وتحريك الدورة الاقتصادية؛ وهذا ما يشجع عموم الأفراد والمؤسسات على الإقبال على العمل الخيري التطوعي.

إن تشجيع العمل الخيري الوقفي من شأنه أن يجنب الدولة اللجوء إلى الزيادة في مقدار الضرائب الموجودة أو إحداث ضرائب جديدة، وهذا الخيار محفوف بالمخاطر؛ من حيث الارتدادات المحتملة من قبل المعنيين بهذه الضرائب، إضافة إلى تأثيرها السلبي على نمو الاقتصاد الوطني، وهروب

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

الاستثمار الوطني، وإغلاق المنشآت الاقتصادية، وزيادة أعداد العاطلين عن العمل.

ولمواجهة هذه الوضعية المالية، التي يمكن أن تؤثر على السكان؛ ذهب ابن خلدون في اتجاه وضع "الأسس لنظرية الجباية الحكومية، التي تقوم على سياسة تقليل العبء الضريبي على المكلفين كوسيلة لزيادة إيرادات الدولة"^(١).

كما و أن لجوء الدولة إلى سلاح الضريبة يجب أن يكون في أضيق الحالات، ونذكر - كمثال - المملكة العربية السعودية، والتي تميزت بإعفاء مواطنيها لعقود من الزمن من أداء الضرائب، إلا أنها التجأت مؤخرًا إلى فرض ضريبة "القيمة المضافة"، بحيث عرفت تحولًا في السياسات الإيرادية لدخل الدولة منذ الأول من يناير ٢٠١٨، وذلك بمقتضى المرسوم الملكي رقم (١١٣/٣) بتاريخ ٢/١١/١٤٣٨هـ^(٢).

واعتبارًا لأهمية العمل الوقفي في إعفاء مالية الدولة من تخصيصها لاعتمادات لفائدة قطاعات هي من صميم اشتغال العمل الخيري، فكل الدول الإسلامية، وحتى غير الإسلامية، سعت في اتجاه تبني سياسات لتشجيع العمل الخيري، وتيسير سبل عمله في المجتمع، وإعفاءه من مختلف الضرائب، حتى يتحرر من العراقيل والقيود المسطرية. وهذا ما لمحت إليه رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠م، الهادفة إلى ضبط الإنفاق الحكومي، ورفع كفاءته، وتنمية إيرادات غير نفطية جديدة؛ لتحقيق الاستقرار المالي،

(١). موسوعة الإدارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، المجلد الثاني، جامعة الدول العربية، ٢٠٠٤، ص: ٢٨٢.

(٢). أم القرى، العدد ٤٦٨١، السنة ٩٥، بتاريخ ٥ ذو القعدة ١٤٣٨هـ، ٢٨ يوليو ٢٠١٧م، ص: ٨.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وتنوع مصادر الدخل، وتبني سياسات حازمة في ذلك، مع التركيز على المشاريع النوعية ذات العائد المجدي، وترتيبها بحسب الأولويات الاستراتيجية، ووضع آليات فاعلة للمتابعة ومراقبة الأداء. وما زالت الحكومة تستهدف تحقيق توازن في الميزانية في السنة المالية ٢٠٢٠م^(١).

إن أحد مداخل تحقيق هذا التوازن والاستقرار في السياسة الاقتصادية، وتحسين مؤشرات النمو الاقتصادي، يبقى هو سياسة الدولة في جلب وجذب الاستثمارات، وتنمية الفرص الاستثمارية؛ حتى تلك المتعلقة بمالية الأوقاف.

✦ ثالثاً: جذب الاستثمارات وتنمية الفرص الاستثمارية:

يطلق الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي على تنمية المال، بشرط مراعاة الأحكام الشرعية في استثماره، فهو طلب ثمرة المال ونمائه في أي قطاع من القطاعات الإنتاجية، سواء كان ذلك في التجارة أو الصناعة أو غيرها من الأنشطة الاقتصادية^(٢).

إن طبيعة التحولات الاجتماعية والاقتصادية، والتحديات التنموية، باتت تفرض على الإدارة المكلفة بتدبير الوقف توجيه آلية الاستثمار نحو فضاءات جديدة مُدرة للدخل؛ بهدف تقوية المركز المالي للرأس المال الوقفي، بما في ذلك انفتاح هذه الإدارة على السوق المالي المعاصر؛ حتى تتمكن من الاستفادة من المؤسسات البنكية الوطنية والدولية العاملة في إطار المالية الإسلامية، على اعتبار أن مكونات الرأس المال الوقفي تعد ثروة استثمارية إنتاجية وتمويلية للعديد من المشاريع والمرافق، وتسهم في حل كثير من الاختلالات الاجتماعية والاقتصادية

(١). ميزانية المملكة العربية السعودية ٢٠١٧، مرجع سبق ذكره، ص: ٢٨.

(٢). مدخل للنظرية الاقتصادية من منظور إسلامي، البطاينة، إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص: ٢١٩.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

والبيئية، وهذا يتطلب التعامل بمنطق السوق، ومقتضى الشريعة الإسلامية، حتى في إجراء الافتحاصات والتدقيقات، وطلب الخبرات المحاسبية؛ لترشيد استثمار الرأسمال الوقفي.

ولئن كانت هناك صور جرى العمل بها في تدبير أموال الوقف والاستثمار فيها، مثل: الإجارة، والمساقاة والمزارعة في مال الوقف، وخلط مال الوقف بمال آخر، وبيع الوقف أو بعضه، فإن المتغيرات المعاصرة باتت تتطلب تجويد فكرة الاستثمار في أموال الوقف لمردوديتها المتنامية، والقوية؛ كاستثمار الوقف بالمشاركة المتناقصة، واستثماره في الأسهم، أو في المحافظ الاستثمارية، أو الاستصناع، أو بمشاركته غيره، مع دراسة الجدوى، وتقييم المخاطرة بمال الوقف في الاستثمار.

تتعدد حاجات الأفراد اليوم، وتتنوع بحسب انشغالات الناس المعاصرة؛ وهذا يدعو إلى تحسيس عموم الواقفين بأهمية هذه الحاجات والانفتاح عليها، ما دامت تحقق جزءاً من المصلحة العامة والنفع لهؤلاء المحتاجين، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كالاستثمار في الفلاحة العصرية، والصناعة الحديثة، والبحث العلمي والتقني (...). ما دامت هذه المجالات تحقق مصلحة وفعلاً للمجتمع والدولة معاً.

وهذا ما يجعل الاستثمار في الوقف، يفتح الباب على مشاريع ومجالات ذات أولوية كبيرة، بحكم التحولات المجتمعية المعاصرة، والاهتمام بها وقفاً هو من صميم مقاصد الشريعة الإسلامية ودلالات الصدقة الجارية والعمل الصالح، وأذكر من ذلك تحبب أموال منقولة وغير منقولة، وأسهم وسندات، على مشاريع تشغيل الشباب، والرعاية بالبيئة، والثقافة والفكر والتأليف، والصناعات والحرف والتعليم والتطبيب، وذوي الاحتياجات الخاصة، والمسنين والعجزة،

بحوث مؤتمر العمل الخيري

والنوادي الرياضية، وغيرها من الأعمال التي تعود بالنفع على الجميع، وتخفف من الإنفاق الحكومي، وتدعم توازن ميزانية الدولة.

وهذا ما يبرر الحاجة إلى اعتماد مؤسسات وقفية، ومأسسة العمل الوقفي بنظم رقابية شاملة، تتضمن الأسس والأساليب والإجراءات الرقابية على كل أوجه أنشطتها المختلفة، ومنها استثمار الأموال، بهدف المحافظة عليها وتنميتها، وتعظيم عوائدها ومنافعها بما يعود على الموقوف عليهم، أفرادا كانوا أو دولا، بالنفع والخير. ونستحضر هنا ميزانية المملكة العربية السعودية لسنة ٢٠١٧، والتي أهتمت بإعطاء "الأولوية للاستثمار في المشاريع والبرامج التنموية التي تخدم المواطن بشكل مباشر، كقطاعات التعليم، والصحة، والخدمات الأمنية والاجتماعية والبلدية، والمياه والصرف الصحي والكهرباء، والطرق، والتعاملات الإلكترونية، ودعم البحث العلمي، وكل ما يكفل تحسين نمط الحياة اليومية للمواطن"^(١).

ونخلص من هذا المبحث إلى تقرير وتقدير دور الوقف في دعم إصلاح السياسة الاقتصادية للدولة، والتي تركز على دعم التنمية الاقتصادية باعتبارها عنوانا للتقدم في سلم التنمية البشرية، وتحسين علاقة المواطن بدولته، وذلك من خلال قيمة الوفاء الضريبي، وعدم الغش والتحايل في أداء المستحقات الضريبية، إلى جانب تحسين مناخ الأعمال، من خلال جلب الاستثمارات وتنمية الفرص الاستثمارية.

(١). ميزانية المملكة العربية السعودية ٢٠١٧، مرجع سبق ذكره، ص: ٣٤.



الخاتمة

إن طبيعة الوقف المرنة، والتي تدور مع مقتضى المصلحة، تجعل منه أداة مهمة في إصلاح السياسة المالية للدولة، وخصوصاً في دعم عجز ميزانيتها، ولو بطريقة غير مباشرة، والإسهام في الإنفاق على مجالات وقطاعات ذات طبيعة اجتماعية واقتصادية تهم شؤون المجتمع، وهذا الأمر من شأنه أنه يعيد ترتيب التوازن في علاقة الدولة بالمجتمع؛ كما أن هذه العلاقة بين الدولة والمجتمع، تتقوى - أيضاً - في دعم إصلاح السياسة الاقتصادية للدولة، من حيث دعم مؤشرات نموها الاقتصادي، وتوفير بيئة اقتصادية ملائمة لتقدم المجتمع ورفاهيته.

ومن خلال هذا البحث، يمكن أن نخلص إلى مقترح أساسي يقضي بإدماج ثقافة الوقف المخصص لدعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة ضمن الاختيارات المجتمعية، وتطبيع علاقة الواقفين معها، واعتبارها مقصداً من مقاصد الصدقة الجارية، والعمل الخيري المنتفع به. وتقديراً لطبيعة العلاقة الموجودة بين المجتمع والدولة.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

❖ ويمكن تجزيء هذا المقترح إلى أفكار عملية، ومن أهمها:

١. مأسسة العمل الخيري، وإدماجه ضمن السياسات العامة للدولة، قصد إسهامه في معالجة مشكلة الفقر، وتداعياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، في المجتمع؛
٢. استثمار الموارد المالية للعمل الخيري في إقامة مشاريع استثمارية؛ توفير مناصب شغل، وتحريك الدورة الاقتصادية، وترفع من الدخل، وتعين ذوي الاحتياجات الخاصة؛
٣. تعزيز استقلالية المجتمع في الإنفاق المالي على شؤونه الخاصة، والتكفل بنفقات قضاياها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، بعيدا عن مالية الدولة؛
٤. إسهام العمل الخيري في التخفيف من الضغط الضريبي، والحد من بعض الظواهر السلبية، إضافة إلى محاربة الاكتمار، ومعالجة آفة البخل والسُّخ، وتضييق مداخل الفساد الاقتصادي؛
٥. اعتبار العمل الخيري أحد مكونات الحقوق الاقتصادية، وفرصة لتقوية الأمن الاقتصادي في المجتمع.



لائحة المراجع

- ١) الإحسان الإلزامي في الإسلام وتطبيقاته في المغرب، التجكاني، محمد الحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ٢) أحكام الأوقاف، الزرقا، مصطفى أحمد، دار عمار، عمان، الأردن، ط / ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٣) إدارة واستثمار أموال الوقف في الفقه الإسلامي وأنظمة الإدارة العامة للأوقاف القطرية، الجمال، محمد محمود، مطبوعات الإدارة العامة للأوقاف، دولة قطر.
- ٤) أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام، خضر، عبد العليم عبد الرحمن، سلسلة دعوة الحق، العدد ٤١، ١٤٠٥ / ١٩٨٥.
- ٥) الأشباه والنظائر، السبكي، تاج الدين، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٦) إعمال المصلحة في الوقف، سبيل الاستثمار الناجح للأوقاف ومضاعفة أjour الواقفين، بن بيه عبد الله بين الشيخ المحفوظ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط / ١، ٢٠٠٥.
- ٧) أفكار في التنمية، العبادي، عبد الله حسن، كتاب الرياض، العدد ١٥، ١٩٩٥.
- ٨) الاقتصاد السياسي لتدبير الشأن العام، حركات، محمد، ط / ١، ٢٠٠٠، دون ذكر دار النشر.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

٩) اقتصاديات الإنتاج الصناعي، المعماري، عبد الغفور، ط/ ١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، ٢٠١٠.

١٠) أم القرى، العدد ٤٦٨١، السنة ٩٥، بتاريخ ٥ ذو القعدة ١٤٣٨هـ، ٢٨ يوليو ٢٠١٧م.

١١) الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري: الماضي والحاضر والمستقبل، الضحيان، عبد الرحمن بن إبراهيم، ط/ ١، دار المآثر، المدينة، ٢٠٠١.

١٢) الأوقاف في تركيا، صابان، سهيل، (مقال في مجلة الفيصل، عدد: ٣٣٢، صفر ١٤٢٥هـ- أبريل ٢٠٠٤م، ص ص: ٦٢-٦٧).

١٣) إيصال السالك إلى أصول مذهب الإمام مالك، الولاتي، محمد يحيى، ط/ ١، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٤) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، بدر الدين، تحرير: أبوغدة عبد الستار، مراجعة: العاني عبد القادر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / الكويت، ط/ ٢، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، الغردقة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٥) التجربة الأمريكية في العمل الخيري (الترسّت)، الكبيسي، عبد العزيز شاكر، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف (الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية)، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ص: ١٦، وثيقة إلكترونية:

<https://drive.google.com/file/d/0BzS3WyJn8V->

[sT01Yc0ZKOTVPbjQ/view](https://drive.google.com/file/d/0BzS3WyJn8V-sT01Yc0ZKOTVPbjQ/view)

١٦) التجربة المغربية في الأوقاف صرفا وتقنيا واستثمارا، اصبيحي، عبد الرزاق، سلسلة المعارف القانونية والقضائية، منشورات مجلة الحقوق، ط/ ٢٠١٧.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

- (١٧) تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي: دراسة مقارنة، دنيا، أحمد شوقي، ط/١، مؤسسة الرسالة لطباعة والنشر، ١٩٨٤.
- (١٨) تهذيب اللغة، الأزهرى أبو منصور، ج/٩، تحقيق: هارون عبد السلام، مراجعة: النجار محمد علي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- (١٩) التهرب الضريبي وانعكاساته بالمغرب، حليبة، أحمد، أطروحة لنيل دكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الخامس، أكادال - الرباط، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨.
- (٢٠) دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية، الجمل، أحمد عبد العظيم، ط/١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- (٢١) الذخيرة، القرافي شهاب الدين أحمد، تحقيق: سعيد أعراب، ج/٦، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/١، ١٩٩٤.
- (٢٢) السنن الكبرى، النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١.
- (٢٣) الشخصية الاعتبارية في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة، أحمد علي عبد الله، سلسلة إصدارات الهيئة العليا للرقابة الشرعية على المصارف والمؤسسات المالية (٢)، ط/٢، الخرطوم ١٤٣٨هـ/٢٠١٦.
- (٢٤) ضوابط المال الموقوف: دراسة فقهية تطبيقية مقارنة، زين الدين عبد المنعم، دار النوادر، سوريا، ط/١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- (٢٥) علاقات دولية، إدمون جوف، ترجمة: منصور القاضي، ط/١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٣.
- (٢٦) علم المالية العامة والتشريع المالي، بلخال، عبد الفتاح، ط/١، مطبعة فضالة

بحوث مؤتمر العمل الخيري

المحمدية، ٢٠٠٥.

(٢٧) عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي، الدموي، حمزة الجمعي، ط/ ١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٨٥.

(٢٨) قرار رقم ١٤٠ (٦/١٥) بشأن الاستثمار في الوقف وفي غلاته وريعه، لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، في دورته الخامسة عشرة بمسقط (سلطنة عُمان) ١٤ - ١٩ المحرم ١٤٢٥ هـ، الموافق ٦ - ١١ مارس ٢٠٠٤ م، والمنشور على موقعه الإلكتروني: <http://www.iifa-aifi.org/2157.html>

(٢٩) قرار رقم ٣٠ (٤/٣) بشأن سندات المقارضة وسندات الاستثمار، مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره الرابع بجدة في المملكة العربية السعودية، من ١٨ - ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٠٨، الموافق ٦ - ١١ شباط (فبراير) ١٩٨٨ م، والمنشور على الموقع الرسمي:

<http://www.iifa-aifi.org/1713.html>

(٣٠) القرار رقم ٧٣، المؤرخ في ٢٥/٢/١٤٣٧ هـ، والمتعلق بنظام الهيئة العامة للأوقاف بالمملكة العربية السعودية، والذي صدر في شأنه المرسوم الملكي رقم ١١، المؤرخ بتاريخ ٢٦/٢/١٤٣٧ هـ.

(٣١) القواعد الكبرى، الموسوم بـ "قواعد الأحكام في إصلاح الأنام"، عز الدين بن عبد السلام، تحقيق: نزيه حماد، وعثمان ضميرية، دار القلم دمشق.

(٣٢) كنز الدقائق في الفقه الحنفي (كتاب الوقف)، النَّسْفِي أبو البركات عبد الله، تحقيق: بكداش سائد، دار البشائر الإسلامية/ بيروت، ودار السراج/ المدينة، ط/ ١، ١٤٣٢ هـ، ٢٠١١ م.

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

- (٣٣) المالية العامة، التبعلاقي عبد القادر، منشورات المعهد العالي للدراسات القانونية والجبائية التطبيقية، ط/١، ١٩٩٥.
- (٣٤) المحاسبة الضريبية، ياسين، فؤاد توفيق، نشر اليازوري، الأردن، ٢٠٠٥.
- (٣٥) المختصر الفقهي لابن عرفة، ابن عرفة أبو عبد الله، تحقيق: حافظ عبد الرحمن محمد خير، مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، ط/١، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.
- (٣٦) مدخل للنظرية الاقتصادية من منظور إسلامي، البطاينة، إبراهيم وآخرون، ط/١، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٥.
- (٣٧) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.
- (٣٨) مصارف الوقف في القديم والحديث، الجاسر، سليمان، مدار الوطن للنشر، ط/١، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.
- (٣٩) المعتمد في فقه الإمام أحمد، الشيباني، عبد القادر وابن ضويان إبراهيم، ط/٢، ١٤١٤ / ١٩٩٤.
- (٤٠) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس أبو الحسن أحمد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الجزء الرابع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- (٤١) ملاحظات استكشافية على النمو المستدام والتنمية في الدول العربية، علي عبد القادر، (مقالة من مؤلف جماعي: "النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة في الدول العربية: الأبعاد الاقتصادية"، الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط/١، بيروت، ٢٠١٣).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

- (٤٢) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (القسم الثالث: كتاب المقاصد)، شرح وتخريج: عبد الله دراز، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- (٤٣) موسوعة الإدارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، المجلد الثاني، جامعة الدول العربية، ٢٠٠٤.
- (٤٤) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج/٤٤، (وضيعة- وقف)، مطبعة المقهوي الأولى، الكويت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- (٤٥) ميزانية المملكة العربية السعودية ٢٠١٧، وزارة المالية، نسخة البيان العام: <https://www.mof.gov.sa/docslibrary/Budget/Documents/2017.pdf>
- (٤٦) ميزانية المواطن، وزارة الاقتصاد والمالية، قانون المالية لسنة ٢٠١٨ (المغرب)، منشورة على الموقع الرسمي للوزارة: [/https://www.finances.gov.ma/Docs/DB](https://www.finances.gov.ma/Docs/DB)
- (٤٧) النظم الضريبية، النظرية والتطبيق، بركات، عبد الكريم صادق، الدار الجامعية، ١٩٧٦.
- (٤٨) الوقف الإسلامي: مجالاته وأبعاده، الرّيسوني، أحمد، ط/١، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- (٤٩) الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، محمد بن أحمد الصالح، ط/١، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- (٥٠) الوقف في الفكر الاسلامي، بنعبد الله محمد بن عبد العزيز، منشورات وزارة

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة

الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

Finances Publiques, Loïc Philip, 4eme Ed. Cujar (٥١)

Paris, 1992, P. 30

<https://givingusa.org/giving-usa-2017> (٥٢)

The Financial System, Financial Regulation and (٥٣)

Central Bank Policy, THOMAS F. CARGILL, University

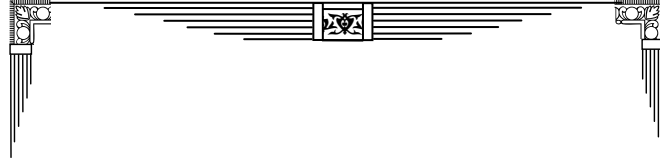
Printing House, Cambridge, United Kingdom, Thomas F.

Cargill2017



**فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة
والقطاع الثالث
استثمار الخيرية أم خيرية الاستثمار؟**

الدكتور: علي بن محمد نجم

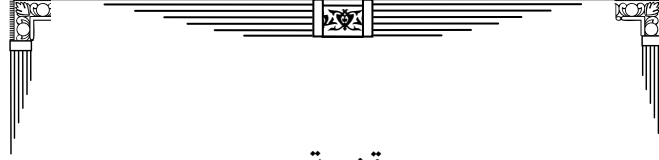


المخلص

لا شك أن إرساء أسس اقتصاد المعرفة وبناء لبناته، يستوجب إنفاقاً قد تقصر عنه الجهات الحكومية، فيحتضنه القطاع الثالث أو القطاع الخيري؛ لكن هذه العملية التطوعية التبرعية بحاجة إلى إدارة وتدبير، بل وإلى ترشيد؛ مما ينادي بتدخل اقتصاد المعرفة.

وتكمن مشكلة البحث في سبر العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث، وسيبرز الباحث من خلال منهج تحليلي استنباطي فقه العلاقة بين هذين المجالين، وسبل الرقي بهما، ومدى قدرتهما على خدمة مجالات أخرى كالاقتصاد الإسلامي والتنمية البشرية.

وعليه، فقد توصل الباحث إلى أن هذه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث، علاقة تكاملية تحتاج إلى فقه، والمتأمل في نصوص الشريعة وقواعدها ومقاصدها، يقف على هذه العلاقة، وعلى آلات رعايتها وضبطها؛ كيف لا؟ والشريعة الإسلامية عُنيت بالمعرفة والعلم من جهة، وبالعمل الخيري التبرعي من جهة أخرى؛ وإن أهم توصية يقترحها الباحث هي تحويل العمل الخيري من المجال الاستهلاكي إلى المجال الاستثماري استناداً إلى اقتصاد المعرفة.



مقدمة

الغالب أن التمويل الخاص يشق على الناس، وإذا راموا التمويل الحكومي وجدوا فيه ضيقاً وازدحاماً؛ حتى إذا تخلف هذان القطاعان، رُجِي طرق باب القطاع الثالث، المائل في العمل الخيري والتطوعي.

ويتطلب بناء اقتصاد المعرفة نفقةً وتمويلًا، يجدان مُتَّكِّمًا لهما في العمل الخيري؛ ومن جهةٍ أخرى، فإن مؤسسات العمل الخيري لا تستقيم بدون تخطيطٍ وتتبع، ولا يكون ذلك إلا بالأفكار، والتي تحتاج إلى اقتصاد المعرفة.

إذن، ثمة علاقةٌ وطيدةٌ بين هذين المجالين: فالعمل الخيري يخدم اقتصاد المعرفة، واقتصاد المعرفة يخدم العمل الخيري؛ فهي علاقة متبادلة ونفع مشترك، مما يستوجب توخي الاستثمار الأمثل لهذا الثنائي؛ ليرقى كل شق منه بصاحبه، ويتمكنان من التطور سويًا، والنتيجة هي خدمة المجتمع وتحقيق التنمية.

ومن الضروري تلمس تنزيل هذه العلاقة من خلال الفقه الإسلامي وقواعده ومقاصده؛ فإذا نظرنا إلى القطاع الثالث أو العمل الخيري، فإن النصوص الشرعية غنية بما يدل على ذلك؛ كما أن اقتصاد المعرفة والعلم عامة، من الأمور التي عنيت بها الشريعة الإسلامية وحثت عليها ودعت إليها.

ولأجل ذلك، فلا شك أن هذا التلاحم بين العمل الخيري، وبين اقتصاد المعرفة، سيجد ضالته في النصوص الشرعية؛ إذن فلا بد من الكشف عن سبل

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

تأصيل العمل الخيري، وتعدد فروع الفقهية، وإظهار مدى استيعاب الفقه الإسلامي للأحكام، ولتدبير الاختلاف، وترشيده؛ مع استثمار التقعيد والتأصيل في الموازنة والترجيح، وفقه الأولويات والمآلات.

وتجدر الإشارة إلى أن الانتقال من النمط الاستهلاكي المعهود، إلى النمط الاستثماري المنشود، أمرٌ في غاية الأهمية؛ بحيث تصير المؤسسات الخيرية منتجةً، وليست مستهلكةً فقط؛ معنى ذلك أن اقتصاد المعرفة مطالب بنقل هذا المجال من الطابع الاستهلاكي المحض، إلى مرتبة القدرة على تأمين الاكتفاء الذاتي، والانتقال من التفكير في تأمين الاستهلاك، إلى التخطيط لمشاريع استثمارية.

❖ مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في سبر العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث، مع البحث عن إمكانية تحويل العمل الخيري من المجال الاستهلاكي إلى المجال الاستثماري، ودور اقتصاد المعرفة في ذلك، وهو ما يجرننا إلى السؤال التالي: هل الأحرى والأجدر هو استثمار الخيرية لخدمة اقتصاد المعرفة، أم استثمار اقتصاد المعرفة لتطوير العمل الخيري، أم هما معا؟

❖ أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

أولاً: إبراز أثر القطاع الثالث في تنمية اقتصاد المعرفة.

ثانياً: إظهار أثر استثمار اقتصاد المعرفة في النهوض بالقطاع الثالث.

ثالثاً: التأكيد على دور الفقه في النهوض بالقطاعين - اقتصاد المعرفة والقطاع

الثالث - وتوطيد العلاقة بينهما.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

رابعاً: الكشف عن دور تكامل القطاع الثالث واقتصاد المعرفة في خدمة الاقتصاد الإسلامي وتحقيق التنمية البشرية.

✦ المنهج العلمي للبحث:

سأتبع في هذا البحث المنهج التحليلي الاستنباطي، حيث أحلل معطيات القطاع الثالث واقتصاد المعرفة، لاستنباط العلاقة التي تربط بينهما في ضوء الفقه الإسلامي وقواعده، وتنزيل ذلك في التدبير والتطوير.

✦ الدراسات السابقة:

لم أفق في حدود بحثي على دراسة جمعت بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث، ودرست العلاقة بينهما، مع ربطها بالنصوص والقواعد الشرعية، وبيان دورها في التنمية البشرية، وفي نقل المؤسسات الخيرية من النظرة الاستهلاكية، إلى النبرة الاستثمارية.

✦ تقسيمات البحث:

يقترح الباحث لإنجاز هذا البحث، مقدمة وتمهيداً، ومطالب أربعة وخاتمة، حيث تتسلسل المطالب كالتالي:

المطلب الأول: دور القطاع الثالث في تنمية اقتصاد المعرفة.

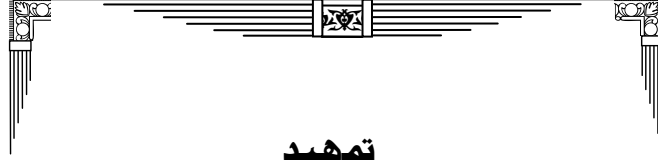
المطلب الثاني: النهوض بالقطاع الثالث من خلال استثمار اقتصاد المعرفة.

المطلب الثالث: العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة في ضوء الفقه

الإسلامي وقواعده.

المطلب الرابع: أثر تكامل القطاع الثالث واقتصاد المعرفة في الاقتصاد

الإسلامي وفي التنمية البشرية.



تمهيد

ما دام الكلام منصبا حول القطاع الثالث واقتصاد المعرفة، فقد رأى الباحث أن يتكلم باقتضاب عن هذين العنصرين؛ توطئةً للكلام عن فقه العلاقة بينهما وما يتعلق بذلك.

❖ أولا: القطاع الثالث.

القطاعات ثلاثة:

القطاع الأول: القطاع الحكومي.

القطاع الثاني: القطاع الخاص.

القطاع الثالث: القطاع الخيري.

والقطاع الثالث هو القطاع الخيري التطوعي الخدماتي، الذي يندرج تحت عقود التبرعات في الفقه الإسلامي، "فهو مجموعة من المنظمات التي تنبع من مبادرات المواطنين، وتحتل موقعاً ثالثاً بين مشروعات القطاع الخاص والمؤسسات الحكومية، حيث لا تستهدف هذه المنظمات تحقيق الربح، بل تسعى في المقام الأول إلى تحقيق النفع العام، وللقطاع الثالث تسميات متنوعة أخرى منها: القطاع الخيري والقطاع التطوعي، وتلك الأسماء لا تعني الحصر، فكل عملٍ مؤسسيٍّ مستقلٍّ عن القطاعين الحكومي والخاص، ومكمل لأدوارهما

بحوث مؤتمر العمل الخيري

يعد من عناصر القطاع الثالث" (١).

وقد بدأ يتشكّل هذا القطاع بقوة إدارية واعتبارية في الغرب مع بداية الثمانينات من القرن الماضي وهو يُعدُّ مكملاً لمهام ومسؤوليات القطاع الأول العام الحكومي، ومتكاملاً مع القطاع الثاني الخاص الربحي في جميع عمليات التنمية والتنمية المستدامة، بالأخص في المجتمعات والدول المتقدمة في العصور المتأخرة" (٢).

✦ ثانياً: اقتصاد المعرفة.

وأما اقتصاد المعرفة فيعني جعل المعرفة محور الحركة الاقتصادية، حيث تم الانتقال من التركيز على النفط والذهب إلى التركيز على المعلومات والتتجات الفكرية وكيفية الوصول إليها، وقد ظهر اقتصاد المعرفة لأول مرة في الخمسينات من القرن الماضي، عندما تطور القطاع الصناعي على حساب القطاع الزراعي، وصارت المعرفة سلعةً اقتصاديةً تشكل آليةً قويةً للنمو الاقتصادي، وتمثل أيضاً حصيلة الخبرة والقدرة على استخلاص مفاهيم ونتائج جديدة؛ لأن الطاقات البشرية الكفؤة والموهوبة، قادرة على إنتاج المعرفة وإدارتها وهندستها؛ بابتكار المنتجات، والإبداع في الوظائف؛ للتمكين من رفع الكفاءة، وزيادة الإنتاج، مع التقليل من تكاليفه؛ بحيث يعتمد الإنتاج والاستهلاك في اقتصاد المعرفة على استخدام رأس المال الفكري، وتقدر الأمم المتحدة أن اقتصادات المعرفة تستأثر

(١) القطاع الثالث والفرص السانحة: رؤية مستقبلية، لمحمد السلومي، ص ٦٣-٦٤.

(٢) انظر: ما هو القطاع الثالث؟، لمحمد السلومي، مقال منشور بالموقع الإلكتروني لمركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية، ومشرفه العام هو صاحب المقال ،

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

ب ٧٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، وتنمو بمعدل ١٠٪ سنويًا، وجدير بالذكر أن ٥٠٪ من نمو الإنتاجية في الاتحاد الأوروبي هو نتيجة مباشرة لاستخدام وإنتاج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات^(١).



(١) للمزيد راجع: الاقتصاد المعرفي ودوره في التنمية الاقتصادية، لصادق طعان، بحث منشور بمجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية. وأيضا: اقتصاد المعرفة مقال منشور بموقع المعرفة <https://www.marefa.org>، وكذلك: الاقتصاد المعرفي.. آفاق استثمارية مجدية وعصرية، لمحمد دهمان مقال منشور بموقع الاقتصاد العربي، بتاريخ ١٤ أبريل-2017 <http://www.ar-economist.com/>

“Knowledge Economy”, Investopedia, Retrieved. Edited.16-5-2017



المطلب الأول

دور القطاع الثالث في تنمية اقتصاد المعرفة.

الغالب أن التمويل الخاص يشق على الناس، وإذا راموا التمويل الحكومي وجدوا فيه ضيقاً وازدحاماً، حتى إذا تخلف هذان القطاعان، رُجِي طرق باب القطاع الثالث المائل في العمل الخيري والتطوعي، مما يجعل هذا الباب من الأهمية بمكان؛ لأنه يُؤمّن التمويل لفئةٍ محتاجةٍ ضاقت بها الأرض بما رحبت، ويمكنّها من تغطية حاجاتها وتفجير مواهبها، لا سيما في دولنا النامية التي تعاني عجزاً في التمويل الحكومي، وعدم قدرة على التمويل الخاص والشخصي.

ويزكي ذلك اهتمام الإسلام بأبواب التبرع والخير وتنوع مصادرها ومصارفها، وسعة الفقه الإسلامي لتكييف التنزيل حسب الوقائع والمستجدات، "حيث دعا الشارع إلى الإنفاق وشجع عليه ونوع مجالاته، ويدل على ذلك الآيات والأحاديث الكثيرة في هذا الباب، ولعل أرجى آية في موضوعنا هي قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٦]، فعلاوة على الأجر والثواب والمحاسن التي يجنيها المنفق، فإنه مبشّرٌ باسترجاع ماله، قال عبد الرحمن السعدي: "فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق"^(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشهير بتفسير السعدي، لعبد الرحمن السعدي، ص

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

وأما السنة، فألصق حديثاً بموضوعنا في تقديري، هو ما روى أنس بن مالك، حيث قال: كَانَ أَخْوَانِ عَلِيٍّ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَالْآخَرَ يَحْتَرِفُ، فَشَكَاَ الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ»، قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ^(١)، فالأخ المحترف ينفق على أخيه الذي يطلب العلم، ولذلك أقره النبي ﷺ وشجعه على ذلك، وفيه تنبيه على فضل الإنفاق على طالب العلم، واستثارةً للعناية باقتصاد المعرفة.

ويتطلب بناء اقتصاد المعرفة كغيره من مشاريع البناء نفقة وتمويلاً، يجدان لهما مُتَّكِّفًا في العمل الخيري، ولذلك فهو أحق بالعناية والاهتمام، وأجدر بالسخاء بالمال، فمن أعان معلماً أو طالب علم حصل على مثل أجورهم دون أن ينقص منها شيئاً، فعن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ إِثْمِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَمِهِمْ شَيْئاً»^(٢). وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»^(٣). وفي هذا الصدد أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بأن من تكفل براتب مدرسٍ للقرآن

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب في التوكُّلِ عَلَى اللَّهِ، ٤/١٥٢. صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٢/٩٠٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ٤/٢٠٦٠.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الدال على الخير، ٧/٤٤٧. وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء الدالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ، ٤/٣٣٨. وأخرجه أحمد في مسنده، ٣٨/١٣٢. و صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٤/٢١٦.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الكريم فهو مأجورٌ، وقام بأعظم القربات وكل طالبٍ يحفظ شيئاً من القرآن عن طريق هذا المدرس فللكفيل نصيبٌ من الأجر من غير أن ينقص من أجورهم شيء^(١).

لقد جند الكفار أموالاً طائلةً لنشر أباطيلهم، ومن ذلك اثنان وعشرون مليون دولار في مدرسةٍ تنصيريةٍ في بلدٍ عربيٍّ، وأكثر من واحدٍ وعشرين مليون دولار على مؤتمرٍ للمنصرين، وجمع اليهود في فرنسا تحت شعار قتال المسلمين، تبرعاتٍ قدرها ألف مليون فرنك خلال أربعة أيام، فكيف بمن ينفق ماله في الحق وفي سبيل الله، بل في خدمة الدين والعلم واقتصاد المعرفة؟^(٢)، والله در أحمد شوقي حين قال^(٣):

يا طالباً لِمَعَالِي الْمُلْكِ مُجْتَهِداً خَذَهَا مِنَ الْعِلْمِ أَوْ خَذَهَا مِنَ الْمَالِ
بِالْعِلْمِ وَالْمَالِ يَبْنِي النَّاسُ مُلْكَهُمْ لَمْ يُبْنَ مُلْكٌ عَلَى جَهْلٍ وَإِقْلَالِ

وعليه، فإن تنمية اقتصاد المعرفة يخول التقدم والتطوير؛ لكنه يتطلب تمويلاً يتعذر تأمينه وتغطيته رسمياً، مما يستدعي تدخل المجال الخيري والعمل التبرعي، وقد اعتنى السلف بهذه الحاجة رغم اختلاف الكيفية والطريقة، حيث فطنوا إلى الإنفاق على من تفرغ للعلم وتوفرت فيه ملكة الإنتاج الذي يشملهم نفعه، بل وقد ينتفع به غيرهم أيضاً؛ وليس معنى هذا الدعوة إلى الخمول والتواكل، بحيث يكون العمل الخيري مجالاً للاستزاق والاعتماد على ما يجنيه الآخرون بعرق جبينهم، فهذا غير مقبولٍ لا شرعاً ولا عرفاً ولا ذوقاً، وإنما

(١) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الفتوى رقم 20707 :

(٢) القرآن العظيم والإنفاق، خطبة لمنصور الغامدي.

(٣) الشوقيات (ديوان)، أحمد شوقي، ١/ ١٨٥.

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

المقصود هو كفاية من تفرغ للعلم واقتصاد المعرفة لتمكينه من استثمار الوقت الذي سيبدله في التكسب، وصرفه في التعليم أو التعلم؛ وليس هذا متاحًا لأي كان، وإنما لمن اجتمعت فيه مواهب وملكات تظهر أن له إمكانات لنفع الإسلام والمسلمين إذا تفرغ، وأن الأمة محتاجة إليه، وأن طلب الرزق سيعيق مسيرته؛ وأما من تمكن من الجمع بين الخيرين، فحريٌّ به أن يوزع وقته بين طلب العلم وطلب الرزق.

حاصله أن اقتصاد المعرفة بحاجة إلى العمل الخيري، فكم من مبدع حسبه العذر عن بناء الابتكار والإبداع، بسبب صعوبة الوصول إلى جهات يُكوّن فيها نفسه، فناسب أن يتلمس أهل التخطيط احتواء هذه المواهب وتكوينها واستجلاب التمويل عبر أبواب الخير والمعروف.

وإذا ما نظرنا إلى تاريخ الحضارة الإسلامية؛ نجد أن للقطاع الثالث جذورًا فيها؛ "فإن القطاع الخيري في الإسلام يشكل معظم مخرجات القطاع الثالث، إن لم يزد عليه، فهذا القطاع في الإسلام كان مستوعبا لمعظم احتياجات الأمة في معظم حقب التاريخ، وكان أكبر اتساعا من مؤسسات القطاع الحكومي أو القطاع التجاري الخاص، وقد يكون بحق القطاع الأول، ويكفي أنه ولد حضارة إسلامية، حتى كان هذا مصدرًا للعلم والمعرفة والوقاية والعلاج"^(١)؛ وخير مثال على ذلك الوقف، فهو يمثل بؤرة النهضة العلمية والفكرية العربية والإسلامية على مدار القرون، حيث أسهم الواقفون من حكام ووزراء وعلماء وأفراد في مساندة المسيرة العملية، وبالتالي إتاحة المعرفة لكافة طبقات المجتمع دون أدنى

(١) القطاع الثالث والفرص السانحة: رؤية مستقبلية، لمحمد السلومي، مرجع سابق، ص ٦٤.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

تميّز^(١)، فاقْتِصَادِ الْمَعْرِفَةِ بِحَاجَةٍ مَاسِيَةٍ إِلَى التَّبَرُّعِ وَالتَّطَوُّعِ، وَأَبْرَزَهُ الْوَقْفُ الْعِلْمِيُّ، وَالَّذِي يُمْكِنُ تَعْرِيفُهُ عِلْمًا مُرَكَّبًا بِأَنَّهُ: "تَحْيِيْسُ مَالِكٍ مُكَلَّفٍ عَيْنًا مُنْتَفِعًا بِهَا أَوْ مُنْفَعْتَهَا، عَلَى خِدْمَةِ الْمَعَارِفِ وَأَهْلِهَا"^(٢).

لقد أسهم الوقف الإسلامي في بناء صروح العلم، فهو من أهم وسائل التقدم العلمي والفكري والثقافي للبلاد الإسلامية، حيث كانت الأوقاف العمود الفقري للمدارس وللمؤسسات التعليمية الأخرى، لما كان يقفها الحكام والعلماء والأمراء والأغنياء، لتلقي العلم؛ ولم تحصر على تعلم تخصص واحد، بل شملت علوم الدين والدنيا، مع التركيز على العلم الشرعي، ولم يقتصر أثر الوقف عند علم معين، وإنما شمل أنواعًا مختلفة من العلوم وألوان المعرفة، سواء في ذلك الشرعي منها والديني؛ مما جعل للوقف دورًا بارزًا في إحداث نهضة علمية شاملة لجميع أنواع المعرفة. حيث تخرج من المؤسسات العلمية الموقوفة عدد من العلماء في شتى فروع المعرفة؛ وتنوعت خدمات الوقف لدور التعليم والمتعلمين، إذ كان الواقفون لهذه المدارس يتسابقون في الإنفاق عليها، وعلى أساتذتها، وطلابها، وموظفيها، ومستلزماتها، فكفلوا للمعلمين والمتعلمين شؤون التعليم والإقامة والطعام والعلاج، وكانت توقف عليهم العقارات والغذاء، والكساء، والمنقولات العينية، لتكون سيولةً وأرصدةً ماليةً مستمرةً، تنفق على الأساتذة والطلاب، وعلى ما يحتاجون إليه من وسائل وأدوات تعليمية ومرافق أخرى، بل وتم تأمين أماكن إقامة يأوي إليها المسافرون لطلب العلم نتيجةً للتسهيلات التي وفرها واقفو المدارس للعلماء وطلاب العلم، الذين كانوا

(١) الوقف وبنية المكتبة العربية، ليحيى ساعاتي، ص ٩.

(٢) الوقف على العلم أوقاف جامعة الملك سعود نموذجًا، نذير محمد أوهاب، بحث منشور بموقع

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

ينتقلون بين البلدان، وهم واثقون بأنهم سيجدون سبل الحياة الكريمة ميسرةً، أينما ذهبوا وحيثما حلوا، حتى توافد غير المسلمين على بعض تلك المدارس في الأندلس وفي جنوب إيطاليا وفي بلاد المغرب العربي، و الشام ومصر^(١)، ومن أشهرها المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم تبين مدرسة قبلها مثلها، حيث قرر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافرة لكل واحد، وهذه الجهود والتحفيزات تؤدي إلى وجود أعدادٍ غفيرةٍ من المتعلمين بتخصصات مختلفة ومتنوعة^(٢)، قال محمد بن عبد العزيز بن عبد الله: "كما كان وقفٌ هام بالقطر التونسي خصص ريعه للصبيان، لهم يوم مخصص هو يوم الخميس، يسألونهم فيه عن جميع ما قرؤوه في الأسبوع، ويعطونهم بعد ذلك دراهم، بعثا لهممهم، وتسريةً لنفوسهم، وترويحاً لخاطرهم"^(٣).

وخلاصة القول إن هذه الإحاطات والاحتواءات تشجع على العلم والمعرفة، وتهتم بالشتلات العلمية الموهوبة، فتزرعها وتسقيها، لتحصد العلماء والخبراء الذين ينفعون المجتمع، وينشطون الاقتصاد، ويخولون التقدم، وتلك هي زبدة اقتصاد المعرفة، فهل يعود ذلك بالنفع على المجال الخيري، أم يبقى مقصوراً على نفسه؟ ذلك ما يروم الباحث مناقشته في المطلب التالي.

(١) دور الوقف في تعزيز المعرفة، لمحمد كالو، وأيضاً: أهمية الوقف في نشر العلم، لموفق العوض؛ بحثان مشاركان في مؤتمر "أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية" الذي أقيم في جامعة الشارقة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، والذي أقيم يومي الإثنين والثلاثاء ٦-٧ جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ الموافق ٩-١٠ مايو ٢٠١١م.

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير، ١٧ / ٢١٢-٢١٣.

(٣) الوقف في الفكر الإسلامي، لمحمد بن عبد العزيز بن عبد الله، 1 / 136، بتصرف يسير.



المطلب الثاني

النهوض بالقطاع الثالث

من خلال استثمار اقتصاد المعرفة.

ذكرنا أن المعرفة هي محور الحركة الاقتصادية، فهي حصيلة القدرة على استخلاص مفاهيم ونتائج جديدة، اعتماداً على الإبداع البشري، وعليه، فإن اقتصاد المعرفة يقوم على الفهم البشري والثورة المعلوماتية والتكنولوجية، ولا يرتقي هذان إلا بالإبداع والابتكار، اللذين يخولان تطوير منتجات فكرية ومعلوماتية جديدة تنهض بالعمل الخيري^(١)؛ لأن المعرفة^(٢) كانت عبر التاريخ الإنساني مصدر بناء للحضارات الإنسانية في كل زمانٍ ومكانٍ، وبذلك أصبحت المعرفة العامل الأساس والمحرك لتطور الشعوب ولها تأثير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فهي مرتكزٌ أساسيٌّ يبني عليها الإنسان قراراته ويعالج بها مشاكله، فيؤدي تراكمها إلى نمو وتطور المجتمع، وقد صارت أهم مصدر للثروة، إذ أصبحت تعادل إمكانات رأس المال والموارد الطبيعية^(٣).

(١) للمزيد، راجع بحثي تحت عنوان: "ترفيح الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة من خلال الإبداع والابتكار في النصوص الشرعية، منتدئ فقه الاقتصاد الإسلامي الرابع: "الابتكار والسعادة في نمط الحياة الإسلامي، رؤية استشرافية"، والذي نظمته دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، بشراكة مع مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، يومي (٢٢-٢٣) أبريل ٢٠١٨.

(٢) راجع: الاقتصاد المعرفي ودوره في التنمية الاقتصادية، لصادق طعان، مرجع سابق.

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

فالعلم أساس التقدم ومنبع السعادة، ولهذا نجد أن الدول التي اهتمت بالعلم تحظى بالتطور والتقدم، في حين تقبع الدول التي أهملته، في المراتب المتأخرة في النمو والتطور، وما دام اقتصاد المعرفة مبنياً على العلم فإن الاهتمام به واستثماره مفتاح للتطوير والرقى، ولا يخرج المجال الخيري عن هذا الأصل؛ إذ إن إخضاعه للعلم والتخطيط سبيل إلى الرفع من إنتاجيته، وفي هذا الصدد يقول الشاعر معروف الرصافي واصفاً أثر الوقف في بناء العلم والمعرفة:

للمسلمين على نزورة وفرهم كنز يفيض غنى من الأوقاف
كنز لو استشفوا به من دائهم لتوجروا منه الدواء الشافي
ولو ابتغوا للنشء فيه ثقافة لتثقفوا منه بخير ثقاف

لقد صار الاقتصاد العالمي غير منفك عن المعرفة والتقنية المعلوماتية والاتصالات، فأدى الاقتصاد المعرفي إلى التنمية الاقتصادية؛ إن العلاقة بين التنمية وتوليد المعرفة أصبحت أكثر وضوحاً، لذلك من الضروري بناء سياسات لتطوير الموارد البشرية الموهوبة^(١). ولا شك أن العمل الخيري ينخرط في هذه المنظومة ويحتاج إلى إبداعات اقتصاد المعرفة لمزيد من الهيكلة والتنظيم، ولحصول مزيد من التطوير والحفاظ على حسن التسيير.

ومنه، فالحاجة ماسة إلى تغيير النظرة القاصرة والمحدودة حول العمل الخيري؛ والتي تحصره في مجرد العطاء والاستهلاك، بغية الانتقال به إلى الاعتماد على المعرفة والعلم، لمزيد من التخطيط والنجاح، نحو تحقيق التنمية وتقديم المجتمع.

(١) الاقتصاد المعرفي ودوره في التنمية الاقتصادية، لصادق طعان، مرجع سابق.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

إن مؤسسات العمل الخيري لا تستقيم بدون تخطيط وتتبع، ولا يكون ذلك إلا بالأفكار، والتي تحتاج إلى اقتصاد المعرفة؛ فالعمل الخيري مطالب بأن يكون عملاً جاداً تشارك فيه كل الجمعيات الخيرية بمشاريع تنموية، تقوم على تبرعات أهل العطاء، وتخطيط أهل الفكر، وتنفيذ المخلصين، ودعوة المتطوعين^(١). حيث إن هناك طاقاتٍ مبرزةً يمكنها بذل وتسخير أفكارها وجهودها في سبيل النهوض بالعمل الخيري، وتسهيل وصول المساعدات إلى مستحقيها؛ ومنه، فإن العمل الخيري متوقفٌ على أفكار تخدمه وجهود تسيره.

وإذا كان أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وكان الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، فإن البدار إلى التبرع والعمل الخيري، مطلبٌ في غاية الأهمية، والحمد لله الذي لم يجعل ذلك محصوراً في بذل المال كما يتبادر إلى ذهن العديد من الناس، وفيه قصر للعمل الخيري على من منَّ الله عليه بالمال، بل قد فتح الله باب التبرع بالمنافع، وهو أمرٌ متيسرٌ لكل الناس، كلٌّ بحسب ما يسره الله له، وبحسب ما يتقنه، ومن ذلك التبرع بالمعرفة والعلم والخبرة، بحيث يسدي ذلك المتبرع؛ إسهاماً في العمل الخيري، إما على مستوى التطبيق والعمل والممارسة، أو على مستوى التنظير والمشورة؛ وقد يدرك المتبرع بمنفعةٍ، ما لا يدركه المتبرع بالمال، سواء على مستوى الأجر، أو على مستوى النتائج المشاهدة، ودوننا جائزة المرأة التي كانت تقم المسجد، وأمamana فكرة ذي القرنين التي كفت الناس شر يأجوج ومأجوج، فالتبرع بالمنافع سبيلٌ سهلٌ، وغلته مضمونةٌ، ويتم ذلك بطرقٍ متنوعةٍ، ووسائل كثيرةٍ؛ والنصوص الشرعية وكتب الفتاوى والنوازل، حبلٌ بهذه

(١) العمل الخيري تكافل اجتماعي وعطاء إنساني، لعبد الملك منصور، بحث مقدم لمؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري، بدبي ٢٠-٢٢ يناير ٢٠٠٨.

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

النماذج، وهي منجمٌ مهمٌ لاستكشاف حيثيات التبرع بالمنافع وتطوير ذلك.

وتتمثل إجراءات استثمار اقتصاد المعرفة في المجال الخيري في أمور، منها:

أ. **التشخيص:** يتم عبر دراسة الحالة، ومعرفة الواقع، وتحديد الإمكانيات، ومعرفة الحاجيات؛ ومعلوم أن اقتصاد المعرفة سيسعفنا في هذه الحال بالإحصاءات، والتحليلات، والخلاصات، مع تدخل الإعلاميات والاستبانات ونحوها.

ب. **العلاج:** يعمد المسؤولون عن العمل الخيري إلى علاج المشكلات، عبر التكوين والتكوين المستمر، وتغطية العجز المالي، وإعادة الهيكلة والتدبير، مع العمل على الترشيد والتطوير؛ ولا شك أن التنظير والتفكير عاملان أساسيان يأتي بهما اقتصاد المعرفة لرصد سبل العلاج، علاوة على تأمينه لآليات الإصلاح و ملء الفراغات، وسد الفجوات، بواسطة المختصين ذوي المعرفة العلمية، والخبرة العملية.

ت. **الوقاية:** وهي بلا شك أولى من العلاج، ويبرز دور اقتصاد المعرفة فيها جلياً؛ لأنه يمكن من التخطيط، وإعداد سبل التحوط لدرء المخاطر، وهذه علوم تدرس في التخصصات الاقتصادية، ولها سند في النصوص الشرعية؛ كما تكمن الوقاية في التغذية الراجعة التي تخول تقويم الاعوجاج، والاستفادة من الأخطاء.

✦ وأما مراحل استثمار اقتصاد المعرفة في القطاع الثالث، فهي في تقديري

كالآتي:

المرحلة الأولى: دراسة الواقع لتحديد حاجات القطاع الثالث ومشاكله.

المرحلة الثانية: إعداد سبل الوقاية والعلاج.

المرحلة الثالثة: القيام بالتغذية الراجعة بالاستفادة من الواقع الراهن

لاستشراف المستقبل.

ومن أمثلة أثر اقتصاد المعرفة في القطاع الثالث أذكر الآتي:

أ/ إعداد الأطر العاملة والكوادر.

ب/ التكوين والتكوين المستمر.

ت/ إنجاز البحوث العلمية التي تخدم المجال الخيري.

ث/ القيام بالدراسات الميدانية التي تكشف عن الخلل وتخطط

للمستقبل.

ج/ استثمار الاقتصاد الإسلامي، والهندسة المالية؛ لترشيد الإنفاق

الخيري، وإيجاد الصيغ الاستثمارية؛ التي تنمي رصيد القطاع الثالث.

ح/ الاستعانة بالمعلومات، ووسائل التواصل الاجتماعي؛ لتسهيل

التعاملات الخيرية، وتطوير مجالاتها.

وعلى هذا، فثمة علاقة وطيدة بين المجالين، فالعمل الخيري يخدم اقتصاد

المعرفة، واقتصاد المعرفة يخدم العمل الخيري؛ فهي علاقة مُتبادلة، ونفعٌ

مشتركٌ، مما يستوجب توخي الاستثمار الأمثل لهذا الشئ؛ ليرقى كل شقٍّ منه

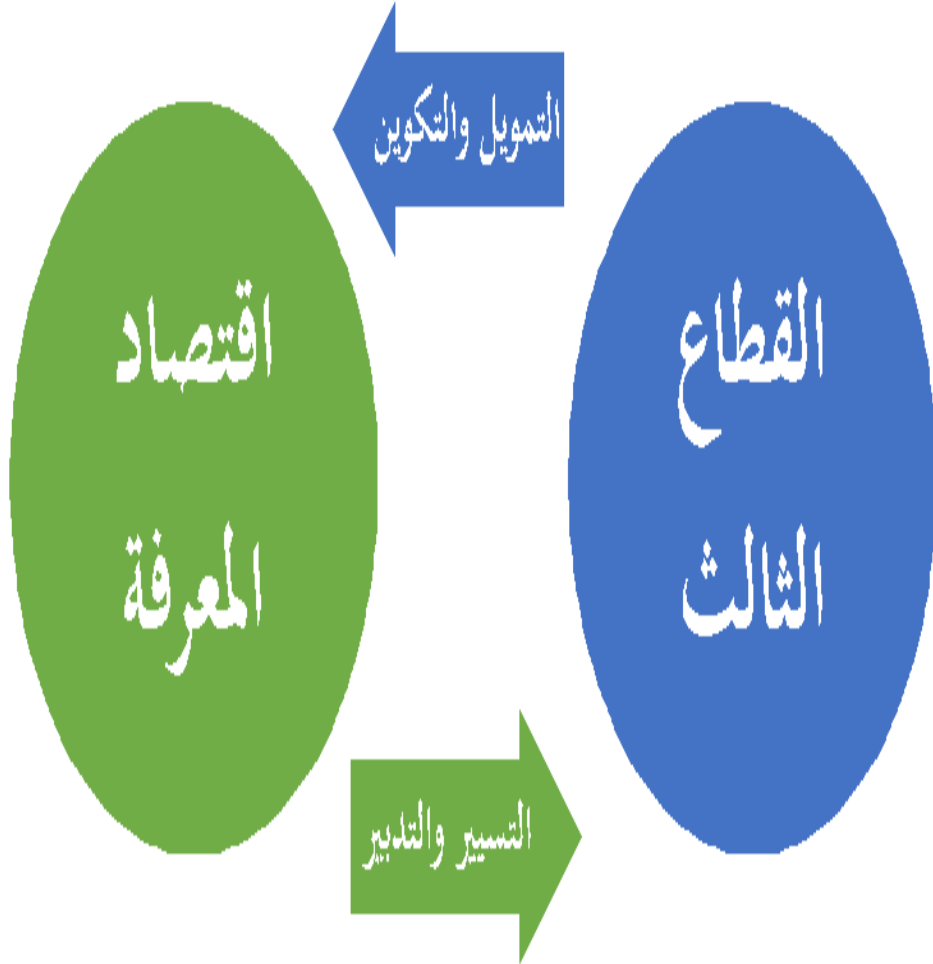
فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

بصاحبه، ويتمكنان من التطور سوياً، والنتيجة هي خدمة المجتمع وتحقيق التنمية.

إن اقتصاد المعرفة بحاجة إلى العمل الخيري، والعمل الخيري بحاجة إلى اقتصاد المعرفة، لأنه كما يقال: "المعرفة قوة"؛ فلا بد من معارف أولية تؤسس للعمل الخيري، ولا بد من العمل الخيري لإنتاج معرفة جديدة، تخول عملاً خيرياً رصيناً، وتنتج منتجات تثرى الساحة الاقتصادية، وتعالج المشاكل الراهنة وتستشرف للمستقبل.

ويكمن الأثر الاقتصادي لهذه العلاقة، في استفادة كل طرفٍ من الآخر، فالاقتصاد المعرفة ينمو بتمويل القطاع الثالث واستثمار، والقطاع الثالث يحسن مردوديته وإنفاقه المادي باستثمار اقتصاد المعرفة؛ لأن من تكونوا معرفياً بتمويل القطاع الثالث، يُرجى كونهم أول من يعمل فيه ويتطوره، "حيث تُثبت الدراسات في هذا الشأن أن هؤلاء كان وجودهم واضحاً في ساحة النشاط الاقتصادي للمجتمع الإسلامي؛ إذ عملوا تجاراً، وكتبةً، ومحاسبين، وصيارفة، وغير ذلك من المهن التي عرفت في المجتمع"^(١)، ولهذا فإنه يُرغب في نهج اقتصاد المعرفة للتحوط ودرء المخاطر في تسيير المؤسسات الخيرية، وذلك بإجراء دراسات جدوى علمية، ودراسة الواقع لمعرفة المهددات والمخاطر، وإعداد سبل التحوط والاحتراز؛ لضمان نجاعة مردودية المؤسسة الخيرية واستمراريتها.

(١) الدور الاجتماعي للوقف، لعبد الملك السيد، ص ٢٥٨، نقلاً عن بحث: أثر الوقف في إنجاز التنمية الشاملة، شوقي دنيا، ص ١٣٧.



شكل يلخص العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة.



المطلب الثالث

العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة

في ضوء الفقه الإسلامي وقواعده.

إن المهددات التي تترصد بالعمل الخيري كعامل مهم لوضع خطة للتحوط والوقاية، وإعداد سبل وأساليب العلاج؛ فلا بد لإنجاح العمل الخيري من مقومات تستمد نورها من النصوص الشرعية، ولا شك أن هذه الإجراءات كلها لا يستقيم أن تتم بمنأى عن القواعد والمقاصد، ولا ينبغي أن تخلو من استثمار للحاضر للاستعداد للمستقبل.

ولما تقرر ترسخ العلاقة الوطيدة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة، فإنه من الضروري تلمس أسس ذلك في الفقه الإسلامي وقواعده ومقاصده، ويرى الباحث أن فقه هذه العلاقة لا ينفك عن المعنى اللغوي للفقه والذي هو الفهم، مما يستلزم ضرورة فهم العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة، وهو ما يستلزم التصور الجيد لمكوناتها وتجلياتها؛ لأن ما سيأتي من بناء للعلاقة واستثمارها إنما هو مبني على فهمها وحسن تصورها؛ مما ينقلنا إلى الفقه بمعناه الاصطلاحي، والذي يتنزل ههنا في العلم بالأحكام الشرعية لتداخل القطاع الثالث واقتصاد المعرفة، استنباطاً من الأدلة التفصيلية للمجالين؛ معنى ذلك أن تنزيل هذه العلاقة يستلزم فقهها لمعرفة أحكام تدبيرها من جهة، وللحكم على

بحوث مؤتمر العمل الخيري

النوازل التي تعرض لها من جهة أخرى؛ مما يتطلب تكييفاً فقهيّاً للحالة الراهنة أو المستجدة^(١)، هذا التكييف الذي يبنى على التوصيف الفقهي الجيد، والذي عبرت عنه آنفاً بحسن الفهم ورصانة التصور.

وإذا استُجلى التصور بشكل جيد، وبنى عليه التكييف بشكل متين، فإن استثمار الأدلة الشرعية ولو احقها، يكون مؤسساً على قاعدة مستقرة، ويتبع ذلك حال إصدار الحكم الشرعي؛ فهي إذن عملية اجتهادية تضبط فقه العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة، والكامن في النصوص الشرعية التي تضبطهما، ويمتد ذلك إلى اجتماع القواعد التي تحكمهما، والمقاصد التي توجههما؛ وفي حالة التزاحم بين المصالح والمفاسد فلا مناص من تدخل الموازنات والترجيحات؛ مما يجعل فقه هذه العلاقة دائراً بين الحالات التالية:

أ. التصور والتكييف للعلاقة بين المجالين.

ب. الحكم الشرعي لما يجري في ساحة العمل الخيري واقتصاد المعرفة.

ت. الإفتاء في النوازل والمستجدات التي تعرض لتداخل المجالين.

ث. استثمار القواعد والمقاصد والموازنات التي تخدم علاقة القطاع الثالث

واقتصاد المعرفة.

ج. إيجاد الحلول والمخارج للمشاكل التي تعرقل حسن استثمار العلاقة بين

المجالين.

(١) وهو تحديد حقيقة الواقعة المستجدة لإحاقها بأصل فقهيّ، خصه الفقه الإسلامي بأوصافٍ

فقهيّة، بقصد إعطاء تلك الأوصاف للواقعة المستجدة عند التحقق من المجانسة والمشابهة بين

الأصل والواقعة المستجدة في الحقيقة. التكييف الفقهي للوقائع المستجدة وتطبيقاته الفقهيّة،

لمحمد شبير، ص ٣٠.

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

ولنضرب لذلك مثالا: رجل أراد أن يقف مالا في سبيل الله لفائدة الدورات التكوينية؛ التي تستهدف الكوادر العاملة في المجال الخيري.

تصور المسألة وتوصيفها: وقف مال لتكوين العاملين في المجال الخيري، وهذا تسخير للمجال الخيري في خدمة اقتصاد المعرفة، وثمره ذلك ستعود على المجال الخيري مرة أخرى.

التكييف الفقهي: هذا وقف للمال.

حشد النصوص والحكم على الواقعة: هذه المسألة مختلف فيها، فهناك من أجاز وقف النقود وهناك من منعه، فيتم جمع الأدلة، ومراعاة القواعد والمقاصد، ثم إصدار الحكم.

الموازنات والترجيحات: قد يرى المجتهد تأمين الأجهزة الإعلامية والمكتبة الورقية لهؤلاء العاملين، وتقديم ذلك على تكوينهم، فيشير بذلك على الواقف.

المخرج الشرعي: عوض استهلاك ذلك المال، ينصح باستثمار الوقف، وصرف أرباحه في المشروعين معاً، فيكون ذلك جمعا بين الحسنين.

فهل يمكن للنصوص الشرعية والفقه الإسلامي تخويل خدمة هذه العلاقة وترسيخها للرفعي بالقطاع الثالث واقتصاد المعرفة؟

هذا ما يرمي الباحث الإجابة عليه من خلال العنصرين التاليين:

أولا: أهمية النصوص الشرعية في فقه العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة.

ثانيا: مكنم التأصيل الشرعي لفقه العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة.

✦ أولاً: أهمية النصوص الشرعية في فقه العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد

المعرفة.

إذا نظرنا إلى القطاع الثالث والعمل الخيري، فإن الأدلة كثيرة في هذا الباب؛ إذ إن النصوص الشرعية غنية بما يدل على العمل الخيري، وفي المقابل فإن اقتصاد المعرفة والعلم عامة، من الأمور التي عنيت بها الشريعة الإسلامية وحرصت عليها ودعت إليها؛ ولأجل ذلك، فلا شك أن هذا التلاحم بين العمل الخيري، وبين اقتصاد المعرفة، سيجد ضالته في النصوص الشرعية؛ لأنها من جهة منجم للعمل الخيري كما ذكرنا آنفاً، ومن جهة أخرى هي مرجع مهم لاقتصاد المعرفة، فهي تحث على طلب العلم وتطوير المعارف، ولا يمكن للعمل الخيري أن ينمو إلا في أجواء العلم والمعرفة والاجتهاد، لهذا السبب، وحرصاً من رسول الله ﷺ على أن تتميز هذه الأمة في عطاءاتها الفكرية والعملية، خص جزءاً مهماً من توجهاته للحث على طلب العلم، والعمل على بذل الوسع والاجتهاد^(١).

وكمثال على ذلك أسوق ما ورد عن أبي سعيد الخدري، قال: "بينما نحن في سفرٍ مع النبي ﷺ إذ جاء رجلٌ على راحلةٍ له، قال: فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهرٍ، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضلٌ من زادٍ، فليعد به على من لا زاد له»، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحدٍ منا في فضلٍ"^(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «من كانت له أرضٌ فليزرعها، فإن لم يستطع أن يزرعها وعجز عنها، فليمنحها أخاه

(١) الإبداع والابتكار في السنة النبوية، ليويسف عبد اللاوي، بحث منشور بمجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية العدد ٤، المجلد ١، بتصرف يسير.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال، ٣/ ١٣٥٤.

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

المسلم، ولا يؤجرها إياه»^(١).

فهذان نموذجان من استثمار اقتصاد المعرفة في العمل الخيري حيث أشار النبي ﷺ إلى استثمار الفائض وحسن توزيعه وفتح باب الأمل أمام الطاقات التي تفتقر إلى المواد الأولية.

فالمقصود إذن هو أن النصوص الشرعية تسعف في اقتصاد المعرفة لتنمية العمل الخيري، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: " لا يبيع في سوقنا إلا من قد تفقه في الدين"^(٢)، لأنه سيكون معرضاً لأكل الربا والغوص في الغرر والجهالة، فالفقه في الدين يخول المعرفة السليمة بفقه البيوع، ويحصن التاجر من مغبة الوقوع في المحذور والإضرار بالاقتصاد، وهكذا في العمل الخيري، فإنه يتطلب كفاءة وفقه حتى لا يؤول الأمر إلى الإفساد من حيث يراد الإصلاح.

فالمشاكل المعروضة إما أن تجد لها حلاً في اتباع التجارب السابقة والتقليد، وإما تضطر الباحث إلى ابتكار حلول جديدة، واستراتيجيات إبداعية؛ ولعل هذا ما لوح إليه الشافعي رحمه الله حين قال: "والعلم من وجهين اتباع، أو استنباط، والاتباع اتباع كتاب، فإن لم يكن فسنة، فإن لم تكن فقول عامة من سلفنا لا نعلم له مخالف، فإن لم يكن فقياس على كتاب الله عز وجل، فإن لم يكن فقياس على سنة رسول الله ﷺ فإن لم يكن فقياس على قول عامة من سلف لا مخالف له، ولا يجوز القول إلا بالقياس وإذا قاس من له القياس فاختلفوا وسع كلا أن يقول

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب كراء الأرض، ٣/ ١١٧٦.

(٢) سنن الترمذي، أبواب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ١/ ٦١٥.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

بمبلغ اجتهاده ولم يسعه اتباع غيره فيما أدى إليه اجتهاده بخلافه، والله أعلم^(١).
وهنا تبرز أهمية النصوص الشرعية، فإما أن نجد فيها الحل جاهزاً، وما علينا حينئذ إلا الاتباع؛ وإما أن يحتاج إلى نظرٍ وتأمل، ونكون مضطرين إلى الاجتهاد والاستنباط، وذلك حقل له فرسانه؛ لأنه لا يسوغ إلا عند غياب النص الشرعي الصحيح الصريح، ولا يتأتى إلا في ظل عملية إبداعية، تستوجب تصوراً شاملاً، وفهماً متقدماً، يتولد عنه ابتكار الحل المفقود من خلال النص الشرعي الموجود^(٢). فالاجتهاد الفقهي في أصله ابتكار وإبداع؛ لأنه يستنبط حكماً مفقوداً انطلاقاً من نصوصٍ شرعيةٍ موجودةٍ، وهذه العملية مُحاطةٌ بسياج التقوى والاحتياط لمراقبة الشرع، ومبشرةٌ برحاب الأجر؛ لأن المجتهد مأجور على كل حال. وعلى غرار ذلك نجد أن العمل الخيري يفتح باب الاجتهاد في الفقه الإسلامي من خلال فقه المستجدات للبحث في القضايا الراهنة، وفي ضوء الظروف المعاصرة ومشاريع التنمية في مراحل لاحقة، مما يستحث الفقهاء لدراسة هذه الحالات والتوصل إلى حلٍ وتأسيس شرعي لها^(٣). ولأجل ذلك يجب تكييف الواقعة وتصورها تصوراً صحيحاً مطابقاً للواقع^(٤)، وذلك

(١) الأم، للشافعي، ١/١٧٩.

(٢) انظر بحثي تحت عنوان: "ترفيح الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة من خلال الإبداع والابتكار في النصوص الشرعية، منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي الرابع: "الابتكار والسعادة في نمط الحياة الإسلامي، رؤية استشرافية"، مرجع سابق.

(٣) العمل الخيري تكافل اجتماعي وعطاء إنساني، لعبد الملك منصور، مرجع سابق.

(٤) تفاوت "صيغ العقود" طبيعي؛ لكن لا يتجاوز إلى التطبيق والإخلال بـ"الفتوى"، تفاوت "صيغ العقود" طبيعي لكن لا يتجاوز إلى التطبيق والإخلال بـ"الفتوى" (ندوة نظمت بريدة/السعودية، أدارها منصور الجفن)، تقرير منشور بجريدة الرياض، الثلاثاء ٣ ربيع الأول ١٤٣٤ هـ - ١٥ =

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

بالتوصيف الجيد للنازلة على أمل الحصول على تكييفٍ فقهِيٍّ مناسبٍ لها، لأن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، ويمكن استشارة أهل الفنون الأخرى إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ثم تحشد الأدلة الشرعية وفق التوصيف والتكييف المنجزين في المرحلة السابقة، بغية تحقيقٍ للمناط والوصول للحكم الشرعي^(١)، فهذه مرحلةٌ تنزيليةٌ للأدلة على صورة المسألة، ولذلك فعلى المجتهد أن يبادر إلى جمع النصوص التي لها علاقةٌ بالواقعة أو النازلة، وهنا أيضًا يمكن استشارة أهل الفنون الأخرى إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

❖ ثانياً: مكن التاصيل الشرعي لفقه العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد

المعرفة.

قد يتساءل متسائلٌ: كيف يمكن للنصوص الشرعية التي نزلت في فترةٍ سابقةٍ، ووردت في سياقٍ معينٍ، أن تجيب عن مستجداتٍ ونوازل العمل الخيري وتسهم في استثمار اقتصاد المعرفة؟

والجواب أن يقال: إنه رغم اختلاف الظروف والحيثيات، فقد تشابهت المقاصد والغايات، بحيث نجد أن النازلة المستجدة لها أصلٌ وشبهٌ ونظيرٌ في النص الشرعي القديم، ما دام الحكم الشرعي المضمَّن في ذلك النص ثابتاً ودائماً لا يتغير ولا يتبدل؛ لأن المصلحة التي شرع لتحقيقها لا تتغير ولا تتبدل، لكن

كانون ثاني ٢٠١٣م - العدد ١٦٢٧٦.

(١) هيئات الفتوى والرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية (دراسة وتقويم)، بحث لعبد الحق حميش. هيئات الفتوى والرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية (دراسة وتقويم)، عبد الحق حميش، بحث مقدم للمؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر، كلية الشريعة والقانون جامعة الإمارات العربية المتحدة.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

تطبيقه على الوقائع قد يتغير من مجتهد إلى آخر، ومن بلد إلى بلد، ومن زمن إلى زمن، مع وحدة الحكم الشرعي وثباته^(١).

إذن، يرجى البحث في الشريعة الغراء عن الأدلة التي تخدم هذه العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة، وتخول الإجابة عن تساؤلاتها والإفتاء في نوازلها، مما يستوجب استحضار القواعد الشرعية؛ التي تسعف في الحصول على الفتاوى المناسبة لكل زمان ومكان، وتمكن من رد المتفرق إلى المجتمع ومن قياس الفروع على الأصول، بحيث تُنسج في إطار كليات جامعة للفروع، لتعود مرة أخرى خادمة لتلك الفروع التي نتجت عنها، وكاشفة عن أحكامها؛ هذا الذهاب والإياب بين القواعد والفروع، ينم عن علاقة حية متحركة تخدم الفقه الإسلامي.

وبما أن المعاملات الخيرية تحتل حيزًا مهمًا في حياة المسلمين، ونظرًا لأهميتها، فإن فقهاءنا الأجلاء أحاطوها بمزيد عناية، وضبطوها بالتأصيل والتفصيل؛ لكن ظهور مستجدات ونوازل في هذا المجال، يستدعي بحثًا في النصوص واستحضارًا للقواعد والمقاصد، واستدعاء للأقيسة والتخريجات؛ لإيجاد أجوبة للفتاوى المعروضة، ولإسعاف السائلين حول الأسئلة المطروحة.

وليس هذا فحسب، بل تتدخل هذه القواعد والتأصيلات، عند التزاحمات والاختلافات، لإرساء أسس الموازنات والترجيحات، وتحقيق فقه المآلات،

(١) للمزيد راجع: السنة تشريع لازم ودائم، لفتحي عبد الكريم، ص ٩٣-٩٤. وأيضًا: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي، مقدمة/٩ و ٤٩/١. وكذلك: الرد على من ينكر حجية السنة، لعبد الغني عبد الخالق، ص ٤٧٨.

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

وفتح باب الحاضر والاستشرافات.

فلا بد من الكشف عن سبل تأصيل العمل الخيري وتعميد فروع الفقهية وإظهار مدى استيعاب الفقه الإسلامي للأحكام، ومساعدة غير المختصين في الفقه على الاطلاع على محاسن هذا الدين، وإبراز دور تأصيل وتعميد العمل الخيري، في تدبير الاختلاف وترشيده، مع استثمار التعميد والتأصيل في الموازنة والترجيح، وفقه الأولويات والمآلات.

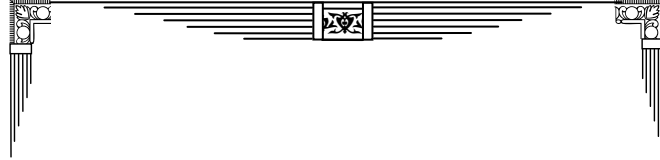
فيجب إبراز دور القواعد الأصولية الفقهية والنظريات الفقهية في ضبط العمل الخيري والحكم على نوازله مع الإتيان بنماذج من تعميد العمل الخيري من خلال النصوص الشرعية و كتب النوازل، نحو استشراف مستقبلي لاستثمار التعميد والتأصيل في توجيه العمل الخيري وترشيده.

إن الحاجة إلى ضبط العلاقة بين اقتصاد المعرفة والعمل الخيري وتطويره، لأمرٌ يجد ضالته في قواعد الشريعة الإسلامية وأصولها؛ إذ لا ينفك فقه العمل الخيري عن الرجوع للأصول، سواء كانت نصوصاً مباشرة أو إجماعاً، أو قواعد تبنى عليها الأقيسة والتخاريج.

إن استثمار التعميد والتأصيل لكفيل بتقديم نماذج عملية من المعاملات الخيرية، تكشف عن مرونة الشريعة واستيعابها للنوازل وللمستجدات العصر.



تسبح العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة في فلك النصوص الشرعية وما انبثق منها.



المطلب الرابع

أثر تكامل القطاع الثالث واقتصاد المعرفة في الاقتصاد الإسلامي وفي التنمية البشرية.

تقتضي خيرية هذه الأمة اهتمامها بالعمل الخيري، ولا يستقيم ذلك إلا بتحقيق شروطه وضوابطه، مما ينادي بوضع مقومات لإنجاح هذا العمل، وفق ما جاءت به النصوص الشرعية والقواعد المرضية والمقاصد المرعية، عبر امتطاء اقتصادٍ معرفيٍّ يُدخل في مختبره هذه المكونات، للخروج بعملٍ خيريٍّ مدروسٍ، وقطاعٍ ثالثٍ مَسُوسٍ؛ وإذا ما اعترى هذه المقومات نقص فإن ذلك يؤثر على سيورة العمل التبرعي ويؤدي المستفيدين منه، مما ينسف البادرة الخيرية ويقطع ثمارها ويجفف عروقها. "ومع أهمية القطاع الثالث إلا أنه لا يحظى بما يستحقه، ومن ثم، فإنه من العسير إغفال دوره في الحياة المعاصرة، مع الأخذ في الاعتبار مجريات الأحداث وتداعياتها، ذلك أن حالة الخمول التي يعاني منها العديد من الجمعيات ذات النفع العام، ليست مبرراً لإغفال أو تهميش أو التقليل من تأثيرها حاضراً أو مستقبلاً، والأمل معقود أن يصبح القطاع الثالث شريكاً فاعلاً وأكثر إيجابية"^(١).

(١) القطاع الثالث ودوره في المجتمع، موزة العيار، باختصار من مقال منشور بموقع صحيفة البيان الإماراتية، بتاريخ 28 مايو ٢٠١٢،

<https://www.albayan.ae/opinions/articles/2012-05-28-1.1657938>

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وتحتاج التنمية البشرية إلى اقتصاد إسلامي رصين، ولا يقوم هذا إلا باقتصاد المعرفة، وقد استخلصنا مما سبق أن القطاع الثالث واقتصاد المعرفة بحاجة ماسة إلى التكامل، فكلاهما يخدم الآخر، وذكرنا أن اقتصاد المعرفة بحاجة ماسة إلى القطاع الثالث، فناسب أن نُقيّم هذه العلاقة ونُقوّمها لخدمة الاقتصاد الإسلامي وتحقيق التنمية البشرية.

وقد ورد في المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ما يلي: "لا بد للدعوة من توافر هذين الأمرين: التمويل الكافي والجهاز المقتدر"^(١)، وكذلك العمل الخيري فلا بد له من التمويل الكافي ومن الكوادر الكفؤة التي تحسن إدارة المال وحسن استثماره وتدييره؛ "والقطاع الثالث بمشروعه المأمول يُعدُّ مشروع نهضة، وإصلاحًا للعالم العربي في العصر الحاضر، وتعتبر هيكله الدولة الحديثة القائمة على قطاعاتٍ ثلاثية، من النجاح الإداري لأي دولة، كما أنه في مجمل مدخلاته ومخرجاته من متطلبات تطبيق الشريعة الإسلامية لأي دولة إسلامية، لا سيما بعد غيابٍ طويلٍ لدور الأمة الإسلامية في إدارة أوقافها"^(٢).

فلا شك أن ترشيد النفقات وحسن تدبير التمويلات، أمران مهمان في تسيير المداخيل المالية للمؤسسات الخيرية، على أن هذه المؤسسات تحصل على

(١) كتاب المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، ص ١٢١. المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، (الجامعة الإسلامية: المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة، السنة التاسعة، العدد الرابع، ربيع أول ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م).

(٢) انظر: ما هو القطاع الثالث؟، محمد بن عبد الله السلومي، الموقع الإلكتروني لمركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية، ومشرفه العام هو صاحب المقال،

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

تمويل لا يكفيها أحياناً لسد الحاجات وتحقيق الطموحات، وما تلبث أن تستلمه حتى تسدد به ديوناً سابقةً أو تصرفه في متطلباتٍ آنيةٍ؛ فينقضي التمويل، ثم تضطر للبحث عن آخر، فتدخل هكذا في دوامة الاستهلاك والاستدانة؛ مما يحبسها عن تطبيق برامجها الحالية وعن التخطيط لطموحاتها المستقبلية. وتجدر الإشارة إلى أن الانتقال من هذا النمط الاستهلاكي إلى النمط الاستثماري أمرٌ في غاية الأهمية، بحيث تصير المؤسسات منتجةً وليست مستهلكةً فقط؛ لكن المشكلة تكمن في أن هذه المؤسسات عاجزةٌ عن كفاية حاجاتها فكيف تنتقل إلى الاستثمار؟

إن هذه الموازنة تحتاج فقط إلى شيءٍ من التخطيط والاستشارة من أهل التخصص؛ إذ يمكن استثمار التبرعات المحصل عليها على أمل تسديد المصروفات والحاجات آجلاً عند الحصول على الأرباح أو عند استرجاع رأس المال أو عند الحصول على القروض الحسنة، فالمقصود هو استثمار الأموال وليس مجرد استهلاكها، أقصد أن الإنفاق على يكون ابتداءً، لتمويل مشاريع استثماريةٍ انتهاءً^(١).

ومن ثم فإن هذا الحقل مجالٌ للإبداع في إيجاد صيغٍ تمويليةٍ تمكن من سد الحاجة الحالية ومن استشراف المستقبل.

معنى ذلك أن اقتصاد المعرفة مطالبٌ بنقل هذا المجال من الطابع

(١) راجع بحثي: نحو مشاريع لتمويل تعليم القرآن الكريم وعلومه المصارف الإسلامية أنموذجاً، المؤتمر الثاني لتطوير الدراسات القرآنية (البيئة التعليمية للدراسات القرآنية.. الواقع وآفاق التطوير)، المملكة العربية السعودية، الرياض، 10-13 / 5 / 1436 هـ / الموافق 1 - 4 / 3 / 2015 م.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الاستهلاكي المحض، إلى مرتبة القدرة على تأمين الاكتفاء الذاتي: بحيث يُستثمر شقُّ من المداخيل في مشاريع تدر أرباحًا يعود ريعها على المؤسسة الخيرية، حتى تتمكن من تحسين أدائها بالانتقال من التفكير في تأمين المصاريف، إلى التخطيط لمشاريع استثمارية، إلا أن هذه العملية الانتقالية بحاجة لإعداد أساليب وسبل كفيلة بتمويل هذه المشاريع، وبعبارة أخرى فالمطلوب هو استثمار الخيرية للنهوض باقتصاد المعرفة، الذي سيؤمن الكوادر الكفوة، وبدورها ستعود لخدمة المجال الخيري في إطار خيرية الاستثمار، يعني ترشيد الاستثمار ارتكازًا على اقتصاد المعرفة، فمعنى الخيرية في "استثمار الخيرية" هو العمل الخيري يعني استثمار العمل الخيري، وأما معناها في "خيرية الاستثمار" فالمقصود به ترشيد الاستثمار وتطويره، يعني جعله أجود وأفضل وأنجع، وفي هذا الصدد يقول عبد الملك منصور: "إننا بحاجة ماسة إلى تغيير استراتيجية العمل الخيري من اقتصره على الدور الخدمي والخيري الضيق إلى نظرة جديدة تقوم على اعتبار العمل الخيري شريكًا أساسيًا في تنمية المجتمع ومن نظرة ضيقة هي الإحسان إلى المحتاجين إلى التنمية الشاملة للمجتمع لتنمية قدرات المحتاجين إلى العمل والكسب لا مجرد الاقتصر على السؤال وتلقي الإعانات عملاً بالمثل الصيني الحكيم أن تعطي سمكة لمحتاج جائع، فأنت تؤمن له طعام يومه، أما أن تعلمه الصيد فأنت تؤهله وتمكنه من توفير احتياجاته على الدوام"^(١).

ولتحقيق هذا المسعى فإنه يتوجب تكوين الكوادر المناسبة واختيار الصيغ التمويلية الناجعة، فهما عنصران مهمان سأنطرق إليهما باختصار:

(١) العمل الخيري تكافل اجتماعي وعطاء إنساني، لعبد الملك منصور، مرجع سابق، باختصار وتصرف.

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

❖ أولاً: التكوين والتكوين المستمر:

"تؤكد التجارب على أن القطاع الثالث ذو إسهامٍ فاعلٍ في التنمية البشرية والاقتصادية، بالعمل على تنمية الإنسان تنمية مستدامة ينشدها القطاع الخيري مما يتطلب التأهيل المستمر لإيجاد القيادات العلمية الشرعية بأن يقوم العلماء والمفكرون بدورهم الريادي"^(١)، قال عبد الملك منصور: "يعتبر الحصول على الموارد البشرية المناسبة للعمل والإشراف في القطاعات الخيرية والبحث عنها، وجذبها واختيار أفضلها بما يتفق ومتطلبات العمل، أولى الوظائف الأساسية، ومن ثم تصنيف العاملين، بعد تصنيف الوظائف المتوفرة لدى الجهة أو المؤسسة الخيرية والتي تحتاج إلى شغلها بالعنصر البشري وتنمية المعرفة والمهارة والقدرات للقوى العاملة القادرة على العمل في جميع المجالات"^(٢)

ويتحقق ذلك بسلوك إجراءاتٍ منها ما يلي:

أ. اختيار الأكفاء.

ب. التدريب: بتكوين العنصر البشري حسب أهداف الجهة الخيرية، وتطبيقه لذلك مع لزوم التدريب المستمر.

ت. حسن التوزيع بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب..

ث. إنشاء مركز إسلامي عالمي لجمع البيانات والمعلومات الخاصة بالعمل الخيري..

(١) القطاع الثالث والفرص السانحة: رؤية مستقبلية، لمحمد السلومي، مرجع سابق، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٢) العمل الخيري تكافل اجتماعي وعطاء إنساني، لعبد الملك منصور، مرجع سابق.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ج. تبادل الخبرات والاستفادة منها واستثمار المعلومات والتنسيق بين الجهات ذات الهم المشترك.

❖ ثانياً: الصيغ التمويلية:

لعله من الأنفع أن يتم اختيار الصيغ التمويلية، والأفكار الاستثمارية للمؤسسة الخيرية، وفق هندسة مالية إسلامية مدروسة، وهي المسار الذي يُتبع لاكتشاف أو تطوير صيغة تمويلية، بحيث ترمي إلى تطوير صيغ وابتكار منتجات مالية تستجيب لاحتياجات الواقع وتحديات العصر، استناداً إلى نصوص الشرع وقواعده ومقاصده؛ وبذلك أنتجت الهندسة المالية الإسلامية مجموعة من الأدوات والصيغ التمويلية والاستثمارية الخاصة بها والخاضعة لضوابط المعاملات المالية في الاقتصاد الإسلامي مما ينادي باستثمار ذلك في خدمة العمل الخيري وتدبير أمواله واستثمارها.

ويمكن استثمار مداخل المؤسسات الخيرية في المصارف الإسلامية بصيغ عدة، عبر وجهين^(١):

الوجه الأول: أن تكون عميلاً للمصرف، ومن ثمّ، فحينما تحتاج لتمويل أحد مشاريعها ولا تتوفر على السيولة، ستختار أحد الصيغ التمويلية للحصول على التمويل المناسب، ولنبن ذلك من خلال المثال التالي:

تحتاج المؤسسة إلى بناية لكنها لا تتوفر على ثمنها، فتوجه إلى المصرف،

(١) راجع بحثي: نحو مشاريع لتمويل تعليم القرآن الكريم وعلومه المصارف الإسلامية أنموذجاً، المؤتمر الثاني لتطوير الدراسات القرآنية (البيئة التعليمية للدراسات القرآنية.. الواقع وآفاق التطوير)، مرجع سابق.

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

وتتعاقد معه على أساس تَمَلِّك البناية عن طريق المرابحة أو الإجارة.

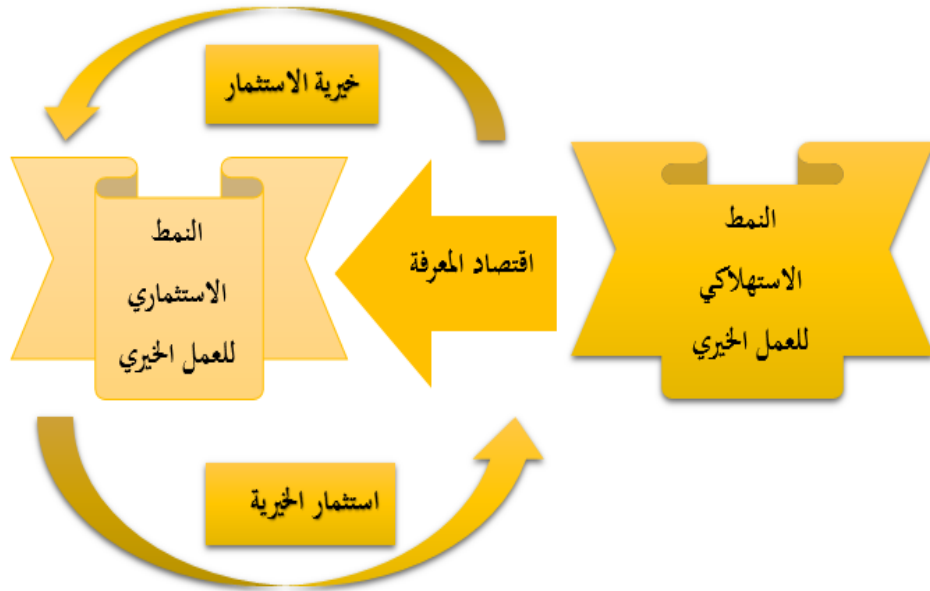
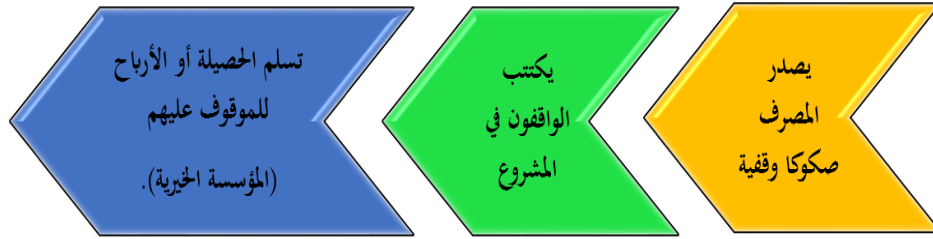
الوجه الثاني: أن تكون المؤسسة الخيرية شريكاً للمصرف أو تربطها به علاقة وساطة، بحيث تعقد مع المصرف على أساس استثمار أموالها مقابل الحصول على أرباحٍ تستفيد من ريعها المؤسسة، ويبقى رأس المال والأصول لدى المصرف يستثمرها في دورةٍ جديدةٍ، وسأمثل لهذا بالصكوك الوقفية، وهي عبارة عن وثائق أو شهاداتٍ خطيةٍ متساوية القيمة قابلة للتداول تمثل المال الموقوف وتقوم على أساس عقد الوقف^(١).

وهي صكوكٌ يصدرها الواقفون بناءً على رغبتهم، ولا تعود عليهم بعائدٍ ماديٍّ، وإنما طمعاً في أجرٍ عظيمٍ عند الله عز وجل، باستخدام حصيلتها في الإنفاق على وجوه الخير^(٢)، بحيث يجمعها المصرف الإسلامي كناظر على الوقف، ويقوم على المشروع الذي يستفيد من ربحه الموقوف عليه وهو المؤسسة الخيرية في موضوعنا، وللواقفين أن يشترطوا على المصرف نوع المشروع، وللمصرف أن يأخذ أجراً مقابل عمله.

(١) الصكوك الوقفية ودورها في التنمية الاقتصادية من خلال تمويل برامج التأهيل وأصحاب المهن

والحرف، بحث لمحمد إبراهيم نقاسي، ص ١٢.

(٢) دراسات في التمويل الإسلامي، لأشرف محمد دوابه، ص ١٦٦.



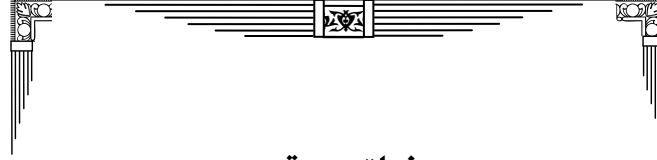
شكل يلخص انتقال العمل الخيري من النمط الاستهلاكي إلى النمط الاستثماري
عبر اقتصاد المعرفة في إطار استثمار الخيرية وخيرية الاستثمار

الصكوك الوقفية وسيلة ناجعة لتمويل المشاريع الخيرية.

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

ومن خلال ما سبق، يمكن القول بأن المصارف الإسلامية قادرةٌ على أن تكون قطب رحي العملية التمويلية للمؤسسات الخيرية، ولن تكسب هذه الثقة إلا إذا طورت أساليب إسهاماتها الاجتماعية باعتمادها على إبداعات الموارد البشرية التي تركز على مخرجات اقتصاد المعرفة، وتبنى على مدخلات التكوين والتكوين المستمر؛ فالمنشود هو إعداد بحوث تكشف عن أشكال العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة وعن تجلياتها، وأنه في هذا الباب بجهود مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية.





خاتمة

أثمر البحث في فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث عن نتائج ودفح الباحث إلى اقتراح توصيات:

❖ فإما النتائج فمنها:

- أ- العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث، علاقة تكاملية؛ بحيث يسهم كل واحدٍ منهما في تطوير الآخر.
- ب- يسعف الفقه الإسلامي وقواعده ومقاصده، في بيان العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث، وفي ترشيدها وتطويرها.
- ت- يحسن بالعمل الخيري أن ينتقل من النمط الاستهلاكي إلى النمط الاستثماري، بالارتكاز على اقتصاد المعرفة.
- ث- تنم هذه العلاقة عن ضرورة استثمار الخيرية وخيرية الاستثمار في آن واحدٍ.
- ج- يتعدى نفع العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث، إلى مجالات أخرى كالاقتصاد الإسلامي والتنمية البشرية.

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

✦ وأما التوصيات فمنها:

- أ- رصد مكافآت تشجيعية للعاملين والباحثين في ترقية العمل الخيري من خلال استثمار اقتصاد المعرفة.
 - ب- بناء الخبرات المعرفية والتكوين والتكوين المستمر لكوادر العمل الخيري والقطاع الثالث.
 - ت- تمويل البحوث ورعاية المسابقات وإحياء المؤتمرات والمحافل العلمية؛ التي تعنى بالعلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث.
 - ث- التعاون والتنسيق بين المؤسسات الخيرية للرفع من الاستفادة من اقتصاد المعرفة في تطوير التدبير والتسيير للقطاع الثالث.
 - ج- العناية بالجهود الإعلامية التي تخدم العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث، وتسهم في تطوير القطاعين.
- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والله ولي التوفيق.

المراجع والمصادر

- ١- الإبداع والابتكار في السنة النبوية، يوسف عبد اللاوي، مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية العدد ٤، المجلد ١، كانون الثاني، يناير ٢٠١٦، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- ٢- اقتصاد المعرفة، مقال منشور بموقع المعرفة:
[/https://www.marefa.org](https://www.marefa.org)
- ٣- الاقتصاد المعرفي.. آفاق استثمارية مجدية وعصرية، لمحمد دهمان، مقال منشور بموقع الاقتصاد العربي، بتاريخ ١٤ أبريل 2017
<http://www.ar-economist.com/>
- ٤- الاقتصاد المعرفي ودوره في التنمية الاقتصادية، صادق علي طعان، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية - كلية الإدارة والاقتصاد - جامعة الكوفة - العراق، العدد: ١٣، ٢٠٠٩م.
- ٥- الأم، محمد بن إدريس الشافعي، (دار المعرفة: لبنان- بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
- ٦- أهمية الوقف في نشر العلم، موفق بن عبد الله العوض، بحث مقدم لمؤتمر " أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية" المنعقد في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

بجامعة الشارقة يومي الإثنين والثلاثاء ٦-٧ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ الموافق ٩-١٠ مايو ٢٠١١ م.

٧- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع: مصر- الجيزة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)

٨- ترفيع الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة من خلال الإبداع والابتكار في النصوص الشرعية، علي نجم، بحث مشارك في منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي الرابع: "الابتكار والسعادة في نمط الحياة الإسلامي، رؤية استشرافية"، والذي نظّمته دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، بشراكة مع مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، يومي (٢٢-٢٣) أبريل ٢٠١٨.

٩- تفاوت "صيغ العقود" طبيعي لكن لا يتجاوز إلى التطبيق والإخلال بـ"الفتوى" (ندوة نظمت بريدة/السعودية، أدارها منصور الجفن)، تقرير منشور بجريدة الرياض، الثلاثاء ٣ ربيع الأول ١٤٣٤ هـ - ١٥ كانون ثاني ٢٠١٣ م - العدد ١٦٢٧٦.

١٠- التكييف الفقهي للوقائع المستجدة وتطبيقاته الفقهية، محمد عثمان شبير، (دار القلم: سوريا- دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ-٢٠١٤م).

١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشهير بتفسير السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (دار الفكر: لبنان-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

١٢- دراسات في التمويل الإسلامي، أشرف محمد دوابه، (دار السلام: مصر-

بحوث مؤتمر العمل الخيري

القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

١٣- الدور الاجتماعي للوقف، عبد الملك السيد، نقلا عن بحث: أثر الوقف في إنجاز التنمية الشاملة، شوقي دنيا، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة المملكة العربية السعودية- الرياض، العدد (٢٤)، ١٤١٥ هـ.

١٤- دور الوقف في تعزيز المعرفة، محمد محمود كالمو، بحث مقدم لمؤتمر " أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية" المنعقد في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة يومي الإثنين والثلاثاء ٦-٧ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ الموافق ٩-١٠ مايو ٢٠١١م

١٥- الرد على من ينكر حجية السنة (مطبوع مع كتاب دفاع عن السنة لأبي شهبه)، عبد الغني بن محمد عبد الخالق، (مكتبة السنة: مصر- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م).

١٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، (مكتبة المعارف: السعودية- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م).

١٧- السنة تشريع لازم ودائم، فتحي عبد الكريم، (مكتبة وهبة: مصر- القاهرة: الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م).

١٨- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، (المكتب الإسلامي: لبنان- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م).

١٩- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، (دار الرسالة العالمية: لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م).

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

- ٢٠- سنن الإمام الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي: ١٩٩٨ م).
- ٢١- الشوقيات (ديوان)، أحمد شوقي، ١/ ١٨٥، (دار العودة: لبنان - بيروت، ١٩٨٨ م).
- ٢٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الألباني، (المكتب الإسلامي: لبنان- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- ٢٣- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (الطبعة التركية للمطبعة العامرة).
- ٢٤- الصكوك الوافية ودورها في التنمية الاقتصادية من خلال تمويل برامج التأهيل وأصحاب المهن والحرف، محمد إبراهيم نقاسي، المؤتمر الدولي التاسع للاقتصاد والتمويل الإسلامي، ٩ و ١٠ سبتمبر ٢٠١٣.
- ٢٥- العمل الخيري تكافل اجتماعي وعطاء إنساني، عبد الملك منصور، بحث مقدم لمؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري، دبي ٢٠-٢٢ يناير ٢٠٠٨
- ٢٦- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء/ المملكة العربية السعودية.
- ٢٧- القرآن العظيم والإنفاق، منصور الغامدي، خطبة بمسجد أبو بكر الصديق، بتاريخ: ١٤١٩/٩/٢١
- ٢٨- القطاع الثالث والفرص السانحة: رؤية مستقبلية، محمد بن عبد الله السلومي، (سلسلة دراسات اجتماعية، الكتاب الثالث، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية- الرياض، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م).
- ٢٩- القطاع الثالث ودوره في المجتمع، موزة العبار، باختصار من مقال منشور

بحوث مؤتمر العمل الخيري

بموقع صحيفة البيان الإماراتية، بتاريخ 28 مايو 2012،
<https://www.albayan.ae/opinions/articles/2012-05-28-1.1657938>

٣٠- ما هو القطاع الثالث؟، محمد بن عبد الله السلومي، الموقع الإلكتروني لمركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية، ومشرفه العام هو صاحب المقال، <http://3rdsector.org/>

٣١- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة: لبنان-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

٣٢- مصحف المدينة للنشر الحاسوبي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. موقع البرنامج على الأنترنت:

[./http://nashr.qurancomplex.gov.sa/site](http://nashr.qurancomplex.gov.sa/site)

٣٣- المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، (الجامعة الإسلامية: المملكة العربية السعودية- المدينة المنورة، السنة التاسعة، العدد الرابع، ربيع أول ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

٣٤- نحو مشاريع لتمويل تعليم القرآن الكريم وعلومه المصارف الإسلامية أنموذجا، علي نجم، المؤتمر الثاني لتطوير الدراسات القرآنية (البيئة التعليمية للدراسات القرآنية.. الواقع وآفاق التطوير)، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٠-١٣ / ٥ / ١٤٣٦هـ / الموافق ١ - ٤ / ٣ / ٢٠١٥م.

٣٥- هيئات الفتوى والرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية (دراسة وتقويم)، عبد الحق حميش، بحث مقدم للمؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر، كلية الشريعة

فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث

والقانون جامعة الإمارات العربية المتحدة.

٣٦- الوقف على العلم أوقاف جامعة الملك سعود نموذجاً، نذير محمد أوهاب،

بحث منشور بموقع دائرة الأوقاف حكومة الشارقة، <http://awqafshj.gov.ae/>

٣٧- الوقف في الفكر الإسلامي، محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، (وزارة

الأوقاف والشؤون الإسلامية: المملكة المغربية- بالرباط، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

٣٨- الوقف وبنية المكتبة العربية، يحيى محمود ساعاتي، (مركز الملك فيصل

للبحوث والدراسات الإسلامية: المملكة العربية السعودية- الرياض، الطبعة الثانية،

١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

٣٩- Investopedia, Retrieved Knowledge Economy

/Edited:16-5-2017. <https://www.investopedia.com>





العمل الخيري

وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي

د/ كمال توفيق حطاب

العمل الخيري وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي



ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن دور العمل الخيري في الإصلاح المالي والاقتصادي، وما يؤدي إليه هذا الإصلاح من زيادة الاستقرار الاقتصادي، وزيادة معدلات النمو والتقدم في كافة المجالات، بما يعمل على تحقيق المقاصد الشرعية العليا.

وللوصول إلى هذا الهدف؛ تبدأ الدراسة بتجلية مفهوم العمل الخيري ودوافعه ومكوناته، والعقبات والاختلالات التي تواجهه، ومن ثم توضح أبرز أدوات العمل الخيري، ودورها في الإصلاح المالي والاقتصادي، وذلك من خلال تحليل الآثار المالية والاقتصادية المترتبة على العمل الخيري بمؤسساته وأدواته المختلفة.

وتخلص الدراسة إلى أن للعمل الخيري الإسلامي آثاراً إيجابية مختلفة على المجتمع بكافة قطاعاته الحكومية والخاصة، تعمل بشكل دائم على تحقيق الاستقرار والتوازن الاقتصادي في المجتمع.





مقدمة

مع تزايد المشكلات والكوارث والمجاعات؛ تتسابق مؤسسات العمل الخيري في تقديم العوثة والمساعدات للمنكوبين والمشردين في مختلف دول العالم، وفي هذا الإطار تسعى مؤسسات العمل الخيري الإسلامي إلى تقديم المعونات ومواد الإغاثة في معظم المناطق التي تتعرض للكوارث، ويتعرض البشر فيها للمجاعات والاضطهاد. وقد توسعت مؤسسات العمل الخيري لتشمل كافة دول العالم، والعالم الإسلامي بشكل خاص، حيث يواجه المسلمون تحديات صعبة وضغوطات واتهامات عالمية؛ مما يستدعي إحياء معاني التكافل والتراحم والإغاثة، وأن يكون المسلمون كما أخبر النبي - ﷺ - «كالجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١)..

أهداف البحث:

- بيان مفهوم العمل الخيري وأهميته، وأبرز مشكلاته.
- الكشف عن دور العمل الخيري في الإصلاح الاقتصادي.
- الكشف عن دور العمل الخيري في الإصلاح المالي.
- الكشف عن دور العمل الخيري في تحقيق المقاصد الشرعية.

(١). مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، ٤/ ١٩٩٩، حديث رقم ٢٥٨٦، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي

❖ فرضية البحث:

ينطلق البحث أساساً من حقيقة تاريخية تشير إلى أن الوقف في التاريخ الإسلامي - كأحد أبرز أدوات العمل الخيري - كان يخفف عن الدولة ما يقارب ثلثي الميزانية، فكيف الأمر بانضمام كافة أدوات العمل الخيري إلى جهود الإصلاح المالي والاقتصادي في المجتمع؟
تفترض هذه الدراسة أن العمل الخيري، بكافة أدواته، لا يزال قادراً على ممارسة الدور التاريخي الذي كان يقوم به، وبشكل خاص في مجال الإصلاح المالي والاقتصادي في المجتمع.

❖ مشكلة البحث:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما أهمية العمل الخيري؟ وهل وصلت مؤسسات العمل الخيري الإسلامي في مهنتها واستقلاليتها إلى تحقيق الأهداف التي وجدت من أجلها؟ ما هي أبرز أدوات وأجهزة مؤسسات العمل الخيري؟ ما هي الآثار المالية والاقتصادية التي تنجم عن مؤسسات العمل الخيري؟ وما مدى إسهام هذه المؤسسات في التخفيف من حدة المشكلات المالية والاقتصادية؟ وهل الآثار المالية والاقتصادية، الناجمة عن العمل الخيري، هي آثار إيجابية دائماً؟ ما علاقة العمل الخيري بالمقاصد الشرعية؟

هذه هي أبرز المحاور التي يدور حولها هذا البحث.

❖ مخطط البحث:

- المبحث الأول: العمل الخيري: مفهومه ومشكلاته.
- المبحث الثاني: دور العمل الخيري في الإصلاح المالي.
- المبحث الثالث: دور العمل الخيري في الإصلاح الاقتصادي.
- المبحث الرابع: دور العمل الخيري في تحقيق المقاصد الشرعية.

المبحث الأول

العمل الخيري: مفهومه ومشكلاته

انحصر مفهوم العمل الخيري حديثاً في الأعمال غير الربحية، أو كل ما يقدمه الإنسان من مال أو جهد لمساعدة غيره دون أن يكون هناك مقابل مادي، ولا يقترن بمخالفات شرعية؛ أو الأعمال الإغاثية التي تقدمها المؤسسات والجمعيات والمنظمات غير الحكومية (NGOs)، لأهداف إنسانية بحته، وبطرق شرعية.

وتستخدم مصطلحات عديدة للتعبير عن العمل الخيري، مثل: القطاع الثالث، أو العمل الإغاثي، أو العمل التطوعي، وغيرها.

ويُستمدُّ مفهومُ العمل الخيري الإسلامي من الكتاب والسنة، ويرتكز على الأصول والأسس الشرعية المستمدة منهما؛ لذلك فهو مفهوم شرعي متكامل، ينسجم مع خصائص النفس البشرية وحاجة المجتمعات الإنسانية، ولكن هذا المفهوم الشامل للعمل الخيري الإسلامي يحتاج إلى آليات تطبيق سليمة، والتزام إسلامي من قبل الفعاليات والمؤسسات الإسلامية، فهل يتحقق ذلك في أرض الواقع؟

ومن جهة أخرى، فإن العمل الخيري الإسلامي، في الوقت الحاضر، يواجه مشكلات وتحديات كبيرة، داخلية وخارجية، فهل يمكن التغلب على هذه التحديات؟ أو التخفيف من حدتها؟ وكيف يمكن معالجة المشكلات التي يتعرض لها العمل الخيري؟ هذا ما سوف يتم الإجابة عنه في هذا المبحث، وسوف يكون ذلك في المطلبين الآتيين:



المطلب الأول

العمل الخيري في الكتاب والسنة

إن تتبع النصوص القرآنية في مجال العمل الخيري، والمصطلحات المرادفة له أو المنبثقة عنه، مثل: الإغاثة أو التطوع أو النجدة أو القرض أو الإنفاق، يوضح لنا أن الحث على العمل الخيري في النصوص القرآنية لا تكاد تخلو منه سورة من سور القرآن الكريم، ومن أمثلة هذه الآيات ما يأتي:

- قوله - تعالى - : ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيَةٌ فَاسْتَغِيثُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . [البقرة: ١٤٨].

- وقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

أما آيات الحث على الإنفاق التطوعي، فلا تكاد تحصى لكثرتها، وهذا يوضح أن الإنفاق في وجوه الخير، وزيادة العمارة والتشغيل، من المقاصد الشرعية الهامة؛ فالإسلام يحرم الاكتناز، ويحث على إنفاق المال وتداوله بشكل مستمر، بما يؤدي إلى زيادة سرعة عجلة الاقتصاد؛ فيحدث الانتعاش والازدهار الاقتصادي.

ومن أمثلة آيات الإنفاق في القرآن الكريم آيات سورة البقرة، من قوله - تعالى - : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ

بحوث مؤتمر العمل الخيري

سُنْبَلَةٌ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ [البقرة: ٢٦١]، إلى قوله - تعالى -: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْجِلِّ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

ومن جهة أخرى، فإن الأحاديث النبوية التي تحث على العمل الخيري كثيرة جداً، فقد كان النبي - ﷺ - القدوة والمثل الأعلى في التطبيق، كما كان - ﷺ - النموذج التطبيقي الأول لكل ما أمر الله به ونهى عنه، وكذلك كان صحابته - ﷺ - يتسابقون في تطبيق كل ما جاء به الرسول - ﷺ -، وفي مجال التضحية والفداء والعطاء وجدناهم يقدمون أعلى ما يملكون، ويتسابقون في التضحية بأموالهم وأنفسهم وأرواحهم.

وفي الميدان الإغاثي والخيري بشكل خاص سطر الرسول - ﷺ - وأصحابه أروع الأمثلة على مدار التاريخ البشري، فكان النبي - ﷺ - يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، كما أنه كان يجوع يوماً ويشبع يوماً، ومن أمثلة أقواله - ﷺ - في الحث على العمل الخيري ما يأتي:

- قوله - ﷺ -: «ثم إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية؛ فهم مني وأنا منهم»^(١).

- كما ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «... وتعين الرجل في دابته، فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه، صدقة»^(٢).

(١). أخرجه مسلم في صحيحه، صحيح مسلم، باب: من فضائل الأشعريين، ٤ / ١٩٤٤.

(٢). أخرجه مسلم في صحيحه، ٢ / ٦٩٩.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي

- وأيضا جاء في الصحيحين عن أبي موسى - رضي الله عنه -: « على كل مسلم صدقة». قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فليعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق». قالوا: فإن لم يستطع، أو لم يفعل؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف». قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «فليمسك عن الشر؛ فإنه صدقة»^(١).



(١). البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧، ٥/٢٢٤١، تحقيق: مصطفى البغا.



المطلب الثاني

مشكلات العمل الخيري الإسلامي

تحيط بالعمل الخيري الإسلامي مجموعة من التحديات والمشكلات والعقبات، التي تتفاوت فيما بينها من حيث حجمها وآثارها، وكذلك وفقا للاعتبارات المختلفة التي يمكن من خلالها تقييم هذه المشكلات. وبشكل عام، يمكن تقسيم هذه المشكلات جغرافيا إلى مشكلات داخلية ومشكلات خارجية، نعرضها باختصار في الفرعين التاليين:

❖ الفرع الأول: المشكلات الخارجية:

لعل من أبرز وأعقد المشكلات المعاصرة، التي تواجه المسلمين والعمل الخيري الإسلامي بشكل خاص، وصف الإسلام والمسلمين بالإرهاب، هذه الفرية خطط لها أعداء الإسلام والمسلمين، بمكر ودهاء، وأعدوا لها العدة، وجندوا لها جنوداً من شياطين الإنس؛ لكي يشوهوا كل عمل إسلامي، ويلوثوا كل مشروع إسلامي، ويجففوا منابع كل خير إسلامي. وقد أدت حملات التشويه المقصودة لكل عمل إسلامي إلى تراجع منابع العمل الخيري والإغاثي الإسلامي في كثير من المناطق..

ومن جهة أخرى، فإن العمل الخيري الإسلامي ليس مدعوماً بمؤسسات إعلامية قوية قادرة على المنافسة؛ مما يؤدي إلى تشويه طبيعة العمل الخيري الإسلامي، وعدم إظهاره بشكله الحقيقي، في الوقت الذي تظهر فيه قوة وفعالية

العمل الخيري وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي

الأعمال الخيرية غير الإسلامية؛ بسبب المؤسسات الإعلامية الغربية. كذلك، فإن من المشكلات الكبرى غياب التنسيق الكامل بين مؤسسات العمل الإغاثي على مستوى الأمة الإسلامية من جهة، وعلى مستوى العالم من جهة أخرى؛ مما يؤدي إلى الفوضى والتشتت والتضارب، وعدم الوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة.

ومن أجل تصحيح هذا الواقع المؤلم؛ لا بد من الأخذ بالنقاط الآتية:

- إيجاد قنوات فضائية إسلامية خاصة بالعمل الخيري، وتسييل الأضواء على هذا الجانب من خلال أقسام الإعلام في الجامعات والكليات المختلفة.
- تسييل الضوء على رسالة الإسلام السمحة، المتضمنة الأخوة الإنسانية، والتسامح والتعاون بين الشعوب.
- إيجاد مجلس عام أو هيئة عامة؛ من أجل التنسيق والتشاور، وتوحيد الأهداف والسياسات الخاصة بمؤسسات العمل الخيري الإسلامي.
- تصحيح أوضاع العلماء، وتصحيح المناهج؛ وبالتالي محاولة إزالة الشبهات التي التصقت بالعمل الخيري والإغاثي الإسلامي.

✦ الفرع الثاني: المشكلات الداخلية:

لعل من المعوقات الكبرى، التي يتعرض لها العمل الخيري الإسلامي بشكل خاص، التضييق عليه من قبل بعض الحكومات العربية والإسلامية، وعدم السماح له بالانطلاق والانتشار، والقيام بالدور المنوط به، وعدم وضع التشريعات الكافية لتنظيمه ومراقبته، وإخراجه من إطار الموسمية، المقترنة بالكوارث أو المناسبات الدينية، إلى إطار البرامج المنظمة والمنظومة المتكاملة، ذات التشريعات والآليات الثابتة، التي تعمل على مدار العام، في حقول الإغاثة والمساندة والتنمية في كافة المجالات، وخاصة المجالات الأكثر تضرراً أو الأشد

فقراً.

وكذلك، فإن مؤسسات العمل الخيري لا زالت تعاني من انخفاض المستوى الفني والتقني، من حيث الوصول إلى الجهات المستفيدة^(١)، أو من حيث استخدام وإدارة واستثمار الأموال التي تحت تصرفها، إضافة إلى نظرة المجتمعات الإسلامية السلبية إلى العمل الخيري، باعتباره مجرد جمع تبرعات، مع أنه أصبح - في الوقت الحاضر - يمثل عملاً منظماً، وعلماً قائماً بذاته، يدرس في أرقى الجامعات العالمية.

وفي سبيل تصحيح هذه المشكلات؛ لا بد من الأخذ بالنقاط الآتية:

- إيجاد تشريعات قانونية تنظم العمل الخيري، وتراقبه وتضبطه، وتحميه من تغوّل الحكومات داخلياً وخارجياً، بحيث يمكن الوصول إلى إعطاء مؤسسات العمل الخيري حصانة تفوق حصانة الدبلوماسيين.
- استخدام أرقى الوسائل الفنية في التعامل مع المتبرعين والمستفيدين؛ تجنباً للازدواجية وتضييع حقوق الناس.
- تعزيز قيم العمل الخيري، من خلال المناهج الدراسية، على مستوى المدارس والجامعات.
- زيادة كفاءة العاملين في المؤسسات الخيرية، من خلال الدورات التدريبية الداخلية والخارجية.

(١). كشفت أزمة البورصات في الأردن عام ٢٠٠٩ عن وجود عدد كبير من المواطنين الذين يتقاضون معونات ورواتب من صناديق المعونة الوطنية، في الوقت الذي يتعاملون فيه مع البورصات بعشرات آلاف الدنانير؛ وهذا يشير إلى ضعف الكفاءة الإدارية والفنية، وكذلك وجود المحسوبية والواسطة في الحصول على هذه المعونات.



المبحث الثاني

دور العمل الخيري في الإصلاح المالي

تعاني معظم الدول العربية والإسلامية من عجوزات هيكلية في موازين مدفوعاتها، كما تعاني من مديونيات متفاقمة؛ مما يدفعها إلى المزيد من الاقتراض وتراكم المديونيات.. فوفقا للتقرير الصادر عن المؤسسة العربية لضمان الاستثمار، بلغ إجمالي الدين الخارجي لعشرين دولة عربية قريبا من ٩٢٣٤ مليار دولار عام ٢٠١٦م^(١).

وفي نفس الوقت، يشير بعض العاملين^(٢) في العمل الخيري الإسلامي، إلى أن حجم العمل الخيري الإسلامي يتراوح بين ٢٥٠ مليارا إلى تريليون دولار.. ومعنى ذلك أن العمل الخيري وحده يمكن أن يعمل على التخفيف من مديونيات الدول العربية والإسلامية، وذلك فيما لو أحسن استغلاله وتوجيهه في المواضيع الأكثر أولوية.

وتحرص جميع الدول والحكومات على تحقيق الإصلاح المالي؛ من أجل

(١). المؤسسة العربية لضمان الاستثمار وائتمان الصادرات، التقرير السنوي، ٢٠١٧.

(٢). عبد العزيز الغريز، عضو مجلس إدارة مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، صحيفة البيان، ١٢ أكتوبر ٢٠١٦.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

المحافظة على الاستقرار والتوازن الاقتصادي، ومن أجل تحقيق هذا الغرض تقوم باستخدام الأدوات والسياسات المالية والنقدية^(١)..

ونظرا لما للعمل الخيري من أهمية بالغة في التأثير على المتغيرات الاقتصادية المختلفة، وخاصة على عمل السياسات المالية والنقدية؛ فسوف نستعرض دور العمل الخيري في تفعيل أدوات السياسة المالية والنقدية في تحقيق الاستقرار المالي والاقتصادي.

وبناء على ما تقدم، سوف يشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: أثر العمل الخيري على أداء السياسة المالية.

المطلب الثاني: أثر العمل الخيري على أداء السياسة النقدية.



(١). عفر، محمد عبد المنعم: السياسات الاقتصادية والشرعية وحل الأزمات وتحقيق التقدم، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٣٠٣.



المطلب الأول

أثر العمل الخيري على أداء السياسة المالية

تُعرف "السياسة المالية" بأنها الإجراءات التي تقوم بها الحكومة لتنظيم النفقات والإيرادات، من خلال الموازنة العامة، بما يحقق الأهداف الاقتصادية للدولة، والتي من أهمها تحقيق الاستقرار الاقتصادي^(١).

ومما لا شك فيه أن من أهم أدوات السياسة المالية الإنفاق العام والضرائب؛ حيث تلجأ الحكومات إلى زيادة الإنفاق العام في حالات الانكماش والبطالة، وخفضه في حالات التضخم، كذلك تلجأ إلى تخفيض الضرائب في حالات الانكماش، وزيادتها في حالة التضخم.

وعندما تكون مصادر العمل الخيري غزيرة في المجتمع؛ فإن الحكومة يمكنها أن تتخفف كثيرا من النفقات. أما نضوب منابع العمل الخيري؛ فإنه يزيد من العبء الملقى على كاهل الحكومة، ويزيد من عجز الموازنة.

ويحدث العكس في حالة التضخم إذا ما استمرت مؤسسات العمل الخيري في زيادة إنفاقها، وبالتالي فإنه ينبغي أن يقتصر عمل هذه المؤسسات في حالات التضخم على التبرعات العينية؛ تجنباً للمزيد من التضخم.

(١). نفس المرجع السابق، ص ٣١٦.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ولو نظرنا إلى أشكال العمل الخيري المختلفة، فإنها تعمل على انتقال الأموال من الأغنياء إلى الفقراء؛ مما يسهم في زيادة التشغيل والحد من البطالة، كما يسهم في الحد من التضخم، من خلال انتقال الأموال الفائضة والمكتنزة، وذات المنفعة الحدية الأدنى، إلى الفقراء؛ لتصبح ذات منفعة حدية أعلى، من خلال توجيهها إلى الإنفاق وإشباع الحاجات الأساسية.



المطلب الثاني

أثر العمل الخيري على أداء السياسة النقدية

تُعرف "السياسة النقدية" بأنها الإجراءات التي تمارسها الحكومة، من خلال السلطات النقدية، الممثلة بالبنك المركزي، في إدارة كل من النقود والائتمان، وتنظيم السيولة العامة للاقتصاد^(١). وتنقسم هذه السياسات إلى سياسات كمية وسياسات نوعية؛ فالسياسات الكمية تعمل على زيادة كميات النقد والتسهيلات الائتمانية في أوقات الانكماش، وخفضها في أوقات التضخم، وكذلك تقوم السياسات النوعية بدعم تحقيق هذه الأهداف.

وكذلك يقوم العمل الخيري بدعم تحقيق هذه الأهداف؛ حيث يزداد عطاء الأفراد وإنفاقهم الخيري في أوقات الشدة والعسر، ويقل في أوقات الرخاء والتضخم.

ومع ذلك، فإنه لا بد من التنسيق بين المؤسسات الحكومية والخيرية؛ من أجل ضبط نمو عرض النقد بما ينسجم مع النمو الحاصل في الإنتاج، وكذلك بما يتناسب مع النمو السكاني، وهذا يتطلب أن تكون مؤسسات العمل الخيري لديها الدراية الكافية بالمشورات والمتغيرات الاقتصادية المختلفة، تجنباً لحدوث آثار

(١). نفس المرجع السابق، ص ٣٨١.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

اقتصادية معاكسة للتوجهات التي تسعى السياسة النقدية للدولة لتحقيقها. كما يستلزم ذلك أن يكون البنك المركزي أو السلطات النقدية محيطة بمؤسسات العمل الخيري، وطبيعة أعمالها العينية أو النقدية؛ وذلك من أجل توجيه هذه الأعمال بما يتفق مع السياسة النقدية العامة للدولة. وقد ذهب معظم الفقهاء^(١) إلى أن وظيفة إصدار النقود وإدارتها، والتأثير في حجم المتداول منها، من اختصاص الدولة، وبناء على ذلك يمكن للمصرف المركزي - بوصفه ممثلاً للدولة - تقييد أو تشجيع الأعمال الخيرية، بالقدر الذي يضمن نفاذ سياسته النقدية بما فيه مصلحة الرعية، وبما يحقق الاستقرار، ويحول دون حدوث التقلبات والأزمات الاقتصادية.



(١). النووي، المجموع، المكتبة العالمية، القاهرة، دت، ١١٠/٦.



المبحث الثالث

دور العمل الخيري في الإصلاح الاقتصادي

اشتهرت في العصر الحديث برامج الإصلاح الاقتصادي، التي ينفذها صندوق النقد الدولي في عدد كبير من دول العالم، وخاصة الدول الإسلامية، حيث تخضع ٣٣ دولة إسلامية لبرامج الإصلاح الاقتصادي، وتعتمد هذه البرامج - بشكل رئيس - على تقليص العجز في الميزانية، وتصحيح تشوهات الأسعار، خاصة أسعار الصرف والفائدة، وإلغاء الدعم على السلع الأساسية، وخصخصة المشروعات العامة،.. إلخ^(١). ونظرا لخطورة هذه الإجراءات وقسوتها على الشعوب؛ فإن العمل الخيري يمكنه أن يسهم - بشكل كبير - في تخفيف آثار هذه السياسات التقشيفية، خاصة عندما تجد الحكومات نفسها مضطرة لتنفيذ هذه البرامج.

إن أدوات العمل الخيري الإسلامي يمكنها أن تخفف من حدة إجراءات التصحيح الاقتصادي، وذلك على النحو الآتي:

أولا: دور العمل الخيري في إعادة توزيع الدخل.

ثانيا: دور العمل الخيري في زيادة الإنفاق والتشغيل.

(١). محمد عمر شابرا: الإسلام والتحدى الاقتصادي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، ١٩٩٦، ص ٤١٥-٤١٦.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ثالثا: دور العمل الخيري في زيادة الاستهلاك.

رابعا: دور العمل الخيري في زيادة الاستثمار.

خامسا: دور العمل الخيري في تحقيق الاستقرار الأمني.

سادسا: دور العمل الخيري في مكافحة التمويل الربوي.

❖ أولا: دور العمل الخيري في إعادة توزيع الدخل:

لعل من أبرز آثار الأعمال الخيرية الإسلامية إعادة توزيع الدخل لمصلحة الفقراء والفئات الضعيفة؛ وهذا يؤدي إلى التقليل من حدة التفاوت، وزيادة الاستخدام الأمثل للموارد؛ وبالتالي زيادة الاستقرار الاقتصادي؛ فانتقال الأموال من الأغنياء ذوي المنفعة الحدية المتدنية للنقود، إلى الفقراء ذوي المنفعة الحدية المرتفعة للنقود، يعني زيادة الاستفادة من النقود بما ينفع الناس، كما يعني تمكين الفقراء من إشباع المزيد من حاجاتهم الأساسية التي لم تشبع سابقا، ونظرا لأن الفقراء في أي مجتمع يتمتعون بميل حدي استهلاكي مرتفع مقارنة بالأغنياء؛ مما يزيد من إنفاقهم الاستهلاكي، ومن ثم يزيد الإنفاق الاستثماري.. وهذا يعني أن زيادة الطلب على السلع الاستهلاكية سوف يدفع المستثمرين إلى زيادة إنتاج هذه السلع؛ مما يتطلب المزيد من المواد الأولية، والمزيد من السلع الاستثمارية الإنتاجية.. وبفعل المضاعف فإن تحفيز الطلب الاستهلاكي سوف يحفز الطلب الاستثماري.

إن من أكبر مظاهر عدم الاستقرار الاقتصادي التفاوت الحاد في توزيع الثروة بين أفراد المجتمع، ومما لا شك فيه أن العمل الخيري يعمل على تقليل حدة التفاوت بين الناس؛ وبالتالي زيادة العدالة في توزيع الدخل.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي

❖ ثانياً: دور العمل الخيري في زيادة الإنفاق والتشغيل:

جاء التركيز والحث على الإنفاق في القرآن الكريم في آيات وسور عديدة، وفي سورة البقرة بالتحديد جاء الحديث عن الإنفاق في أكثر من عشر آيات متواصلة، كلها تدعو إلى دوام الإنفاق وتنظيمه، وضبطه بأداب وأخلاقيات عالية، تؤدي إلى تحصيل ثمرة الإنفاق في الدنيا والآخرة، ابتداء من قوله - تعالى - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] إلى قوله - تعالى - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتْيَانِ وَالسَّرَّاءِ عَنَّا نُغْفِرْ لَهُمْ سُنُوبَهُمْ وَعِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وقد ضرب القرآن الكريم أروع الأمثلة التصويرية البيانية في غرس سلوكات الإنفاق الآمنة، واجتثاث سلوكات وعادات الإنفاق الخبيثة، ومن ذلك النهي عن اتباع الإنفاق بالمن والأذى، حيث كان الكرم الجاهلي في معظمه رياءً وتفخراً.

❖ ثالثاً: دور العمل الخيري في زيادة الاستهلاك:

سبقت الإشارة إلى أن العمل الخيري يؤدي إلى زيادة استهلاك الأفراد، خاصة الفقراء؛ نظراً لأن الفقراء تنقصهم الكثير من الحاجات الأساسية، فعندما يزداد العمل الخيري الموجه إليهم فإنه يمكنهم من إشباع حاجات استهلاكية جديدة لم تكن مشبعة من قبل، وهذه الزيادة في الطلب الاستهلاكي سرعان ما تتحول إلى زيادة في الطلب الاستثماري؛ نظراً لأن أصحاب المشروعات سوف يوسعون من مشروعاتهم تلبية للطلب الاستهلاكي المتزايد.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ونظرا لوجود حوافز أخروية كبيرة في النظام الإسلامي؛ فإن المجتمع الإسلامي يمكن أن يقوم ببعضه البعض، فيكفل نفسه بنفسه، وهذا يخفف عن الحكومات عبئا كبيرا في مجال كفالة الفقراء والفئات الضعيفة في المجتمع؛ وبالتالي يمكن للحكومات توجيه الفائض لديها إلى المشروعات الكبرى التي تخدم المجتمع بشكل أكبر.

❖ رابعا: دور العمل الخيري في زيادة الاستثمار:

تتنوع الأعمال الخيرية إلى أشكال عديدة، بحيث تشمل: نفقات نقدية، ونفقات عينية، وتدريباً وتعليماً، ونفقات صحية، وتشغيلاً، وكفالة يتيم... إلخ. ومما لا شك فيه أن جزءاً كبيراً من الأعمال الخيرية يوجه إلى الاستثمار والتشغيل بشكل مباشر؛ حيث تؤمن الأعمال الخيرية نسبة كبيرة من فرص العمل، كما تعمل على تدريب وتعليم فئات كبيرة من المجتمع، وهذا يندرج تحت الاستثمار البشري، كما تقوم المؤسسات الخيرية بتمكين أصحاب الحرف من الاستمرار في حرفهم في حالات التعثر، وهذا - أيضاً - فيه دعم للاستثمار. إن الاستثمار في اللغة الاقتصادية ينحصر في زيادة الأصول الإنتاجية أو التراكم الرأسمالي^(١)، وهذا ما يركز عليه العمل الخيري عندما يقوم بالتدريب والتعليم والتشغيل، وعندما يحرص على تزويد أصحاب الحرف اليدوية بالآلات والأدوات اللازمة لاستمراريتهم.

(١). خريوش، حسني علي، وآخرون: الاستثمار والتمويل بين النظرية والتطبيق، دار زهران، عمان، ١٩٩٩.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي

❖ خامسا: دور العمل الخيري في تحقيق الاستقرار الأمني^(١):

يربط بعض علماء الاقتصاد بين الجريمة والدورات الاقتصادية، ففي فترات الكساد يزداد الفقر؛ وبالتالي تكثر جرائم الاغتصاب والقتل والتشرد، وقد أوضحت الدراسات الإحصائية أن ٢٥٪ من أطفال المناطق الفقيرة يجنحون إلى الجريمة، بينما لا تتجاوز النسبة في الدول المتقدمة ١٪^(٢).

ويعتبر ذلك أمرا طبيعيا؛ فكما يقال "صوت المعدة أقوى من صوت الضمير"، فالإنسان الجائع قد يفعل أي شيء لإسكات جوعه، وقد روي عن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه قال: "عجبت لمن لا يجد القوت في بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه".

يقول د/ يوسف عبدالله، في تعليقه على قول أبي ذر: "وما دام في المجتمع أكواخ وقصور، وسفوح وقمم، وتخمة وفقر دم، فإن الحقد والبغضاء يوقدان في القلوب نارا تأكل الأخضر واليابس، وستتسع الشُّقة بين الواجدين والمحرومين، ومن هنا تتخذ المبادئ الهدامة أوكارها بين ضحايا الفقر والحرمان والضياع"^(٣).

ومن جهة أخرى، فإن الفقر يضعف انتماء الفرد لبلده ووطنه، فلا يجد في نفسه حماسة الدفاع عن الوطن؛ فوطنه لم يطعمه من جوع، ولم يؤمنه من خوف.

(١). خطاب، كمال: الاقتصاد الإسلامي وأبعاده الأمنية، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، مجلد ١٦، عدد ٣٢، ص ٣٣.

(٢). عبد العظيم، حمدي: فقر الشعوب، مطبعة العمرانية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٠٨.

(٣). عبدالله، يوسف: مشكلة الفقر وكيف عالجه الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٦.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

كذلك يؤدي الفقر إلى انتشار كافة أشكال الجرائم: السرقة، البغاء، المخدرات،.. إلخ.

كما أن تعاطي المخدرات في الدول الفقيرة أكثر منه في الدول المتقدمة، وقد أوضحت إحدى الدراسات أن أكثر الفئات تعاطيا للمخدرات هم الفقراء ومتوسطو الدخل؛ وتعلل الدراسة ذلك بأنه رغبة في الهروب من مشاكل وهموم الفقر.

إن في زيادة الإنفاق على الفقراء تطبيقاً لخواطهم، وشفاء لصدورهم، ومداوة لجراحاتهم، ومعالجة لبذور الحقد والحسد والبغضاء التي يمكن أن تظهر لديهم، وكذلك فإن تركيز الأعمال الخيرية على الفقراء والمحتاجين والفئات الضعيفة في المجتمع يقضي على الميول الإجرامية والعدوانية، التي يمكن أن تنشأ في المجتمع؛ وبالتالي يزداد الاستقرار الأمني، بما يؤدي إلى زيادة الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

سادساً: دور العمل الخيري في مكافحة التمويل الربوي:

إن التمويل الربوي القائم على سعر الفائدة هو السبب الأول في الفوضى وعدم الاستقرار، وهذا بشهادة العديد من الاقتصاديين، يقول "ملتون فريدمان" في تفسيره للسلوك الطائش الذي لم يسبق له مثيل للاقتصاد الأمريكي: "إن الإجابة التي تخطر على البال هي السلوك الطائش الموازي في معدلات الفائدة"^(١).

(١). شابرا، محمد عمر: نحو نظام نقدي عادل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، ١٩٩٠، ط ٢، ص ١٦٠.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي

ويعد الربا من أخطر الأمراض والأوبئة الاجتماعية التي تفتك بالمجتمعات، وتحيلها إلى قطعان بشرية يأكل القوي الضعيف، ويحقد الضعيف على القوي، فهو يؤدي إلى تكون فئتين في المجتمع: فئة المسحوقين والمحرومين، وفئة المترفين ومصاصي الدماء؛ وينجم عن ذلك كل أشكال الأمراض الاجتماعية، من حسد وكرهية وبغضاء، وما تؤدي إليه من ضعف وتفكك وانقسام، إضافة إلى الأزمات والمشكلات الاقتصادية المستعصية.

وبناء على ذلك، فعندما حرم الإسلام الربا، فإنه كان يريد صيانة المجتمع وتقويته، وحمايته من كافة الأمراض الاجتماعية، بما يجعله مجتمعاً قوياً متماسكاً كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً، مجتمعاً آمناً مستقراً.

وما حرم الله شيئاً إلا وقد أوجد له البديل أو البدائل، فهناك القرض الحسن لمن أراد أن يستثمر عند الله، فيقرض الله قرصاً حسناً.. أما من يريد الاستثمار والمعاوضة، فهناك صيغ المشاركة الإسلامية، التي برعت فيها المصرفية الإسلامية في الوقت الحاضر، وتمكنت من النجاح والتفوق، وهذا ما شهد به عدد كبير من الخبراء والاقتصاديين الغربيين.

إن اقتصاديات المنح والتبرعات، واقتصاديات المشاركة، هي اقتصاديات خيرية، تزيد من الخير في المجتمع، وتعمل على معالجة الاختلالات والأزمات المالية والاقتصادية؛ فالقرض الحسن، وإنظار المعسرين، ومعونة الغارمين، والوقفيات المختلفة في كافة قطاعات المجتمع، تحوّل دون اضطراب الأفراد للجوء إلى المرايين والمؤسسات الربوية التي تفتقد إلى أدنى معاني الرحمة والإنسانية.



المبحث الرابع

دور العمل الخيري في تحقيق المقاصد الشرعية:

أجمع علماء الشريعة على أن الهدف الأعلى للشريعة هو تحقيق مصالح البشر، وحصروا هذه المصالح في: الضروريات والحاجيات والتحسينات، وحصروا الضروريات في خمسة: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، ونصُّوا - أيضا - على حفظ هذه الكليات الخمس على مستوى الحاجيات والتحسينات..

جاء في المُوَافَقَات: "حصر المقاصد في هذه الخمسة ثابت بالنظر للواقع وعادات الملل والشرائع بالاستقراء"^(١). ويقول العز بن عبد السلام: "إن الشريعة كلها مصالح: إما درء مفسد، وإما جلب مصالح"^(٢).

إن المتأمل في هذه النصوص يجد أن الشريعة تسعى لتحقيق المصالح كافة للأفراد، أدناها وأعلىها، وذلك بتأمين ضروراتهم وحاجياتهم وكمالياتهم، وبما أن أدوات وأجهزة العمل الخيري الإسلامي هي أدوات مستمدة من الشريعة الإسلامية، كالزكاة والوقف والهبة والوصية والقرض الحسن والعارية.. إلخ؛ فإن هذه الأدوات تحقق المقاصد الشرعية، المتمثلة في تحقيق التكافل والتراحم،

(١). الشاطبي، إبراهيم بن موسى: المواقفات، دار ابن عفان، الخبر، ١٩٩٧، ٢/٢٠.

(٢). العز بن عبد السلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مكتبة المكتبات الأزهرية، القاهرة، ١٩٩٤، ١/١١.

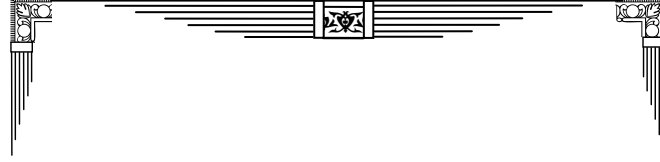
العمل الخيري وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي

ووحدة وقوة الصف، بشكل مباشر؛ بما يؤدي إلى تحقيق القوة والمِنَّة والعزة والاستقلالية والاعتماد على النفس.. إلخ، على مستوى الأفراد والشعوب..

يقول الشيخ محمد الغزالي: "إنه لم يوجد في الدنيا - ولن يوجد - نظام يستغني البشر فيه عن التعاون والمواساة، بل لا بد لاستتباب السكينة وضمأن السعادة من أن يعطف القوي على الضعيف، وأن يرفق المُكثِر بالمُقِل.. ولن تنجح أمة في هذا المضممار إلا إذا وثقت الصلات بين أبنائها، فلم تبق محروماً يقاسي ويلات الفقر، ولم تبق غنياً يحتكر مباحج الغنى. وفي الإسلام شرائع محكمة لتحقيق هذه الأهداف النبيلة، من بينها تنشئة النفوس على فعل الخير وإسداء العون وصنائع المعروف، ونتائج هذه التنشئة السمحة لا يسعد بها الضعاف وحدهم، بل يمتد أمانها واطمئنانها إلى الباذلين أنفسهم، فتهيهم زلازل الأحقاد وعواقب الأثرة العمياء"^(١).

فالعمل الخيري هو الأداة التي يتحقق من خلالها التراحم والتكافل والتعاون، وعدالة توزيع الدخل، وذلك من خلال الأدوات والواجبات الشرعية، التي تعمل على إعادة توزيع الدخل لمصلحة الفقراء والضعفاء. ومن أجل تجلية هذه الحقيقة، وتوضيحها بما لا يدع مجالاً للشك؛ نعرض لمؤسستين فقط من مؤسسات العمل الخيري الإسلامي، ونوضح دورهما التاريخي في إرساء أواصر الأخوة والرحمة والتكافل في المجتمع، وذلك في المطلبين الآتيين:

(١) الغزالي، محمد: حُلُق المسلم، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦، ط٦، ص ١١٦.



المطلب الأول

مؤسسة الزكاة ودورها في تحقيق المقاصد الشرعية

تعد الزكاة الأداة الأولى في مجال العمل الخيري الإلزامي، فبالرغم من كونها فريضة واجبة قانوناً على كل مسلم قادر مالك للنصاب، فإنها تأتي على رأس الأعمال الخيرية من حيث آثارها الاقتصادية والاجتماعية؛ فهي الوسيلة الأولى للتخفيف من حدة الفقر، كما أنها من أهم الوسائل التي تعمل على تحقيق التكافل الاجتماعي بين المسلمين، فالزكاة هي حق الفقير في مال الغني، ومن خلالها يحدث التراحم والتعاطف في المجتمع، بدلا من التحاسد والتباغض.

والزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، وهي واجبة بكتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - ﷺ - وإجماع أئمة؛ أما الكتاب، فقوله - تعالى - : ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَزْكُوا﴾ [البقرة: ٤٣]. وأما السنة، فقد بعث رسول الله - ﷺ - معاذ بن جبل إلى اليمن، وقال له: «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»^(١). وأجمع المسلمون في جميع العصور على وجوبها، واتفق الصحابة - رضوان الله عليهم - على قتال مانعيها^(٢).

والزكاة مورد مالي ضخم؛ حيث تبلغ ١٠٪ على الحاصلات الزراعية التي سقيت بماء المطر، و ٥٪ على الحاصلات الزراعية التي سقاها صاحبها بكلفة

(١). أخرجه البخاري، انظر: فتح الباري، دت، ٣/ ٢٦١.

(٢). ابن قدامة، المغني، ١٩٧٢، ٢/ ٤٣٤.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي

مالية، و ٢.٥٪ على النقود وأموال التجارة، ونحو ذلك على الثروة الحيوانية التي تقتنى للدر والنسل.

وقد تكفل القرآن الكريم ببيان الأصناف المحتاجة المستحقة، ولم يترك ذلك للبشر؛ لأن الأهواء قد تميل، والنفوس قد تضعف؛ وبالتالي يأخذ المال من لا يستحقه، ويحرم منه من يستحقه، ومن أجل ذلك كانت العناية الإلهية في تحديد مصارف الزكاة بدقة بالغة^(١) في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ فُلُوهُمَّ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

إن الزكاة عبادة وفريضة ربانية، تربي في المسلم الضمير الاجتماعي، وتجعله يشعر بإخوانه، وبانتمائه لمجتمعه، وعندما يكون التكافل الاجتماعي منبعثاً من الوازع الديني؛ فإنه يكون أجدى على المجتمع من التكافل الذي يتحقق بقوة القانون وحده.

ومن جهة أخرى، فإن مصارف الزكاة الثمانية تكاد تمثل الفئات الأكثر تضرراً، والتي يمكن أن تمثل بذور الاختلال الاقتصادي والأمني والاجتماعي؛ وبالتالي فإن سد حاجة هذه الفئات، من خلال أموال الزكاة، يمثل السياج الواقي من الفتنة، والدرع الحصينة من الفوضى والتطرف والجريمة.

وبالإضافة إلى ما تقدم، فإن الزكاة تسهم في زيادة الاستثمار في المجتمع؛ وبالتالي زيادة الإنتاج والتشغيل، وذلك من خلال دفع أصحاب الأموال إلى تشغيل أموالهم حتى لا تأكلها الزكاة، ومن خلال إنفاق الزكاة على الغارمين والمفلسين والمتعطلين عن العمل، الذين تعثرت أوضاعهم، فيمكن لهؤلاء، ومن

(١). عبدالله، يوسف، فقه الزكاة، ١٩٧٣، ٢ / ٥٤٣.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

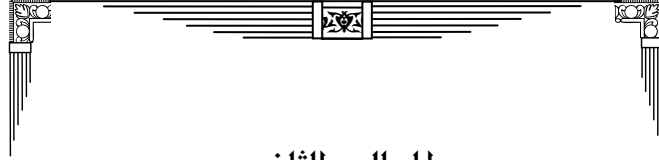
خلال بيت مال الزكاة، أن يتمكنوا من العودة إلى ممارسة حرفهم وتجارتهم وأعمالهم.

إن إنفاق الزكاة على الفقراء والمساكين سوف يؤدي إلى زيادة الطلب الكلي في المجتمع؛ وهذا يؤدي إلى زيادة الإنتاج، كما يزيد من فرص التشغيل؛ فيقلل نسبة البطالة، ومعروف ما للبطالة من آثار اقتصادية واجتماعية وأمنية خطيرة على المجتمع، فبالتحفيف من حدة البطالة تزداد نسبة الأمن والاستقرار في المجتمع^(١).

وتعمل الزكاة - كفريضة ربانية - جنبا إلى جنب مع كافة الفرائض والواجبات الشرعية على تحقيق المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية، فتعمل على حفظ الدين بمنع الأسباب المؤدية لضياعه كالفقر، فالفقر كاد أن يكون كفرا، وتعمل على حفظ النفس بتوفير الحاجات الأساسية للجميع، كما تعمل على حفظ المال بدعم الغارمين والمفلسين والمعسرين، وتعمل على حفظ العقل بدعم العلم والتعليم، وحفظ النسل بإعانة الراغبين بالزواج؛ حفظا للطهر والعفاف في المجتمع.

إن تحقيق المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية يزيد في الاستقرار والغنى للمجتمع، ويزيد في قوة المجتمع وتقدمه، وهذه المقاصد الشرعية الكبرى لا يمكن أن تتحقق إلا بتفعيل أدوات العمل الخيري، وعلى رأسها الزكاة.

(١). العسال، أحمد و عبد الكريم فتحي: النظام الاقتصادي في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٧،



المطلب الثاني

الأثار الاقتصادية للوقف

تشتمل الأعمال الخيرية التطوعية على الأوقاف والصدقات والهبات، وإكرام الضيف والجار.. إلخ.

وتعد الأوقاف الإسلامية من أبرز الأدوات الخيرية التطوعية على مدار التاريخ الإسلامي حتى وقتنا الحاضر، والوقف مصدر هام ومورد مالي كبير للفقراء والمحتاجين.

والوقف في (اللغة): بمعنى الحبس والمنع، يقال: وَقَفْتُ الدار: إذا حبستها ضد تملك الغير.

وفي (الاصطلاح): "حبس الأصل وتسبيل الثمرة أو المنفعة". قال ابن حجر: "الوقف منع بيع الرقبة والتصدق بالمنفعة على وجه مخصوص" ^(١). وقال ابن قدامة: "والوقف مستحب، ومعناه تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة" ^(٢). وحبس العين يكون بعدم التصرف فيها بالبيع أو الرهن أو الهبة، وغيرها من التصرفات.

وقد رغب الإسلام في الوقف، وجعل له جزاءً متميزاً لا ينقطع بموت صاحبه؛ وذلك لبقاء أثره ودوام نفعه. وتعد الأوقاف الكثيرة والمتعددة في

(١). ابن حجر: فتح الباري، ١٣٧٩هـ، ٥/٣٨٠.

(٢). ابن قدامة، عبدالله بن أحمد: المغني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥، ٥/٣٤٨.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

المجتمعات الإسلامية مفخرة للنظام الإسلامي؛ حيث لم يترك المسلمون، على مر العصور، حاجة من حاجات المجتمع إلا وقف عليها الخيرون منهم جزءاً من أموالهم، فأصبح الفقراء والمحرومون، ممن يعيشون في كنف المجتمع الإسلامي، يجدون من التكايا الموقوفة ملجأً ومأوى يقيهم الجوع والعُري، ومن المستشفيات (البيمارستانات) الموقوفة ما يعالجون به مرضاهم مجاناً، ومن (السبل والأربطة) ما يعينهم على الأسفار وقطع المفاوز والقفار، وقد كانت هذه الخيرات والمنافع متاحة للمسلمين ومن يعيش في كنفهم من أهل الذمة، ومن يدخل بلاد المسلمين بأمان من الأمم الأخرى^(١).

ومن أدلة مشروعية الوقف: قوله - تعالى - : ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمِمَّا﴾ [آل عمران: ٩٢]. وقد جاء في سبب نزول الآية أن أبا طلحة قال: يا رسول الله: "إن الله يقول: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾" [آل عمران: ٩٢]، وإن أحب أموالي إلي بيترحاء، (وهي أرض مرتفعة في المدينة المنورة)، وإنها صدقة لله؛ أرجو برها وذخرها عند الله - تعالى - فضعتها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال النبي - ﷺ - : «بَخٍ بَخٍ، ذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وقد سمعت، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين». فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه". رواه البخاري ومسلم، و أخرجه النووي في باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين^(٢)، كما أخرجه البخاري في باب إذا وقف أو أوصى لأقاربه^(٣).

(١). عبدالله، يوسف: مشكلة الفقر وكيف عالجه الإسلام، ١٩٨٠، ١٢٣.

(٢). مسلم بشرح النووي، ١٣٩٢، ٨٤/٧.

(٣). البخاري، ١٩٨٧، ٣/١١٧.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي

إن إرساء السلوك الإيثاري، وتقديم الثواب الأخروي على المتعة الدنيوية؛ يسمو بالمجتمع إلى مراتب عالية، بما يزيد من الاستقرار و الأمان، ويحقق المقاصد الشرعية التي تحث على الإيثار والتضحية.

إن تعدد مجالات الوقف يمثل أبرز صور التكافل الاجتماعي، ويعتبر الدرع الحصينة ضد أي اختلالات أو فوضى اجتماعية واقتصادية وأمنية؛ فكل مجال من مجالات الوقف كان يغطي قطاعا مهما من قطاعات المجتمع، التي تحقق المقاصد وتدرأ المفاسد؛ وبالتالي تحقق المقاصد التي جاءت بها الشريعة الغراء.

ففي جانب حفظ الدين: وجدت المساجد ومرافقها، وحلق الذكر ودور القرآن الكريم، ووقف على الحجيج بمكة، وعلى الزوار بالمدينة المساكن الكثيرة والإقامات العديدة؛ تيسيراً على الناس، وعوناً لهم على أداء شعائرهم التي خرجوا من ديارهم للقيام بها، كما وقفت المساجد والتكايا الملحقة بها في كافة مناطق الدولة الإسلامية.

وفي جانب حفظ العقل: وجدت المدارس والجامعات والكتاتيب والمكتبات.. إلخ، وقد أقيم بجانب المساجد في ديار الإسلام مؤسسات وقفية، تكفل مجانية التعليم، أطلق عليها الكتاتيب، بحيث يوفر للطلبة كل ما يحتاجونه من ألواح وأقلام ومداد..، ويُدفع للمعلمين فيها رزقٌ يكفيهم حاجاتهم؛ كي ينقطعوا الرعاية الأطفال..

كما انتشرت المدارس في أطراف الدولة الإسلامية، وبلغ عدد المدارس في دمشق وحدها أوائل القرن السابع الهجري أربعمئة مدرسة موقوفة، كان يؤمها الفقراء والأغنياء معاً، وبلغ عدد المدارس ببيت المقدس نحو سبعين مدرسة.

وفي المجال العلمي - أيضاً - وجدت المكتبات، وهذا المجال من أهم ما

بحوث مؤتمر العمل الخيري

تنافس به الواقفون، بقصد النفع والتقدم والرقي للعلماء والطلاب، فوجدت دور الكتب، ودور العلم، وبيوت الحكمة، وقد بلغ عدد المكتبات ببغداد مئة من دور الكتب.

وفي جانب حفظ النفس: وجدت المشافي والبيمارستانات، ووجدت داخل المستشفيات معاهد طبية ومراكز للأطباء، إضافة إلى المطاعم والمطابخ لتقديم الأغذية الطبية، والمسكن والغرف التي يسكنها الأطباء والعاملون في المستشفيات. وقد وقف الملوك والأمراء والموسرون المحسنون والأطباء أنفسهم مستشفيات ومراكز صحية، وخصصوا أحياء طبية ومدناً صحية، وقد بلغ عدد المستشفيات بقرطبة - على سبيل المثال - نحو خمسين مستشفى^(١).

كما وقف المسلمون في المجال العسكري السلاح والخيول، ووقفت الأربطة على المجاهدين؛ ليقموا بها ويحرسوا عن طريقها بلاد الإسلام من كل عدوان، وصرفت لهم منها النفقات الوافرة، وجهزوا بكل ما يحتاجون إليه من ذخيرة وطعام وشراب، ومن ريعها جهزوا بالأسلحة والخيول والنبال.

لقد كانت الأوقاف الإسلامية تخفف عن كاهل الدولة عبئاً كبيراً في مجال الإنفاق الصحي والتعليمي والعسكري، وحتى أوقاف الخدمات والمرافق العامة؛ ولا شك أن ذلك يدفع الدولة إلى بذل المزيد من الجهود في مجال المشروعات العامة الإنتاجية، التي تزيد من معدلات النمو الاقتصادي، وتحقق المزيد من فرص العمل والتشغيل؛ وبالتالي المزيد من الاستقرار الاقتصادي.

(١). الخوجة، محمد الحبيب: "لمحة عن الوقف والتنمية في الماضي والحاضر"، ندوة أهمية الأوقاف الإسلامية في عالم اليوم، لندن، ١٩٩٦، ص ١٤٣-١٦٠.

النتائج والتوصيات

✦ في ختام هذا البحث يمكن توضيح أبرز النتائج فيما يأتي:

- يؤدي العمل الخيري الإسلامي إلى نتائج إيجابية على الاستقرار الاقتصادي بشكل تلقائي؛ نظرا لأن الأعمال الخيرية يفترض أن تزداد في حالات الشدة أو الانكماش، كما تتجه إلى الانخفاض في حالات التوسع أو التضخم.
- تختلف الأعمال الخيرية في نتائجها وآثارها الاقتصادية باختلاف أشكالها وطبيعتها الإلزامية أو الاختيارية، الدائمة أو الموسمية.
- العمل الخيري الإسلامي له أهمية بالغة في تحقيق كافة أشكال الاستقرار الاقتصادي والمالي، شريطة وجود تنسيق كامل بين جميع مؤسسات العمل الخيري، وانسجام كامل مع السياسات الاقتصادية المالية والنقدية التي تمارسها مختلف أجهزة الدولة.
- يمكن أن تؤدي الأعمال الخيرية إلى نتائج سلبية في حالة وجود تضارب في الأهداف بين مؤسسات العمل الخيري، أو تناقض مع السياسات الاقتصادية التي تنتهجها الدولة.
- يمكن أن يؤدي العمل الخيري إلى نتائج سلبية في حال غياب التنسيق الكامل بين مختلف مؤسسات العمل الخيري، وعدم وجود مجلس عام للتنسيق والتشاور بين هذه المؤسسات.
- تعتبر فريضة الزكاة من أهم أدوات العمل الخيري الإلزامية، والتي يمكنها - إذا ما تم تفعيلها - أن تحقق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، ولكن واقع

بحوث مؤتمر العمل الخيري

- مؤسسات الزكاة في المجتمعات المعاصرة لا زال ضعيفاً.
- تعتبر مؤسسة الوقف من أهم مؤسسات العمل الخيري التطوعية، والتي يمكن تطويرها وتفعيلها بما يؤدي إلى تحقيق نتائج إيجابية.
- تعمل أجهزة العمل الخيري متضافرة مع الأجهزة التشريعية الأخرى على تحقيق المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية للمجتمع.

التوصيات:

- ضرورة التنسيق بين كافة مؤسسات العمل الخيري؛ من أجل تحقيق أفضل النتائج، بأيسر الطرق والأساليب.
- ضرورة تفعيل التشريعات الخاصة بالعمل الخيري؛ بما يؤدي إلى زيادة موارده المالية، وينظم طرق جمع الأموال واستثمارها وتوجيهها إلى الجهات الخيرية المختلفة.
- ضرورة التنسيق بين مؤسسات العمل الخيري وأجهزة الدولة المختلفة، المالية والنقدية والاجتماعية؛ وذلك تجنباً للازدواجية والتضارب بين السياسات الاقتصادية المختلفة.
- ينبغي على المؤسسات الخيرية التركيز على تقديم التبرعات النقدية في حالات الانكماش، وعلى التبرعات العينية في حالات التضخم؛ انسجاماً مع السياسات النقدية والمالية.
- لا بد من الأخذ بالأساليب الفنية والتكنولوجية الحديثة في الأعمال الخيرية، بما يحفظ حقوق الناس، ويؤدي إلى الاستخدام الأمثل للموارد المالية الخيرية.
- تفعيل مؤسسات الإعلام الخيري، من خلال إيجاد قناة فضائية خيرية، ومجلات وصحف متخصصة في هذا المجال.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي

أهم المراجع

- ابن قدامة، عبدالله بن أحمد: المغني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥.
- البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧، تحقيق: مصطفى البغا.
- التقرير السنوي للمؤسسة العامة لضمان الاستثمار وائتمان الصادرات، الكويت، ٢٠١٧.
- حطّاب، كمال: الاقتصاد الإسلامي وأبعاده الأمنية، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.
- خريوش، حسني علي، وآخرون: الاستثمار والتمويل بين النظرية والتطبيق، دار زهران، عمان، ١٩٩٩.
- الخوجة، محمد الحبيب: "لمحة عن الوقف والتنمية في الماضي والحاضر"، ندوة أهمية الأوقاف الإسلامية في عالم اليوم، لندن، ١٩٩٦.
- شابرا، محمد عمر: نحو نظام نقدي عادل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، ١٩٩٠، ط ٢.
- شابرا، محمد عمر: الإسلام والتحدي الاقتصادي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، ١٩٩٦.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

- الشاطبي، إبراهيم بن موسى: الموافقات، دار ابن عفان، الخُبر، ١٩٩٧.
- عبد العظيم، حمدي: فقر الشعوب، مطبعة العمرانية، ١٩٩٥.
- العز بن عبد السلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مكتبة المكتبات الأزهرية، القاهرة، ١٩٩٤.
- عفر، محمد عبد المنعم: السياسات الاقتصادية والشرعية وحل الأزمات وتحقيق التقدم، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٧.
- الغزالي، محمد: خُلُق المسلم، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦، ط٦.
- عبدالله، يوسف: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠.
- عبدالله، يوسف، فقه الزكاة، ١٩٧٣.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٩/٤، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- النووي، المجموع، المكتبة العالمية، القاهرة، دت.



**العمل الخيري
ودوره في التنمية الاقتصادية
من منظور إسلامي**

إعداد:

محمد إبراهيم أبو عليان

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان دور العمل الخيري في التنمية الاقتصادية وما يقدمه في المجالات كافة ومن أهمها المجال الاقتصادي، وكذلك آثاره في الاستقرار الاقتصادي، نظرًا لما ينجم عن الاستقرار الاقتصادي من آثار نفسية واجتماعية وسياسية ملائمة لزيادة معدلات النمو والتقدم في المجالات كافة، ولتحقيق أغراض الدراسة استخدم الباحث الأسلوب الوصفي التحليلي، لكونه يناسب هذه الظاهرة؛ بالإضافة إلى الأسلوب الاستقرائي عن طريق الرجوع للأدب المتعلق بموضوع العمل الخيري.

وخلصت الدراسة لمجموعة من النتائج أهمها ما يلي: العمل الخيري يمثل قيمة إسلامية، وعملية إنسانية تدوم وتستمر وتتطور بدوام واستمرار وتطور الإنسانية وحاجاتها في كل زمان ومكان، إذ تبين الدراسة أن العمل الخيري يؤدي دورًا حيويًا في تنمية المجتمع، وكذلك يساهم بشكل فاعل وهام في إحداث التنمية المنشودة في مختلف المجالات، العمل الخيري له أهمية بالغة في تحقيق الاستقرار الاقتصادي شريطة وجود تنسيق كامل وانسجام مع السياسات الاقتصادية المالية والنقدية التي تمارسها مختلف أجهزة الدولة.

كما توصلت الدراسة لمجموعة من التوصيات أهمها ما يلي: العمل على تفعيل العمل الخيري وتنشيطه في المجتمع لكي يتمكن من القيام بدوره التنموي، تفعيل أسس التنسيق والشراكة والتعاون وتكامل الأدوار ما بين المؤسسات الخيرية والقطاعين الحكومي والخاص، بهدف الوصول للهدف المنشود وهو دفع عجلة التنمية، ودراسة التجارب الدولية في مجال العمل الخيري والتطوعي والاستفادة منها لمجتمعاتنا.

الفصل الأول / خطة البحث

مقدمة

تعد التنمية مطلباً شرعياً وإنسانياً واجتماعياً وعالمياً، ولا تتحقق على نحو جيد إلا بتضافر الجهود الجماعية المسئولة وهي: القطاع الحكومي، والقطاع الخاص، والقطاع الخيري، فهي من أساسيات وأركان النهوض بالمجتمعات، لذلك أصبح القطاع الخيري يمثل دوراً مهماً وبارزاً في شتى أنواع التنمية سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم بشرية؛ حيث إنه ذو علاقة مباشرة بالخدمات التعليمية والطبية والاجتماعية والدينية والإغاثية والإنسانية والاقتصادية.

وحيث إن الدول الإسلامية ما تزال تخوض معركة النهضة والتنمية منذ نحو أكثر من قرن بعد الانحطاط والتخلف اللذين أصاباها، حيث إن البحث في مجال التنمية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدراسة الموارد التمويلية اللازمة لإنجاحها وذلك لأن القيام بعملية تنمية ناجحة يتطلب توفير الموارد المادية والمالية والبشرية الكافية، ويمكن للدول الحصول على الموارد المالية اللازمة لعملية التنمية من موارد محلية أو اللجوء للموارد الخارجية، إلا أن الدراسات الاقتصادية تؤكد على أن ما يكتنف اللجوء إلى الموارد الخارجية من مخاطر قد تهدد مسيرة التنمية نفسها وتعرق نجاحها ودخول كثير من الدول في فخ المديونية الخارجية.

فالمجتمع الرشيد هو المجتمع الذي يعتمد على إمكانياته، ويوظف خبراته وطاقاته في سبيل الارتقاء بأوضاعه، فأدبيات التنمية الحديثة تصف العمل الخيري

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

برأس المال الاجتماعي^(١)، باعتباره ثروة عامة يمتلكها المجتمع، وبمراجعة التراث الحضاري في الإسلام نجد أن العمل الخيري يمثل قيمة إنسانية كبرى تتمثل في العطاء والبذل بكل أشكاله، فهو سلوك حضاري حي لا يمكنه النمو سوى في المجتمعات التي تنعم بمستويات متقدمة من الثقافة والوعي والمسؤولية، فهو يلعب دوراً مهماً وإيجابياً في تطوير المجتمعات وتنميتها، حيث كان وما زال أحد أسس النهضة الإسلامية الشاملة بأبعادها المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية، ويدخل العمل الخيري ضمن إطار الصدقات وفضائل الأعمال التي حث عليها الإسلام لتوفير مصدر ثابت ومستمر لتمويل وسد حاجات المجتمع المختلفة.

ويكتسب العمل الخيري أهمية متزايدة يوماً بعد يوم، وخاصة مع اتساع الهوة بين موارد الحكومات وازدياد احتياجات الشعوب حيث برز دور العمل الخيري لسد تلك الفجوة ولم تعد الحكومات قادرة على توفير احتياجات أفرادها ومجتمعاتها سواء في البلدان المتقدمة أو النامية، ومن المتوقع ازدياد تنامي دور القطاع الخيري نتيجة تفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، وما يترتب عليها من تراجع في الخدمات الحكومية، نتيجة تبني الحكومات لسياسات الإصلاح الاقتصادي في الوقت الحاضر، التي تعني التحول نحو اقتصاد السوق والخصخصة وما يترتب على ذلك من تراجع في الخدمات الحكومية المجانية

(١) رأس المال الاجتماعي: يشير إلى الآثار البرانية التي تنشأ عن تفاعل الأفراد في القطاع الأهلي مع بعضهم بعضاً في جماعات، أو هيئات أهلية غير حكومية، تهدف إلى إنتاج سلع وخدمات عامة تعوض عن إخفاق القطاع العام أو الخاص في إنتاجها أو مكملتها في حال إنتاجها بشكل ناقص.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

بعد اعتماد سياسة السوق.

❁ مشكلة الدراسة:

تبرز مشكلة الدراسة في معرفة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي: ما الدور الذي يمكن أن يقوم به العمل الخيري بوصفه أحد المصادر الاختيارية والتطوعية في تمويل التنمية الاقتصادية الشاملة وسد احتياجات المجتمع؟

❁ أهمية الدراسة:

بالنظر والتأمل في واقع العمل الخيري، ومدى تفاعل المجتمع ندرك الأهمية التي اكتسبها هذا العمل والمتمثلة فيما يلي:

- ارتباط العمل الخيري بإحدى أهم شرائح المجتمع، وهي طبقة ذوو الدخل المنخفضة أو المعدومة التي أمر الله عز وجل بالإحسان إليها.
- نجاح العمل الخيري ومؤسساته يعد مقياسًا وتقويمًا لمستوى رقي الأمم والأفراد والدول، وعاملاً من عوامل التوازن بين الأغنياء والفقراء سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو دولاً.
- العمل الخيري يساعد على تنمية الإحساس بالمسؤولية لدى المشاركين، ويشعرهم بقدرتهم على العطاء.
- كذلك تنبع أهمية هذه الدراسة في كونها تغطي جانباً مهماً في الاقتصاد؛ وهو دور النشاطات الخيرية في التنمية الاقتصادية في الاقتصاد الإسلامي.

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

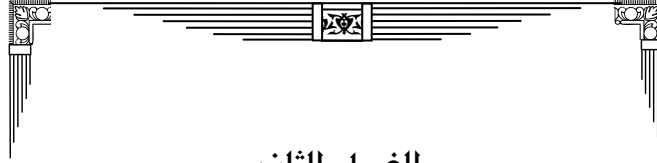
❖ أهداف الدراسة:

يمكن توضيح أهداف الدراسة من خلال النقاط التالية:

- التعرف على مفهوم العمل الخيري وأنواعه ومجالاته.
- إظهار دور العمل الخيري في الاقتصاد، وإعادة توزيع الدخل بين فئات المجتمع.
- توضيح الدور التنموي للعمل الخيري في مختلف المجالات.
- الخروج بتوصيات ملائمة قد تسهم في تدعيم العمل الخيري وتطويره وبالتالي تعزيز التنمية الاقتصادية.

❖ منهجية الدراسة:

لتحقيق الغرض من الدراسة سيستخدم الأسلوب الوصفي التحليلي لكونه يناسب هذه الظاهرة، حيث سيعتمد على المصادر الثانوية مثل: الكتب والمجلات العلمية المتخصصة والدوريات والمقالات والأبحاث والمجلات ومواقع الإنترنت، والأسلوب الاستقرائي عن طريق الرجوع للأدب المتعلق بهذا الموضوع.



الفصل الثاني

مفهوم التنمية والعمل الخيري ومشروعيته وأهم مجالاته في الإسلام

في هذا الفصل سوف نتناول مفهوم كل من التنمية الاقتصادية وكذلك العمل الخيري في الإسلام بالإضافة لتوضيح أهم مجالاته.

المبحث الأول/ تعريف التنمية في الفكر الاقتصادي:

تعريف التنمية الاقتصادية في الفكر الوضعي: للتنمية الاقتصادية في الفكر الوضعي تعاريف عديدة بعدد المفكرين الذين تكلموا في التنمية الاقتصادية واختلاف وجهات نظرهم، غير أنه عند الحديث عن تعريف التنمية الاقتصادية تثار قضية التفرقة بين النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية^(١)، فكلاهما يعني زيادة الطاقة الإنتاجية للاقتصاد، ويميل البعض إلى المساواة بين التعريفين - أي استخدامهما مرادفين - حيث إن كليهما يعني التغير إلى الأحسن والأفضل، إلا أن إجماع كُتَّاب التنمية على التفرقة بينهما (عجمية وآخرون، ٢٠٠٦). ونظرًا

(١) النمو الاقتصادي: يعني حدوث زيادة في إجمالي الناتج المحلي أو إجمالي الدخل القومي، الأمر الذي يؤدي لتحقيق زيادة في متوسط الدخل الفردي الحقيقي مع مرور الزمن. أما التنمية الاقتصادية: فهي العمل التي من خلالها تتحقق زيادة في متوسط نصيب الفرد من الدخل الحقيقي على مدار الزمن، وتحدث من خلال تغييرات في كل من هيكل الإنتاج ونوعية السلع والخدمات المنتجة، إضافة إلى إحداث تغيير في هيكل توزيع الدخل لصالح الفقراء.

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

للمكانة المرموقة للتنمية الاقتصادية بين الدراسات الاقتصادية فقد تعددت التعاريف، التي يمكن توضيحها في المفهوم التالي باعتباره أشملها حيث يرى الباحث أن التنمية الاقتصادية بمعناها الواسع المتعدد الأبعاد هي: عملية إرادية منظمة ومخطط لها وذات أبعاد مركبة، تتضمن إلى جانب النمو الاقتصادي وتوزيع ثماره توزيعاً عادلاً إحداث تغييرات جذرية جوهرية في البنى (الهياكل) الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وفي هياكل المؤسسات الوطنية وفي أنماط السلوك ومواقف واتجاهات المواطنين نحو التنمية من أجل توفير الحياة الإنسانية المادية والروحية الكريمة للفرد والمجتمع.

تعريف التنمية الاقتصادية في الفكر الإسلامي: لم يكن لفظ التنمية الاقتصادية شائعاً في الكتابات الإسلامية الأولى، إلا أن المعنى قد استخدم كثيراً بألفاظ مختلفة منها: العمارة والتمكين والنماء والشمير والسعي في الأرض وإصلاح وإحياء الأرض، وقد ورد بعض هذه الألفاظ ومرادفاتها في القرآن الكريم وفي بعض الأحاديث النبوية الشريفة، وظهرت بوضوح في كتابات الأئمة والعلماء وخطبهم في عصور الإسلام المبكرة والوسيلة، ويعد مفهوم العمارة المستمد من قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، أكثر شمولاً من مفهوم التنمية الاقتصادية بالمعنى الوضعي ويزيد عليه، لأن العمارة في الفكر الاقتصادي الإسلامي تعني تحقيق النهوض في جميع جوانب وقطاعات الحياة بما فيها الجوانب الاقتصادية والمادية (الشايحي، ٢٠٠٥).

وبعد الاطلاع على عديد من التعريفات التي تناولت مفهوم التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي يرى الباحث أن التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي بمعناها الواسع: تدخل ضمن مفهوم العمارة الذي يعد أعم وأشمل من

بحوث مؤتمر العمل الخيري

مجرد التنمية الاقتصادية، ومعنى ذلك النهوض بمختلف مجالات الحياة الإنسانية من أجل بناء الإنسان الصالح التقي، ليكون بحق خليفة الله في أرضه مع الأخذ بجميع الأساليب العلمية والتقنية بهدف إحداث التغيير الجذري والهيكلية لمختلف النظم الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية... إلخ، من أجل توفير الحاجات الفردية^(١) والحاجات العامة^(٢) وبالتالي الانتقال بالمجتمع من حالة الفقر والتخلف إلى حالة التقدم والحضارة مع ضمان ذلك للأجيال القادمة.

المبحث الثاني/ مفهوم العمل الخيري في الإسلام ومشروعيتها :

قد وضع عدد من العلماء والباحثين تعريفات عدة للعمل الخيري، منها:

أنه النفع المادي أو المعنوي الذي يقدمه الإنسان لغيره، من دون أن يأخذ عليه مقابلًا ماديًا، ولكن ليحقق هدفًا خاصًا له أكبر من المقابل المادي، قد يكون عند بعض الناس الحصول على الثناء والشهرة، أو نحو ذلك من أغراض الدنيا، والمؤمن يفعل ذلك لأغراض تتعلق بالآخرة، رجاء الثواب عند الله، والدخول في جنات النعيم، فضلًا عما يناله في الحياة من بركة وحياة طيبة، وسكينة نفسية، وسعادة روحية لا تقدر بثمن عند أهلها.

ويعرف أيضًا: بأنه هو عمل يشترك فيه جماعة من الناس لتحقيق مصلحة عامة، وأغراض إنسانية أو دينية أو علمية أو صناعية أو اقتصادية، بوسيلة جمع

(١) الحاجات الفردية: وهي التي تضمن للإنسان حياته وكرامته وقدرته على الاستمرار في عمارة الأرض وهي الطعام والشراب واللباس والمسكن والأمن.

(٢) الحاجات العامة: وهي التي تسهم في قيام مجتمع قوي من جميع النواحي الصحية والثقافية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ليؤدي دوره في هذه الحياة.

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

التبرعات وصرفها في أوجه الأعمال الخيرية، بقصد نشاط اجتماعي أو ثقافي أو إغاثي، بطرق الرعاية أو المعاونة مادياً أو معنوياً داخل الدولة وخارجها من غير قصد الربح لمؤسسيها، سواء سُمي إغاثة أو جمعية أو مؤسسة أهلية أو هيئة أو منظمة خاصة أو عامة (مهدي، ٢٠١٢).

مشروعية العمل الخيري في الإسلام: ورد كثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تدل على العمل الخيري أو أحد مرادفاته، حيث جاءت الدلالة بصيغ شتى، بعضها: أمر به، أو ترغيب فيه، وبعضها: نهى عن ضده، أو تحذير منه، وبعضها مدح لفاعلي الخير، وبعضها ذم لمن لا يفعل فعلهم، وبعضها يثني على فعل الخير في ذاته، وبعضها يثني على الدعوة إليه، أو التعاون عليه أو التنافس فيه. فالقرآن الكريم حافل بكثير من الآيات التي تدل على مشروعية العمل الخيري أو أحد مرادفاته، والحث عليه وبيان فضله، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي: قال تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥].

أما الأدلة من السنة النبوية فهي كثيرة حيث حث النبي ﷺ على أعمال الخير عموماً وعلى إغاثة الملهوف خاصة، وقد كان قدوة وأسوة حسنة في بيان أهمية ترابط المجتمع، فكان أجود من الريح المرسلة، وكان رحيماً بالمؤمنين، عطوفاً رؤوفاً، حيث كان يعود المرضى، ويرحم الأرملة، ويعطف على اليتامى، ويتعهد أبناء الشهداء، وذلك في أحاديث كثيرة؛ نذكر منها ما يلي: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ

بحوث مؤتمر العمل الخيري

مسليماً ستره الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(١).

المبحث الثالث/مجالات العمل الخيري:

على الرغم من أن الأعمال الخيرية لها أشكال عديدة ومجالات متنوعة إلا أنها تعمل معاً وفي اتجاه واحد ينعكس بشكل إيجابي على المجتمع، ويشارك في إحداث التنمية التي تسعى المجتمعات والدول لتحقيقها. لذلك فقد ارتأى الباحث أن يُقسم مجالات العمل الخيري إلى مجالات رئيسة تجمع شتى مظاهر العمل الخيري، وهي على نحو ما يلي:

❁ أولاً/ مجال الدعوة والإرشاد الديني:

وهو كل ما يتعلق بالدعوة إلى الله تعالى، والتوعية والإرشاد، وتذكير الناس بفضائل الإسلام، وبيان النتائج المترتبة على تطبيق الشريعة الإسلامية الغراء في جميع المجالات الاجتماعية، والاقتصادية، والصحية، والبيئية، والإدارية، وغير ذلك من المجالات الحياتية(مشاط، ١٩٩٧). كما أن الدعوة إلى الله عز وجل مجالها واسع ولا تتقيد بمكان أو زمان، وتشمل الفرد والمجتمع وتمتد خدمات هذا المجال إلى خارج الوطن وهدفها نشر الإسلام والدعوة إليه(العمري والصريصري، ١٩٩٧). ويمكن تحقيق الدعوة من قبل جميع المتخصصين كلا

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم (٢٦٩٩)، (٢٠٧٤/٤)، وسنن ابن ماجه، كتاب الإيمان، باب فضل العلماء الحث على طلب العلم، برقم (٢٢٥)، (٨٢/١)، وسنن الترمذي، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الستر على المسلم، برقم (١٩٣٠)، (٣٢٦/٤).

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

في مجال تخصصه، فمن خلال المواعظ والمحاضرات والندوات والمؤتمرات والنشرات الدينية المتنوعة والكتب الإسلامية والبرامج والمواقع على الشبكة الدولية وبناء المراكز الإسلامية.

ويبدو للمتابع أن معظم المجال الخيري في البلدان الإسلامية ذو صلة بالدين، والسبب أن القائمين على هذه المؤسسات متدينون، كما أنه تُقام الجمعيات الخيرية من منطلق ديني تعبدى، مما يمنحها قوة فوق قوتها في البعدين الاجتماعي والتنظيمي، وتنشط هذه الجمعيات في مجال بناء المساجد وصيانتها، وكذلك تعليم العلم الشرعي، وتخريج الدعاة والأئمة والعلماء، ونشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وتبصير الناس بشؤون دينهم، بالإضافة إلى تخريج حفظة للقرآن الكريم (إغبارية، ٢٠٠٨).

❖ ثانياً/ المجال الاجتماعي:

ويركز هذا المجال على معالجة الظواهر السلبية في المجتمع، والعمل على إحلال البدائل الإسلامية مكانها لبناء مجتمع متحاب متعاون يساعد القوي فيهم الضعيف، وتتركز هذه الخدمات على رعاية الأيتام التي حث عليها الرسول ﷺ حيث قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً»^(١)، والعناية بالأرامل والمطلقات والمساكين، ورعاية المشردين وأسر السجناء واللقطاء^(٢) والمنحرفين في المجتمع والعمل على إصلاح أحوالهم

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، برقم (٤٩٩٨)، (١٨٦/٦)، وسنن الترمذي، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة اليتيم وكفالتهم، برقم (١٩١٨)، (٣٢١/٤).

(٢) اللقيط في الشرع: هو المولود الذي لا يعرف له أب ولا أم.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وإعادة دمجهم في المجتمع، وبناء دور للعجزة والمسنين الذين ليس لهم معيل، والعمل على حل المشكلات الأسرية لتوثيق أواصر المحبة في الأسرة وبين أفراد المجتمع، كما تتضمن إصلاح ذات البين لإحلال المحبة والمودة بدل التباغض والشحناء والعمل على معالجة الفقر من خلال تقديم المعونات والمساعدات، والحث على الزواج والمساعدة في ذلك لإبعاد المجتمع عن الرذيلة، كذلك تقديم الخدمات للنساء والفتيات ضحايا العنف الجسدي والجنسي وغيره، وإقامة أطر مناسبة تؤمن حماية لهن وتحسين ظروف حياتهن(علوان، بدون تاريخ).

❖ ثالثاً/ المجال التعليمي والثقافي:

فقد شرف القرآن الكريم العلم والمتعلمين، وقضى الشرع بأن طلب العلم فريضة، وعلى هذا يكون توفير لوازم التعليم فريضة تحقيقاً لقصد الشارع(السبهاني، ٢٠١٠). لذلك يتضمن هذا المجال العمل على محاربة الأمية، وتعليم أبناء الفقراء ممن لا يستطيعون الالتحاق بالتعليم، وإعطاء دروس تقوية للطلبة ضعاف التحصيل، وإعداد برامج خاصة لرعاية الموهبين والأذكياء لصقل مواهبهم وتنمية قدراتهم بما ينعكس إيجابياً عليهم وعلى الأمة جمعياً(العمرى والصريصري، ١٩٩٧). كما يمكن تقديم برامج تدريبية للشباب غير العاملين لتأهيلهم، ومساعدتهم في اكتساب المهارات والحصول على فرصة عمل، ليتحول الفرد إلى عنصر إنتاجي فاعل في المجتمع. كما يتضمن تقديم دورات للنساء وبخاصة في الاقتصاد المنزلي، وذلك لأهمية الدور الذي تلعبه المرأة في الاقتصاد المنزلي، وتأهيلهن على مهن منزلية يمكن من خلالها المساعدة في إعالة العائلة أو الحد من بعض النفقات؛ كأعمال الخياطة والحياكة والرعاية الصحية الأسرية

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

وغيرها. ومن أفضل أنواع التعليم في هذا المجال إقامة المراكز البحثية المتخصصة التي تمول من العمل الخيري، والتي تعني بالأبحاث وتقديم المشاورات في مختلف المجالات ذات الصلة بالواقع الاقتصادي أو التربوي أو الصحي أو البيئي، وما إلى ذلك. وكذلك العمل على تعميق الوعي الثقافي والفكري والأدبي من خلال تنظيم النشاطات والفعاليات والدورات التعليمية والتثقيفية، من أجل النهوض بالمجتمع المسلم في هذا المجال (بني عيسى، ٢٠٠٦).

❖ رابعاً/ مجال الخدمات الصحية:

سلعة عامة أكد الإسلام مشروعية الاحتياج إليها؛ فحفظ النفس واجب ومقصد من مقاصد التشريع، وكل ما يلزم لإنقاذ هذا المقصد وقاية وعلاجاً فهو واجب يرتقي به الفرد وترتقي به الأمة (السبهاني، ٢٠١٠)، حيث يقول النبي ﷺ: «إن الله عز وجل حيث خلق الداء خلق الدواء، فتداواوا»^(١)، وبناءً على ذلك فإن العمل الخيري التطوعي يشمل هذا الجانب بما يتضمنه من بناء مراكز صحية والمساعدة في بناء مستشفيات خاصة بالفقراء والمحتاجين، وكذلك المختبرات الطبية وتجهيز سيارات الإسعاف وتقديم الخدمات الطبية المتنوعة والرعاية الصحية لغير القادرين والمحتاجين من فئات المجتمع، ومقاومة الأمراض المزمنة والأوبئة، وخاصة في فئات كبار السن والعجزة والمعاقين والأطفال، كذلك يتم تنظيم الحملات الصحية التثقيفية لمحاربة بعض الظواهر السلبية

(١) مسند أحمد: مسند أنس بن مالك، برقم (١٢٥٩٥)، (٥٠/٢٠)، ومصنف ابن أبي شيبة، كتاب الطب، باب من رخص في الدواء والطب، برقم (٢٣٤١٥)، (٣١/٥) قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

كالتدخين والمخدرات، وبهدف رفع مستوى الوعي الصحي للمجتمع مما يسهم في علمية التنمية الاقتصادية(العمري والصربصري، ١٩٩٧).

✽ خامساً/ مجال حماية البيئة ورعاية الحيوانات :

إن أولى الناس بالمحافظة على البيئة هم المسلمون، حيث إن في ديننا أحكاماً وآداباً إسلامية كثيرة، لا يؤدي الالتزام والاهتمام بها إلا إلى حفظ الموارد، والمحافظة على البيئة، والعمل على تنظيفها(بكار، ١٩٩٩)، كما أن عناية الإسلام بشؤون البيئة والحفاظ عليها يأتي من عنايته بالإنسان نفسه، فبقدر صلاحية هذه البيئة للحياة السوية بقدر ما يكون صلاح الإنسان واستقراره. والبيئة هبة الله، خلقها سبحانه لتلبية حاجات الإنسان الحياتية، وعلى الأفراد والمجتمعات والدول، حمايتها وتنمية مواردها الطبيعية، بما في ذلك الهواء، والمناخ، والماء، والبحر، والحياة النباتية والحيوانية(السبهاني، ٢٠١٠).

وبالتالي فإن هذا المجال يتمثل بنشر النظرة الإسلامية للبيئة، والسعي للمحافظة عليها، إذ أن أي عبث بأي من مكوناتها سينعكس سلباً على التنمية. ويمكن أن يتم ذلك من خلال إنشاء المؤسسات والمراكز الخيرية الهادفة لنشر الوعي البيئي، والقيام بحملات لنظافة البيئة ورعايتها، وزراعة الأشجار، ومكافحة التصحر، والحفاظ على الثروات الطبيعية وترشيد وحسن استغلالها بما يحقق أفضل النتائج على المجتمع. كما يساهم العمل التطوعي بالمحافظة على نظافة البيئة من خلال المشاركة بحملات النظافة، وتنظيم برامج ونشاطات بيئية مختلفة تهدف إلى المحافظة على مقومات البيئة ومواردها من التبذير والتلوث، وهذا من شأنه أن يحد من إنفاق الأموال على البيئة، وتحويلها إلى مجالات أكثر أهمية، وذات آثار إيجابية في المجتمع (بني عيسى، ٢٠٠٦).

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

أما فيما يخص رعاية الحيوانات فإن الإسلام ينظر إلى عالم الحيوان إجمالاً باهتمام لأهميته في الحياة ونفعه للإنسان، ولكونه قبل ذلك آية من آيات عظمة الخالق وبديع صنعه؛ ولذلك كثر الحديث عن الحيوان وحقوقه في كثير من مجالات التشريع الإسلامي، حتى إن عدداً من السور في القرآن الكريم جاءت بأسماء الحيوانات؛ مثل: سورة البقرة، والأنعام، والنحل، والنمل، والعنكبوت، والفيل (<http://islamstory.com>، ٢٠١٣). وينص القرآن كثيراً على تكريم الحيوان، وبيان مكانته، وتحديد موقعه لخدمة الإنسان؛ فبعد أن بين الله في سورة النحل قدرته في خلق السموات والأرض، وقدرته في خلق الإنسان، أردف ذلك بقوله: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَيْغِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَاللَّيْلَ وَالنَّجْمَ وَالْجِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٥-٨]، وقد استنبط الفقهاء والمفسرون من هذه الآيات كثيراً من الأحكام والفوائد، فأشاروا إلى أن الله سبحانه يلفت انتباه الإنسان إلى ضرورة الاهتمام بالحيوان، والعناية به، والترفق في معاملته؛ لأنه يؤدي دوراً مهماً في خدمته. وفي هذا المجال فقد جعل الإسلام باباً واسعاً للعمل الخيري التطوعي من خلال إنشاء المؤسسات والمراكز الخيرية الخاصة بالرفق بالحيوانات، كأوقاف الرفق بالحيوان ومن ذلك أوقاف للخيول المسنة وأوقاف للطيور، وأوقاف خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقاف لرعاية الحيوانات المسنة العاجزة، ففي كل ذي كبد رطبة أجر وإكرام الجوار من كرم السجاياء (السباعي، ١٩٩٨). كما أننا نجد السنة النبوية الشريفة ذخرة بالأحاديث التي تدور كلها حول رعاية الحيوانات والعناية بها وأنها من أبواب العمل الخيري.

❖ سادساً/ مجال الأمن والجهاد في سبيل الله :

يعد الأمن والدفاع من السلع السيادية التي يتعين على المجتمع المسلم أن يؤمنها لرعاياها؛ وإدارة الأمن داخلياً وخارجياً وإعداد شرائطه كانت من أظهر واجبات الدولة المسلمة وتكاليها الشرعية (السبهاني، ٢٠١٠)، ويقول في ذلك تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، كما أن الرسول ﷺ فتح باب التطوع للجهاد في سبيل الله واعتبره أفضل أنواع التطوع. وبالتالي يمكن المشاركة في حماية البلد من أي تهديد داخلي أو خارجي، من خلال إقامة مراكز التدريب للمتطوعين وتقديم كل ما يحتاجونه إليه من معدات وأدوات، كما يضم ذلك دورات في أعمال الدفاع المدني والذي يشمل الإنقاذ، والإسعاف، والإرشاد، وإطفاء الحرائق، ونجدة المحتاجين في حالات الطوارئ والخطر (مشاط، ١٩٩٧). كما يمكن دفع الأموال الخيرية لتمويل الجهاد في سبيل الله باعتبارها من أفضل الأعمال على الإطلاق كما فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما جهز جيش العسرة، حيث روى عبد الرحمن بن خباب قال: "شهدت النبي ﷺ وهو يبحث على جيش العسرة فقام عثمان بن عفان فقال يا رسول الله علي مائة بغير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض علي الجيش فقام عثمان بن عفان فقال يا رسول الله علي مائة بغير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض علي الجيش فقام عثمان بن عفان فقال يا رسول الله علي ثلاث مائة بغير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله فأنا رأيت رسول ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول ما علي عثمان ما عمل بعد

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

هذه ما على عثمان ما عمل بعد هذه"^(١).

❁ سابعاً/ مجال الإغاثة وتعزيز القيم الإنسانية:

كثيراً ما تتعرض مناطق مختلفة من العالم إلى كوارث طبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات والحروب وانتشار الأمراض أو الأوبئة والحرائق وغير ذلك من الكوارث، الأمر الذي يتطلب مزيداً من المساعدات العينية والنقدية والجهود البشرية لإنقاذ من يتعرضون لمثل تلك الكوارث (الجمال، ٢٠٠٩). والإسلام يفرض على المسلم أن يساعد أخاه المسلم أو حتى أخيه الإنسان، الأمر الذي يحسن من صورة المسلمين أمام غير المسلمين ويحببهم في الإسلام، أو نتقي شرورهم. كما أن هناك شواهد تاريخية من الحضارة الإسلامية، تبين كثيراً من الشواهد على العمل الخيري ونتائجه الطيبة على غير المسلمين من جهة، وعلى الإسلام من جهة أخرى، حين يؤول الإحسان إلى هؤلاء في النهاية إلى إسلامهم أو حيادهم (المجالى، ٢٠٠٨).

❁ ثامناً/ المجال الاقتصادي:

لا نستطيع الفصل بين المجالات السابقة والمجال الاقتصادي، فهي حلقات متصلة في عملية التنمية، وهذا المجال لا يقل أهمية عن المجالات السابقة، حيث إنه ينطلق من خلال تشجيع الشباب على الكسب الحلال والعمل الدائم وترك البطالة، وذلك من خلال تشجيع إنشاء المؤسسات الاقتصادية التي يمكن أن تدفع نحو تقدم المجتمع، وكذلك القيام بدورات ومشاريع تأهيلية وتدريبية في

(١) مسند أحمد، برقم (١٦٦٩٦)، (٢٧/٢٤٧)، وسنن الترمذي، كتاب أبواب المناقب، برقم (٣٧٠٠)، (٥/٦٢٥)، ضعفه الألباني.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

مجال زيادة الوعي الاقتصادي للمجتمع (اغبارية، ٢٠٠٨). وفي هذا المجال يمكن إقامة مشاريع تنمية للفقراء القادرين على العمل، أو تملكهم أدوات الحرفة المناسبة لهم، أو تملكهم المشروع الإنتاجي لتحفيزهم على الإنتاج، كما أن المشروعات الإنتاجية الصغيرة مهمة في هذا المجال، إذ يمكن التركيز عليها كنقطة انطلاق هامة في التنمية الاقتصادية، ولا سيما المشروعات الزراعية أو الحرفية، فإن مشاريع البنية التحتية كشق الطرق أو جر المياه أو حفر الآبار وغير ذلك لها أهمية كبيرة أيضاً، من خلال تسخير الأعمال الخيرية لمساعدة الدولة في الحد من بعض النفقات أو المساهمة في الحد من العجز في موازنتها (الأشوح، ١٩٩٩).

كما يمكن استخدام الدعوة في المجال الاقتصادي على الحث على العمل النافع المنتج، والحث على الإقبال على السلع المحلية لتشجيع الإنتاج المحلي، أو تشجيع وتفضيل المنتجات الدول الإسلامية على غيرها من المنتجات في سبيل التكامل والتناسق بين الدول الإسلامية.



الفصل الثالث

آثار العمل الخيري في التنمية الاقتصادية:

يمكن للعمل الخيري أن يساهم في إحداث التنمية الشاملة، عن طريق المجالات المتعددة والمتنوعة والتي قد سبق ذكرها. ويمكن توضيح دور العمل الخيري في التنمية الاقتصادية، من خلال آثاره المباشرة وغير المباشرة، وتتضح هذه الآثار من خلال ما يلي:

المبحث الأول: أثر العمل الخيري في الإنتاج

المبحث الثاني: أثر العمل الخيري في الاستثمار

المبحث الثالث: أثر العمل الخيري في إعادة توزيع الدخل والاستهلاك

المبحث الرابع: أثر العمل الخيري في تحقيق الاستقرار الاقتصادي



المبحث الأول

أثر العمل الخيري في الإنتاج

يساهم العمل الخيري في زيادة الإنتاج من خلال توظيفه في تعليم وتدريب العنصر البشري، حيث يعد التعليم والتدريب من العناصر الرئيسة في رفع إنتاجية العنصر البشري، ويمكن توضيح دور العنصر البشري في النمو الاقتصادي من خلال الإشارة إلى معدل النمو في الناتج القومي بدلالة استخدام هذا العنصر وإنتاجيته (بني عيسى، ٢٠٠٦).

كما أن تأثير الأعمال الخيرية في حجم الإنتاج يتم من خلال: استثمار الأعمال الخيرية في تعليم العمال وتدريبهم، وتوظيف العمل الخيري في البحث والتطوير سيؤدي إلى تحسين الآلات المستخدمة في الإنتاج، والتأثير في المستوى التكنولوجي وبالتالي تخفيض تكاليف الإنتاج مقاسًا بكمية موارد اللازمة للإنتاج أو تخفيض الوقت اللازم للإنتاج من جهة أخرى. وبصورة عامة، فإن تأثير العمل الخيري إما أن يكون متغيرًا داخليًا يؤثر في عنصري: العمل ورأس المال، أو أن تأثيره سيكون متغيرًا خارجيًا من خلال تأثيره في المستوى التكنولوجي المستخدم في الإنتاج (بني عيسى، ٢٠٠٦).



المبحث الثاني

أثر العمل الخيري في الاستثمار

تتمثل أهداف الاستثمار في النظام الإسلامي برغبة الشارع الكريم في الحفاظ على استدامة تنمية المال وزيادته، تلبية لزيادة حاجات البشرية برمتها إلى المال، والحفاظ على ديمومة تداول المال وتقلبه في أيدٍ متعددة، بحيث لا تغدو ثمة فئة قليلة تتحكم في مصائر الأغلبية العظمى من المجتمع، نتيجة سيطرتها وتمكنها من المال، كما تتمثل في رغبة الشارع في إيجاد مجتمع ينعم أفرادُه برفاهية شاملة تعين كل فرد من أفرادِه على حسن القيام بمهمة الخلافة في عمارة الأرض وفق المنهج الشرعي الذي أراده الله عز وجل (سانو، ٢٠٠٠). ومن هذا نستطيع القول بأن الإسلام جعل من الأدوات ما هو مختص بتفعيل الطلب الاستثماري، حيث فرض على كل رصيد نقدي عاطل غير مشغول بحاجة صاحبه ما يمكن أن ينظر إليه تحليلاً باعتباره فائدة سالبة بنسبة ٢.٥٪، تلجئه إلى الاستثمار حتى تدفع الزكاة من نماء المال لا من أصله (السبهاني، ٢٠٠٦)، وهو مقصد صرح به الحديث الشريف: «ألا من ولي يتيماً له مال فليتجر به ولا يتركه حتى تأكله الصدقة»^(١).

(١) سنن الترمذي، كتاب أبواب الزكاة، باب ما جاء في زكاة اليتيم، برقم (٦٤١)، (٢٣/٣)، وسنن الدارقطني، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة في مال اليتيم، برقم (١٩٧٠)، (٥/٣). ضعفه الترمذي.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

كما أن الاستثمار يرتبط مباشرة بالعوامل المرتبطة بعناصر الإنتاج وهي التي تكون الإطار العملي للنشاط الاستثماري، وتشمل هذه: نظام الملكية، ودور العمل، ودور الإنفاق بأشكاله المختلفة الاستهلاكي والاستثماري والإنفاق العام، والزكاة، والإنفاق الخيري، وأخيراً واجب التكافل الاجتماعي ونظام الرقابة. وحيث إن العمل الخيري مرتبط بالاستثمار فإنه يساهم في زيادة الاستثمار في المجتمع من خلال ما يلي (مشهور، ٢٠٠٢):

○ يؤثر الإنفاق الاستهلاكي في اتخاذ القرارات المحددة لمعدل تراكم رأس المال، كما أنه يؤثر في توجيه الإنتاج وتوزيع الموارد بين الاستخدامات المختلفة، لإشباع الطلب الفعلي للمستهلكين. ويتوقف الإنفاق الاستهلاكي على الدخل المخصص للاستهلاك وعلى الميل الحدي له. ولما كان الميل الحدي للاستهلاك في الأجل القصير يتسم بالثبات فإن الاستهلاك سيعتمد على الدخل المخصص للاستهلاك، ونقل الدخل من الأغنياء إلى الفقراء عبر قناة الصدقات الخيرية سيزيد من دخل الفقراء، مما يؤدي إلى زيادة طلبهم، فيزداد الاستثمار استجابة لهذه الزيادة، مع ملاحظة أن هذه الزيادة لن تكون عابرة بل تستمر طالما وجد الفقراء في المجتمع.

○ يمكن تثمير أموال الصدقات أو جزء منها بشكل مباشر بإقامة مشروعات منتجة للسلع والخدمات الضرورية، وخلق فرص عمل كإقامة المدارس والمستشفيات، أو من خلال توفير أدوات الإنتاج اللازمة للقادرين على العمل لحثهم على الإنتاج، أو تقديم المساعدات على شكل سلع إنتاجية، ليتمكن الفرد من إيجاد مصدر دخل له.

○ يؤدي الإنفاق الخيري إلى إعادة توزيع الدخل لصالح الفئات الفقيرة ذات

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

الميل الحدي للاستهلاك المرتفع، وهذا ينعكس على النشاط الاقتصادي عبر آلية مضاعف الاستثمار ومعدل الاستثمار بشكل إنفاقات متتالية على الاستهلاك من جانب الفئات المستفيدة من الإنفاق الخيري، الأمر الذي ينعكس طردياً على الاستثمار والتشغيل.

كما وتساهم الأعمال الخيرية في تنشيط الاستثمار من خلال المساعدة في تهيئة البنية التحتية، وتوفير الاستقرار الاقتصادي والأمني، وتقديم التمويل اللازم للاستثمار بتقديم القروض الحسنة لتمويل مشاريع إنتاجية صغيرة، أو المشاركة في إقامة المشروعات، أو من خلال الآثار غير المباشرة المتمثلة في: تشجيع الاستثمار وحب العمل المنظم والكسب، وتحسين مستوى المهارات الذاتية للأفراد ورفع القدرة الإنتاجية لهم من خلال التعليم والصحة والتدريب، وتحقيق الأمن لتهيئة البيئة المناسبة للاستثمار.



المبحث الثالث

أثر العمل الخيري

في إعادة توزيع الدخل والاستهلاك

يعد عدم العدالة في توزيع الدخل بين أفراد المجتمع من معيقات التنمية الاقتصادية ومن أكثر أسباب التخلف، لذلك طرح الاقتصادي دودلي سيزر السؤال الأساسي والرئيس عن معنى التنمية بشكل محكم ودقيق، وذلك عندما أكد على ذلك في أن الأسئلة التي يمكن أن تعرض عن تنمية دولة هي: ما الذي حدث للفقير؟ ما الذي حدث للبطالة؟ ما الذي حدث لعدم المساواة في توزيع الدخل؟، وكيف يمكن حل هذه المشكلات؟. كما أن الإسلام يقر بتفاوت الدخل بين أفراد، لقوله تعالى: ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، لكنه جعل ذلك تفاوت منضبط ومقبول، يضمن لكل فرد من أفراد المجتمع حد الكفاية، ولتحقيق هذا الحد فقد كلف الإسلام كل فرد بتأمين هذا المستوى له وللمن يعول، وإذا تعذر عليه ذلك انتقل الواجب إلى المجتمع المسلم عبر قنوات عديدة منها العمل الخيري.

ولعل من أبرز آثار الأعمال الخيرية العمل على إعادة توزيع الدخل لمصلحة الفقراء والفئات المحتاجة، وهذا بدوره يؤدي إلى التقليل من حده التفاوت وزيادة الاستخدام الأمثل للموارد وبالتالي زيادة النمو والاستقرار الاقتصادي،

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

فانتقال الأموال من الأغنياء إلى الفقراء يعني تمكين الفقراء من إشباع المزيد من حاجاتهم الأساسية التي لم تشبع سابقاً، ونظراً لأن الفقراء في أي مجتمع يتمتعون بميل حدي استهلاكي مرتفع مقارنة بالأغنياء، مما يزيد من إنفاقهم الاستهلاكي ومن ثم يزيد الإنفاق الاستثماري، وهذا يعني أن زيادة الطلب على السلع الاستهلاكية سوف يدفع المستثمرين إلى زيادة إنتاج هذه السلع مما يتطلب المزيد من المواد الأولية والمزيد من السلع الاستثمارية الإنتاجية، وبفعل المضاعف فإن تحفيز الطلب الاستهلاكي سوف يحفز الطلب الاستثماري (خطاب، ٢٠١١). ويرى معظم الاقتصاديين أن إعادة توزيع الدخل سوف تؤدي إلى مزيد من النمو والاستقرار الاقتصادي وذلك من خلال الآتي (خطاب، ٢٠١١):

- زيادة كبيرة في كل من الاستهلاك والادخار عند الفقراء مما يؤدي إلى زيادة الإنتاج وحدوث المزيد من النمو والاستقرار الاقتصادي.
- يعطي مزيداً من الاستقرار السياسي والاقتصادي على المستوى الكلي في المجتمع ويوفر مناخاً إيجابياً للتنمية.
- رفع الكفاءة الإنتاجية عند الفقراء مما يؤدي إلى زيادة الإنتاج وحدوث النمو الاقتصادي.

وقد بين الاقتصاديون أن عملية إعادة توزيع الدخل تحقق مزيداً من الرفاهية على مستوى المجتمع لأن مجموع المنافع التي يفقدها الأغنياء نتيجة انخفاض دخولهم أقل من مجموع المنافع التي يحصل عليها الفقراء الذين يتلقون الدخل. وفي الإسلام فإن الأغنياء الذين يقدمون النفقات الخيرية إنما يسعون إلى تعظيم منافعهم في الآخرة، لأن المنفعة التي يسعى المسلم إلى تعظيمها لا تقتصر على

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الحياة الدنيا بل تمتد إلى الحياة الآخرة. وبذلك نستطيع القول أن الإنفاق الخيري يرفع مستوى الرفاه في المجتمع من خلال تأثيرها في عملية إعادة توزيع الدخل في المجتمع المسلم، ومن خلال دالة التي يسعى المسلم لتعظيمها (بني عيسى، ٢٠٠٦). كما حاول بعض علماء الاقتصاد من المسلمين إيجاد علاقة ما بين العمل الخيري وإعادة توزيع الدخل وبيان أثر ذلك في الاستهلاك من خلال علاقة الاستهلاك الدينوي بثواب الآخرة، حيث يرتبط مستوى الاستهلاك في الإسلام بتحقيق المصلحة، وهي التي تحقق للمسلم الفلاح في الدنيا والثواب في الآخرة، ويمكن تقسيم مستويات الاستهلاك وفقاً لمفهوم الضروريات والحاجيات والتحسينات إلى المستويات التالية (مشهور، ٢٠٠٤):

○ مستوى الاستهلاك الذي لا بد منه لحفظ النفس (الحياة)، الذي لا يمكن لأحد أن يستهلك أقل منه.

○ مستوى الضروريات: وهو مستوى الاستهلاك اللازم للحفاظ على باقي الأركان الخمسة بعد النفس، وهي: الدين - العقل - النسل - المال.

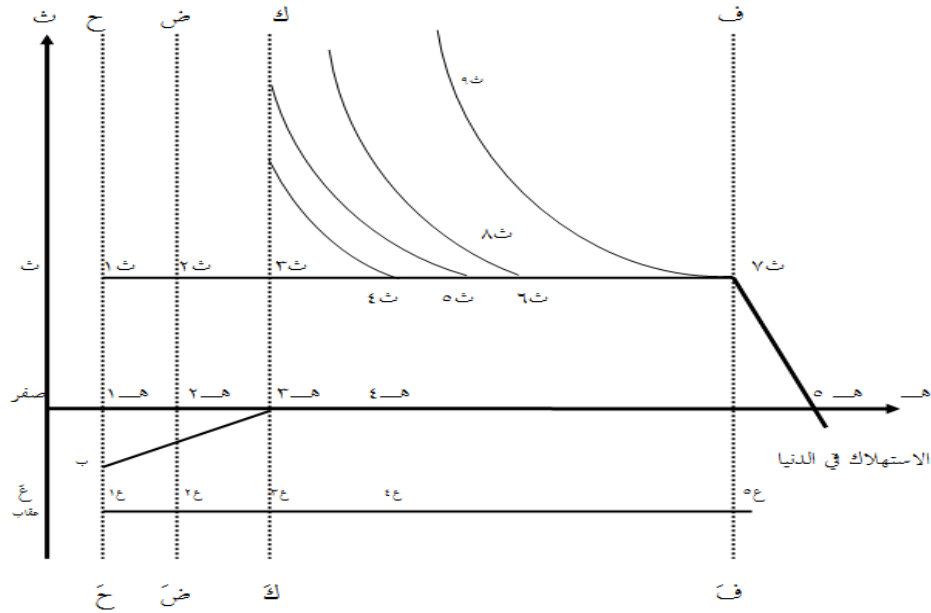
○ مستوى الكفاية: وهو المستوى الاستهلاكي الذي يحقق للفرد إشباع متطلبات الحياة الخمسة، دون الاحتياج مالياً لأحد.

○ مستوى التحسينات: وهو المستوى الاستهلاكي الذي يحقق تمام الكفاية، وهو مستوى الغنى، والذي يعرف برغد العيش، ويكون استهلاك المسلم عند أي نقطة في هذا المستوى، وقبل الوصول إلى مستوى الإسراف استهلاكاً مباحاً، يخير فيه الفرد بين الفعل والترك، من غير مدح ولا ذم.

○ مستوى الإسراف: وهو مستوى الاستهلاك المقابل لأقصى حد مسموح به شرعاً من التحسينات، فإن تجاوزه دخل في حيز الإسراف المنهي عنه شرعاً.

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

حيث إن هذه المستويات من الاستهلاك لا تكون متماثلة ومتطابقة عند عدد جميع الأفراد، لأنها تتوقف على عدد من الاعتبارات التي تشمل التزامات الفرد العائلية وحالته الصحية والنفسية والتزاماته المهنية ومدى تقواه وضبطه لنفسه. ويوضح الدكتور محمد أنس الزرقا شكل بياني لتمثيل مستويات الاستهلاك وعلاقتها بالثواب في الآخرة كما في الشكل التالي (الزرقا، ١٩٨٠):



حيث إن:

- المحور الأفقي يمثل الاستهلاك في الدنيا.
- المحور العمودي يمثل الثواب والعقاب؛ فالجزء الموجب فوق المحور السيني يمثل الثواب (الجنة)، والجزء السالب أسفل المحور السيني يمثل العقاب (النار).
- ح حَ يمثل مستوى حفظ الحياة، والخط ض ضَ يمثل مستوى

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الضروريات.

○ كَ يمثّل مستوى الكفاية، والخط فَ يمثّل حد الإسراف.

○ المسافات على المحاور تربية وليست عددية؛ بمعنى أن (هـ) < هـ < هـ، وكذلك الأمر بالنسبة ل(ث).

ويقابل كل مستوى من مستويات استهلاك المسلم درجات من الثواب الآخروي، فضلاً عن الإشباع الدنيوي؛ وتتحدد درجات الثواب على الاستهلاك بخمسة مستويات، وهي نحو ما يلي (الزرقا، ١٩٨٠):

○ **الثواب المعدوم:** يتحدد هذا المستوى بالمسافة (هـ هـ) على المحور الأفقي، ويمثل هذا المستقيم وضع إنسان خالي الذهن، يقوم باستهلاك الحلال، دون أن يكون له نية صالحة حول هذا الاستهلاك، فلا يثاب عليه، كما أنه لا يعاقب لأنه لا يستهلك أي حرام، حتى يصل إلى النقطة (هـ) التي يتجاوز فيها استهلاكه حد الإسراف، فيتعرض للعقاب لخروجه على الحلال في الاستهلاك، لقول الرسول ﷺ: «إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة»^(١)، ويحتسبها أي يطلب لها الثواب من الله فيثاب عليها، كما يثاب على الصدقة، ويكون سلوك هذا المستهلك هو سلوك المستهلك العادي.

○ **الثواب العظيم (الجنة):** يتحدد هذا المستوى بالخط (ث، ث)، ووصول المسلم إلى هذا الثواب العظيم لا يستلزم أن يضحي باستهلاكه، وإنما أن يسلم لله وحده، أي يكون مسلماً حقاً، يلتزم بأوامر الإسلام ونواهيه، فيعمل على أداء ما

(١) صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، (٥٣٥١)، (٧/٦٢)، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على الأقربين والزوج، برقم (١٠٠٢)، (٢/٦٩٥).

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

عليه من زكاة واجبة إذا ما تجاوز حد الكفاية (ك ك)، ويلتزم بالاستهلاك المعتدل من الحلال، وفق الأولويات المشروعة، مع الإكثار من الطاعات والصدقات.

○ العقاب الشديد (النار): يمثل هذا المستوى الخط (ع، ع)؛ وسبب وجود بعض الأفراد عند هذا الخط لا يرجع إلى أنهم يستهلكون أكثر ممن يقفون عند الخط (ث، ث)، وإنما لأنهم رفضوا تسليم أنفسهم لله، وأولئك هم الذين يكذبون بالدين ويدعون اليتيم، ولا يحضون على طعام المسكين ويمنعون الماعون، وهم الذين قال عنهم الحق سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَطَعَمَهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٤٧].

○ الزهد الأعجمي والكسل والبخل: يمثل هذا المستوى الخط (ب هـ)، ويكون هذا المستوى خاصاً بالفرد الذي يستهلك أقل من حد الكفاية (ك ك)، على الرغم من قدرته على تحقيق حد الكفاية، فهو إما ميسور الحال ولكنه يبخل على نفسه، وإما أنه لا يعمل على الرغم من قدرته على ذلك، فيظل فقيراً لا يكسب ما يصل به إلى حد الكفاية. فامتناعه عن الوصول لحد الكفاية دون عذر واضح يدل على أنه كسول أو بخيل أو زاهد زهداً أعجمياً، وهو معاقب في هذه الحالات كلها، لأن مستوى الكفاية هو الحد الأدنى من الاستهلاك الذي يجب أن يسعى المسلم للوصول إليه إن استطاع ولا يقبل الزهد قبل الوصول إلى هذا الحد. فعندما يتحرك الفرد من النقطة (ب) في اتجاه النقطة (هـ) يزداد ثوابه أو على الأصح يقل عقابه؛ لأنه يزيد استهلاكه، وعندما يصل إلى النقطة (هـ) أي إلى حد الكفاية فإن نيته إما أن تبقى عند النقطة (هـ) ذات الثواب المعدوم، وإما أن ترفعه إلى مستوى الثواب العظيم (ث).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

○ الإيثار والزهد الإسلامي^(١): يمثل هذا المستوى المنحنيات الواقعة فوق المستقيم (ث ٣ ص)، وتوقف الفرد عند النقطة (ث ٨) تعنى أن يكون للفرد دخل يسمح له بالاستهلاك عند (ث ٦)، والذي يوفر قدرًا أكبر من الاستهلاك ولكنه يفضل خفض استهلاكه والتوقف عند (ث ٨) أو (ث ٩) وذلك بغية تحقيق هدف نبيل، فقد يكون هذا الهدف تقديم المعونة المالية للآخرين أو الإنفاق في سبيل الله أو التطوع ببعض الجهد لأداء واجبات اجتماعية نبيلة بدلاً من اكتساب المزيد من الرزق الحلال، وتحقق النقطة (ث ٨) قدرًا أقل من الاستهلاك مقابل قدرًا أكبر من الثواب، أما النقطة (ث ٩) فيكون عندها الثواب أكبر بكثير مقابل تخفيض الاستهلاك، والمفهوم ضمناً أن هذه الأهداف النبيلة التي يسعى مثل هذا الفرد لتحقيقها تتجاوز الحد الدني المفروض شرعاً على جميع المسلمين.

أما المنحنيات المرسومة فوق الخط (ث ٣ ص) فتمثل الإحلال الاختياري للثواب محل الاستهلاك عن طريق الإيثار وعن طريق الزهد الإسلامي، وهي من التصرفات الاختيارية التي يشجعها الإسلام، ويشيد بفاعليتها ويثيبهم الله عليها ثواباً عظيماً. ويبين تحذب منحنيات السواء هذه إلى نحو نقطة الأصل أن العلاقة بين الثواب والتضحية بالاستهلاك ليست علاقة خطية (مشهور، ٢٠٠٤)، وإنما يرتبط الثواب بالتضحية النسبية، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سبق درهم مائة ألف درهم قالوا وكيف قال كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم

(١) مفهوم الزهد الإسلامي: لا يعني حرمان النفس من الحلال لمجرد الحرمان، فهو ما لا يثاب عليه لأنه لا بد منه لتحقيق هدف نبيل. وقد فسر الإمام الغزالي الزهد الإسلامي بأنه: انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، فهذا الزهد انطلاق إلى الأفضل من الأعمال.

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

فتصدق بها»^(١).

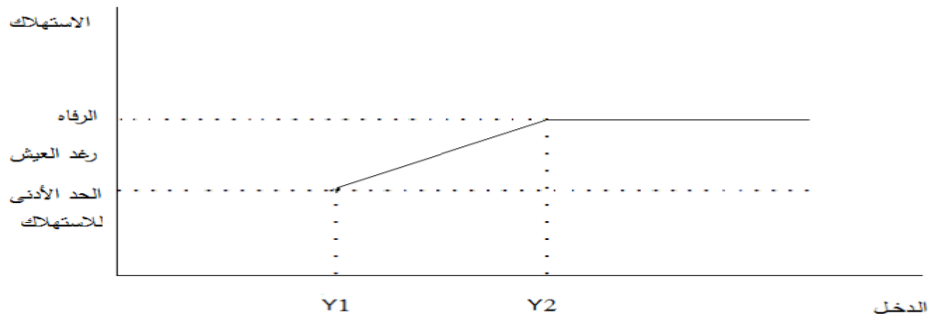
كما أن منحنيات السواء هذه لا تقطع المستقيم (ك ك)، وإنما تقترب منه حيث لا يجذب الإسلام عادة إنفاق التطوع ممن لم يبلغ مستوى الكفاية، وتكون الاستثناءات لهذا المبدأ محصورة في التضحية من أجل مواجهة حالات طارئة فردية أو اجتماعية، مثل: حالة الحرب أو الطوارئ الاجتماعية التي تقع خارج نطاق السلوك العادي للسلوك، والعمل على إنقاذ من يتعرض لضرب عظيم أو دائم وهي حالات يضحي فيها الفرد ليعود طواعية إلى حد استهلاك دون مستوى الكفاية، لإيمانه بأنه يعطي من هو أشد منه حاجة، بل قد تبتعد عن الخط (ك ك)، لتقترب من مستقيم الضروريات (ض ض)، وفي ذلك جاء قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿١﴾ [الإنسان: ٨-٩]، فالمفاضلة هنا تكون بين استهلاك دنيوي فوري وثواب أخروي من الله تعالى. ويجب للمستهلك الذي يختار هذا الوضع ألا يكون على حساب التزاماته الأسرية والعائلية.

ويتضح مما سبق أن الإسلام يتميز بنظريته الإيجابية للاستهلاك من حيث إنه وسيلة إلى هدف أكبر، فيربط بين الاستهلاك وبين تحقيق مصلحة المسلم في توفير مقاصد الحياة التي تحفظ للإنسان حياته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة. كما أن استهلاك الفرد ليس منفصل عن الاستهلاك المتاح لباقي أفراد المجتمع، حيث نرى أن حالات الإيثار والزهد الإسلامي التي تعمل على توفير الاستهلاك

(١) سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب جهد المقل، برقم (٢٥٢٧)، (٥٩/٥)، والمستدرک علی الصحیحین للحاکم، (١٥١٩)، (٥٧٦/١). قال الحاکم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

لأفراد المجتمع المحتاجين أو عند تعرض بعضهم لظروف طارئة واستثنائية (مشهور، ٢٠٠٤). وبالاستعانة بدالة الاستهلاك عند المستهلك المسلم كما بينها كلاً من الدكتور شوقي دنيا والدكتور حسين شحاته، حيث قُسم الاستهلاك إلى ثلاث مراحل كما هو في الشكل التالي (دنيا، ١٩٨٤):



المرحلة الأولى: وهي مرحلة مستوي الكفاية، وهو الحد الأدنى من الاستهلاك الذي ينبغي للمسلم الوصول إليه بصرف النظر عن دخله، ويتمثل هذا المستوى بالخط الأفقي المقابل لمستوي الكفاية على الرسم البياني، أي أن المستهلك الذي يقل دخله عن (Y_1) سيخصص أي زيادة في الدخل لزيادة الاستهلاك فقط، للوصول إلى مستوى الكفاية المطلوب منه، وفي هذه المرحلة - دون مستوى الكفاية - تعيش الفئات المحتاجة من المجتمع.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي تبدأ عندها دالة الاستهلاك، وتمثل بالجزء الصاعد والموجب الميل من الدالة على الرسم البياني، وفيها يكون الميل الحدي للاستهلاك أكبر من الصفر وأقل من الواحد الصحيح ($1 > MPC > 0$)، والميل الحدي للاستهلاك أكبر من الصفر وأقل من الواحد الصحيح ($1 > MPS > 0$)، أي أنه سينفق جزءاً من الزيادة في الدخل لغايات الاستهلاك وسيخصص الجزء الباقي لغاية الادخار. وتمثل هذه المرحلة بين الدخل (Y_1) و (Y_2) وهذه مرحلة رغد العيش.

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي تتمثل بالخط الأفقي الذي يقابل على الرسم الرفاه، وفيها يكون المسلم قد وصل الحد الأعلى في الاستهلاك، وفيها يعيش أغنياء المجتمع، وأي زيادة في الاستهلاك ستصنف إما تحت الترف أو التبذير أو الإسراف والتي نهت عن جميعها الشريعة الإسلامية. فأى زيادة في الدخل في هذه المرحلة لن تؤدي إلى زيادة الاستهلاك، لأن الميل الحدي للاستهلاك يساوي صفر ($MPC = 0$) في هذه المرحلة، إنما ستؤدي إلى زيادة المدخرات لأن الميل الحدي للادخار في هذه المرحلة يساوي الواحد الصحيح ($MPS = 1$).

وتقوم الأعمال الخيرية بتحويل الدخل من فئة الأغنياء الذي يعيشون المرحلة الثالثة على الرسم إلى الفقراء والمحتاجين الذين يعيشون المرحلة الأولى على الرسم، مما سيؤدي بالتأكيد إلى زيادة الطلب الاستهلاكي في المجتمع، فانخفاض الدخل عند الأغنياء لن يؤدي إلى انخفاض طلبهم الاستهلاكي لأن ميلهم الحدي للاستهلاك يساوي صفر ($MPC = 0$)، أما تلقي الفقراء والمحتاجين للنفقات الخيرية عبر العمل التطوعي فإن الزيادة أو جزءاً كبيراً منها ستحول إلى إنفاق استهلاكي، وبالتالي فإن الإنفاق الاستهلاكي سيزداد في المجتمع.

كما أن الأغنياء ينفقون من الجزء المخصص للنفقات الخيرية من الدخل، وليس من الجزء المخصص للاستهلاك، في حين أن الفئة الثانية ستخصص ما تتلقاه من زيادة في الدخل إلى نفقات استهلاكية، وبالتالي فإن إعادة توزيع الدخل بفعل النفقات الخيرية ستؤدي إلى زيادة الإنفاق الاستهلاكي في المجتمع.

وهكذا يتضح أن للأعمال الخيرية أثراً واضحاً في الطلب الاستهلاكي لا سيما النفقات الخيرية، لأن الفئة المستهدفة من تلك النفقات هي فئة الفقراء، الذين لا تكفيهم دخولهم لسد حاجاتهم الأساسية، أو هم الذين يعيشون دون مستوى

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الكفاية في المجتمع، حيث تقع مسؤولية إيصالهم إلى ذلك المستوى على المجتمع المسلم. والعمل الخيري كذلك ينقل الأموال من الأغنياء إلى الفقراء؛ ومن الجدير بالذكر أن الميل الحدي للاستهلاك عند الفقراء أكبر منه عند الأغنياء، والمعونات الخيرية التي تصل الفقراء والمحتاجين تزيد من الطلب الاستهلاكي في المجتمع؛ نظراً لأن الفقراء تنقصهم كثير من الحاجات الأساسية، فعندما يزداد العمل الخيري الموجه إلى الفقراء فإنه يُمكنهم من إشباع حاجات استهلاكية جديدة لم تكن مشبعة من قبل. وبحسب النظرية الاقتصادية؛ فإن الزيادة في الطلب الاستهلاكي سرعان ما تتحول إلى زيادة في الطلب الاستثماري، وبالتالي يزداد الإنتاج بزيادة طلب المجتمع على السلع (إسماعيل، ٢٠١٢).

كما يمكن بيان أثر الأعمال الخيرية في الطلب الاستهلاكي من خلال: إعادة توزيع الدخل كما سبق بيانه، ورفع المستوى التعليمي والصحي للأفراد المستفيدين حيث إن ذلك سيؤدي إلى زيادة قدراتهم على الإنتاج وبالتالي زيادة دخولهم ومن ثم زيادة طلبهم الاستهلاكي.



المبحث الرابع

أثر العمل الخيري

في تحقيق الاستقرار الاقتصادي

حيث يشير مفهوم الاستقرار الاقتصادي إلى غياب التقلبات المفرطة أو الحادة في متغيرات الاقتصاد الكلي مثل معدلات النمو الاقتصادي والبطالة والتضخم والاستهلاك والاستثمار... إلخ (ملاوي، ٢٠١١).

وبعد الاستقرار الاقتصادي مطلباً أساسياً تسعى إليه جميع الحكومات كونه يساهم في تحقيق عملية التخطيط الاقتصادي كما يساهم في تعزيز الاستقرار السياسي والاجتماعي، وتشير النظريات الحديثة إلى أنه يمكن تحقيق الاستقرار الاقتصادي ليس بجهود القطاعين العام والخاص فقط، وإنما من خلال إضافة الجهود التي يقوم بها قطاع ثالث وهو قطاع العمل الخيري أيضاً. ومن أجل تحقيق هذا الاستقرار والتوازن الاقتصادي تقوم الحكومات باستخدام أدوات مالية واقتصادية مختلفة والتي من أهمها السياسات المالية والنقدية وسياسات الأجور والأسعار والعمالة... إلخ (عفر، ١٩٨٧).

ويتفق الاقتصاديون على أن الاستقرار والتوازن الاقتصادي يتحقق من خلال تساوي الطلب الكلي مع العرض الكلي، وبالتحديد فإنه لا بد من تساوي الطلب الكلي مع العرض الكلي في جميع الأسواق وفي نفس الوقت، مع الوصول إلى العمالة الكاملة في سوق العمل^(١).

(١) هذا هو ملخص نظرية كينز في موضوع التوازن الاقتصادي: حيث يرى ضرورة تساوي الطلب =

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ونظراً لما للعمل الخيري من أهمية بالغة في التأثير في المتغيرات الاقتصادية المختلفة، وخاصة على عمل السياسات المالية والنقدية في تحقيق الاستقرار الاقتصادي. والتي سوف نوضحها كما يلي (خطاب، ٢٠١١):

✻ أولاً: أثر العمل الخيري على أداء السياسة المالية:

تعرف السياسة المالية بأنها الإجراءات التي تقوم بها الحكومة لتنظيم النفقات والإيرادات من خلال الموازنة العامة بما يحقق الأهداف الاقتصادية للدولة، والتي من أهمها تحقيق الاستقرار الاقتصادي (عفر، ١٩٨٧). ومما لا شك فيه أن أهم أدوات السياسة المالية الإنفاق العام والضرائب، حيث تلجأ الحكومات إلى زيادة الإنفاق العام حالات الانكماش والبطالة، وخفضه في حالات التضخم، كذلك تلجأ إلى تخفيض الضرائب في حالات الانكماش وزيادتها في حالة التضخم. وعندما تكون مصادر العمل الخيري غزيرة في المجتمع فإن الحكومة يمكنها أن تخفف كثيراً من النفقات، أما نضوب منابع العمل الخيري فإنه يزيد من العبء الملقى على كاهل الحكومة وبالتالي يزيد من عجز الموازنة. ويحدث العكس في حالة التضخم إذا ما استمرت مؤسسات العمل الخيري في زيادة إنفاقها، وبالتالي فإنه ينبغي أن يقتصر عمل هذه المؤسسات في حالات التضخم على التبرعات العينية تجنباً للمزيد من التضخم. ولو نظرنا إلى أشكال العمل الخيري المختلفة فإنها تعمل على انتقال الأموال من الأغنياء إلى الفقراء مما يساهم في زيادة التشغيل والحد من البطالة، كما يساهم في الحد من التضخم من خلال انتقال الأموال الفائضة والمكتنزة وذات المنفعة الحدية الأدنى إلى الفقراء لتصبح ذات منفعة حدية أعلى من خلال توجيهها إلى الإنفاق وإشباع الحاجات

الكلية مع العرض الكلي في سوق العمل وسوق النقد وسوق السلع والخدمات، مع ضرورة أن تتحقق العمالة الكاملة في نفس الوقت.

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

الأساسية.

❁ ثانياً: أثر العمل الخيري على أداء السياسة النقدية:

تعرف السياسة النقدية بأنها الإجراءات التي تمارسها الحكومة من خلال السلطات النقدية الممثلة بالبنك المركزي في إدارة كل من النقود والائتمان وتنظيم السيولة في الاقتصاد (عفر، ١٩٨٧). وتنقسم هذه السياسات إلى سياسات كمية وسياسات نوعية، فالسياسات الكمية تعمل على زيادة كميات النقد والتسهيلات الائتمانية في أوقات الانكماش، وخفضها في أوقات التضخم، وكذلك تقوم السياسات النوعية بدعم تحقيق هذه الأهداف.

وكذلك يقوم العمل الخيري بدعم تحقيق هذه الأهداف، حيث يزداد عطاء الأفراد وإنفاقهم الخيري في أوقات الشدة والعسر، ويقل أوقات الرخاء والتضخم. ومع ذلك فإنه لا بد من التنسيق بين المؤسسات الحكومية والخيرية من أجل ضبط نمو عرض النقد بما ينسجم مع النمو الحاصل في الإنتاج وكذلك بما يتناسب مع النمو السكاني. وهذا يتطلب أن تكون مؤسسات العمل الخيري لديها الدراية الكافية بالمؤشرات والمتغيرات الاقتصادية المختلفة، تجنباً لحدوث آثار اقتصادية معاكسة للتوجهات التي تسعى السياسة النقدية للدولة لتحقيقها. كما يستلزم ذلك أن يكون البنك المركزي أو السلطات النقدية محيطة بمؤسسات العمل الخيري وطبيعة أعمالها العينية أو النقدية، وذلك من أجل توجيه هذه الأعمال بما يتفق مع السياسة النقدية العامة للدولة. وقد ذهب الفقهاء والاقتصاديين إلى أن وظيفة إصدار النقود وإدارتها والتأثير في حجم المتداول منها من اختصاص الدولة، وبناءً على ذلك يمكن للبنك المركزي - بوصفه ممثلاً للدولة - تقييد أو تشجيع الأعمال الخيرية بالقدر الذي يضمن نفاذ سياسته النقدية بما فيه مصلحة الرعية، وبما يحقق الاستقرار ويحول دون حدوث التقلبات والأزمات الاقتصادية.



الفصل الرابع

آثار العمل الخيري في التنمية البشرية

من المعلوم أن مصطلح التنمية البشرية مصطلح معاصر تُداول في العقود الأخيرة من القرن العشرين، وذلك باعتبار أن الإنسان الثروة الحقيقية لأي أمة، وبحسب النهج الإنمائي الذي يعتمد عليه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي منذ إصدار التقرير الأول للتنمية البشرية يقوم على أن البشر هم الثروة الحقيقية للأمم، وأن التنمية البشرية هي: عملية توسيع خيارات الناس. وهكذا ظل المفهوم يتوسع ويتغير من عام إلى آخر، حيث تناولت تقارير التنمية البشرية من عام ١٩٩٠ - ٢٠١٢م مؤشرات مختلفة لقياس التنمية البشرية والتي في مجملها تشير إلى الصحة، والتعليم، والعيش الكريم، واحترام الإنسان لذاته (عودة، ٢٠١٢). وبمراجعة أهم مصادر الشريعة الإسلامية الكتاب والسنة النبوية، نجدتها قد عُنيت بالعنصر البشري، روحاً وفكراً وعقيدة وسلوكاً وهي بذلك تكون قد سبقت النظم الوضعية في الاهتمام بالبشر. كما أنها عُنيت بتنمية الإنسان تنمية شاملة؛ ليقوم بالعبء المناط به من استخلاف الأرض وإعمارها، مدركة ما به من مواهب وطاقات، حباه الرحمن إياها (الغندور، ٢٠١١).

ويرى الاقتصاديون أن الموارد البشرية لها دور مهم في عملية التنمية الاقتصادية، وتسهم إسهاماً أساسياً في دفع عجلة الاقتصاد نحو النمو والتطور؛

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

فهذه الموارد تمثل العنصر الأكثر حسماً في النشاطات الاقتصادية، وتحدث توسعاً ونمواً فيها، وخصوصاً الإنتاجية منها؛ ولذا فقد اهتمت مختلف قطاعات العمال بتنمية هذه الموارد، وكذلك تنمية العمالة البشرية من خلال برامج التأهيل والتطوير وتدريب العاملين، يؤدي ذلك زيادة الطلب على العاملين من قبل القطاعين العام والخاص، وهذا له مردود اقتصادي واجتماعي من الناحية الإنتاجية (الكندري، ٢٠٠٨). ويمكن توضيح دور العمل الخيري في تنمية الموارد البشرية من خلال ما يلي:

المبحث الأول: أثر العمل الخيري في التعليم والتدريب:

المبحث الثاني: أثر العمل الخيري في الصحة والخدمات الطبية

المبحث الثالث: أثر العمل الخيري في تحقيق الاستقرار النفسي والأمني



المبحث الأول

أثر العمل الخيري في التعليم والتدريب

يعد التعليم من أهم وأبرز الخدمات التي يعني بها العمل الخيري بتقديمها للفقراء والمحتاجين، وليس التعليم خدمات تقدم إلى الأفراد باعتبار أنها حاجة استهلاكية ضرورية. وإنما أصبح ينظر إليه اقتصادياً على أنه استثمار في رأس المال البشري وبمختلف مستوياته، ويهدف إلى تحسين نوعية عنصر العمل ورفع كفاءته الإنتاجية، لزيادة الإنتاج وتحقيق مستويات أعلى في التنمية الاقتصادية. وقد أكدت الدراسات الاقتصادية أن زيادة مستوى التعليم للقوى العاملة يؤدي إلى زيادة الناتج المحلي، فهو يحسن قدرة الفرد على اكتساب المعلومات واستخدامها، كما أنه يعزز قدرة الفرد على إشباع حاجاته وحاجات أسرته، وتحقيق مستوى أعلى من المعيشة، كما أن التعليم والتدريب يزيد من القدرة على الإبداع والتجديد والاختراع (فليه، ٢٠٠٧).

وانسجاماً مع هذا نجد أن الإسلام يحث على طلب العلم، بل ويعده فرضاً على كل مسلم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، كما أن الأحاديث الشريفة التي تحض على طلب

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

العلم كثيرة؛ منها قول الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(١)، وقوله ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»^(٢).

وبعد التعليم أحد أبرز مؤشرات التنمية الاقتصادية في المجتمع للعلاقة الوثيقة بينهما، كما أصبحت اقتصاديات التعليم تمثل أحد الموضوعات الرئيسة في مجال علم الاقتصاد وكذلك لدى المتخصصين في علوم التربية وأصبح هذا الاهتمام يمثل موضوع دراسة قائم بذاتها (فليه، ٢٠٠٧). التي ينظر إليها من جانبيين:

الأول: التعليم أداة للتنمية الاقتصادية لأن يساهم في تطوير نوعية العمل كأحد مدخلات الإنتاج، ويرفع إنتاجيته، وهي نظرة لدى الاقتصاديين والمعبر عنها بنظرية الاستثمار برأس المال البشري وتفرعاتها.

والثاني: التعليم حاجة أساسية سواء أكانت ذاتية للفرد أم للمجتمع بصرف النظر عن الاستعمال، أو هي حاجة أساسية يستخدمها الفرد من أجل الدخول إلى سوق العمل، ويكون هذا الاستعمال للتعليم في سوق العمل ضمن منافع أخرى يحصل عليها الفرد من التعليم، وهي نظرة يتبناها الاجتماعيون وبعض الاقتصاديين التنمويين الذين ينظرون إلى التنمية نظرة أوسع من المفاهيم الاقتصادية (بني عيسي، ٢٠٠٦).

وسواء أكانت النظرة إلى التعليم نظرة استهلاكية ينظر إليها بصفقتها حاجة

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان، باب فضل العلماء والحث على العلم (٢٢٣)، (١/٨١).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان، باب فضل العلماء والحث على العلم (٢٢٣)، (١/٨١)، سنن الترمذي، كتاب أبواب العلم، باب فضل طلب العلم، برقم (٢٦٤٦)، (٥/٢٨).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

أساسية لا غنى للفرد عنها، أم أنها نظرة استثمارية له مردود مادي وآخر اجتماعي، فإن الاستثمار في التعليم ذات عوائد إيجابية تعود على الفرد والمجتمع على حد سواء، وتسهم في تحقيق كل من النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية كالآتي (وديع وزملائه، ١٩٩٧):

○ أثر التعليم في النمو الاقتصادي والإنتاجية: يعد التعليم مصدراً للنمو الاقتصادي من خلال تحرير الفرد وتحفيزه وتعليمه كيفية خلق طلب على نفسه ولماذا؟، كما يؤثر في النمو الاقتصادي من خلال متغيرات كثيرة تؤثر إيجابياً في النمو الاقتصادي: تطوير المهارات الإدراكية للأفراد، وتغذية روح الطموح والتنافس عندهم، وإعداد العاملين الذين يتمتعون بالمرونة والإبداع، وبالتالي يعمل على تكمله أدوار المدخلات الأخرى في عملية الإنتاج كرأس المال المادي وغيره. وفي ذلك يقول آدم سميث: إن مهارات العمال هي القوة المهيمنة على عملية النمو الاقتصادي، وأن العامل المتعلم يشبه الآلة الثمينة (الهايشة، بدون تاريخ). وتشير الأدبيات وتجارب التنمية إلى أن رفع معدلات النمو المستديم يتم عن طريق زيادة الطاقة الإنتاجية والاستثمارات في الأصول الملموسة (مثل الابتكار والتعليم والتدريب) وهو ما يشكل مركزاً لتحقيق أهداف رفع الإنتاجية ومستويات التشغيل على مدي طويل، وتجمع معظم الأدبيات على دور التعليم والتدريب محددتين أساسيين للإنتاجية وعلى أهميتها في رفع القدرة التنافسية مما يؤدي بالتالي إلى مستويات التشغيل على المدى البعيد (المعهد العربي للتخطيط بالكويت، ٢٠٠٧).

○ أثر التعليم في الاستثمار والادخار: يعد التعليم من أكثر أنواع الاستثمارات الرأسمالية قيمة، إذ إن الاستثمار برأس المال المادي في أي بلد

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

يرتبط ارتباطاً إيجابياً وجوهرياً بمعدلات الاستثمار برأس المال البشري والمتمثل بالتسجيل في التعليم والمستوى العلمي لأفراد القوى العاملة في ذلك البلد، إذ أن هناك علاقة تكاملية بين الاستثمار وإتاحة قوة عمل مدربة (عمار، ١٩٦٨). كما أن التعليم يعمل على زيادة إنتاجية العامل، مما يؤدي إلى زيادة دخله فتزداد قدرة الفرد على الادخار وهذا بدوره سيعمل على زيادة الاستثمار في المجتمع، كما يعد التعليم طريقاً لتنمية صفات الحرص والتدبير والادخار عند الفرد، لأنه سيصبح أكثر وعياً وإدراكاً.

○ أثر التعليم في التقدم التكنولوجي: يقصد بالتقدم التكنولوجي ابتكار واكتشاف وتطوير الطرق والوسائل الجديدة ذات الكفاءة العالية في الإنتاج، والقدرة على تطبيقها في الواقع العملي بما يتناسب والمجتمع، ولا يتحصل هذا إلا من خلال التعليم والبحث والتدريب. هذه بعض آثار التعليم والتدريب والبحث العلمي في مجال التنمية الاقتصادية.

وهكذا يتضح أن العمل الخيري كان عبر التاريخ الإسلامي وحتى يومنا هذا أحد مصادر تمويل العملية التعليمية ومشتقاتها وخصوصاً الوقف الخيري وما له من دور فعال في ذلك.

المبحث الثاني

أثر العمل الخيري
في الصحة والخدمات الطبية

تعد الصحة والخدمات الطبية من أهم وأبرز الميادين التي يعنى بها العمل الخيري بتقديمها للفقراء والمحتاجين إليها، ومن المبادئ التي قامت عليها حضارتنا، جمعها بين حاجة الجسم وحاجة الروح، ومن الكلمات المأثورة عن واضع أسس هذه الحضارة رسول الله ﷺ: «إن لجسدك عليك حقا»^(١)، ومن الملاحظ في عبادات الإسلام تحقيقها أهم غرض من أغراض علم الطب وهو حفظ الصحة فالصلاة والصيام... وما تتطلبه هذه العبادات من شروط وأركان وأعمال، كلها تحفظ للجسم صحته ونشاطه وقوته، وإذا أضفنا إلى ذلك مقاومة الإسلام للأمراض وانتشارها، وترغيبه في طلب العلاج المكافح لها وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «إن الله عز وجل حيث خلق الداء خلق الدواء، فتداوا»^(٢)، وبذلك يتضح أهم أسس قوية قام عليها بناء حضارتنا في ميدان الطب، ومبلغ ما أفاده العالم من حضارتنا في إقامة المشافي والمعاهد الطبية، وتخريج الأطباء الذين ما تزال الإنسانية تفخر بأيادهم على العلم عامة والطب خاصة (السباعي،

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسد في الصوم، برقم (١٩٧٥) (٣/ ٣٩).

(٢) سبق تخريجه.

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

١٩٩٨). وبذلك فتحت الحضارة الإسلامية باباً واسعاً في مجال العمل الخيري والذي تمثل في أكثر الأحيان بالوقف الخيري ودوره العظيم في المجال الصحي.

ومع حدوث التطور الكبير في النظرة إلى التنمية، فقد كان ينظر إليها بوصفها مفهوماً مرادفاً للنمو الاقتصادي، الذي كان يعد الهدف النهائي للتنمية، ومع هذا التطور الكبير فإن الطريق إلى النمو الاقتصادي يتمثل بالاستثمار برأس المال المادي، إلا أنه من المعترف به حالياً وجود عديد من أشكال رأس المال إضافة إلى رأس المال المادي؛ كرأس المال البشري ورأس المال الاجتماعي وكلها تسهم في عملية التنمية الاقتصادية. وقد زاد مؤخراً في ظل تبني البنك الدولي وبعض المؤسسات الدولية الأخرى الاهتمام بمفهوم رأس المال الاجتماعي وعلى الرغم من أن هذا المصطلح ليس جديداً من حيث مضمونه واعتباره في بعض الأحيان الحلقة المفقودة في عملية التنمية (نصر وهلال، ٢٠٠٧)؛ والذي يعتبر موضوع العمل الخيري أبرز معالمه من منظور إسلامي، أما رأس المال البشري فيتمثل في الاستثمار في التعليم والتدريب والخدمات الصحية المقدمة لأفراد المجتمع.

وتبدو العلاقة بين المستوى الصحي لأفراد المجتمع والتنمية في ذلك المجتمع علاقة تبادلية؛ فالمستوى الصحي يعكس الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأفراد وله تأثير إيجابي عليه، والمستوى الاقتصادي للمجتمع يعكس الأوضاع الصحية لأفراد المجتمع وله تأثير إيجابي فيع أيضاً. كما أن أهم ما يسعى إليه الإنسان أن يعيش حياة طويلة خالية من الأمراض، وهذا يتجاوز الحاجة للتقدم الاقتصادي. أما تأثيرات الصحة في التنمية، فالصحة الجيدة هي هدف هام بحد ذاته، لما يترتب عليها من تزايد في القدرات البشرية، وباعتبارها

بحوث مؤتمر العمل الخيري

إحدى الحاجات الأساسية، ومع ذلك فلا بد من تقييم الآثار الاقتصادية للأسباب الآتية (صقر، بدون تاريخ):

○ إن فهم الدور الاقتصادي للصحة قد يساعد على فهم مصادر النمو الاقتصادي السريع الذي أمكن تحقيقه في القرن العشرين، فاستناداً إلى مدى مساهمة الصحة الجيدة في زيادة معدلات النمو، فإن الاستثمار في الصحة أصبح أداة من أدوات السياسة الاقتصادية الكلية.

○ يشكل القضاء على الفقر المهمة الأساسية للتنمية، لأن الصحة السيئة هي أحد الأسباب الفقر، فإن الاستثمار الذي يهدف إلى تحسين الأحوال الصحية للفقراء بوسعه أن يخفف من حده الفقر.

○ أن الإنفاق على الصحة يؤدي إلى تحسين نوعية الموارد البشرية، شأنه شأن الإنفاق على التعليم، ولكنه بالإضافة إلى ذلك يؤدي إلى زيادة كمية في المستقبل من خلال زيادة العمر المتوقع في العمل، وهذا أيضاً يكمل الاستثمار في التعليم.

ونظراً للعلاقة الوثيقة بين التنمية الاقتصادية والخدمات الصحية المقدمة للأفراد، فإن المؤشرات الصحية تعد من مؤشرات التنمية، ويمكن إجمال تأثير الصحة في النشاط الاقتصادي وعلى التنمية الاقتصادية بما يلي (صقر، بدون تاريخ):

○ إن رفع المستوى الصحي للفرد يزيد من قدرته على المشاركة في الإنتاج مما سيؤدي إلى زيادة الإنتاج، ورفع مستوى الدخل، وزيادة قدرة الفرد على الاستهلاك والادخار، وهذا سيؤدي إلى زيادة الإنتاج والاستثمار في المجتمع.

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

- إن تحسين صحة الفرد ستعمل على زيادة العمر المتوقع للفرد، وزيادة مشاركته في العملية الإنتاجية.
- كما ستؤدي الخدمات الصحية إلى تغيير الهيكل العمري للسكان والذي يحدد نسبة السكان في العمل إلى إجمالي عدد السكان. وزيادة هذه النسبة سيكون لصالح المشاركة في النشاط الاقتصادي.
- تؤدي الصحة الجيدة للبالغين إلى زيادة إنتاجيتهم من خلال زيادة الجهد في العمل، وتؤدي إلى الحد من التغيب عن العمل.
- الحد من التقاعد المبكر الناتج عن الحالة الصحية التي تحول دون الاستمرار في العمل، كما تعمل على الحد من نسبة الإعاقة والتي تشكل ضغطاً نفسياً على العامل.
- إن وجود وانتشار المرض في المجتمع يفرض عليه ضعف الانفتاح على الاقتصاد العالمي والاستفادة من العالم الخارجي.
- إن تحسين المستوى الصحي للفرد يحد من نفقاته على الخدمات الصحية، وهذا سيمكن الفرد من تحويل هذا الجزء من الدخل نحو استخدامات أخرى كالاستهلاك أو الادخار أو الحصول على خدمات تعليمية.
- من خلال ما سبق نستطيع القول أن تركيز الأعمال الخيرية على تقديم الخدمات الصحية، والحد من معاناة الفقراء ليس عملاً إنسانياً فحسب؛ بل هو استثمار في رأس المال البشري بما يحقق أفضل نتائج.



المبحث الثالث

**أثر العمل الخيري
في تحقيق الاستقرار النفسي والأمني**

إن الأعمال الخيرية التطوعية باعتبارها من أهم أشكال العبادة تؤدي إلى تحقيق الطمأنينة والاستقرار النفسي للمجتمع، فشعور المسلم وهو يقوم بالعمل الخيري أنه في عبادة وأن له ثواباً أخروياً، يدفعه إلى مزيد من الإخلاص والبذل والتضحية والعطاء. كما أن هذا الشعور والتصور الذي يرافق المسلم يمنحه الطمأنينة والرضا والاستقرار، وينأى به عن الاضطرابات مهما كانت الظروف المحيطة به، كما يشعر الإنسان بثمرات الإيمان والصلة بالله جل جلاله فيزداد عطاؤه وإنتاجيته، وبالتالي يزداد النمو والاستقرار الاقتصادي في المجتمع (خطاب، ٢٠١١).

أما بالنسبة للاستقرار الأمني فإن بعض علماء الاقتصاد يربطون بين الجرائم والدورات الاقتصادية، ففي فترات الكساد يزداد الفقر وبالتالي تتضاعف الجرائم بمختلف أشكالها، ويعد ذلك أمراً طبيعياً، فكما يقال صوت المعدة أقوى من صوت الضمير، فالإنسان الجائع قد يفعل أي شيء لإسكات جوعه (خطاب، ٢٠٠١)، وقد روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: "عجبت لمن لا يجد القوت في بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه"، ويقول الدكتور يوسف في تعليقه

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

على ذلك ما دام المجتمع في حالة تخلف وفقر فإن الحقد والبغضاء يوقدان في القلوب نارا تأكل الأخضر واليابس. كما أن الفقر يضعف انتماء الفرد لبلده ووطنه فلا يجد في نفسه حماسه للدفاع عن وطنه، كذلك يؤدي الفقر إلى انتشار جميع أشكال الجرائم من سرقة ومخدرات،... إلخ. وبالتالي فإن الإنفاق على الفقراء تطبيقاً لخواطهم وشفاء لصدورهم ومداوة لجراحاتهم ومعالجة لبذور الحقد والحسد والبغضاء التي يمكن أن تظهر لديهم، وكذلك فإن تركيز الأعمال الخيرية على الفقراء والمحتاجين والفئات الضعيفة في المجتمع يقضي على الميول الإجرامية والعدوانية يمكن أن تنشأ في المجتمع، وبالتالي يزداد الاستقرار الأمني بما يؤدي على زيادة الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي. نستطيع القول بأن العمل الخيري إذا تم استثماره بالشكل الصحيح ووفقاً لحاجات المجتمع فإنه يساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية مساهمة فعالة من خلال تأثيره في المؤشرات التنموية المختلفة.





الفصل الخامس

أهم النتائج والتوصيات

❖ أولاً/النتائج:

- بعد الدراسة والبحث في مفهوم العمل الخيري ومجالاته وأثاره في تنمية المجتمع، فإنه يمكن استخلاص النتائج التالية:
- العمل الخيري يمثل قيمة إسلامية، وعملية إنسانية تدوم وتستمر وتتطور بدوام واستمرار وتطور الإنسانية وحاجاتها في كل زمان ومكان.
 - أن مفهوم العمل الخيري مفهوم واسع، ولا يقتصر على مجرد تقديم المساعدات المادية والعينية.
 - تبين الدراسة أن العمل الخيري يؤدي دوراً حيوياً في تنمية المجتمع، وكذلك يساهم بشكل فاعل وهام في إحداث التنمية المنشودة في مختلف المجالات.
 - مكانة العمل الخيري في المجتمع وعند الدولة هو ركن من أركان الدولة، وقطاع من قطاعاتها المهمة، فيجب عليه أن يكون مضطعاً بأكبر وأرقى المهمات، وأن يسير مع سياسة الدولة التي تيسر بسياسة العقيدة والدين، وأن يكون جنباً إلى جنب معها ومع بقية قطاعات الدولة القائمة على خدمة المجتمع الإسلامي.
 - يساهم العمل الخيري في بناء مجتمع متماسك ومتربط ومتحاب

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

ومتعاون، تسوده المحبة والعدل والإحسان؛ وخالٍ من التناحر والتنافر، ويلتزم بالأحكام الشرعية التي أمر بها الله عز وجل، وهذه القيم ضرورية وبيئة اجتماعية مطلوبة لإحداث التنمية.

○ العمل الخيري رسالة تنطلق من دوافع عقائدية وأخرى إنسانية وإنمائية؛ لذلك تحرص جميع المجتمعات على وجود الجمعيات والمؤسسات الخيرية، لما لها من أهمية كبرى وحاجة ماسة للفرد والأسرة والمجتمع؛ حيث تكمن هذه الحاجة في جوانب متعددة أهمها: الجانب الاقتصادي والاجتماعي والصحي والتعليمي والثقافي.

○ يساهم العمل الخيري في زيادة الاستقرار الأمني بما يؤدي إلى زيادة الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، وبالتالي تحقيق الطمأنينة والاستقرار للمجتمع ودفع عجلة التنمية الاقتصادية.

○ العمل الخيري له أهمية بالغة في تحقيق الاستقرار الاقتصادي شريطة وجود تنسيق كامل وانسجام مع السياسات الاقتصادية المالية والنقدية التي تمارسها مختلف أجهزة الدولة.

❖ ثانياً/التوصيات:

يمكن وضع التوصيات التي يمكن من خلالها تعزيز دور العمل الخيري في تنمية المجتمع، وهي كما يلي:

○ العمل على تفعيل العمل الخيري وتنشيطه في المجتمع لكي يتمكن من القيام بدوره التنموي.

○ نوصي المؤسسات الخيرية بالتخصص في الأعمال الخيرية بدلاً من

بحوث مؤتمر العمل الخيري

تكرارها إلا في حال الضرورة التي تفرضها حاجة المجتمع، والبحث عن المجالات التي تخدم المجتمع مع السعي للتمييز والجودة في تقديم الخدمة.

○ تفعيل أسس التنسيق والشراكة والتعاون وتكامل الأدوار ما بين المؤسسات الخيرية والقطاعين الحكومي والخاص، بهدف الوصول للهدف المنشود وهو دفع عجلة التنمية.

○ تفعيل الجانب الإعلامي لدى القطاع الخيري لإلقاء الضوء على دوره وأنشطته، وكذلك الاهتمام بالبرامج الإعلامية الخيرية. والمراكز البحثية المتخصصة في مجال العمل الخيري بهدف تطويره.

○ العمل على تشكيل جسم ناظم للقطاع الخيري لتنظيم عمله، وما ينبثق عن هذا الجسم من هيئات استشارية ورقابية بهدف التخطيط والتنظيم والتنسيق وتوحيد الجهود وتصويب مسارات العمل الخيري.

○ ضرورة التنسيق بين القطاع الخيري وأجهزة الدولة المختلفة المالية والنقدية والاجتماعية، وذلك لتجنب الازدواجية والتضارب بين السياسات الاقتصادية المختلفة.

○ لا بد من الأخذ بالأساليب الفنية والتكنولوجية الحديثة في القطاع الخيري بما يحفظ حقوق الناس ويؤدي إلى الاستخدام الأمثل للموارد المالية الخيرية.

○ دراسة التجارب الدولية في مجال العمل الخيري والتطوعي والاستفادة منها لمجتمعاتنا.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- موسوعة التفاسير وعلوم القرآن - إسلام ويب.
- موسوعة الحديث الشريف - إسلام ويب.
- ❁ **أولاً: الكتب العربية:**
- بكار، عبدالكريم، (1999). مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، دمشق: دار القلم.
- الجمل، أحمد، (٢٠٠٩). العمل التطوعي في ميزان الإسلام، مصر: دار السلام.
- دنيا، شوقي، (1984). تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي دراسة مقارنة، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- سانو، قطب مصطفى، (٢٠٠٠). الاستثمار أحكامه وضوابطه في الفقه الإسلامي، عمان: دار النفائس.
- السباعي، مصطفى، (١٩٩٨). من روائع حضارتنا، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
- الشايحي، وليد، (2005). المدخل إلى المالية العامة الإسلامية، الأردن: دار النفائس.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

- عجمية، محمد، وآخرون، (2006). التنمية الاقتصادية دراسات نظرية وتطبيقية، الإسكندرية: الدار الجامعية.
- عفر، محمد عبد المنعم، (1987). السياسات الاقتصادية والشرعية وحل الأزمات وتحقيق التقدم، القاهرة: الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية.
- عمار، حامد، (1968). في اقتصاديات التعليم، مصر: دار المعرفة.
- عودة، سيف الدين، (2012). محاضرات في نظريات النمو والتنمية المستدامة، قسم الاقتصاد والعلوم السياسية، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية - غزة.
- فليه، فاروق عبده، (2007). اقتصاديات التعليم مبادئ راسخة واتجاهات حديثة، عمان: دار الميسرة.
- عبدالله يوسف، (1980). مشكلة الفقر وكيف عالجه الإسلام، القاهرة: مكتبة وهبة.
- عبدالله يوسف، (2007). أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، القاهرة: دار الشروق.
- مشهور، أميرة، (2002). الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- مشهور، نعمت، (2004). موسوعة الإدارة العربية الإسلامية - الاستهلاك، المجلد الخامس، (ط1). القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية بجامعة الدول العربية.
- وديع، محمد عدنان، وزملائه، (1997). مسح التطورات في مؤشرات التنمية ونظرياتها، الكويت: المعهد العربي للتخطيط.

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

❖ ثانياً: رسائل الماجستير والدكتوراه:

- اسماعيل، حمزة، (2012). جمعيات العمل الخيري التطوعي في الضفة الغربية - تقدير اقتصادي إسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، اربد.
- اغبارية، أنس، (٢٠٠٨). العمل الخيري وآثاره الاقتصادية - حالة فلسطين الداخل عام ١٩٤٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، اربد.
- بني عيسى، محمد، (2006). العمل التطوعي وآثاره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، اربد.
- البيشي، ابراهيم، (2013). العمل الخيري في المملكة العربية السعودية - تقدير اقتصادي إسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، اربد.
- الغندور، سماح، (2011). التنمية البشرية في سنة النبوية - دراسة موضوعية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الحديث الشريف وعلومه، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة.

❖ ثالثاً: الأبحاث المنشورة وغير المنشورة:

- الأشوح، زينب، (١٩٩٩). الأهمية الاقتصادية والاجتماعية للصدقات التطوعية، مجلة مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي: جامعة القاهرة، مجلد ٣(٧)، ١٧٣-٢٣٣.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

- خطاب، كمال، (٢٠٠١). الاقتصاد الإسلامي وأبعاده الأمنية، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب الرياض، مجلد ١٦ (٣٢).
- خطاب، كمال، (2011). أثر العمل الخيري الإسلامي على الاستقرار الاقتصادي، بحث مقدم لمؤتمر العمل الخيري للجميع، البحرين: جمعية التربية الإسلامية.
- الزرقا، محمد أنس، (١٩٨٠). صياغة إسلامية لجوانب من: دالة المصلحة الاجتماعية ونظرية سلوك المستهلك، جدة، المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي.
- السبهاني، عبد الجبار، (٢٠٠٦). الاستثمار الخاص: محدداته وموجهاته في اقتصاد إسلامي (دراسة مقارنة)، مجلة جامعة الإمارات العربية المتحدة: الشريعة والقانون، مجلد 27 (1)، 231-309.
- السبهاني، عبد الجبار، (2010). دور الوقف في التنمية المستدامة، مجلة الشريعة والقانون، العدد (٤٤)، ١٩-٧٩.
- السبهاني، عبد الجبار، (2010). شبكات الأمان والضمان الاجتماعي في الإسلام: دراسة تقديرية، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الاقتصاد الإسلامي، مجلد 23 (1)، 3-55.
- صقر، صقر أحمد. العولمة والأخلاق: الصحة والتنمية الاقتصادية، الصندوق الكويتي للتنمية، بدون تاريخ
- <http://www.islamset.com/arabic/aioms/globe/res/saqe>.
- العمري، علي، والصريصري، دخيل، (١٩٩٧). مفهوم الخدمة التطوعية

العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي

- ومجالاتها، بحث مقدم للمؤتمر الأول للخدمات التطوعية، المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى - مكة المكرمة.
- الكندري، خالد، (2008). تنمية الموارد البشرية وأهميتها في المؤسسات الخيرية، بحث مقدم لمؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، الإمارات: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي.
- المجالي، محمد خازر، (2008). المؤسسات الخيرية ودورها في تنمية العلاقات الدولية والتواصل الحضاري، قسم الفقه، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان.
- مشاط، أسامة بن حسين، (1997). الخدمات التطوعية: مفاهيمها ومشروعيتها، بحث مقدم للمؤتمر الأول للخدمات التطوعية، المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى - مكة المكرمة.
- المعهد العربي للتخطيط بالكويت (2007). اقتصاديات التعليم، جسر التنمية، سلسلة دورية تعني بقضايا التنمية في الدول العربية، الكويت: المعهد العربي للتخطيط.
- ملاوي، أحمد، (2011). دور العمل الخيري الإسلامي في تعزيز الاستقرار الاقتصادي، المركز الدولي للأبحاث والدراسات: مداد.
- مهدي، محمد، (2012). العمل الخيري - دراسة تأصيلية تاريخية، مجلة سر من رأي للدراسات الإنسانية، مجلد 8(30)، 211-229.
- نصر، محمد، وهلال، جميل، (2007). قياس رأس المال الاجتماعي في الأراضي الفلسطينية، القدس: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

❖ رابعاً: مواقع الانترنت:

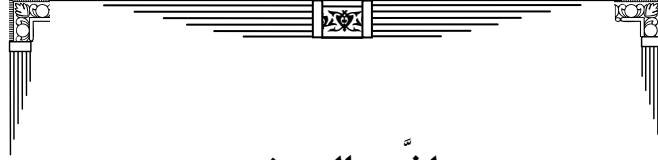
- الدرر السنية - الموسوعة الحديثية - تيسير الوصول إلى أحاديث الرسول
<http://www.dorar.net/enc/hadith> ﷺ
- طريق الإسلام: <http://ar.islamway.net/lesson/53170>
- المكتبة الشاملة: <http://shamela.ws/index.php>
- قصة الإسلام: <http://islamstory.com>



**عناية السنة النبوية
بالعمل الخيري
في خدمة البيئة**

إعداد الدكتور

محمد عويس عبد الرحيم محمود



ملخص البحث

المنهج الإسلامي في العمل الخيري والدعوة إليه، ووضع قواعده وأحكامه منهج راسخ ثابت، يرتكز على أصلين راسخين هما: القرآن والسنة النبوية، وهو منهج يمتاز بشموليته وتكامله وصلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان، حتى قيام الساعة. ومن ثم يحاول البحث أن يقدم رؤية متكاملة لعناية السنة النبوية بالعمل الخيري في مجال خدمة البيئة.

ويبين عناية السنة النبوية في ترسيخ العمل الخيري في خدمة البيئة والتأصيل له.

ويرصد معالم المنهج النبوي في العناية بالعمل الخيري في خدمة البيئة.

❖ وقد خلصَ البحثُ إلى عدة نتائج من أهمها:

١- المنهج النبوي في ترسيخ العمل الخيري والدعوة إليه، منهج يهدف إلى تحقيق المصالح العامة للأمة، ويمتاز بالشمولية والتكامل، وبالتالي صلاحيته للتطبيق العملي في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة.

٢- قدمت السنة النبوية حلولاً عملية وإجرائية في مجالات خدمة البيئة من خلال عنايته ﷺ بالعجماوت والطيور، والحث على الغرس والزرع ومحاربة كل

بحوث مؤتمر العمل الخيري

أشكال التصحر، والدعوة إلى نظافة البيئة واتخاذ كل الوسائل التي تكافح التلوث بجميع صورته وأشكاله، كما وجدنا السُّنة النَّبَوِيَّة تولي عناية خاصة بالماء والمحافظة عليه؛ ليتحقق التوازن البيئي المنشود، كما أولت السُّنة النَّبَوِيَّة عناية فائقة في سبيل نشر الثقافة الصحية ومكافحة تلوث الهواء.

٣- سبقت السُّنة النَّبَوِيَّة في مجالات العمل الخيري في خدمة البيئة، ما فطنت إليه المنظمات البيئية في وقتنا الحاضر.





مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن العمل الخيري فطرة إنسانية، فطر الله الناس عليها منذ بدء الخليقة وحتى قيام الساعة؛ لذا تتوالى أعمال البر والعطاء والإغاثة والتطوع في المجتمع الإنساني، ولم يخلُ عصر من العصور من الأعمال الخيرية.

والمنهج الإسلامي في العمل الخيري والدعوة إليه ووضع قواعده وأحكامه، منهج راسخ ثابت، يركز على أصلين راسخين هما: القرآن والسنة النبوية، وهو منهج يمتاز بشموليته وتكامله وصلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة.

❖ أهمية البحث وحيثياته: تكمن في أنه:

- يحاول أن يقدم رؤية متكاملة لعناية السنة النبوية بالعمل الخيري، في مجال خدمة البيئة.

- يحاول إبراز الجوانب التطبيقية لرسول الله ﷺ في عنايته بالعمل الخيري في مجال خدمة البيئة.

- يحاول دراسة نصوص السنة التي تُعنى بالعمل الخيري في مجال خدمة

بحوث مؤتمر العمل الخيري

البيئة، دراسة شاملة تعتمد على طرق الاستنباط الصحيح.

❖ **أهداف البحث:** تكمن في أنه:

١- يُبين عناية السُّنَّة النَّبَوِيَّة بِترسيخ العمل الخيري في خدمة البيئة والتأصيل له.

٢- يرصد معالم المنهج النبوي في العناية بالعمل الخيري في خدمة البيئة.

٣- يكشف عن مجالات العمل الخيري في خدمة البيئة، وأثره في الإصلاح المجتمعي.

٤- يُقدِّم بعض المقترحات التي تساهم في زيادة فاعلية العمل الخيري في خدمة البيئة.

❖ **منهج البحث:**

يقوم هذا البحث على الاستقراء والتحليل والاستنباط من خلال تتبع صور العناية بالعمل الخيري في مجال خدمة البيئة، المبنوثة في نصوص السُّنَّة النَّبَوِيَّة، واستخراج فوائدها بما يحقق غايات البحث.

❖ **الدراسات السابقة:**

تزر المكنبة الإسلامفة بمؤلفات جمَّة، تحمل في ثناياها كتابات عن العمل الخيري ومجالاته والدعوة إليه، ولعلَّ أقرب الدراسات التي اطلعتُ عليها ووجدتها تتلاقى مع بحثي في بعض النقاط ما يلي:

١- «العمل التطوعي في السُّنَّة النَّبَوِيَّة دراسة موضوعية» للباحثة: رندة محمد زينو، رسالة ماجستير في الحديث وعلومه، مخطوطة بكلية أصول الدين بالجامعة

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

الإسلامية بغزة سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢- «مجالات العمل التطوعي في السنة النبوية» للدكتور محمد عبد الرازق أسود، بحث منشور بحولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، السنة السابعة، العدد (٢٥).

٣- «دور المؤسسات الخيرية في التنمية الاجتماعية»، (مؤسسة الشيخ زايد للأعمال الخيرية والإنسانية أنموذجاً) رسالة ماجستير مخطوطة بكلية العلوم الإنسانية جامعة الوادي بالجزائر ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م تخصص معاملات مالية معاصرة.

٤- «معالم الرحمة بالبيئة ومكوناتها في السنة النبوية الشريفة»، للدكتور محمد عبد القادر الفقي، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام بقسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية جامعة الملك سعود في الفترة ٢٨ - ٢٩ / ٤ / ١٤٣٧هـ، ٧ - ٨ فبراير ٢٠١٦م المجلد الثامن.

٥- «الرحمة بالعجاوات في السنة النبوية»، للدكتور محمد عويس عبد الرحيم، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام بقسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية جامعة الملك سعود في الفترة ٢٨ - ٢٩ / ٤ / ١٤٣٧هـ، ٧ - ٨ فبراير ٢٠١٦م المجلد الثامن.

٦- «العمل الخيري الإسلامي بين التأصيل وإمكانات التفعيل»، للدكتورة فاتحة فاضل العبدلاوي، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي في الفترة ٢٠ - ٢٢ يناير سنة ٢٠٠٨م.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

٧- «العمل الخيري تكافل اجتماعي وعطاء إنساني»، للدكتور عبد الملك منصور، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي في الفترة ٢٠ - ٢٢ يناير ٢٠٠٨ م.

٨- «العمل التطوعي نظرة تأصيلية فقهية تاريخية»، للدكتور أحمد بن حسين بن أحمد المباركي، بحث منشور بمجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العدد (٣٥).

❁ خطة البحث:

ينتظم البحث مقدمة، وتمهيداً، ومبحثين، وخاتمة على النحو التالي:

• المقدمة: أهمية الموضوع، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

• التمهيد: العمل الخيري: ماهيته ومجالاته.

• المبحث الأول: تأصيل العمل الخيري في الإسلام

ويأتي في ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تأصيل العمل الخيري من خلال القرآن الكريم.

- المطلب الثاني: تأصيل العمل الخيري من خلال السُّنَّة النَّبَوِيَّة.

- المطلب الثالث: تأصيل العمل الخيري من خلال أعمال الصحابة

والتابعين وتابعيهم.

• المبحث الثاني: معالم المنهج النبوي في العناية بالعمل الخيري في خدمة

البيئة.

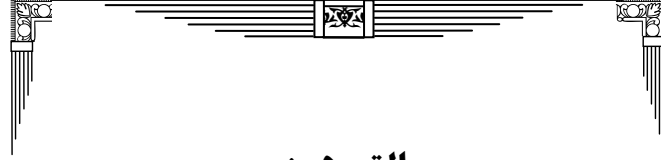
ويأتي في خمسة مطالب على النحو التالي:

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

- **المطلب الأول:** في العناية بالعجماوات والطيور.
- **المطلب الثاني:** في العناية بالغرس والزرع ومحاربة التصحر.
- **المطلب الثالث:** في الاهتمام بنظافة البيئة وإمطاة الأذى عن الطريق.
- **المطلب الرابع:** في المحافظة على الماء والمجاري المائية.
- **المطلب الخامس:** في مكافحة تلوث الهواء ونشر الثقافة الصحية.
- **الخاتمة: النتائج والتوصيات.**
- **المصادر والمراجع.**

وفي النهاية أبتهل إلى الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به كاتبه وقارئه، ويفتح به باباً من أبواب الخير لنشر السنة الصحيحة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





التمهيد

العمل الخيري: ماهيته ومجالاته

❁ أولًا: ماهية العمل الخيري:

يُعدُّ العمل الخيري ركيزة أساسية من ركائز الإسلام، ودعامة أساسية تقوم عليها عقيدة المسلم، ومن يتدبَّر ما قاله العلماء حول العمل الخيري يدرك أنَّ مفهوم العمل الخيري يتسم بالاتساع، ولا يمكن حصره فقط في تقديم المساعدات المادية للمحتاجين. ومن هذه المفاهيم:

- ما ذكره الدكتور عبد الكريم بكار بقوله: «العمل الخيري: هو كل مال أو جهد أو وقت يُبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم والتخفيف من معاناتهم»^(١).

- ما قدَّمه الدكتور محمد جواد مهدي بقوله: «وردت عدة تعريفات للعمل الخيري في عدد من المصادر والمراجع، وتؤلَّف من مجموعها هذا التعريف الجامع، العمل الخيري هو: عمل يشترك فيه جماعة من الناس؛ لتحقيق مصلحة عامة، أو أغراض إنسانية أو دينية أو علمية أو صناعية أو اقتصادية، بوسيلة جمع التبرعات وصرفها في أوجه الأعمال الخيرية؛ بقصد نشاط اجتماعي أو ثقافي أو

(١) د. عبد الكريم بكار: ثقافة العمل الخيري، كيف نرسخها وكيف نعممها؟! ص١٢، ط. الأولى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة سنة ٢٠١١م.

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

إغاثي بطرق الرعاية أو المعاونة مادياً أو معنوياً داخل الدولة وخارجها من غير قصد الربح لمؤسسيها سواء سُمي إغاثة أو جمعية أو مؤسسة أو هيئة أو منظمة خاصة أو عامة»^(١).

مما سبق يتضح لنا أنَّ للعمل الخيري مفهوماً واسعاً، ويشمل كل عمل تطوعي يقوم به الفرد من أجل الآخرين، وهذا هو جوهر الأديان السماوية ولا سيما الإسلام.

❁ الفرق بين الإحسان والعمل الخيري:

ونحن - في هذا البحث - لا نريد مخاطبة أنفسنا فقط، بل نريد مخاطبة الآخر في أوروبا وأمريكا؛ لذلك من المفيد هنا أن نعرج على مصطلحين متميزين عندهم، وعلى مفهومهم لهذين المصطلحين، فنفرق بين مفهوم «الإحسان» من جهة، ومفهوم «العمل الخيري» من جهة أخرى، يقول إبراهيم البيومي غانم: «يختلف فهم العمل الخيري في تجارب المجتمعات الغربية بتباين الخلفيات التاريخية والأعراف الخاصة بكل دولة، أو بكل مجموعة من الدول. ففي إنجلترا مثلاً يُستخدم مصطلح الإحسان (Charity) كمرادف لمصطلح العمل الخيري (Philanthropy) وقد استمر المصطلح الأخير مرتبطاً بتصورات العصر الفيكتوري عن سخاء وعطف الطبقات العليا في المجتمع على الطبقات الدنيا. أمَّا في الولايات المتحدة فهناك تمييز بين المفهومين، إذ يشير الإحسان إلى المنح والعطاء المتوجه لمعالجة نتائج مشكلة أو قضية ما، في حين أنَّ العمل الخيري

(١) د. محمد صالح جواد مهدي: العمل الخيري دراسة تأصيلية تاريخية، ص ٢١٢، مجلة سُر من رأى، المجلد الثامن، العدد (٣٠) السنة الثامنة، جامعة سمراء - بغداد سنة ٢٠١٢ م.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

يوجه موارده لمعالجة أسباب المشكلة من جذورها والوقاية منها وتفادي وقوعها»^(١).

ويقول الدكتور عبد الكريم بكار: «وفي بعض الدول - مثل الولايات المتحدة الأمريكية - يتم التفريق بين الإحسان والعمل الخيري، حيث إنهم يطلقون كلمة (الإحسان) على الجهود الرامية إلى معالجة آثار مشكلة من المشكلات والتعامل مع قضية من القضايا الراهنة. أمّا (العمل الخيري) فيتجه إلى معالجة جذور المشكلات وتجفيف منابعها، والعمل على تحصين المجتمع ووقايته من شروها؛ وهذا تمييز مفيد»^(٢).

❖ ثانياً: مجالات العمل الخيري:

إنَّ مجالات العمل الخيري لا يمكن حصرها في عدد مُعين، ومرجع ذلك كله إلى اتساع مدلول الخير في الحياة الإنسانية، يقول الدكتور بكار: «وتتسع دائرة مدلول (الخير) لتشمل: الإحساس بالآخرين، والتعاطف معهم، والدعاء لهم، وتشجيعهم، ورفع معنوياتهم، ومواساتهم، ومنحهم الرؤية والمنهج، وإرشادهم لما فيه خير دينهم ودنياهم»^(٣).

ولعله من المفيد هنا أن نُحيل القارئ إلى كتاب: «أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية»، فقد ذكر ثلاثة وستين صورة من

(١) إبراهيم البيومي غانم: العمل الخيري. مفهومه وموقعه من مقاصد الشريعة، بحث منشور بمجلة

حراء العدد (١٤) بتاريخ ٢٢ فبراير ٢٠١٧م.

(٢) د. عبد الكريم بكار: ثقافة العمل الخيري، ص ١٢.

(٣) د. عبد الكريم بكار: ثقافة العمل الخيري، ص ١٢.

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

صور العمل الخيري منها: إطعام الجائع، وسقاية العطشان، وكسوة العريان، وإيواء المشرّد، وكفالة اليتيم، ورعاية الأرملة، وتفطير الصائم، وغرس الأشجار.... إلخ. وكلها أمور يمكن أن يُقاس عليها مع تغير الأحوال وتبدُّل الظروف^(١).



(١) د. يوسف عبدالله: أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، ص ٥١: ١٠٠، ط. الثانية، دار الشروق، القاهرة سنة ٢٠٠٨ م.



المبحث الأول

تأصيل العمل الخيري في الإسلام

إنَّ من يتأمل تاريخ الإنسانية؛ يُدرك أنَّ العمل الخيري قد لازم الإنسان منذ وجوده على الأرض، فهو يمثل عطاءً إنسانياً وتكافلاً بين شرائح المجتمع، ورافداً من روافد التنمية المجتمعية والتضحية في سبيل سعادة الآخرين. ومن ثمَّ وجدنا المصلحين في كلِّ طور من أطوار البشرية، يدعون إلى ألوان البر والخير ويحثون غيرهم على فعله والتخلق به، وإنَّ اختلفت مآربهم في الدعوة إليه. ومن يتعقب العمل الخيري تحت راية الإسلام يتيقن أنَّ الإسلام قد «وسَّع دائرة الأعمال الخيرية؛ ليعم النفع ويكثر الخير، فكل الأعمال التي تُقدِّم نفعاً للإنسان أو الحيوان انطلاقاً من قيم التعاون والمساعدة والبر والتضحية والفداء ابتغاء مرضاة الله - تعالى - فهي في ميزان الحسنات يوم القيامة»^(١).

ويتيقن - أيضاً - أنَّ العمل الخيري يمثل ثمرة من أهم ثمار الإيمان بمفهومه الصحيح.^(٢)

(١) د. فاتحة فاضل العبدلاوي: العمل الخيري الإسلامي بين التأصيل وإمكانات التفعيل، ص ١٢، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث (دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي ٢٠-٢٢ يناير ٢٠٠٨م).

(٢) هناك بحث قيِّم للدكتورة أسماء محمد توفيق بركات الأستاذ المساعد بقسم العقيدة، كلية أصول الدين بجامعة أم القرى، منشور بمجلة البحوث والدراسات الشرعية العدد الثاني شوال ١٤٣٣هـ =



المطلب الأول

تأصيل العمل الخيري من خلال القرآن الكريم

إذا تأملنا النصوص القرآنية أدركنا أن العمل الخيري تطبيق عملي لروح الإيمان والأخلاق القرآنية، ومن أمثلة الآيات القرآنية التي تثبت العمل الخيري وفضائله وتطبيقاته العملية ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِيهِ إِلَّا أَنْ تَعْمُزُوا فِيهِ ؕ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٢- وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ؕ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ؕ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ؕ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّوَٓنَ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

٤- وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

هذه الآيات وغيرها تؤكد- بما لا يدع مجالاً للشك- أصالة الدعوة القرآنية إلى العمل الخيري.

بعنوان: أثر العمل التطوعي على الإيمان (دراسة عقدية تأصيلية) بينت فيه الباحثة حقيقة الإيمان وكيف يسهم العمل التطوعي الخيري في ترسيخ الإيمان وزيادته في نفوس المسلمين.



المطلب الثاني

تأصيل العمل الخيري من خلال السنة النبوية

تعدُّ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ تطبيقًا عمليًا لنصوص القرآن الكريم، ولم تكن الدعوة النبوية إلى ترسيخ العمل الخيري وتوسيع مجالاته أمرًا بعيدًا عن جوهر النصوص القرآنية. ومن أمثلة نصوص السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ التي ترسخ للعمل الخيري وتدعمه في نفوس المسلمين ما يلي:

١- ما رواه الشيخان: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»^(١).

٢- ما رواه مسلم في صحيحه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَيَّ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَقَ﴾ (٥) وَصَدَقَ بِالْحَسَنِيِّ (٦) فَسَنِيئَةٌ لَهُ لِلْبَشَرِ [الليل: ٥-٧] حديث رقم (١٤٤٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: المنفق والممسك، حديث رقم (١٠١٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث رقم (٢٦٩٩).

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئـة

٣- ما رواه البخاري في صحيحه: عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ» (١).

كُلُّ هذه النصوص النبوية وغيرها تؤصل للأعمال الخيرية التطوعية في ظل الإسلام، وتفتح الباب على مصراعيه لتشمل جميع ألوان البرِّ والصَّلة والتَّفقة والمساعدة، وكل ما من شأنه أن يسهم في تنمية المجتمع وتحقيق الرضا لأهله، والتخفيف عنهم وإغاثتهم في أوقات الشدة وعند نزول الكوارث بهم.



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: على كل مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف، حديث رقم (١٤٤٥).

المطلب الثالث

تأصيل العمل الخيري من خلال أعمال
الصحابة والتابعين وتابعيهم

تزخر كتب السير والتراجم والتاريخ بما يؤصل للعمل الخيري، من خلال أعمال الصحابة والتابعين وعلو هممهم في أعمال الخير والبر والتقوى والإحسان، ولم تخلُ فترة زمنية من متطوعين وفاعلين للخير في شتى جوانب الحياة. ومن أمثلتهم:

١- بئر رومة الذي اشتراه عثمان بن عفان رضي الله عنه. جاء في صحيح البخاري، قال النبي ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ، فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كِدْلَاءَ الْمُسْلِمِينَ» فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١).

٢- كان أبو طلحة أكثر الأنصار نخلاً بالمدينة. روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿ [آل عمران: ٩٢] جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُ حَاءٍ، قَالَ: - وَكَانَتْ حَدِيقَةً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المساقاة، باب: في الشرب ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، وبئر رومة: اسم لبئر معروفة في المدينة. والمراد بقوله (دلوه فيها كدلاء المسلمين) أي: يوقفها ويكون نصيبه منها كنصيب غير من المسلمين دون مزية.

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئـة

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا، وَيَسْتَبْطِئُ بِهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا-، فَهِيَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، أَرْجُو بَرَّهُ وَذُخْرَهُ، فَضَعَهَا أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِخْ يَا أَبَا طَلْحَةَ ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ، قَبْلَنَا مِنْكَ، وَرَدَدْنَا عَنْكَ، فَاجْعَلْهُ فِي الْأَقْرَبِينَ»، فَتَصَدَّقَ بِهِ أَبُو طَلْحَةَ عَلَى ذَوِي رَحِمِهِ (١).

مما سبق يتبين لنا أن العمل الخيري له تأصيل ثابت في الإسلام، يتجلى ذلك من خلال نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية، وما أجمع عليه جمهور الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا، وقد تنوعت وتعددت مجالات العمل الخيري فشملت جميع مناحي الحياة.

يتبين لنا- أيضًا- مظهر من مظاهر الرحمة الإنسانية وشموليتها لجميع الكائنات، فلا يقتصر تقديم المساعدات الإنسانية على المسلمين وحدهم بل تعداها إلى غير المسلمين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُّوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

والعمل الخيري في الإسلام لا يشمل المسلمين فقط، بل تتسع دائرته ليشمل غير المسلمين، وفق ضوابط شرعية وشروط يجب مراعاتها ذكرها الفقهاء.

كما أن العمل الخيري لا يكون حكراً على البشر فقط، أو موجهاً إليهم وحدهم، بل تتسع دائرته لتضم الكون بمخلوقاته من حيوان وطيور وغير ذلك. وهذا ما سوف تعرضه الدراسة في المبحث التالي.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الوصايا، باب: من تصدق إلى وكيله ثم رد الوكيل إليه، حديث رقم (٢٧٥٨).

المبحث الثاني

معالم المنهج النبوي في العناية بالعمل الخيري
في خدمة البيئة

البيئة لغةً: مأخوذة من الفعل (بوأ) قال ابن منظور في اللسان: «باء إلى الشيء يبوء بوءاً، أي رجع، وتبوأَت منزلاً أي نزلته، والبيئة والمبأة والمبأة: المنزل، وباءت بيئة سوء على مثال (بيعة) أي بحال سوء»^(١).

وتستعمل اليوم: في الحال الراهن للمكان المحيط بالإنسان. وحديثاً عرّفها العلماء بأنها: «كل ما يحيط بالإنسان من أشياء تؤثر على الصحة...»^(٢).

ولعل من أبرز السمات التي يتسم بها العمل الخيري، وتجعله مقدماً على سائر

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (بوأ) ط. الثالثة، دار صادر- بيروت- لبنان، سنة ١٤١٤ هـ

(٢) سامح عبد السلام محمد، مقال بعنوان: مفهوم البيئة،

<http://www.alukah.net/culture/0/59342>

نقلًا عن مقال للدكتور أسامة عبد العزيز بعنوان (ماهية البيئة) منشور على شبكة الإنترنت لم أستطع الوصول إليه.

ويرى بعض الباحثين أنّ للبيئة مفهومين يكمل بعضهما الآخر: «أولهما البيئة الحيوية، وهي كل ما يختص بالإنسان وعلاقته بالمخلوقات الحية، الحيوانية والنباتية التي تعيش معه. أما ثانيهما فهي البيئة الطبيعية وتشمل موارد المياه، والفضلات، والتخلص منها، والحشرات وتربة الأرض، والمسكن والجو ونقاوته أو تلوثه...» (راجع: نفس المصدر السابق).

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

الطاعات، ما ذكره الدكتور عبد الملك منصور في بحثه الموسوم بعنوان: «العمل الخيري تكافل اجتماعي وعطاء إنساني».. ما يلي:

- أنه خالص لوجه الله وابتغاء مرضاته، لا ينتظر عائداً من البشر ولا جزاءً ولا شكوراً.

- أنه صادر عن نفسٍ سخيةٍ وروحٍ أبيةٍ، لا يحركها إلى العمل إلا حب الخير وحب الضعفاء والمساكين والمحتاجين.

- أنه عمل مجرد من هوى النفس وحب الذات والطمع في عاجل الأجر والثواب (بعيداً عن شهوة الشهرة والسمعة) من أجل ذلك يشق علينا أن نجد في القرآن الكريم آية يُذكر فيها الإيمان بالله إلا اقترنت بالعمل الصالح الذي يعتبر العمل الخيري جزءاً منه^(١).

ومن ثمَّ وجدنا المنهج النبوي يُرغَّب في العمل الخيري، ويدعو إليه، ويجعله منهاجاً للمسلمين في شتى جوانب الحياة؛ تحقيقاً للمصلحة العامة للأمة. ويمتاز هذا المنهج في ترسيخ العمل الخيري والدعوة إليه بالشمولية والتكامل؛ وبالتالي صلاحيته للتطبيق العملي في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة.

ونظراً لتعدد مجالات العمل الخيري التي دعا إليها النبي ﷺ؛ فإننا نتناول جانباً واحداً يتعلق بالمنهج النبوي في مجال خدمة البيئة، وهو أمر تبدو فيه البراعة النبوية في معالجة المشكلات البيئية، ويؤكد صلاحية السنة النبوية لكل زمان

(١) د. عبد الملك منصور: العمل الخيري تكافل اجتماعي وعطاء إنساني، ص٨، بحث مقدم إلى مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي في الفترة ٢٠-٢٢ يناير ٢٠٠٨م.

ومكان.

✿ وسوف نعرض لملاح هذا المنهج في خمسة مطالب على النحو التالي :

المطلب الأول: في العناية بالعجماوات والطيير

المطلب الخامس: في مكافحة تلوث الهواء ونشر الثقافة الصحية

المطلب الرابع: في المحافظة على الماء والمجاري المائية

المطلب الثالث: في الاهتمام نظافة البيئة وإمالة الأذى عن الطريق

المطلب الثاني: في العناية بالغرس والزرع ومحاربة التصحر



المطلب الأول

في العناية بالعجاوات والطيور

تزخر كتب السنة النبوية بالأحاديث التي تحث على العناية بالعجاوات (الحيوانات) والطيور، كأحد أهم المكونات البيئية المحيطة بالإنسان، فقد سخرها الله لِنفع الإنسان وإعانتته على القيام بمهمته في عمارة الأرض، ومن ثم وجدنا المنهج النبوي يدعو إلى العناية بالحيوان والطيور بمختلف الطرق والوسائل؛ منها:

١. الرحمة بالحيوان:

روى الشيخان في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قَالَ: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطْتَهَا، فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»^(١).

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على وجوب رعاية الحيوان، وعدم حسبه وتعذيبه، وفيه أن تعذيب الحيوان بلا سبب واضح معصية تستوجب العقاب.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، حديث رقم (٣٣١٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب: تحريم تعذيب الهرة ونحوها، حديث رقم (٢٢٤٢).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وعلى النقيض من ذلك نجد أنّ الإحسان إلى الحيوان يكون سبباً في مغفرة الذنوب، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبَيْتِهَا، قَدْ أَذْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ (أي: أخرج لسانه حتى تُرى حمرة)»^(١)، فَتَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا (أي: استقت له بخفها)^(٢) فَغُفِرَ لَهَا»^(٣).

٢. النهي عن تعذيب الحيوان والطيور والحث على استخدامه فيما خلق له:

روى الشيخان في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه دخل على يحيى بن سعيد و غلام من بني يحيى رابط دجاجة يرميها فمشى إليها ابن عمر حتى حلها، ثم أقبل بها وبالغلام معه فقال: ازجروا غلامكم عن أن يصبر (أي: يمسك شيء من ذوات الروح حياً ثم يرمي بشيء حتى يموت)^(٤) هذا الطير للقتل فإني سمعت النبي ﷺ «نهى أن تُصبر بهيمة أو غيرها للقتل»^(٥).

ففي هذا الحديث نهى عن تعذيب الحيوان والطيور واتخاذها وسيلة للتسلية واللهو.

ولا بد من استخدام الحيوان فيما خلق له كحديث استعمال البقر للحراثة

(١) ابن الأثير الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر/ ج٢/ ١٣٠.

(٢) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ ج١٤/ ٢٤٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: فضل سقي البهائم وإطعامها، حديث رقم (٢٢٤٥).

(٤) ابن الأثير الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر/ ج٣/ ٨.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الذبائح والصيد، باب: ما يُكره من المثلثة والمصبورة والمجثمة، حديث رقم (٥٥١٤) ومسلم في صحيحه، كتاب: الصيد والذبائح، باب: النهي عن صبر البهائم حديث رقم (١٩٥٨).

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

الذي رواه الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى بَقْرَةٍ التَّمَّتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، خُلِقْتُ لِلْحِرَاثَةِ..»^(١).

٣. الإحسان إلى الحيوان والطير عند الذبح:

روى مسلم في صحيحه: عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِخْ ذَيْحَتَهُ»^(٢).

يبدو في هذا الحديث أعلى درجات الرحمة والشفقة على الحيوان والطير حتى حال ذبحهما؛ لئلا يكون ذلك سبباً في تعذيبهما.

٤. العمل على إنشاء المحميات الطبيعية للحيوانات:

إنَّ ما فكر فيه علماء العصور الحديثة قد سبقهم إليه النبي ﷺ، فهم قد فكروا في إنشاء المحميات الطبيعية؛ لحماية بعض الحيوانات من خطر الانقراض، وقد سبقهم النبي ﷺ في تخصيص أماكن معينة للحيوانات، تنعم فيها بالأمن وتوفير الغذاء. فقد جعل رسول الله ﷺ المدينة المنورة محمية طبيعية لا يُمس فيها بسوء إلا الحيوان المؤذي، ولا يُقطع فيها نبات إلا ما اقتضته الضرورة. فعن أبي هريرة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المزارعة، باب: استعمال البقر للحراثة، حديث رقم (٢٣٢٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه حديث رقم (٢٣٨٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الصيد والذبائح، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث رقم (١٩٥٥).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

رضي الله عنه أنه كان يقول: لو رأيت الأطباء ترتع بالمدينة ما ذعرتها، قال رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ»^(١).

كما أن النَّبِيَّ ﷺ جعل أماكن خاصة لإبل الصدقة ودواب بيت المال وخيل الجهاد فلا يرعى فيها غيرها.

٥. النهي عن أخذ كرائم الأنعام في الزكاة:

ويأتي في إطار المحافظة على البيئة وإبقاء السلالات الطيبة ما وصى به النبي ﷺ معاذ بن جبل عندما بعثه لأهل اليمن، فقد نهاه عن توشي أنفس الأنعام وأخذها في الزكاة، فقال له: «وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»^(٢).

وفي هذا التوجيه النبوي الكريم حفظ لحقوق أصحابها من جانب، وحفظ لهذه السلالات الجيدة من الأنعام من جانب آخر.



(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل المدينة، باب: لابتى المدينة. حديث رقم (١٨٧٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، حديث رقم (١٤٥٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم (١٩).

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة



المطلب الثاني

في العناية بالغرس والزرع ومحاربة التصحر

اهتمت السنة النبوية بالبيئة وتنميتها باستخدام كافة السبل التي تحفظ توازنها؛ وذلك من خلال الدعوة إلى الغرس والزرع ومحاربة كل ألوان التصحر، وسنعرض لهذا الموضوع في النقاط التالية:

١. حماية الحياة النباتية الطبيعية:

حثت السنة النبوية على المحافظة على الحياة النباتية الطبيعية، لا سيما في البيئة الصحراوية القاحلة، التي تمثل فيها النباتات الطبيعية وخاصة الأشجار ملاذًا آمنًا يأوي إليه الناس والطير في جلهم وترحالهم، فعن عبد الله بن حبشي قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ»^(١).

يقول د. محمد عبد القادر الفقي: «ومن المعروف أنَّ السِّدر ينبت في البوادي ويصبر على العطش، ويقاوم الحرَّ، ويتنفع النَّاس بتفويُّ ظلاله والأكل من ثماره إذا اجتازوا الفيافي، فالمحافظة على السِّدر، بعدم قطعه، فيها رحمة بهذه الشجرة، وفيها -أيضًا- رحمة بمرتادي الصحراء إذ أنَّها توفر لهم الثَّمار والظِّل في بيئة تتسم

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب: أبواب النوم، باب: في قطع السِّدر، حديث رقم (٥٢٣٩) وهذا حديث حسن لغيره.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

بشدة القيظ فيها صيفاً. كما أنها كذلك رحمة بالطيور التي تأوي إلى تلك الشجرة أو تأكل ثمارها»^(١).

ولعل ذلك يُفسّر لنا تحريم الإسلام لقطع الأشجار وإزالة النباتات الموجودة في حيز الحرم المكي. فبقاء هذه الأشجار والنباتات يضمن: «توفير المأوى والغذاء للطيور والحيوانات والحشرات التي تأوي إليها. فهي رحمة عامة بالبيئة وما فيها»^(٢).

ويمكننا القول: إن هذه الدعوة إلى حماية الحياة النباتية الطبيعية تمثل حفاظاً على الإمكانات البيئية المتاحة؛ لتكون نواة طيبة لحفظ التوازن البيئي.

٢. تسوية الأرض وتمهيداً للزراعة:

ويدخل في باب المحافظة على البيئة - كذلك - حث النبي ﷺ على تسوية الأرض وتمهيداً للزراعة. عن عائشة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ»^(٣) أي: أحق بملكيتها من غيره.

ففي هذا التوجيه النبوي تشجيع على استغلال الإمكانات البشرية وطاقاتها في استصلاح الأرض وتمهيداً للزراعة، وهذا الأمر يساعد على مواجهة البطالة

(١) د. محمد عبد القادر الفقي: معالم الرحمة بالبيئة ومكوناتها في السنة النبوية الشريفة، بحث منشور بالمؤتمر الدولي للرحمة في الإسلام، كلية التربية جامعة الملك سعود في الفترة ٢٨ - ٢٩ / ٤ / ١٤٣٧هـ - ٧ - ٨ فبراير ٢٠١٦م ج٨ / ٤٠٠.

(٢) نفس المصدر السابق: ج٨ / ٤٠٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المزارعة، باب: من أحيا أرضاً مواتاً، حديث رقم (٢٣٣٥).

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

والفقر. كما أنه يمثل محافظة على البيئة ببقائها خضراء لنفع الإنسان والحيوان وحفظ التوازن البيئي للكون.

٣. العناية بالغرس والزرع:

ورد في السنة النبوية أحاديث كثيرة تحث على الغرس والزرع وتبشر الزارع بالثواب العظيم، وهذا يدل على أن للزراعة فضلها العظيم، وأن مكاسبها هي أطيب المكاسب. وكما هو معلوم أن الزراعة تمثل حجر الزاوية في حفظ التوازن البيئي في الكون؛ لأن حياة الإنسان والحيوان والطير تعتمد اعتمادًا أساسيًا على النبات.

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»^(١) ففي هذا الحديث حث على الغرس والزرعة.

وقد بين النبي ﷺ أن العناية بالغرس والزرع تستمر في أمته حتى قيام الساعة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ قَامَتْ عَلَيَّ أَحَدِكُمْ الْقِيَامَةَ وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا»^(٢).

فهذا الحديث فيه: «مبالغة في الحث على غرس الأشجار؛ لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدّها المحدود المعدود المعلوم عند خالقها، فكما غرس لك غيرك فانتفعت به فاغرس لمن يجيء بعدك ليتنفع، وإن لم يبق من الدنيا إلا

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، حديث رقم

(٢٣٢٠) وأخرجه مسلم في كتاب: المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، حديث رقم (١٥٥٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند أنس بن مالك رضي الله

عنه، حديث رقم (١٢٩٠٢) والحديث إسناده صحيح على شرط مسلم.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

القليل»^(١).

ومن باب العناية بالغرس والزرع- أيضًا- حفظ حقّ النبات في النمو في بيئة نظيفة، ويبدو ذلك واضحًا في التحذير من التلوث البيئي الناتج عن قضاء الحاجة (التبول أو التبرز) تحت الأشجار وأماكن ظلها وسقوط ثمارها. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتَّقُوا الْمَلَأِينَ الثَّلَاثَةَ: الْبُرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَفِي الظِّلِّ»^(٢).

وهذا التحذير يحفظ للنبات حقه في النمو في بيئة نظيفة طاهرة، ويجعل مَنْ يستظلون بظله في مأمن تام من التلوث ومخاطره، وتقل الأمراض المعدية، ويمكن أن يُقاس على ذلك التحذير مما يفعله المزارعون اليوم من رش المبيدات الزراعية التي تسبب اضطرابًا ملحوظًا في دورة حياة النبات والبشر الذين يتغذون عليه.

٤. الحث على محاربة التصحر:

ذكرنا آنفًا أن المنهج النبوي في خدمة البيئة يعتمد على استزراع الأرض، ودوام اخضرارها مدى الحياة، وذلك لما يحققه النبات من نفع واضح للإنسان والحيوان وحفظ للتوازن البيئي، فالنبات ينتج الأكسجين وهو عنصر مهم من مكونات الهواء النقي ويمتص غاز ثاني أكسيد الكربون.

وقد حثَّ النبي ﷺ المسلمين على الغرس والزراعة من جانب، ومن الجانب الآخر حثَّ على محاربة التصحر وتبوير الأرض وعدم الاستفادة منها.

(١) المناوي: شرح الجامع الصغير، ج٣ / ٣٠.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب: الطهارة، باب: المواضع التي نهى النبي ﷺ عن التبول فيها، حديث رقم (٢٦) قال الألباني: حسن.

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

روت السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا كَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ» أي: أحق بملكيتها دون غيره. قال عروة: «قضى به عمر رضي الله عنه في خلافته»^(١) وذلك الشرط النبوي يحمل في طياته محاربة التصحر والبطالة والفقر وهي مشكلات تعج بها مجتمعاتنا المعاصرة.

كما دعا النبي ﷺ إلى عدم تبوير الأرض عند عجز صاحبها عن زراعتها، فأمر ﷺ بمنحها لمن يقدر على زراعتها، عن جابر رضي الله عنه قال: كانوا يزرعونها بالثلث والرابع والنصف فقال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيُزْرِعْهَا، أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُمْسِكْ أَرْضَهُ»^(٢).

وفي سبيل محاربة كل ألوان التصحر أجاز الإسلام المزارعة بشرط ما تخرج الأرض - حتى مع غير المسلمين - روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «أعطى رسول الله ﷺ خيبر اليهود أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها»^(٣).

كل هذه التوجيهات النبوية وغيرها تؤكد عناية السنة النبوية بالغرس والزرع ومحاربة التصحر؛ وصولاً لتحقيق التوازن البيئي، ولعل براعة المنهج النبوي تتضح في تقديم الحلول العملية الصالحة لكل زمان ومكان، وتحفيز المسلمين على الأعمال الخيرية تقريباً لله، وتحقيقاً للمصالح الدنيوية.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المزارعة، باب: من أحيا أرضاً موأناً، حديث رقم (٢٣٣٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المزارعة، باب: ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمار، حديث رقم (٢٣٤٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الشروط، باب: الشروط في المعاملة، حديث رقم (٢٧٢٠).



المطلب الثالث

في الاهتمام نظافة البيئة وإمطة الأذى عن الطريق

من أفضل الأعمال الخيرية التي دعا إليها النبي ﷺ: الحثُّ على نظافة البيئة عامة، وإمطة الأذى عن الطريق خاصة، وإمطة الأذى كلمة جامعة لكل ألوان الإيذاء التي يواجهها الناس في طريقهم من تلوث ومخلفات ونفايات وغيرها. وتعد نظافة الطريق من الأمور المهمة لحماية البيئة من التلوث، «وقد ثبت علمياً وجود مجموعة من الأمراض تزيد وتنتشر في الطرق سيئة النظافة والتهوية، ومن تلك الأمراض: الإسهال، والتهاب الحلق المتكرر، والدرن، والحمى الروماتيزمية، وتزيد قذارة الطرق من تكاثر الحشرات كالذباب والفئران والصراصير...»^(١).

لذا وجدنا النبي ﷺ يجعل إمطة الأذى عن الطريق باباً من أبواب الإحسان والصدقة؛ ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... وَبِمِطِّ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(٢).

وفي حديث أبي هريرة - أيضاً - أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَذَهُ (وفي رواية: فأخذه) فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ

(١) د. أيمن السعيد: أصول الطب الوقائي في الحديث النبوي. ص ٣٨ - ٣٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: من أخذ بالركاب ونحوه، حديث رقم (٢٩٨٩).

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئـة

لَهُ» (١).

وقد عدَّ النبي ﷺ إِمَاطَةَ الْأَذَى عن الطريق شُعبَةً من شُعبِ الْإِيمَانِ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (٢).

وقد عدَّ النبي ﷺ هذا العمل الخيري (إِمَاطَةُ الْأَذَى عن الطريق) بابًا من أبواب دخول الْجَنَّةِ والتقلب في نعيمها السرمدي. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَّقِلُّ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ تُوذِي النَّاسَ» (٣).

وينبغي ألا يفهم هذا التوجيه النبوي فهمًا مغلوطًا كما يفعل بعض العامة من الناس، فيقطعون الأشجار الموجودة على ظهر الطريق لأسباب غير مقبولة، فالأمر مرهون بإيذاء هذه الشجرة للناس المارين في الطريق، وإنما يجب على المسؤولين المحافظة على هذه الأشجار وحمايتها ورعايتها وتهذيبها، ولا يكون العلاج السريع عند بعض ضعاف الأفهام بالإسراع في قطعها.

مما سبق يبدو لنا أن العناية بنظافة البيئـة بكل مفرداتها وإِمَاطَةُ الْأَذَى عن طريق الناس عمل خيري يحفظ للقائمين به إنسانيتهم وحبهم لمجتمعاتهم وأوطانهم، ويُعلي من شأنهم بما يجدونه من ثواب عظيم ينتظرهم يوم القيامة.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم والغصب، باب: من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمي به، حديث رقم (٢٤٧٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: شعب الإيمان، حديث رقم (٣٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل إزالة الأذى عن الطريق. حديث رقم (١٩١٤).

المطلب الرابع

في المحافظة على الماء والمجاري المائية

تزخر السُّنة النبوية بتوجيهات عظيمة في مجال المحافظة على الماء والمجاري المائية؛ لأنَّ الماء سرُّ الحياة. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] فالماء من أعظم النعم التي أسبغها الله - سبحانه وتعالى - على خلقه. ومن هذه النعمة خرجت كل أنواع الحياة البشرية والحيوانية والنباتية، ولا بقاء لأي من هذه الحيوانات دون الماء. وتحفل آيات القرآن الكريم بكثير من التوجيهات والمبادئ والقواعد التي تدعو إلى حسن التعامل مع الماء باعتباره نعمة إلهية، وتحض على تقديرها حق قدرها، وتحذر من تعرضها للفساد أو للهدر أو للتلوث.

وتحفل الأحاديث النبوية الشريفة، وتحفل مصادر تراثنا الفقهي العريق بتلك التوجيهات - أيضًا - وتبشر هذه التوجيهات الذين يحسنون استخدام الماء بالحياة الطيبة في الدنيا وبالثواب الجزيل والأجر العظيم يوم الحساب، وتتوعد الذين يسيئون استخدامه بالعقاب وسوء المصير؛ إذ أنَّ العدوان على الماء هو عدوان على الحياة ذاتها، وقد يكون فيه إزهاق للأنفس والأرواح، وتضييع لقصد أو أكثر

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

من مقاصد الشريعة^(١).

وتتجلى صور المحافظة على الماء والمجاري المائية في المنهج النبوي من خلال النقاط التالية:

١- الأمر بالتوسط والاعتدال في استخدام الماء وعدم الإسراف فيه:

ومما يدل على ذلك ما رُوِيَ عن ابن عمرو -رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مرَّ بسعد وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرف يا سعد»؟! فقال: وهل في الماء من سرف؟ قال: «نعم، وإن كنت على نهر جار»^(٢).

ففي هذا الحديث: بيان لأهمية الماء وفضله، ودعوة إلى عدم الإسراف فيه حتى في الطاعات، فما لنا بمن يستخدمون الماء في أيامنا هذه ويسرفون فيها رفاهية من جانب، وإهمالاً من جانب آخر بعدم أخذهم الحيطة والحذر في غلق صنابير المياه وإصلاح ما بها من أعطال؛ ينتج عنها إهدار ملايين الأمتار من المياه التي تضيع هباء منثوراً.

وللحد من الإسراف في استخدام الماء نهى النبي ﷺ أن يزيد المسلم في وضوءه عن الثلاث، رُوِيَ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده -رضي الله عنهم- قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء فأراه الوضوء ثلاثاً ثلاثاً،

(١) إبراهيم البيومي غانم: نعمة المياه بمعايير المقاصد الشرعية، بحث منشور بمجلة حراء، قضايا فكرية، العدد رقم (٤٧) الصادر في ١٧ نوفمبر، ٢٠١٦م. <http://hiragate.com>.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، كتاب مسند عبدالله بن عمرو بن العاص، حديث رقم (٧٠٦٥)، ج ١١ / ٦٣٧، ط. الرسالة، وأخرجه ابن ماجه في سننه بنفس الإسناد، كتاب: أبواب الطهارة وسننها، باب: في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه، حديث رقم (٤٢٥) والحديث إسناده ضعيف.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ثم قال: «هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدَّى وظلم»^(١).

٢- الحث على نظافة الماء والنهي عن تلويثها:

فقد دعا النبي ﷺ إلى نظافة الماء وعدم تلويثه، لذلك وجدنا النبي ﷺ ينهى عن التبول في الماء الراكد، رُوِيَ عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يُبال في الماء الراكد»^(٢).

وفي حديث آخر أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط عن جابر رضي الله عنه - أيضًا -: «أن رسول الله ﷺ نهى أن يُبال في الماء الجاري»^(٣).

جاء في «الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية»: أن الماء الراكد يُعدُّ «جوأ ملائمًا لنمو الكثير من البكتيريا كالكوليرا والسالمونيلا والشيغلا وغير ذلك، كما تحتاج بعض الطفيليات الأولية والديدان كالزحار الأميبي والديدان المستديرة والبلهارسيا إلى الماء لإكمال دورة حياتها خارج جسم الإنسان، ويساعد التبول والتبرز على نمو هذه الطفيليات والديدان وسرعة تكاثرها وانتشارها»^(٤).

(١) رواه النسائي في سننه الصغرى، كتاب الطهارة، باب: الاعتداء في الوضوء، حديث رقم (١٤٠). قال الألباني: حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: النهي عن البول في الماء الراكد، حديث رقم (٢٨١).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب الألف، من اسمه أحمد، حديث رقم (١٧٤٩)، ج ٢ / ٢٠٨.

(٤) د. أحمد مصطفى متولي: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، ص ١٠٤٧. ط. الأولى، دار ابن الجوزي - القاهرة سنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

ففي هذا النص النبوي دعوة إلى المحافظة على الماء نظيفًا طاهرًا ونهى عن تلويثه بما ينتج عن هذا الفعل المشين من قذارة ونجاسة، تكون سببًا في تفشي الأمراض والأوبئة. هذا وقد بالغ الفقهاء في هذا الحكم بأن كرهوا التبول والتغوط بالقرب من الماء والمجاري المائية. وقد نهى النبي ﷺ عن إفساد الماء على الأعداء حتى في أوقات الحروب، فنهى عن إلقاء السم في الماء، روي عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ: «نهى أن يلقى السم في آبار المشركين»^(١).

وكان ﷺ يحذر الجيوش والسرايا من العبث بالماء وتغيير الآبار وأعين الماء، رحمة بالناس وحماية للماء وحفظًا لسر الحياة والبقاء، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا بعث جيشًا من المسلمين إلى المشركين قال: «انطلقوا باسم الله... ولا تغورنَّ عينًا»^(٢).



(١) رواه الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، في مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، حديث رقم (٣٤٨٤)، ج ٤ / ٣٣٦، ط. الأولى مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

(٢) رواه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب: جماع أبواب السير، باب: ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرها، حديث رقم (١٨١٥٥) قال البيهقي: في هذا الإسناد إرسال وضعف، وهو بشواهده على ما فيه من الآثار يقوي، والله أعلم. ج ٩ / ١٥٤.



المطلب الخامس

في مكافحة تلوث الهواء ونشر الثقافة الصحية

تزخر كتب السُّنَّة النَّبَوِيَّة بتوجيهات عظيمة تحفظ البيئة من التلوث وتساهم في نشر الثقافة الصحيَّة بين جنات المجتمع، وتتجلى وسائل مكافحة تلوث الهواء ونشر الثقافة الصحية فيما يلي:

١. الحث على زراعة الأشجار والنهي عن قطعها دون داع:

حيث تمد الأشجار البيئة بالبهجة وروعة المنظر من جانب، وتمد الإنسان بالأكسجين اللازم للتنفس، والشواهد النَّبَوِيَّة على فضل الغرس والزرع ذكرنا جانباً منها آنفاً.

وجاء النهي عن قطع الأشجار لما لها من دور في تنقية الهواء، وبلغ الأمر في حماية الأشجار وعدم قطعها حتى في أوقات الحروب، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا بعث جيشاً من المسلمين إلى المشركين قال: «... ولا تعقرنَّ شجراً إلا شجراً يمنعكم قتالاً، أو يحجز بينكم وبين المشركين...»^(١).

(١) رواه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب: جماع أبواب السير، باب: ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرها، حديث رقم (١٨١٥٥).

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

٢. النهي عن البصاق في الطريق^(١):

لقد حرص النبي ﷺ على نظافة البيئة ومنها النهي عن البصاق، وإن كانت معظم النصوص الواردة في السنة في هذا الجانب تتعلق بالمسجد، إلا أن التوجيهات النبوية لها صفة العمومية، فعلى الرغم من أن كتب السنة صدرت لهذا الموضوع بعناوين مثل: (باب في كراهة البزاق في المسجد)، و(ذكر الإخبار عن كفارة الخطيئة التي تُكتب لمن بصق في المسجد) وغير ذلك، إلا أن الطبع والفتوة السليمة وما أثبتته العلم الحديث من أضرار البصاق يجعلنا ندرك خطورة البصق في الطرقات، فما ذكره النبي ﷺ من زجر للباصقين في فناء المسجد وتجاه القبلة، وما ورد من أمرهم بدفنها يشمل البصاق في المسجد وغيره من الطرقات والأماكن العامة حفاظاً على نظافة البيئة ونشراً للثقافة الصحية العامة بين الناس، ومنعاً لانتشار الأمراض والأوبئة.

رَوَى ابنُ حبان في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها»^(٢).

وَرَوَى أبو داود في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها»^(٣).

(١) جاء في جريدة الرياض السعودية العدد (١٤٤٨٣) الصادر يوم الاثنين ١١ صفر ١٤٢٩ هـ - ١٨ فبراير ٢٠٠٨م أن البصق يسبب ٧٠٪ من الأمراض الفيروسية.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: المساجد، باب: ذكر الإخبار عن كفارة الخطيئة التي تُكتب لمن بصق في المسجد، حديث رقم (١٦٣٧)، ج٤/ ٥١٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: كفارة البزاق في المسجد، حديث رقم (٤١٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن البصاق في

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَابْنُ حَبَانَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي بِأَعْمَالِهَا حَسَنَةً وَسَيِّئَةً، فَرَأَيْتُ فِي مُحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَرَأَيْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النَّخَامَةَ فِي الْمَسْجِدِ لَا تَدْفَنُ»^(١).

فكل هذه النصوص وغيرها تؤكد أنّ البصاق أمر خطير ينبغي التخلص منه داخل المسجد وخارجه؛ مراعاة للذوق السليم والصحة العامة. وهذا التوجيه النبوي يُرسخ للمحافظة على البيئة ونشر الثقافة الصحية قبل أن يعرف طريقها عالمنا المتحضر.

٣. الأمر بدفن قتلى الحروب حفاظاً على البيئة:

ذكر الدكتور عبد المحسن أحمد محمد في بحثه الموسوم بعنوان: «رحمة الرسول ﷺ بالمخالفين في أثناء الحرب»، ما يؤكد حرص النبي ﷺ على مكافحة تلوث البيئة ونشر الثقافة الصحية عن طريق الأمر بدفن القتلى وشهداء الحروب، وعدم تركها في العراء؛ لئلا تكون مصدرًا لنقل الأوبئة والأمراض، يقول: «حفاظاً على البيئة من التلوث وخوفاً من انتشار الوباء والأمراض التي تنتج عن بقاء القتلى في العراء، ومراعاة لتكريم الله - تعالى - لبني آدم أحياءً وأمواتاً.

المسجد، حديث رقم (٥٥٢)، وأبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: في كراهة البزاق في المسجد، حديث رقم (٤٧٥).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، حديث رقم (٥٥٣) وابن حبان في صحيحه، كتاب: المساجد، باب: ذكر البيان بأن النخاعة في المسجد من مساوئ أعمال بني آدم في القيامة، حديث رقم (١٦٤٠)، ج٤ / ٥١٨.

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

كان النبي ﷺ يحرص على دفن شهداء الحرب والقتلى من المشركين، ففي غزوة بدر دفن الرسول ﷺ الشهداء ثم دفن قتلى المشركين ببدر، ثم وقف يخاطبهم ويسألهم عن وعيد الله تعالى لهم^(١).

كما نهى ﷺ عن التمثيل بجثث القتلى من المشركين؛ لئلا يصيروا جيفاً تفوح منها الروائح الكريهة التي تلوث البيئة وتنتشر الأمراض والأوبئة، قال النبي ﷺ في وصيته للجيش: «... ولا تمثلوا بأدمي ولا بهيمة، ولا تغدروا، ولا تغلوا»^(٢).

٤. الأمر بتغطية الأواني:

قال رسول الله ﷺ: «غطوا الإناء وأوكلوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه ذلك الوباء»^(٣).

جاء في بيان الإعجاز العلمي الطبي لهذا النص النبوي أن الطب الحديث قد أثبت أن النبي ﷺ هو الواضع الأول لقواعد حفظ الصحة بالاحتراز من عدوى الأوبئة والأمراض المعدية.

(١) د. عبد المحسن أحمد محمد: رحمة الرسول ﷺ بالمخالفين في أثناء الحرب، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، بكلية التربية جامعة الملك سعود في الفترة ٢٨-٢٩ / ٤ / ١٤٣٧ هـ - ٧-٨ فبراير ٢٠١٦ م، ج ٨ / ٤٦١.

(٢) رواه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب: جماع أبواب السير، باب: ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرها، حديث رقم (١٨١٥٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الأشربة، باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، حديث رقم (٢٠١٤).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

فقد تبين أنّ الأمراض المعدية تسري في مواسم معينة من السنّة، بل إنّ بعضها يظهر في عدد معين من السنوات، وحسب نظام دقيق، لا يُعرف تعليقه حتى الآن، ومن أمثلة ذلك: أنّ الحصبة وشلل الأطفال تكثر في سبتمبر وأكتوبر، والتيفود يكثر في الصيف، أمّا الكوليرا فإنها تأخذ دورة كل سبع سنوات والجذري كل ثلاث سنوات. وهذا يفسر لنا الإعجاز العلمي في قول النبي ﷺ: «فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء» أي: أوبئة موسمية ولها أوقات معينة^(١)



(١) د. أحمد مصطفى متولي: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنّة النبوية، ص ١٠١٤.



الخاتمة

النتائج والتوصيات

✽ أفرز هذا البحث عدة نتائج من أهمها:

أولاً: للعمل الخيري مفهوم واسع يشمل كل عمل تطوعي يقوم به الفرد من أجل نفع الآخرين وإسعادهم، وهو ركيزة أساسية من ركائز الإسلام ودعامة من دعائم عقيدة المسلم. ومن ثم تعددت مجالاته في ضوء المقاصد الشرعية.

ثانياً: العمل الخيري له تأصيل ثابت في الإسلام، ويتجلى ذلك من خلال استقراء النصوص القرآنية ونصوص السنة النبوية، وما كان عليه عمل الصحابة والتابعين.

ثالثاً: لم تخل فترة من فترات التاريخ الإسلامي من أناس عرفوا بعلو الهمة منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا، دأبت نفوسهم على الأعمال الخيرية في جميع المجالات الحياتية.

رابعاً: المنهج النبوي في ترسيخ العمل الخيري والدعوة إليه منهج يهدف إلى تحقيق المصالح العامة للأمة، ويمتاز بالشمولية والتكامل وبالتالي صلاحيته للتطبيق العملي في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة.

خامساً: قدمت السنة النبوية حلولاً عملية وإجرائية في مجالات خدمة البيئة

بحوث مؤتمر العمل الخيري

من خلال عنايته بالعجماوت والطير، والحث على الغرس والزرع ومحاربة كل أشكال التصحر، والدعوة إلى نظافة البيئة واتخاذ كل الوسائل التي تكافح التلوث بجميع صورته وأشكاله، كما وجدنا السُّنَّة النَّبَوِيَّة تولي عناية خاصة بالماء والمحافظة عليه؛ ليتحقق التوازن البيئي المنشود، كما أولت السُّنَّة النَّبَوِيَّة عناية فائقة في سبيل نشر الثقافة الصَّحيحة ومكافحة تلوث الهواء.

سادساً: سبقت السُّنَّة النَّبَوِيَّة في مجالات العمل الخيري في خدمة البيئة ما فطنت إليه المنظمات البيئية في وقتنا الحاضر، فعلى سبيل المثال: إنشاء المحميات الطبيعية للحيوانات والنباتات، واحترام الحيوانات والطيور ورعاية مصالحها، وحماية الحياة النباتية الطبيعية، وحماية البيئة المائية من أخطار التلوث ومكافحة تلوث الهواء. كلها أمور تهتم بها المنظمات البيئية الحديثة وقد بينا أنَّ السُّنَّة النَّبَوِيَّة سبقت كلَّ هؤلاء.

❁ من أبرز توصيات البحث ما يلي:

أولاً: ضرورة الاهتمام بنشر ثقافة العمل الخيري في جميع مناحي الحياة، واستثمار طاقات الشباب والرجال والنساء في كل ما من شأنه أن يعود بالنفع على المجتمع الإسلامي الحديث.

ثانياً: العمل على إدخال مفاهيم العمل الخيري ومجالاته وتطبيقاته في جميع المراحل التعليمية بالمدارس والجامعات والمعاهد العربية والإسلامية، وترسيخ ثقافة العمل الخيري في نفوس الدارسين من خلال القرآن الكريم ونصوص السُّنَّة النَّبَوِيَّة.

ثالثاً: ضرورة العمل على تغيير مفهوم العمل الخيري المترسخ في نفوس المسلمين الذي ينحصر في تقديم المساعدات المادية للمحتاجين فقط، فينبغي

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

النَّظَرُ إِلَى الْعَمَلِ الْخَيْرِيِّ عَلَى أَنَّهُ رَافِدٌ أَسَاسِيٌّ مِنْ رَوَافِدِ التَّنْمِيَةِ لِلْمَجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الدُّوَلِ الْمُتَقَدِّمَةِ كَأَمْرِيكَا وَبَرِيْطَانِيَا وَغَيْرِهَا.

رابعاً: ينبغي على الكُتَّابِ وَالْخُطْبَاءِ وَالْإِعْلَامِيِّينَ تَقْدِيمَ النَّمَاذِجِ النَّاجِحَةِ فِي الْأَعْمَالِ الْخَيْرِيَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا؛ لِتَحْفِيزِ الْأَجْيَالِ الْحَالِيَةِ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ وَالسَّيْرِ عَلَى نَهْجِهِمْ؛ لِتَحْقِيقِ الصَّالِحِ الْعَامِ لِلأُمَّةِ.

خامساً: ينبغي العمل على إنشاء مؤسسات مجتمعية ودولية إسلامية تُعنى بتنظيم العمل الخيري البيئي ونشر قواعده وآدابه بين جنات المجتمع.





المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم البيومي غانم: العمل الخيري. مفهومه وموقعه من مقاصد الشريعة، بحث منشور بمجلة حراء العدد (١٤) بتاريخ ٢٢ فبراير ٢٠١٧م.
- ٢- إبراهيم البيومي غانم: نعمة المياه بمعايير المقاصد الشرعية، بحث منشور بمجلة حراء، قضايا فكرية، العدد رقم (٤٧) الصادر في ١٧ نوفمبر، ٢٠١٦ م. <http://hiragate.com>
- ٣- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- ٤- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط. الثانية، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢هـ.
- ٥- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط. الثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٦- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم،

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئـة

الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها، ط. الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٧- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. الأولى، دار الحديث - القاهرة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٨- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوُجُردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط. الثالثة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، سنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٩- جريدة الرياض السعودية العدد (١٤٤٨٣) الصادر يوم الاثنين ١١ صفر ١٤٢٩هـ - ١٨ فبراير ٢٠٠٨م [http://www.alriyadh.com/318830]

١٠- د. أحمد مصطفى متولي: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، ط. الأولى، دار ابن الجوزي - القاهرة سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

١١- د. عبد الكريم بكار: ثقافة العمل الخيري، كيف نرسخها وكيف نعممها؟! ط. الأولى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة سنة ٢٠١١م

١٢- د. عبد المحسن أحمد محمد: رحمة الرسول ﷺ بالمخالفين في أثناء الحرب، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، بكلية التربية جامعة الملك سعود في الفترة ٢٨ - ٢٩ / ٤ / ١٤٣٧هـ - ٧ - ٨ فبراير ٢٠١٦م، المجلد الثامن.

١٣- د. عبد الملك منصور: العمل الخيري تكافل اجتماعي وعطاء إنساني، ص٨، بحث مقدم إلى مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث بدائرة الشؤون الإسلامية

بحوث مؤتمر العمل الخيري

والعمل الخيري بدبي في الفترة ٢٠ - ٢٢ يناير ٢٠٠٨ م

١٤- د. فاتحة فاضل العبدلاوي: العمل الخيري الإسلامي بين التأصيل وإمكانات التفعيل، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث (دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي ٢٠ - ٢٢ يناير ٢٠٠٨ م).

١٥- د. محمد صالح جواد مهدي: العمل الخيري دراسة تأصيلية تاريخية، مجلة سُرَّ من رأى، المجلد الثامن، العدد (٣٠) السنة الثامنة، جامعة سمراء- بغداد سنة ٢٠١٢ م

١٦- د. محمد عبد القادر الفقي: معالم الرحمة بالبيئة ومكوناتها في السُّنَّة النَّبَوِيَّة الشريفة، بحث منشور بالمؤتمر الدولي للرحمة في الإسلام بقسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية جامعة الملك سعود في الفترة ٢٨ - ٢٩ / ٤ / ١٤٣٧ هـ - ٧ - ٨ فبراير ٢٠١٦ م، المجلد الثامن.

١٧- د. يوسف عبدالله: أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، ط. الثانية، دار الشروق، القاهرة سنة ٢٠٠٨ م

١٨- سامح عبد السلام محمد، مقال بعنوان: مفهوم البيئة، منشور على شبكة الألوكة <http://www.alukah.net/culture/0/59342>

١٩- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط. دار الحرمين - القاهرة.

٢٠- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر،

عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة

تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ط. المكتبة العلمية - بيروت،
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٢١- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم،
الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حققه
وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط. الأولى مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٢- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور
الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ): لسان العرب، ط. الثالثة دار صادر -
بيروت - ١٤١٤هـ

٢٢- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، مسند الشاميين، تحقيق:
حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط. الأولى مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ -
١٩٨٤م.

٢٣- د. أسماء محمد توفيق بركات، أثر العمل التطوعي على الإيمان (دراسة
عقدية تأصيلية)، مجلة البحوث والدراسات الشرعية العدد الثاني شوال ١٤٣٣هـ،
جامعة أم القرى.

٢٤- د. أيمن محمود السعيد، أصول الطب الوقائي في الحديث النبوي:، كتاب
الإعجاز في القرآن والسنة، العدد (٥)، ط ١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، جمعية الإعجاز
العلمي للقرآن والسنة: القاهرة.

٢٥- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين
العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ): التيسير بشرح الجامع

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الصغير، ط. الثالثة، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٦- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط. الأولى، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) سنة ١٤٢٢هـ.

٢٧- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التراث العربي. الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.





العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

إعداد:

د/ تهاني سالم باحويرث

ملخص البحث

هدف البحث

بيان مفهوم العمل الخيري وأهميته في الإسلام، وبيان أثره الكبير في إصلاح الفرد والمجتمع، وأن يكون لبنة في ترسيخ ثقافة العمل الخيري في المجتمع.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي التحليلي.

أقسام البحث: اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد تحدث فيه عن مفهوم العمل الخيري، ومرادفاته ومجالاته المادية والمعنوية في القرآن الكريم، ومبحث رئيس تحدث فيه عن مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي وعناية القرآن بهما، وأثر العمل الخيري على الإصلاح التربوي والنفسي للمجتمع، وخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات، وفهرس المراجع والموضوعات.

توصيات البحث: إشراك العملية التعليمية في إدخال مفهوم العمل الخيري في المناهج التعليمية لتكون تطبيقاً تربوياً سلوكياً لما يدرسه الطلاب من آيات وأحاديث وقيم دينية تحث على هذا الأمر، والتشجيع على العمل الخيري في الهيئات والجمعيات الخيرية بتخصيص أعمال مسائية تتناسب مع حاجات الشباب النفسية والاجتماعية، وتفعيل دور العقوبات البديلة وفق أنظمة الشرع، وتفعيل دور الإعلام ليقوم بواجبه في رفع مستوى الوعي لدى أفراد المجتمع بأهمية العمل الخيري والانخراط فيه، وعمل اللقاءات والمؤتمرات السنوية أو الدورية للمؤسسات الخيرية وللمتطوعين ليقدموا فيها خبراتهم.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد كان للإسلام السبق في الاعتناء بالعمل الخيري في شتى المجالات لما فيه من مصالح للعباد، فمثلت مواقف الأنبياء مع أقوامهم وقيامهم بتحمل المسؤولية تجاه دعواتهم النموذج الأمثل للعمل الخيري في القرآن الكريم، حين قاموا بأداء دعوتهم إلى الله على أكمل وجه مع عدم انتظار المقابل من أقوامهم، بل أعلنوا ذلك صراحة في كثير من الآيات، فهذا نوح عليه السلام أوضح لقومه بأنه لا يريد منهم الأجر لقاء دعوته، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وكذلك صرح هود عليه السلام بقوله: ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١]، وكذلك صالح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٥]، كما بين لنا القرآن ذلك في قصة شعيب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٠]، ومثله لوط عليه السلام حين قال: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٤]، وهذا ما صرح به

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

النبي ﷺ بقوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٠) [الأنعام: ٩٠]، كما اتضح اهتمام القرآن الكريم بالعمل الخيري في العديد من قصصه، من ذلك ما حكاه الله عز وجل عن ذي القرنين حين طُلب منه بناء السد للنجاة من شر يأجوج ومأجوج، وحين بادر إلى بناء السد مع الزهد في أخذ الأجرة دون تمنن أو استكثار، فلم يكن له غرض من ذلك سوى فعل الخير للناس من أجل الإصلاح^(١)، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (١٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (١٥) [الكهف: ٩٤ - ٩٥]، ومن ذلك ما أورده القرآن الكريم من كفالة زكريا عليه السلام لمريم بنت عمران واحتضانها وضمها إلى نفقته^(٢)، قال تعالى: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]، كما أخبرنا القرآن الكريم عن مسارعة موسى عليه السلام لإغاثة الفتاتين بالسقاء مبادرة منه دون طلب، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّكَاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣ - ٢٤]، كل ذلك وغيره يدل على عظم شأن العمل الخيري في الإسلام وعظم أثره على الأفراد والمجتمعات، وارتباطه الوثيق بمقاصد الإسلام، كحفظ النفس من كل ما يضرها ويؤذيها، وعمارة الأرض واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، كما أن للعمل الخيري ارتباطاً وثيقاً بحفظ نظام الأمة واستدامة صلاحها، ولا يكون ذلك إلا بصلاح الإنسان،

(١) ينظر: تفسير القاسمي، (٦٨/٧)، وتفسير السعدي، (٤٨٦/١).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية، (٤٢٥/١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٣٦/٣).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

صلاح عقله وقلبه ونفسه^(١)، لأنه لا استقامة لهذه الحياة إلا باستقامة الإنسان في جميع جوانبه وأركانه، وخاصة استقامة جانبه التربوي والنفسي، لكون الأمراض النفسية والسلوكية من أشد ما يضر المجتمعات ويفتك بها، ولتحقيق هذا الهدف لابد من العناية بجميع المناهج التي تؤدي إلى استنهاض الدافعية للإعمار في نفس الإنسان، فضعف الحافزية أكبر عقبة تواجه أي إصلاح للأفراد والمجتمعات، ولاشك أن الاهتمام بالعمل الخيري منهجاً وأسلوباً لرفع دافعية الفرد وإنجازه من أكبر ما يعين على مهمة الإصلاح الكبرى للإنسان، قال علماء الاجتماع: إن المسار الصحيح لأي مجتمع هو مشاركة جميع أفراد في شؤونه وتفاعلهم مع بعضهم البعض.^(٢)

لذا يجب على المختصين في جميع المجالات التعاون من أجل رفع الوعي بأهمية العمل الخيري كأداة لإصلاح الإنسان، فلا يمكن الاعتماد على المؤسسات التربوية أو الدينية للقيام بهذا الدور، بل لابد من المسؤولية المجتمعية بإقامة المؤتمرات وكتابة الدراسات المعينة على تثقيف المجتمع بأهمية العمل الخيري، وبيان آثاره الإصلاحية على الأفراد والجماعات، ومن هنا كانت الغاية من كتابة هذا البحث: بيان أهمية العمل الخيري وأثره الكبير في الإصلاح التربوي والنفسي في المجتمع، وفق المنهج العلمي الإسلامي القويم الذي

يستجيب لحاجات فطرة الإنسان، فكان بعنوان: (العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي)، وجاءت أهدافه موضحة فيما يلي:

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، (٢/١٢٢).

(٢) ينظر: الإسلام والأمن الاجتماعي لمحمد عمارة، (ص ٩٧).

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

- ١- بيان مفهوم العمل الخيري.
- ٢- بيان مفهوم الإصلاح النفسي والتربوي.
- ٣- بيان أهمية العمل الخيري في القرآن الكريم ومجالاته المادية والمعنوية.
- ٤- بيان أثر العمل الخيري على إصلاح المجتمع نفسياً وتربوياً.
- ٥- بيان عناية القرآن الكريم بالنفس الإنسانية؛ لأن الإنسان هو المقصود بالهداية والإصلاح.
- ٦- التأكيد على أن القرآن يحوي حلولاً لجميع مشاكل المجتمع المعاصر.

✽ أما خطة البحث فجاءت على النحو التالي:

- اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحث، وخاتمة.
- مقدمة البحث: واشتملت على موضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهج البحث، وخبطته.
- تمهيد، ويشتمل على المطالب التالية:
- المطلب الأول: مفهوم العمل الخيري.
- المطلب الثاني: مرادفات العمل الخيري في القرآن الكريم.
- المطلب الثالث: المجالات المادية والمعنوية للعمل الخيري في القرآن الكريم.
- مبحث رئيس: أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي والنفسي، ويشتمل على مطلبين:

بحوث مؤتمر العمل الخيري

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي، وعناية القرآن الكريم بهما.

المطلب الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي والنفسي للمجتمع.
خاتمة البحث: وتشتمل على النتائج والتوصيات.
ثم فهرس المراجع وفهرس الموضوعات.

❖ وأما المنهج العلمي للبحث:

فقد اعتمدت منهجا استقرائيا تحليليا لآيات القرآن الكريم التي وردت فيها مرادفات العمل الخيري، وبيان آثارها العلاجية في إصلاح الأمة تربويا ونفسيا، كما اعتنيت في كتابة البحث بالأمور الفنية المتبعة في الرسائل العلمية، ومنها:

- كتابة الآيات بالرسم العثماني، مع بيان اسم السورة ورقم الآية.
- عزوت الأحاديث إلى مظانها من كتب المتون بذكر اسم الكتاب، والجزء، ورقم الصفحة، ورقم الحديث إن وجد، مع الاكتفاء بالصحيحين عند ورود الحديث فيهما أو في أحدهما.
- توثيق نصوص المفسرين والعلماء من المصادر الأصلية.
- وضع علامة التنصيص "" عند نقل نص المؤلف من أحد المصادر مع الإحالة، وترك ذلك عند نقل مفهوم الكلام ومعناه، مع الإشارة إلى المرجع في الحاشية بعبارة (ينظر).
- ذكر المراجع في آخر كل صفحة، مكتفية بالإشارة إلى الكتاب واسم المؤلف مع رقم الصفحة، أما ذكر تفاصيل الطباعة والنشر، فأوردته في فهرس

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

المراجع.

هذا وآمل أن أكون قد أوفيت هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة بما يتناسب مع أهميته، وبالله التوفيق.

تمهيد، وفيه مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العمل الخيري.

المطلب الثاني: مرادفات العمل الخيري في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: المجالات المادية والمعنوية للعمل الخيري في القرآن

الكريم.





المطلب الأول

مفهوم العمل الخيري

مصطلح العمل الخيري مركب وصفي مكون من كلمتين: العمل، والخيري، ولييان مفهوم هذا المصطلح لابد من بيان معنى الكلمتين ابتداءً.

❁ معنى العمل لغة:

(عمل): العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فعل، عمل عملاً^(١)، وأعمله غيره، (استعمله) أي طلب إليه العمل، أو عمل به، (واستعمل فلان غيره) إذا سأله أن يعمل لديه، (وأعمل فلان ذهنه في كذا) إذا تدبره بفهمه، (واعتمل الرجل) أي عمل بنفسه وأعمل رأيه وآلته، (والعامل) هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله وملكه وعمله، ومنه قيل للذي يستخرج الزكاة عامل، قال تعالى: ﴿وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٦٠]، (واستعمل فلان) إذا ولي عملاً من أعمال السلطان، (والاعتمال) افتعال العمل، أي أنهم يقومون بما يحتاج إليه من عمارة وزراعة وحراسة ونحو ذلك.^(٢)

ومن خلال تتبع المعاني اللغوية لكلمة العمل يمكن استنتاج ما يلي:

أولاً: أن العمل لغة يدور حول الفعل، فيشمل كل عمل وفعل للإنسان سواء

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٤/١٤٥).

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (١١/٤٧٤)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، (١/١٠٣٦).

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

كان عقليا أو جسديا.

ثانيا: أن العمل يطلق على المهنة، يدل على ذلك أن أحد معاني العمل: الاستعمال، وهو تولي أحد أعمال السلطان.

ثالثا: أن العمل يطلق على الأعمال الصالحة أو السيئة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُنذِرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٤].

رابعا: أن العمل أخص من الفعل، لأنه كل عمل يكون بإرادة وقصد بخلاف الفعل الذي قد يكون بقصد أو بدون قصد، فالعمل "إيجاد الأثر في الشيء، يقال: فلان يعمل الطين خزفا، ويعمل الخوص زنبیلا، والأديم سقاء، ولا يقال: يفعل ذلك، لأن فعل ذلك الشيء هو إيجاده".^(١)

وقد ورد لفظ (العمل) في القرآن للدلالة على مطلق العمل: ﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَّا يُؤْفِقُهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [هود: ١١١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلْنَا وَلكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [البقرة: ١٣٩]، أو للدلالة على العمل الصالح كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا فَدَّ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٥]، أو للدلالة على العمل السيء في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَرَمُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وقال سبحانه:

(١) الفروق اللغوية لابن عساكر، (١/١٣٤).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطٌ لَهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١].

❁ معنى الخير في اللغة:

(خير): الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، فالخير ضد الشر^(١)، وجمعه خيور، ورجل خير وخير، والجمع أختيار وخيار، قال تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ [التوبة: ٨٨]، واختار الرجل شيئاً إذا انتقاه، قال تعالى: ﴿وَأَخْنَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]،

والاسم: الخيرة بالكسر، (والخيرة) الخيار، (وخار الله لك في الأمر) جعل لك فيه الخير، (وخاره على صاحبه) أي فضله، (والاستخارة) أن تسأل خير الأمرين لك، يتضح من هذا أن الخير هو المعروف وهو الأمر الحسن الذي يؤدي إلى الثواب^(٢).

وقد ورد لفظ الخير في القرآن الكريم بصيغته الإسمية والوصفية، أما بالصيغة الإسمية فيعني المعروف، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]،

وأما بالصيغة الوصفية فيكون بمعنى الأفضلية، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٢/٢٣٢).

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (٤/٢٦٤)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، (١/٣٨٩).

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

❖ مفهوم العمل الخيري:

لم يرد هذا المصطلح في القرآن الكريم لكن دل على مفهومه كثير من المصطلحات والتراكيب، وقد اختلفت تعريفات هذا المصطلح حسب مفاهيم عدة بين المختصين بهذا المجال، لكن غالب التعريفات متفقة على أن العمل الخيري:

- جهد يبذله الفرد لمصلحة مجتمعه دون انتظار مقابل مادي.
 - جهد إرادي يقوم به الأفراد طواعية وبدون أي ضغط أو إجبار.
 - عمل يعكس مدى وعي الأفراد وإدراكهم لدورهم في مجتمعاتهم ومدى انتمائهم له، وبالتالي فهو غير منحصر في طبقة اجتماعية معينة أو زمن معين.
- ويمكن تعريف (العمل الخيري) تربويا واجتماعيا بأنه: أي نفع مادي أو معنوي أو فكري يقدمه الإنسان باختياره لغيره دون انتظار مردود مقابله، بهدف الإسهام في خدمة مجتمعه، أو من أجل الحصول على الثناء، أو الرغبة في الإنجاز، أو الانتماء، أو السلطة، أو الرغبة في تحقيق الذات، واكتساب الخبرات.^(١)
- أما تعريفه شرعا فيمكن القول: إنه العمل الحسن الذي يفعله المسلم من تلقاء نفسه تجاه غيره تلبية لأوامر الله، وابتغاء مرضاته، في أي مجال من مجالات

(١) ينظر: التطوع في الدفاع المدني والحماية المدنية، لمساعد اللحياني، (ص ٥٢).

وينظر: العمل الاجتماعي مع التركيز على العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية، لعبد الله النعيم، (٢٥).

وينظر: دراسة استطلاعية نحو مفهوم العمل التطوعي ومجالاته من وجهة نظرهم، لعبد الحكيم موسى، (ص ٩).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الحياة، مما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع والفائدة.

فعمل الخير والإحسان إلى الغير له حسنات ومنافع وفضائل على النفس، أحدها: فضيلة الجود والسخاء؛ وذلك لأن مراتب السعادة ثلاث: نفسية وبدنية وخارجية، فمتى حصل الإنفاق حصل الكمال النفسي وهذه الحالة أكمل.^(١)

من هنا تجدر الإشارة إلى أن العمل الخيري عمل إنساني لا يقتصر على تقديم الإعانات المالية أو المادية فحسب، بل يشمل كل ما يحتاجه الفرد والمجتمع في مجال الفكر والثقافة، والتربية والتهديب، والصحة والرعاية النفسية والجسدية، بل يتعدى ذلك إلى الاهتمام بالأرض والبيئة التي يعيش فيها الناس، وهذا مما دعا إليه الإسلام، فالدين الحنيف اهتم بالتربية الدينية والخلقية والعقلية والنفسية اهتماما كبيرا؛ لما لها من أثر كبير على الفرد والمجتمع، ولا شك أن أحد الأساليب العلاجية للوصول لهذه الصحة النفسية هو تنمية العلاقات والقيم المجتمعية بين الناس، ولا أدل على ذلك من فعل الخير والتفاني في بذله، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].



(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي بتصرف، (٥٧/٧).



المطلب الثاني

مرادفات العمل الخيري في القرآن الكريم

لم يرد مصطلح (العمل الخيري) في القرآن الكريم كما بينت سابقاً، لكن اقترنت كلمة (العمل) مع كلمة (الخير) في آية واحدة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة: ٧-٨].

وعند البحث عن مرادفات لهذا المصطلح وردت في القرآن الكريم نجد عدة مرادفات لها نفس المعنى، يمكن حصرها في التراكيب التالية:

• (الفعل الخيري):

وردت كلمة (الفعل) مقترنة مع كلمة (الخير) في آية واحدة عدة مرات في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقال: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (١١٥) [آل عمران: ١١٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

بحوث مؤتمر العمل الخيري

[الحج: ٧٧]، "وأما الخير فهو النفع الحسن وما يؤدي إليه" ^(١)، والمراد "صلة الرحم ومكارم الأخلاق" ^(٢).

• (التطوع الخيري):

ورد هذا التركيب مرتين فقط في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَ مِنْ سَعَاءِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة: ١٥٨]،

وقال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة: ١٨٤].

• (الإنفاق الخيري):

لم ترد هذه الصيغة في القرآن الكريم، لكنه ورد بهذا المفهوم في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا نَفَعْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة: ٢٧١]، ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة: ٢٧٢] -

(١) التفسير الكبير للرازي، (٢٣/٢٥٤).

(٢) اللباب لابن عادل، (١٤/١٥٥).

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

[٢٧٣]، وقال سبحانه: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

كما يمكننا إضافة مفهومي (المسابقة إلى الخيرات) و (المسارعة إلى الخيرات) مرادفات لمعنى (العمل الخيري)، وقد ورد هذان التركيبان في أكثر من آية في القرآن الكريم،

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [يؤمنون: ١١٣] يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٤]،

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

كما يمكن إضافة مفهوم (الإيثار) الوارد في القرآن الكريم للدلالة على العمل الخيري، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

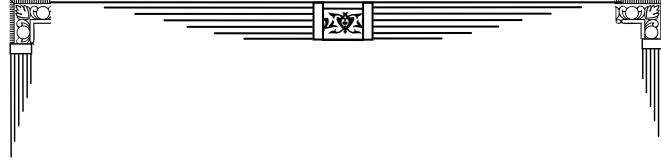
وكذلك يمكن إضافة مصطلح (البر) للدلالة على معنى العمل الخيري، حيث ورد معنى البر في القرآن الكريم في آيات عديدة بأنه جملة من أعمال الخير،

بحوث مؤتمر العمل الخيري

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال سبحانه: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].



العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي



المطلب الثالث

المجالات المادية والمعنوية للعمل الخيري في القرآن الكريم:

للعمل الخيري جذور وأصول في القرآن الكريم تتمثل في كل ما يدعو إلى التراحم، والتواؤ، والتعاون، والتكافل، والتناصر، والتآزر، والمناصرة، والمروءة، والبذل والعطاء، والإنفاق، والمسارة في الخيرات، وغير ذلك من مدلولات، حيث دعت النصوص الشرعية إلى عمل الخير والبذل بالمال أو النفس أو القول، فتنوعت مجالات العمل الخيري في القرآن الكريم حتى شملت كافة مناحي الحياة المادية والمعنوية، كما دعا النبي ﷺ إلى هذه المعاني فتمثلت في صور كثيرة من حياته عليه الصلاة والسلام وحياته أصحابه رضوان الله عليهم، كالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبناء المسجد النبوي، وحفر الخندق، والتعاون الذي حصل من أجل جمع القرآن وكتابة الوحي، وغير ذلك من صور وأحداث.

وعند الحديث عن مجالات العمل الخيري بشكل عام، فإنه لا يمكن حصرها بشكل محدد ومنضبط لاتساع مجال مفهومها، فعمل الخير " إما أن يكون بإيصال المنفعة، أو بدفع المضرة، أما إيصال الخير فإما أن يكون من الخيرات الجسمانية وهو إعطاء المال وإليه الإشارة بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾، وإما أن يكون من الخيرات الروحانية وهو عبارة عن تكميل القوة النظرية بالعلوم، أو تكميل القوة العملية بالأفعال الحسنة، ومجموعهما عبارة عن الأمر بالمعروف، وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾، وأما إزالة الضرر فإليها الإشارة بقوله تعالى:

بحوث مؤتمر العمل الخيري

﴿أَوْ إِصْلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ﴾ فثبت أن مجامع الخيرات المذكورة في هذه الآية^(١)، وهنا أستعرض أهم ما ورد في القرآن الكريم من أعمال خير أرشدنا إليها الإسلام، وحثنا على فعلها وبين فضلها وعظيم ثوابها، سواء أكان ذلك ماديا أو معنويا:

++ ومن المجالات المادية للعمل الخيري في القرآن الكريم:

• إطعام الطعام، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنَاتٍ وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٨) إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا^(٩) [الإنسان: ٨ - ٩].

• بذل المال للفقراء والمحتاجين، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١٠) [البقرة: ٢٥٤]، وقال سبحانه: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(١١) [الذاريات: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَانْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ ءَالِدِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفِقُوا لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(١٢) [الحديد: ٧].

• العناية بالأيتام وكفالتهم، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا أَيْلَنَتِ أَمْوَالِهِمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾^(١٣) [النساء: ٢].

• الاعتناء بابن السبيل، وقد ورد ذلك كثيرا في كتاب الله تعالى، قال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(١٤) [البقرة: ٢١٥].

• الاهتمام بذوي القربى، قال تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ

(١) نقلا عن التفسير الكبير للرازي عند شرحه لقوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، (١١/٢١٨).

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

السَّيْلِ وَلَا بُدْرَ بَدِيرًا ﴿ [الإسراء: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ [الروم: ٣٨].

• تزويج الأيامي، قال تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ [النور: ٣٢].

• إكرام الجار، قال تعالى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

• إكرام الضيف، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: ٩].

• الإحسان إلى الأسرى، قال تعالى: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ [الإنسان: ٨].

• الإحسان إلى ملك اليمين، قال تعالى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

• مساعدة الغارمين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِمُ وَالْمَوْلَىٰ فُلُوهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْعَدْرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

• قضاء حوائج الناس، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كُفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء: ٨٥].

✽ أما المجالات المعنوية لعمل الخير في القرآن الكريم فمنها:

• الاهتمام بالتعليم وبذله للناس، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

• الإصلاح بين الناس، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

• الكلمة الطيبة، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦٣].

• الإحسان إلى الأسرى بالكلام الطيب، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال: ٧٠].

• الإحسان إلى الأيتام، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ [الضحى: ٩].

• بالإضافة إلى العطاء المعنوي والدعم النفسي، الذي يشمل معظم ما ورد من أعمال خير في المجال المادي، كالعناية بالأيتام، وذوي القربى، والاهتمام

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

بالجار، وإكرام الضيف، والإحسان إلى ملك اليمين، والسعي لقضاء حوائج الناس المعنوية، كحسن الإنصات وتقديم المشورة عند الحاجة.

وأعمال الخير في الإسلام بمجالاتها المادية والمعنوية تتبع غالبا من دوافع

عدة منها:

- ابتغاء الثواب من الله عز وجل، ويعد الدافع الأكبر للمسلمين لبذل الخير للآخرين.

- التعاون على البر والتقوى، والذي هو أحد " أركان الهداية الاجتماعية في القرآن، إذ يوجب على الناس أن يعين بعضهم بعضا على كل ما ينفع الناس أفرادا وجماعات في دينهم ودنياهم، وعلى كل عمل من أعمال التقوى، التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم".^(١)

كما يمكننا القول: إن مجالات الإنفاق والعطاء المشاركة إليها في القرآن تشمل المجالات الدعوية، والتعليمية، والاجتماعية كإنشاء مؤسسات التكافل الاجتماعي ودعمها، ومؤسسات النصح والإرشاد الأسري، كما تشمل المجالات الصحية، والإعلامية الهادفة، والمجالات الصناعية التي تسد حاجات المجتمعات، والمجالات الزراعية، والإغاثية، والعلمية التي تنشر الأبحاث التوعوية التي تسهم في رفع مستوى العمل الخيري في الأمة، وغير ذلك من مجالات.

(١) تفسير المراغي، (٤٦/٦).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

مبحث رئيس، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي وعناية القرآن الكريم بهما.

المطلب الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي والنفسي للمجتمع.

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي وعناية القرآن بهما:



العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي



أولاً: مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي

هذا المفهوم مكون من مصطلحات ثلاثة: (الإصلاح)، و(التربية)، و(النفس)، وبيان معانيها يتضح مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي، لذا نقول:

(الإصلاح) لغة: مأخوذ من (الصلح)، والصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد، يقال صلح الشيء يصلح صلاحاً وصلوحاً^(١)، و(الإصلاح) ضد الإفساد، و(المصلحة) واحدة المصالح، و(الاستصلاح) ضد الاستفساد^(٢)، و(أصلح الشيء بعد فساده): أقامه، و(الصلح): تصالح القوم بينهم، و(الصلح): السُّلم.^(٣)

وأما الإصلاح في الاصطلاح:

فقد تعددت المفاهيم التي تصف هذا المصطلح، وتعددت استعمالاته، فمرة يراد به التطوير والتحديث، ومرة يراد به التجديد والتغيير، ومرة يراد به التمدن والتحضّر، وغيرها من الاستعمالات^(٤)، وقد عرف بعض المفسرين (الإصلاح)

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٣/٣٠٣)، ولسان العرب لابن منظور، (٢/٥١٦).

(٢) ينظر: مختار الصحاح ١/١٧٨

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (٢/٥١٧).

(٤) ينظر: تكملة المعاجم العربية، للمؤلف: رينهارت بيتر آن دُوزي، (٦/٤٦١).

ومعجم اللغة العربية للدكتور أحمد مختار، (٢/١٣١٢).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

بأنه: " عبارة عن الإتيان بما ينبغي والاحتراز عما لا ينبغي" ^(١)، وجاء في الجامع لأحكام القرآن أن الإصلاح هو: فعل الصلاح ^(٢)، وجاء في التحرير والتنوير أن معنى الإصلاح هو: جعل الشيء صالحاً. ^(٣)

من هذه التعريفات وغيرها يتبين أن المراد بالإصلاح: استقامة الشيء، والإتيان بالصواب، قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا إِلَيْهِمْ لَئِنَّ اللَّهَ فَاؤْلَتِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦].

❖ ومن التعريفات التي أطلقها علماء الاجتماع على (الإصلاح):

أنه مفهوم يطلق على التغييرات الاجتماعية أو السياسية التي تسعى لإزالة الفساد ^(٤)، وقد خصه بعضهم بالقضايا المعنوية المرتبطة بالنفس والإنسان ^(٥)، كما عرفه البعض بأنه: تعديل في شكل الحكم أو العلاقات الاجتماعية دون المساس بأسسها، وهو ليس سوى تحسين في النظام السياسي الاجتماعي ^(٦)، وقيل هو: مجموعة من الأنشطة تهدف إلى إعادة تنظيم المؤسسات الاجتماعية

(١) روح المعاني للألوسي، (٤/٢٠٣).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (٩/٨٩).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٩/٨٧).

(٤) ينظر: كتاب الفساد والإصلاح للأستاذ عماد صلاح داود، (ص ٣٨).

(٥) ينظر: درة الغواص في أوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري، (١/٢٧١).

(٦) ينظر: الموسوعة السياسية، (ص ٥٥).

العَمَلُ الخَيْرِي فِي الْقُرْآنِ وَأَثَرُهُ فِي الإِصْلَاحِ التَّرْبَوِيِّ وَالنَّفْسِيِّ

لِلوَصُولِ إِلَى مَسْتَوَى أَفْضَلِ مِنَ العَدَالَةِ الاجْتِمَاعِيَةِ.^(١)

وَجُمْلَةٌ هَذِهِ التَّعْرِيفَاتُ يَعْنِي أَنَّ الإِصْلَاحَ هُوَ نِظَامٌ يَسْعَى إِلَى الإِعْتِنَاءِ بِالشَّيْءِ وَتَقْوِيمِ أَعْوَجَاجِهِ، وَالتَّغْيِيرَ لِلأَفْضَلِ عَنِ طَرِيقِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ التَّغْيِيرَاتِ وَالخَطَوَاتِ، الَّتِي تُوَدِّي لِلوَصُولِ إِلَى الهَدَفِ المَنْشُودِ.

أَمَّا مِصْطَلَحُ (التَّرْبِيَةِ) لُغَةً: فَهُوَ مِنْ (رَبَّ)، وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ يَدُلُّ عَلَى أَصُولٍ، فَالأَوَّلُ: إِصْلَاحُ الشَّيْءِ وَالقِيَامُ عَلَيْهِ، وَالرَّبُّ: المِصْلَحُ لِلشَّيْءِ، يُقَالُ: (رَبَّ فلانَ ضَيَعْتَهُ) إِذَا قامَ عَلَى إِصْلَاحِهَا، وَالأَصْلُ الأَخْر: لَزُومُ الشَّيْءِ وَالإِقَامَةُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَناسِبٌ لِلأَصْلِ الأَوَّلِ، وَالأَصْلُ الثَّالِثُ: ضَمُّ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ، وَهُوَ أَيْضًا مَناسِبٌ لِمَا قَبْلَهُ.^(٢)

وَالرَّبُّ: هُوَ اللهُ تَعَالَى، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمالِكُهُ، وَلَا يُقَالُ الرَّبُّ فِي غيرِ اللهِ تَعَالَى إِلا بِالإِضَافَةِ، وَ(الرَّبُّ) يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى المَالِكِ وَالسَّيِّدِ وَالْمُدَبِّرِ وَالْمُرَبِّيِّ وَالقَيِّمِ وَالْمَنْعَمِ^(٣)، وَيَكُونُ الرَّبُّ المِصْلَحُ، يُقَالُ: (رَبَّ الشَّيْءِ) إِذَا أَصْلَحَهُ، وَقِيلَ هُوَ مِنْ (الرَّبِّ) بِمَعْنَى التَّرْبِيَةِ، يُقَالُ: (رَبَّيْتُهَا) أَي نَمَّأْتُهَا وَزادَها وَأَتَمَّمتُها وَأَصْلَحَها^(٤)، وَ(التَّرْبِيَةُ وَالتَّرْبِيْبُ): القِيَامُ عَلَى الشَّيْءِ وَالإِصْلَاحُ وَالْمَعَاهِدَةُ لَهُ.^(٥)

مِمَّا سَبَقَ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ التَّرْبِيَةَ فِي اللُّغَةِ تَدورُ حَوْلَ مَعانٍ ثَلَاثَةٍ: الزِّيادَةُ، وَالرِّعَايَةُ

(١) يَنْظُرُ: مَعْجَمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ المَعاصِرَةِ لِلدُّكْتُورِ أَحْمَدِ مَخْتارِ عَمْرٍ، (٢/١٣١٢).

(٢) يَنْظُرُ: مَعْجَمُ مَقايِسِ اللُّغَةِ لابنِ فِارِسٍ، (٢/٣٨١).

(٣) يَنْظُرُ: لِسَانُ العَرَبِ لابنِ مَنظُورٍ، (١/٣٩٩).

(٤) يَنْظُرُ: لِسَانُ العَرَبِ لابنِ مَنظُورٍ، (١/٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٥).

(٥) يَنْظُرُ: مِشَارِقُ الأَنْوارِ لأبي الفَضْلِ السَّبْتِيِّ، (١/٢٨٠).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

والتنشئة، والإصلاح، قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ لِيَرْبُؤُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضَعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [النبأ: ٣٧]، وهذا نلاحظ ارتباط مصطلح التربية الوثيق بمصطلح الإصلاح.

✻ التربية اصطلاحاً:

تعد كلمة التربية حديثة المعنى بمفهومها الاصطلاحي، حيث كان مصطلح (التأديب) هو المتداول عند العرب، وتختلف الأقوال في بيان مفهوم التربية باختلاف نظرة المتخصصين من علماء الاجتماع والنفس له، وقد اطلعت على كثير من هذه الأقوال واتضح لي أنها لا تخرج عن حدود المعنى اللغوي للكلمة، ويمكن القول إن التربية: عملية بناء وتغيير في سلوك الفرد يُقصد بها تطوير قدراته ومهاراته ليكون قادراً على التعامل مع محيطه.

ويمكن القول إن التربية في مفهومها الإسلامي تعني: " تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العملية، يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام" (١).

إذا تعني التربية في المفهوم الإسلامي أنها: أسلوب نظام متكامل مبني على

(١) أصول التربية الإسلامية للأستاذ سعيد إسماعيل علي، (ص ٢٢).

وينظر: التربية وبناء الأجيال في الإسلام للأستاذ أنور الجندي، (ص ١٥٣).

وينظر: أساليب تدريس التربية الإسلامية للأستاذ يوسف الحمادي، (٢١).

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

تعاليم الدين الإسلامي ومقاصده ومبادئه تهدف إلى تغيير سلوك الأفراد وفق هذه المقاصد والمفاهيم.

خلصنا إلى هذا التعريف من عناية الإسلام بالنفس الإنسانية وتربيتها تربية أخلاقية وعقلية ونفسية، فتعاليم الدين الإسلامي تهدف إلى توفير الكمال النفسي للإنسان، مما ينعكس إيجاباً على الجماعة المسلمة.

أما مصطلح (النفس) لغة: فنقول (نفس) "النون والفاء والسين أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان"،

ومنه (التنفس): خروج النسيم من الجوف " (١)، ونفس الله كربته، و(النفس) بالسكون ذات الشيء وعينه، تقول: جاءني بنفسه، و(النفس) الروح، يقال: خرجت نفسه أي روحه، و(النفس) العين، يقال: أصابته نفس أي عين حاسد، و(النفس) الدم (٢)، و" (التنافس): أن يبرز كل واحد من المتبارزين قوة نفسه" (٣)، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وقال سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ أَلْمُنْفَسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٥/٤٦٠).

(٢) ينظر: الصحاح للجوهري، (٣/٩٨٤).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٥/٤٦١).

وينظر: الفروق اللغوية للعسكري، (ص ١٠٣)، والكلبيات للكفوي، (١/٨٩٧).

✽ والحالة النفسية كما عرفها علماء النفس والسلوك:

هي الحالة العامة للإنسان الناتجة عن مجمل ما انطوت عليه نفسه من ميول ونزعات وانطباعات ومشاعر، أو هي: المشاعر والسلوك والأحاسيس وطريقة التصرف لدى الأفراد والجماعات.^(١)

وعلى هذا فعلم النفس: يُعنى بدراسة وتفسير السلوك الإنساني بالنظر إلى الظواهر العامة للنفس الإنسانية، كالإدراك والقدرات وغير ذلك.

من هنا يمكننا القول إن مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي من منظور إسلامي يعني: تقويم وتطوير وبناء الإنسان عن طريق مجموعة من الخطوات وفق مبادئ وقيم الإسلام، سواء في البنية الاجتماعية أو التعليمية، مما يمكن الإنسان من مواجهة الأزمات التي تطرأ عليه باتزان وحكمة للوصول إلى الاستقرار النفسي والسلوكي.

✽ ثانياً: عناية القرآن بالإصلاح التربوي والنفسي:

اعتنى القرآن الكريم عناية تامة بموضوع الإصلاح في كافة مناحي الحياة، فوردت كلمة (صلح) ومشتقاتها مئة وثمانين مرة في القرآن الكريم، فجاءت تارة صفة للعمل، قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطَكُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٤٦) [هود: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا﴾^(٨٨) [الكهف: ٨٨]، وسمى الله الساعين إلى إصلاح الناس (مصلحين)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْكُتُبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^(١٧٠) [الأعراف: ١٧٠]، وغيرها من

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار، (٣/٢٢٥٦).

العَمَلُ الخَيْرِي فِي الْقُرْآنِ وَأَثَرُهُ فِي الإِصْلَاحِ التَّرْبَوِيِّ وَالنَّفْسِيِّ

الاستعمالات، فكان الغرض الأكبر للقرآن الكريم هو إصلاح الإنسانية كلها، إصلاح أفكارها ومعتقداتها وسلوكياتها وتهذيب أخلاقها وتركيتها، وهو منهج الرسل عليهم السلام، قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨]، وقد قرن القرآن الكريم بين الإصلاح والإيمان وبينه وبين التقوى للدلالة على أهميته وارتباطه الوثيق باعتقاد الإنسان وسلامة فكره، قال تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿يَبْنَئِ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنْ آتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]، كما شدد القرآن على بيان أهمية الإصلاح فيبين آثاره وثماره، وأوضح أنه سبب لدفع الهلاك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، كما أنه سبب لتحقيق الأمن، قال تعالى: ﴿فَمَنْ آتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]، وهو سبب لاستجلاب المغفرة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، والإصلاح سبب لاستحقاق هذه الأمة وصف الخيرية وحصولها على الفوز والفلاح، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

و على اعتبار أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أدوات الإصلاح وأهمها في المجتمعات، فالإصلاح في القرآن شامل للأفراد والجماعات، وهو خاصة من خصائص المجتمع المؤمن، بل هو أمر فطري تمارسه النفس السوية

بحوث مؤتمر العمل الخيري

في كل شأن من شؤونها. وخطة الإصلاح في الإسلام مبنية على صلاح النفس الإنسانية، فصلاحها يكون صلاح كل شيء، وبفسادها يكون فساد كل شيء، قال ﷺ: « ألا إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب »^(١)، وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو الفرد إلى إصلاح نفسه أولاً، ثم إصلاح مجتمعه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩]، ولا شك أن جوهر الإصلاح يكمن في الصلاح التربوي، وأساسه صلاح النفس؛ لذا اشتمل القرآن على منهج متكامل لإصلاح وتربية النفس الإنسانية، وتهذيبها، ووقايتها من كل انحراف نفسي أو شذوذ سلوكي، مع بيان العلاج عند ظهور الخلل، حيث جاءت الآيات مشددة على أهمية تزكية النفس وترقيتها والسمو بها في كثير من المواضع، فأولى القرآن الكريم النفس الإنسانية عناية تامة، وبيّن حقيقتها وطبيعتها، وخطورتها وأنها قد تكون سببا لفوز الفرد أو خسارته، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [فألمها مجورها وتقونها] ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ﴿٩﴾ وَقَدَّخَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس: ٧ - ١٠]، وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤]، ثم اعتنى القرآن الكريم بتربية هذه النفس في جميع أطوارها منذ لحظة تكونها وحتى نهاية حياتها، فجاءت التربية القرآنية متوافقة مع طبيعة الإنسان وجميع مراحل العمرية، فاشتملت التربية على مرحلة الرعاية والتنشئة، ثم التعليم والتزكية؛ حتى يصلح بعد ذلك الفرد لتحقيق الخلافة في الأرض على أكمل وجه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢)، (٢٠/١). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم (١٠٧)، (٣/١٢١٩).

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [البقرة: ٣٠]، فمراد الله عز وجل من خلق الأرض وجعل الناس خلفاء فيها هو إصلاحها، ولن تتحقق هذه الخلافة إلا بترقية النفس الإنسانية وسموها في مراقبي المعاني الإنسانية من علم وفضيلة وتراحم وتكافل، لذا كان من مقاصد إرسال الرسل معاهدة النفس بالتركية والتطهير، فأصلاح النفس وتربيتها الركيزة الأولى لنشر الخير والاستقامة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال سبحانه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ففي هذه الآية "يُذَكِّرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعَثَةِ الرَّسُولِ ﷺ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ الْمُبِينَاتِ وَيُزَكِّيهِمْ: أَي يَطْهَرُهُمْ مِنْ رَّذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَدَنَسِ النَّفُوسِ وَأَفْعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ" (١)، وذلك بتربيتها على الأخلاق الجميلة فيزكيهم من الشرك إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الكذب إلى الصدق ومن الخيانة إلى الأمانة، وغير ذلك من أنواع التزكية. (٢)

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (١/٤٦٤).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (١/٧٤).



المطلب الثاني

أثر العمل الخيري

في الإصلاح التربوي والنفسي للمجتمع:

اتفق علماء الاجتماع وعلماء التربية وعلماء النفس على أن للخدمات المجتمعية التي يقدمها الفرد طوعا من تلقاء نفسه دون مقابل دور كبير في مواجهة الانحراف السلوكي والنفسي، وقد يكون هذا الدور وقائيا قبل حدوث الخلل، وقد يكون علاجيا عند وقوع الانحراف، حيث يؤدي العمل الخيري إلى تنمية قدرة المجتمع على حل مشكلاته التربوية والنفسية، من خلال الجهود الذاتية التي يمارسها المتطوعون.

وقد سبق القرآن الكريم إلى تأكيد ذلك حين دعا بين ثناياه إلى التكافل والتراحم، والحث على بذل العلم، ونشر الوعي، والصدقة، والنفقة على الأقارب والجيران والمحتاجين، وصللة الرحم، والسعي على الأرملة والمسكين، وحين أوضح أن لأعمال الخير دورها الفعال في ترابط الأمم، وبناء المجتمعات، وبث الأمن والطمأنينة بين أفرادها، مما يعود عليهم بالاستقرار النفسي والاجتماعي، والذي يظهر جليا في سلوكياتهم وأخلاقهم وتعاملاتهم، فالزكاة وهي أحد أركان الإسلام وظيفتها تطهير النفس من الشح والكبر، كما فيها إرشاد للقيام بالمسؤولية تجاه الآخرين، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٦﴾ [التوبة: ١٠٣]، وبين سبحانه أن أحد أعمال تزكية النفوس وتطهيرها وأحد أسباب النجاة من النار دفع الصدقات للفقراء

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

والمحتاجين، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾﴾ [الليل: ١٧ - ١٨]، وقال تعالى لنيبه عليه الصلاة والسلام أمرا له بالأخذ بمكارم الأخلاق، ومنها العطاء بدون استكثار سواء كان ذلك عبادة لله أو بذل علم ومال لخلق الله، والابتعاد عن أخلاق أهل الجاهلية: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُدْتِرُّ ﴿١﴾ فُرْقَانًا ذَرًّا ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦﴾﴾ [المدثر: ١ - ٦] ^(١)، من هذا وغيره يظهر الأثر الإيجابي للعمل الخيري على السلوك الإنساني والاستقرار النفسي للفرد، والدور الكبير في التخفيف من المشكلات التربوية والنفسية للمجتمعات، والتي أرجع الباحثون ظهورها إلى أسباب منها: ضعف الصلة بالله، وعدم إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية والمادية لدى الفرد، ويتجلى البعد النفسي والتربوي للعمل الخيري في أمور، منها:

- تنمية مبدأ الاعتزاز بالدين الإسلامي ومبادئه وقيمه، وإشباع الجانب الروحي والديني لدى الفرد، وذلك عند ممارسة العمل الخيري بدافع التعبد لله تعالى، والالتزام بتعاليم الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، فالعمل الخيري صورة إيمانية تترجم مشاعر المؤمن، كما يعد تجسيدا صحيحا لروح الإيمان، وتحقيقا لمعنى الخلافة في الأرض، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، وعمارة الأرض تكون بكل ما فيه نفع الفرد والمجتمع، فتأخذ أشكالا عدة: منها بذل المنافع للناس في شتى الصور وجميع المجالات.

- في كثير من الأحيان يعالج الانخراط في الأعمال التطوعية سلوك الرياء، فهو يدفع إلى تحقق الإخلاص حين لا يطلب المتطوع أجرا ماديا ولا معنويا من

(١) ينظر: الباب في علوم الكتاب لابن عادل، (٥٠١/١٩)، ومحاسن التأويل للقاسمي، (٣٥٢/٩).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الناس مقابل خدماته وجهوده ووقته، وحين يعلم بأن جهوده لا تنفعه في الآخرة إلا عند إخلاص النية لله تعالى وابتغاء الثواب منه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ^(١)، "فهذا إخبار عن نفقات المؤمنين الصادرة عن إيمانهم أنها لا تكون إلا لوجه الله تعالى، لأن إيمانهم يمنعهم عن المقاصد الردية ويوجب لهم الإخلاص" ^(٢)، وقال سبحانه: ﴿فَكَاتِبَاتٌ ذَاتُ الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَالْأَسْبَابِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨]، أي: "يريدون ذاته بمعرفتهم، لا رياء ولا سمعة ولا مكافأة يد" ^(٣)، وهنا إشارة إلى أن الاعتبار بالقصد لا بنفس الفعل ^(٤)، والمقصود من الآية: "إبطال عادة أهل الجاهلية إذ كانوا يؤثرون البعيد على القريب في الإهداء والإيصال جبا للمدحة، ويؤثرون بعطاياهم السادة وأهل السمعة تقربا إليهم، فأمر المسلمون أن يتجنبوا ذلك" ^(٥).

- للعمل الخيري إسهام كبير في التقليل من آفات العصر النفسية كالاكتئاب والقلق والتوتر والشعور باليأس والإحباط وغير ذلك؛ لأن فيه تلبية للمطالب الفطرية للنفس الإنسانية، فالعمل الخيري من صدقة وفعل معروف له تأثير عجيب في شرح الصدور ^(٦)، فيؤدي إلى شعور الفرد بالإنجاز، وتذوق طعم

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية، (٣٦٨/١)، والتفسير الكبير للرازي، (٦٦/٧)، والبحر المحيط

لأبي حيان، (٦٩٥/٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور، (٧٢/٣).

(٢) تفسير السعدي، (١١٦/١).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي، (١٦/٨).

(٤) التفسير الكبير للرازي، (١٠٣/٢٥).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٠٤/٢١).

(٦) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي، (٢١٩/٢).

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

النجاح، والقدرة على المساهمة في تغيير حياة الآخرين بما يعود عليهم بالنفع، مما يؤدي إلى زيادة الثقة في النفس، وتقدير الذات، والشعور بالانتماء، وبالتالي الشعور بالرضا والسعادة، فالمسلم يعي أن أحد أسباب سعادته في الدنيا والآخرة هو قيامه بأعمال البر في شتى المجالات، قال تعالى: ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ مَحْدُودٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠]، أي لن تعدموا جزاءه وثوابه، وكفى بهذا الوعد من الله للمرء ليشعر بمتتهى الرضا وتمام السعادة^(١)، كما أن إنجازات المرء في العمل التطوعي قد تؤدي به إلى حصول الثناء والمدح في الدنيا وهذا مما يسهم في استقرار صحته النفسية، قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، فالمراد بالخير حصول الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة^(٢).

- يساعد العمل الخيري على ضبط انفعالات الإنسان، من خلال بذله المنافع دون مقابل، ومن خلال المواقف التي يتعرض لها أثناء قيامه بالأعمال الخيرية المختلفة، كما يساعد على توجيه العواطف والمشاعر لأعمال الخير والبناء، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكِبَاطِمْ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ففي الآية أوصاف للمتقين المحسنين منها: أنهم لا يتركون الإنفاق سواء سرهم بأن كان على وفق طبعهم، أو ساءهم بأن كان على خلاف طبعهم^(٣)،

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي، (٤/٥)، والبحر المحيط لأبي حيان، (١/٥٦٠).

(٢) التفسير الكبير للرازي، (٧/٨٧).

وينظر: البحر المحيط لأبي حيان، (٢/٧١٩).

(٣) التفسير الكبير للرازي، (٩/٣٦٦).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وسواء كان " حال الرخاء واليسر أو في حال الضيقة والعسر" ^(١)، " وإنما افْتُحَ بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس، فمخالفتها فيه منقبة شامخة" ^(٢)، يؤكد ذلك اقترانه بصفة كظم الغيظ في الآية، والتي تعني إمساكه وكتمه مما يستلزم في الإنسان عزيمة راسخة في نفسه، وقهرا لإرادة شهوته ^(٣)، كما دلت الآية على عمل صالح ثالث وهو العفو عن ظلم الناس وإساءتهم، وهذه " صفات ثناء وتنويه، وهي ليست جماع التقوى، ولكن اجتماعها في محلها مؤذن بأن ذلك المحل الموصوف بها قد استكمل ما به التقوى، وتلك هي مقاومة الشح المطاع، والهوى المتبع" ^(٤)، قال الرازي في تفسيره شارحا معنى الآية: " واعلم أن الإحسان إلى الغير إما أن يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضر عنه، فهو المراد بقوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾، ويدخل فيه إنفاق العلم، وذلك بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين، ويدخل فيه إنفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات، وأما دفع الضرر عن الغير فهو إما في الدنيا وهو أن لا يشتغل بمقابلة تلك الإساءة أخرى، وهو المراد بكظم الغيظ، وإما في الآخرة وهو أن يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات في الآخرة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة على جميع جهات الإحسان إلى الغير" ^(٥).

- للعمل الخيري دور في معالجة كثير من الصفات المكروهة في النفس الإنسانية كالكبر والبخل، فهو يعزز صفة التواضع عند الفرد ويكسر حاجز

(١) محاسن التأويل للقاسمي، (٢/٤١٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٤/٩١).

(٤) المرجع السابق، (٤/٩٠).

(٥) التفسير الكبير للرازي، (٩/٣٦٧).

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

الغرور، ويحدّ من نزعة الفردية والأنانية، كما يعالج الشح البشري ويطهّر النفس من اللهفة على المال، ويؤدي بها إلى البذل والإيثار بدون مقابل، كما يمنعها من الاستغراق في طلب الدنيا^(١)، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [المجادلة: ١٢]، أي: أظهر " لأنفسكم من رذيلة البخل والشح، ومن حب المال وإيثاره الذي قد يكون شعار المنافقين " ^(٢)، وقال تعالى: ﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفُسُكُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦]، " فحصر المفلحين فيمن يوق شح نفسه، والشحيح الذي لا يحب فعل الخير، والذي يضر نفسه ويكره النعمة على غيره " ^(٣).

- يقي العمل الخيري من الانحراف السلوكي والأخلاقي والعنف الاجتماعي الذي قد يسببه العوز والفقير في بعض الأحيان، فعند سد حاجة الناس المادية وتحقيق كرامتهم الإنسانية يعود المجتمع إلى اتزانه واستقراره التربوي والنفسي.

- ينمي العمل الخيري حس الانتماء الوطني لدى أفراد المجتمع عند شعورهم بالتراحم والتآلف والترابط، فهو وسيلة لترجمة شعارات الولاء والانتماء بشكل عملي ملموس، فتصبح المواطنة فعالة عند محاربة الإقصاء؛ لأن العمل الخيري يمثل عنصرا رئيسيا في الانخراط المدني الواسع.

- يرفع العمل الخيري من مستوى الدافعية للعمل والإنجاز لدى الأفراد،

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي، (٧٧/١٦).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي، (١٧٤/٩).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (٣٣٥/١٨).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ودفع عجلة التنمية في المجتمع، ومواجهة السلبية واللامبالاة؛ بسبب رفع مستوى الإحساس بالمسؤولية لدى الفرد، ووعيه واحترامه لحقوق الآخرين، مما يحدّ من العزلة وما يترتب عليها من أضرار نفسية وأخلاقية على المجتمع،

- للعمل الخيري دور فاعل في بث الطمأنينة وتحقيق الأمن في المجتمع من خلال ترابط أفراد ومساعدة بعضهم البعض، وهذا يؤدي إلى الاكتفاء الذاتي والتماسك الاجتماعي والأمن الفكري، من خلال اتفاق أفراد المجتمع حول أهداف مجتمعية إيجابية موحدة، الأمر الذي يقوي المجتمعات من التطرف والإرهاب.

فقد أمر الله جل وعلا في أكثر من موضع في القرآن بالإحسان إلى الناس، وجعله سبحانه من كمال البر^(١)، وفي ذلك إشارة إلى دعوة المسلم بالاهتمام بدوره تجاه غيره وتحمل مسؤوليته نحو مجتمعه، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَحَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧]، فجعل الله الإحسان إلى الناس من صفات المؤمنين الصادقين في إيمانهم والمشملة أخلاقهم على كل خصال الخير^(٢)، وهذه الصفات " من أهم مقاصد الشريعة وفيها جماع صلاح النفس والجماعة"^(٣).

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية، (١/٢٤٣).

(٢) ينظر: تفسير السعدي، (١/٨٢).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢/١٢٨).

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

- يخفف الانخراط في الأعمال الخيرية من السلوك العدائي لدى المتطوع تجاه الآخرين، والنظرة التشاؤمية تجاه الكون والحياة، وينمي حس التفاؤل والأمل، وبالتالي الرغبة في البناء والإعمار الذي هو أحد مقاصد الخلافة في الأرض.

- في العمل الخيري استثمار للطاقات، وتنمية للمهارات، وبناء للقدرات، واستغلال الأوقات بكل ما هو نافع، كما أنه يؤدي إلى اكتساب علوم ومعارف جديدة.

- العمل الخيري وسيلة تربوية عملية ينبغي على المؤسسات التربوية والإصلاحية تفعيلها والاستفادة منها، وهذا ما دعت إليه بعض المؤتمرات والدراسات من جعل العمل الخيري أحد الوسائل الممنهجة لتصحيح الانحراف في السلوك الإنساني والنفس الإنسانية من خلال ما أطلق عليه باسم: (العقوبات البديلة)، حيث تحل الأعمال الخيرية التطوعية محل بعض العقوبات التعزيرية وفق شروط معينة لأثرها الإيجابي في إصلاح حال المعاقب.

من هذا وغيره يتضح قوة تأثير العمل الخيري على الأفراد من خلال ما يولده فيهم من قيم نفسية وتربوية كالثقة في النفس، والتفاعل المجتمعي، وتنمية المهارات، واستثمار الأوقات، والشعور بالانتماء، والمسؤولية الاجتماعية، مما يدعم التماسك الأخلاقي والتربوي للمجتمعات، ويؤدي إلى إصلاحها، فإن من أعظم علاج الأمراض بأنواعها "فعل الخير والإحسان والذكر والدعاء والتضرع والابتهاج إلى الله والتوبة، ولهذه الأمور تأثير في دفع العلل وحصول الشفاء أعظم من الأدوية الطبيعية".^(١)

(١) ينظر: الطب النبوي لابن القيم، (١/١٠٧).



خاتمة البحث

بعد هذه الدراسة لموضوع: (العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي) تبين لي:

- أن مصطلح (العمل الخيري) لم يرد في القرآن الكريم، لكن دلّ على معناه كثير من التراكيب المرادفة.
- اتساع مجالات العمل الخيري في القرآن الكريم، المادية منها والمعنوية.
- عناية القرآن الكريم بالإصلاح التربوي والنفسي للإنسان.
- الأثر الإيجابي الكبير للعمل الخيري في إصلاح الجانب التربوي والنفسي للإنسان، وبالتالي إصلاح ذلك في المجتمع.

لذا أوصي بما يلي:

- إشراك العملية التعليمية في إدخال مفهوم العمل الخيري في المناهج التعليمية، لما له من أثر إيجابي على الطلاب باستغلال أوقاتهم، واستثمار طاقاتهم، وزيادة مستوى الوعي لديهم، وتهذيب سلوكياتهم، ورفع معنوياتهم.
- التشجيع على العمل الخيري في الهيئات والجمعيات الخيرية على اختلاف مجالاتها.
- تفعيل دور العقوبات البديلة، والذي نادى به بعض الدراسات

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

- والمؤتمرات كحلّ بديل للسجون لبعض المخالفات، وفق أنظمة الشرع، بما يعود على المخالف ومجتمعه بالنفع الكبير.
- تفعيل دور الإعلام ليقوم بواجبه في رفع مستوى الوعي لدى أفراد المجتمع بأهمية العمل الخيري والانخراط فيه.
- عمل اللقاءات والمؤتمرات السنوية أو الدورية للمؤسسات الخيرية وللمتطوعين يقدمون فيها خبراتهم، وطموحاتهم.
- وبعد، فهذا ما يسر الله كتابته من جهد متواضع، سائلة المولى أن يسهم في إثراء فعاليات المؤتمر، وأن يكون لبنة في ترسيخ ثقافة العمل الخيري في المجتمع، والحمد لله رب العالمين.





فهرس المراجع

- أساليب تدريس التربية الإسلامية: يوسف الحمادي، دار المريخ، الرياض، ط ١٩٨٧ م.
- الإسلام والأمن الاجتماعي: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- أصول التربية الإسلامية: سعيد إسماعيل علي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١٩٨٧ م.
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥ هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- التربية وبناء الأجيال في الإسلام: أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١٩٧٥ م.
- التطوع في الدفاع المدني والحماية المدنية: مساعد منشط اللحياني، الناشر: مطابع الحميضي، الرياض.
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى:

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دوزي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

دراسة استطلاعية لاتجاهات بعض أفراد المجتمع نحو مفهوم العمل التطوعي ومجالاته من وجهة نظرهم: عبد الحكيم موسى، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة.

درة الغواص في أوهام الخواص: القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (المتوفى: ٥١٦هـ)، المحقق: عرفات مطرجي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨هـ.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

الطب النبوي: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الهلال، بيروت.

العمل الاجتماعي مع التركيز على العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية: عبد الله النعيم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

القاموس المحيط: أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

كتاب الفساد والإصلاح: عماد صلاح داود، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط ١٠٠٣ م.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني

العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي

الكفوي، أبو البقاء (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن عادل النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ.

مختار الصحاح: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

مشارك الأنوار على صحاح الآثار: عياض بن موسى السبتي، أبو الفضل (المتوفى:

بحوث مؤتمر العمل الخيري

٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ.

مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

الموسوعة السياسية: من منشورات الدار العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١٩٧٤ م.



المهارات الناعمة
وأثرها في العمل الخيري
من خلال القصص القرآني
دراسة موضوعية تأصيلية

إعداد:

د. حاتم محمد منصور مزروعة

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

ملخص البحث باللغة العربية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه؛
وبعد:

فهذا بحثٌ بعنوان "المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال القصص القرآني - دراسة موضوعية تأصيلية"، يقدم فيه الباحث عرضاً للمهارات الناعمة؛ المستخرجة من آيات القصص القرآني المتعلقة بالأعمال الخيرية؛ ويتكوّن البحث من: تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

ويهدفُ الباحث في بحثه إلى: استخراج "المهارات الناعمة" في العمل الخيري؛ من خلال القصص القرآني، وتقريب هدايات القرآن الكريم وعلومه؛ لمصطلحات العلوم والتخصصات الأخرى، وسيتبع الباحث في هذا البحث المنهج التأصيلي التحليلي.

ويشتمل التمهيد على: تأصيل لمفهوم "المهارات الناعمة" و"العمل الخيري"، كما يتناول البحث في مباحثه الأربعة: الحديث عن المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال قصة كفالة سيدنا زكريا للسيدة مريم، وقصة إقامة الخضر لجدار اليتيميين، وقصة بناء ذي القرنين للسّد، وقصة سقي سيدنا موسى للفتاتين.

وتظهرُ ثمرة هذا البحث في نتائجه التي كان من أبرزها: أنَّ المهارات النَّاعمة وآثارها المتعددة في العمل الخيري تُمثل رافدًا كبيرًا للإصلاح المجتمعي، وسببًا مباشرًا لحلَّ كثير من المشاكل الاجتماعية المعقَّدة، ومنها: أنَّ حلَّ المشاكل الاجتماعية؛ المترتب على الأعمال الخيرية؛ ليس أثره مقصورًا على المحتاجين والمستفيدين، بل؛ يشمل القائمين على العمل الخيري، والعاملين في تقديم خدماته، ومنها: أنَّ الحاجة إلى معرفة وتعلُّم "المهارات النَّاعمة" أعمُّ من أن تكون محصورة في دراسة "علم الاجتماع" أو علم "إدارة الأعمال"؛ لأنها مهارات للنجاح في الحياة ككلُّ.

وفيما يلي التفصيل والبيان، والله المستعان، وعليه التُّكلان، ومنه الهداية والتوفيق، ولا حول ولا قوة إلا به.



المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني



الحمد لله، أحمدُهُ حمدَ مَنْ لا رَبَّ له سِوَاهُ، وأشكره على جزيل فضله وعطاياه، وأشهد أن الحلال ما أحلَّه، وأن الحرام ما حرَّمه، وأنَّ الدِّينَ ما شرَّعه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً^(١) - ﷺ - عبده ورسوله.

وبعد؛ فإنَّ الله تعالى قد أنزل كتابه ليهدي المؤمنين لأقوم سبيل؛ قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩] ، وليكون واقعا عمليا مُتَّبَعًا في الحياة؛ قال تعالى ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

وقصَّ الله تعالى القصص في القرآن الكريم؛ لتكون تفصيلاً، وهدايةً، وبياناً، ورحمةً للمؤمنين في معاشهم ومعادهم؛ قال تعالى ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

(١) أردتُ كتابة الآيات بالرسم العثماني؛ وكذا وضع الرموز المزخرفة بعد لفظ الجلالة، والصلاة على النبي، والترضي عن الصحابة؛ ولكن منعي من ذلك أنها لن تكون مقروءة عند سعادتكُم، وستظهر في شكل رموز غير مفهومة إذا كان برنامج القراءة مختلف.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وكان من هذه القصص ما يتعلّق بالأعمال الخيرية، التي تظهر آثارها في صلاح المجتمع واستقراره وتكافله وازدهاره؛ لذا قصّدتُ في هذا البحث أن أُسلطَ الضوء على أبرز المهارات الناعمة المستخرجة من آيات القصص القرآني؛ المُتعلّقة بالأعمال الخيرية، وذلك لتحصيل العِلْم بالسّمات والقُدرات؛ التي تكون سبباً في تحقيق النجاح، والتميز في إدارة مؤسسات العمل الخيري - خصوصاً-، وتحقيق النجاح والتميز في الحياة بشكل عام، وفق المنهج الربّاني المتمثّل في آيات القرآن الكريم.

❖ موضوع البحث:

"المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال القصص القرآني- دراسة موضوعية تأصيلية".

❖ مشكلة البحث:

المشكلة التي يُحاول هذا البحث أن يُسلطَ الضوء عليها هي: محاولة استخراج واستنباط أبرز المهارات الناعمة؛ المُتعلّقة بالأعمال الخيرية في القصص القرآني.

❖ أسئلة البحث:

يقوم هذا البحث على عدّة أسئلة رئيسة؛ تتمثّل فيما يلي:

أولاً: ما هي أبرز المهارات الناعمة المستفادة من العمل الخيري الوارد في القصص القرآني؟

ثانياً: ما هو أثر تحقيق وتطبيق هذه المهارات في واقع مؤسسات العمل الخيري؟

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

ثالثاً: ما هو أثر هذه المهارات في تحقيق الإصلاح المجتمعي؟

❖ حدود البحث:

حُدود هذا البحث هي: آيات القصص القرآني المتعلقة بالأعمال الخيرية.

❖ أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق عدد من المقاصد؛ من أبرزها ما يلي:

أولاً: التّأصيل لمصطلح "المهارات الناعمة" في العمل الخيري؛ من خلال القصص القرآني.

ثانياً: استخراج وعرض "المهارات الناعمة" في العمل الخيري؛ من خلال القصص القرآني.

ثالثاً: تقريب هدايات القرآن الكريم وعلومه؛ لمصطلحات العلوم والتخصصات الأخرى.

❖ أهمية البحث:

أولاً: التأكيد على شمول هدايات القرآن الكريم؛ لكل جوانب الحياة في المجتمع المسلم.

ثانياً: بيان الحاجة إلى التحقق من وجود المهارات الناعمة في القائمين على العمل الخيري.

ثالثاً: التجديد في عرض هدايات القرآن الكريم.

❖ الدراسات السابقة:

لا توجد أي دراسة سابقة -حسب اطلاعي- تناولت البحث عن المهارات

بحوث مؤتمر العمل الخيري

النَّاعمة، الاستفادة من العمل الخيري، الوارد في القصص القرآني.

❖ منهج البحث:

منهج هذا البحث -بمشيئة الله- هو المنهج الموضوعي التأصيلي التحليلي.

❖ خطة البحث:

يتكوّن البحث من: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة؛ وتفصيل ذلك فيما يلي.

المقدمة؛ وتشتمل على ما يلي:

موضوع البحث، مشكلة البحث، أسئلة البحث، حدود البحث، أهداف البحث، أهمية البحث، منهج البحث، خطة البحث.

التمهيد؛ ويشتمل على تعريف المصطلحات التي تحتاج إلى بيان؛ مما ورد في مفردات عنوان البحث؛ وتتمثل فيما يلي:

أولاً: بيان وتأصيل لمفهوم "المهارات النَّاعمة".

ثانياً: تعريف "العمل الخيري"، والتأصيل الشرعي له.

ثالثاً: تعريف "القصص القرآني".

رابعاً: بيان مفهوم "الدّراسة الموضوعية" و"الدّراسة التأصيلية".

❖ المبحث الأول: المهارات النَّاعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال قصة

كفالة سيدنا زكريا للسيدة مريم.

ويشتمل على مطلبين:

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

المطلب الأول: المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها.

المطلب الثاني: المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال هذه

القصة.

✽ المبحث الثاني: المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال قصة

إقامة الخضر لجدار اليتيمين.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها.

المطلب الثاني: المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال هذه

القصة.

✽ المبحث الثالث: المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال قصة

بناء ذي القرنين للسد.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها.

المطلب الثاني: المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال هذه

القصة.

✽ المبحث الرابع: المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال قصة سقي

سيدنا موسى لفتاتين.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

المطلب الثاني: المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال هذه القصة.

الخاتمة؛ وتشتمل على ما يلي:

أولاً: أهم نتائج البحث.

ثانياً: أبرز التوصيات (المقترحات).

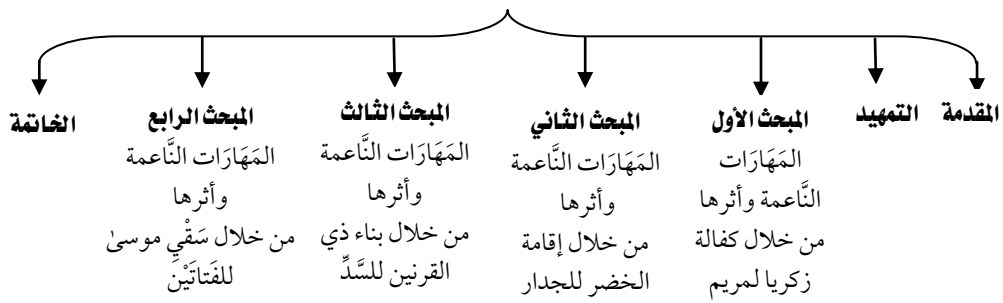
والله أسأل أن ينفَع بهذا البحث عموم المسلمين؛
إليك؛ وإلا لا تشد الرِّكائبُ ومنك؛ وإلا فالموئل خائبُ

اللهم اجعل عملي كله صالحاً...

واجعله لوجهك خالصاً...

ولا تجعل فيه لأحدٍ غيرك شيئاً...

الخريطة الذهنية لخطة البحث



المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني



يَعْرِضُ الباحث في هذا التمهيد بياناً للمصطلحات الواردة في عنوان البحث،
ويُبيِّن المعنى العام لعنوان البحث؛ وفيما يلي تفصيل ذلك -بحول الله وقوته-:

أولاً: بيان وتأصيل لمفهوم "المهارات الناعمة":

أ - تعريف المهارات الناعمة في اللغة:

"المهارات" جمع "مهارة"، وعند البحث في كُتُب اللُّغة عن كلمة
"المهارة"؛ نجد أنها تعني: الحَذْقُ فِي الشَّيْءِ، وَالْمَاهِرُ: الْحَادِقُ بِكُلِّ عَمَلٍ،
وَالْمَاهِرُ: السَّابِحُ، وَيُقَالُ: مَهَرْتُ بِهِذَا الْأَمْرَ أَمَهَرُ بِهِ مَهَارَةً؛ أَي: صرْتُ بِهِ حَادِقًا.^(١)
أما فيما يتعلَّق بكلمة "الناعمة"؛ نجد كُتُب اللُّغة تخبرنا أن نَعَمَ الشَّيْءُ نُعُومَةً:
أَي صَارَ لَيِّنًا، وَالنَّاعِمَةُ وَالْمَنَاعِمَةُ وَالْمَنَعَمَةُ: الْحَسَنَةُ الْعَيْشِ الْمُتَرَفَّةِ، وَثَوْبٌ نَاعِمٌ:
أَي لَيِّنٌ.^(٢)

(١) يُنظَر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، باب الرءاء- فصل الميم، ٥ / ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) يُنظَر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، باب الميم- فصل النون، ١٢ / ٥٧٩ - ٥٨٠ .

ب - تعريف المهارات النَّاعمة عند الأكاديميين:

ظهر استخدام مصطلح "المهارات النَّاعمة" عام ١٩٧٢م^(١)، وعَرَّف الأكاديميون هذا المصطلح بتعريفات متعددة، ولا يوجد لـ "المهارات النَّاعمة" تعريف مُوَحَّد جامعٌ مانعٌ مُتَّفَقٌ عليه بين المتخصصين والأكاديميين؛ إلاَّ أنَّ الباحث يجد بين كثير من هذه التعريفات قواسم مشتركة.

وبعد الاطلاع على كثير من هذه التعريفات؛ لاحظ الباحث أنَّ أغلب هذه التعريفات يدور حول تعريف المهارات النَّاعمة؛ بأنها: السَّمات والقدراتُ التي يمتلكها الفرد، وتُساهم في تطوير ونجاح المؤسسة التي ينتمي لها، وتتعلَّق هذه المهارات بالتعامل الفعَّال، وتكوين العلاقات مع الآخرين، ويُطلق عليها بعض المتخصصين "المهارات الحياتية"^(٢).

(١) يُنظر: درجة امتلاك مُدربي مراكز اللياقة البدنية والصحية من المهارات النَّاعمة؛ من وجهة نظر مُدراهم في العاصمة عمان، أ. ثامر نوري حمود المناصير، رسالة ماجستير في التربية الرياضية، كلية الدِّراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠١٥م، ص: ١١.

(٢) يُنظر: دور المهارات النَّاعمة في عملية اقتناص الوظائف الإدارية، أ. علا نعيم حجاج، رسالة ماجستير في إدارة الأعمال، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م، متاحة على شبكة المعلومات، ص: ١١، ودرجة امتلاك مدربي مراكز اللياقة البدنية والصحية من المهارات النَّاعمة؛ من وجهة نظر مُدراهم في العاصمة عمان، أ. ثامر نوري حمود المناصير، ص: ٨، ودور المهارات النَّاعمة في الحصول على الوظائف الأكاديمية، أ. مؤمن خلف عبد الواحد، بحث محكَّم، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدِّراسات، العدد الثاني، المجلد السادس، يونيو ٢٠١٦م، ص: ٣٠٦، ومجلة التعليم الإلكتروني، وحدة التعليم الإلكتروني، جامعة المنصورة، العدد: ١٩، بتاريخ: ١ أبريل ٢٠١٦م، عنوان الرابط:

<http://emag.mans.edu.eg/index.php?page=news&task=show&id=573#>

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

وتعتبر المهارات الناعمة من مصطلحات علم "الاجتماع"؛ حيث إنها تتعلق وترتبط بشكل أساسي بالسمات الشخصية والاجتماعية^(١)، كما يتطرق الحديث عنها في تخصصات أخرى؛ مثل: إدارة الأعمال، واستراتيجيات القيادة.

ويرى الباحث أن هذا المصطلح "المهارات الناعمة" بهذا التوصيف، والإطار الذي ذكره المتخصصون، وداروا حوله؛ لا ينبغي أن يكون مقصوراً على علم من العلوم-كعلم الاجتماع-، ولا ينبغي أن يكون الكلام عليه محصوراً في دائرة إدارة الأعمال، أو البحث عن وظيفة، أو احتياجات سوق العمل، أو متطلبات القيادة الإدارية، بل؛ الحاجة إلى معرفة وتعلم "المهارات الناعمة" أعم من ذلك؛ إذ يُحتاج إليها في جميع جوانب الحياة؛ في البيت، والمدرسة، ودوائر العمل، وكلّ مناشط الحياة؛ لذلك فإنّ مَنْ أطلق عليها مصطلح "المهارات الحياتية" قد أحسن صنعا-من وجهة نظر الباحث-، وكان موفقاً بشكل كبير.

والمهارات الناعمة تُقابل المهارات الصلبة، وقد عرفوا المهارات الصلبة بأنّها: مهارات مُحدّدة، قابلة للتعلّم، ويمكن تعريفها وقياسها؛ والمهارات الناعمة على العكس من ذلك.^(٢)

وتتمثّل المهارات الصلبة في: المؤهلات والشهادات والخبرة، وتشمل مهارات محدّدة في العمل: كالطباعة، والكتابة، وإتقان اللغات المختلفة، وإجادة التعامل مع الحاسب الآلي؛ وغير ذلك.^(٣)

(١) يُنظر: درجة امتلاك مدربي مراكز اللياقة البدنية والصحية من المهارات الناعمة؛ من وجهة نظر مدراءهم في العاصمة عمان، أ. ثامر نوري حمود المناصير، ص: ٢.

(٢) يُنظر: دور المهارات الناعمة في عملية اقتناص الوظائف الإدارية، أ. علا نعيم حجاج، ص: ١٢.

(٣) يُنظر: دور المهارات الناعمة في الحصول على الوظائف الأكاديمية، أ. مؤمن خلف عبد الواحد،

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وإذا كانت المهارات الصّلبة هي سبب الوصول إلى المقابلة الشخصية للاختبار في وظيفة ما؛ فإنّ المهارات النّاعمة هي سبب الحصول على الوظيفة نفسها.^(١)

ويكثر حالياً توجيه الشباب إلى أهمية تطوير المهارات النّاعمة، والسّعي لتعلم مهارات جديدة من خلال: البرامج والدورات التدريبية، والاطلاع والقراءة في جوانب تنمية المهارات النّاعمة وصقلها؛ وعدم الاعتماد على المهارات الصّلبة فقط.

ج - أبرز المهارات النّاعمة:

لا يوجد لتصنيف المهارات النّاعمة التي يحتاجها الإنسان في حياته حصراً متفقاً عليه، وقد اطلع الباحث على كثير من التصنيفات والتّحديدات لما يدخل تحت "المهارات النّاعمة"، منها ما كان لمنظمات دولية؛ ومنها ما كان لجهات أكاديمية أو باحثين مُتخصصين، وسأكتفي فيما يلي بعرض أبرز المهارات النّاعمة؛ وفقاً لتصنيف منظمة دولية واحدة، ووفقاً لتصنيف جهة أكاديمية -مراعاة لطبيعة التمهيد-، حتّى تتضح الصورة أكثر؛ فيما يتعلّق بأنواع ومسميات المهارات النّاعمة، ومعرفة نماذج لها.

ذُكرت منظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة "اليونيسيف" المهارات التي

بحث محكم، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات، العدد الثاني، المجلد السادس، يونيو

٢٠١٦م، ص: ٣١٠.

(١) يُنظر: دور المهارات النّاعمة في عملية اقتناص الوظائف الإدارية، أ. علا نعيم حجاج، رسالة

ماجستير في إدارة الأعمال، ص: ١٣.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

تُصنّف على أنها "مهارات ناعمة"؛ وفق ما يلي:

- (مهارات التّواصل والعلاقات بين الأشخاص)؛ وتضمُّ: التّواصل اللفظي وغير اللفظي، والإصغاء الجيّد، والتعبير عن المشاعر، وإبداء الملاحظات.
- (مهارات التّفاوض والرّفص)؛ وتضمُّ: مهارات التّفاوض، ومهارات توكيد الذات، ومهارات الرّفص.
- (مهارات التعاون وعمل الفريق)؛ وتضمُّ: مهارات التعبير عن الاحترام، ومهارات تقييم الشّخص لقدراته.
- (مهارات الدّعوة لكسب التأييد)؛ وتضمُّ: مهارات الإقناع، ومهارات الحفّز، ومهارات صنع القرار.
- (مهارات جمع المعلومات)؛ وتضمُّ: مهارات تقييم التّائج المستقبلية، وتحديد الحلول البديلة للمشكلات.
- (مهارات التّفكير النّاقد)؛ وتضمُّ: مهارات تحديد المعلومات ومصادرها، ومهارات التّعامل وإدارة الذات.
- (مهارات إدارة المشاعر)؛ وتضمُّ: مهارات إدارة امتصاص الغضب، ومهارات التّعامل مع الحُزن والقلق، ومهارات التّعامل مع الخسارة والصّدمة والإساءة.
- (مهارات إدارة التّعامل مع الضّغوط)؛ وتضمُّ: مهارات إدارة الوقت، ومهارات التّفكير الإيجابي.^(١)

(١) يُنظر: مقال بعنوان "المهارات الحياتية"، موقع منظمة اليونيسيف على شبكة المعلومات، عنوان =

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ومن جهة أخرى؛ اتفق كثير من الباحثين، والجهات الأكاديمية؛ على أن أبرز المهارات الناعمة يتمثل فيما يلي: تكوين العلاقات مع الآخرين والتواصل معهم، التنظيم والتخطيط، التأقلم والمرونة، التفكير الناقد، إدارة الأزمات، التفاوض. (١)

ثانياً: تعريف "العمل الخيري"، والتأصيل الشرعي له:

مصطلح "الخَيْر" مصطلح واسع يدخل فيه؛ كل ما يُعدُّ -شرعاً وعقلاً وعرفاً- من البرِّ، والإحسان، والمعروف، والصَّلاح، ومكارم الأخلاق.

فالصدقة خَيْر، ونشر العلم النافع خَيْر، وبناء المساجد وأماكن العبادة خَيْر، وتزويج العزَّاب خَيْر، ومساعدة الفقراء والمحتاجين خَيْر، وتشييد المستشفيات والمراكز الصحية خَيْر، والدعوة إلى المعروف خَيْر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خَيْر؛ وغير ذلك كثير مما يدخل تحت مُصطلح "عمل الخَيْر".

ويمكن القول: إن قائمة أعمال الخَيْر قائمة طويلة وواسعة وشاملة؛ لكل ما

الرابط: https://www.unicef.org/arabic/lifskills/lifskills_25521.html

(١) يُنظر: درجة امتلاك مُدربي مراكز اللياقة البدنية والصحية من المهارات الناعمة؛ من وجهة نظر مُدراهم في العاصمة عمان، أ. ثامر نوري حمود المناصير، ص: ٣، ودور المهارات الناعمة في الحصول على الوظائف الأكاديمية، أ. مؤمن خلف عبد الواحد، بحث محكَّم، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات، العدد الثاني، المجلد السادس، يونيو ٢٠١٦م، ص: ٣١١ - ٣١٤

ومجلة التعليم الإلكتروني، وحدة التعليم الإلكتروني، جامعة المنصورة، العدد: ١٩، بتاريخ: ١ أبريل ٢٠١٦م، عنوان الرابط:

<http://emag.mans.edu.eg/index.php?page=news&task=show&id=5>

73#

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

فيه رضا لله عز وجل، وخدمة للأمة، ومنفعة للمجتمع والإنسانية؛ وفيما يلي يأتي دور الكلام على التأصيل الشرعي لـ "العمل الخيري".

✽ التأصيل الشرعي للعمل الخيري في الإسلام:

أ - عمل الخير في القرآن الكريم:

المطالعُ لآيات القرآن الكريم يجد كثيرًا من الآيات التي تحدّثت عن عمل الخير؛ من جهات مُتنوعة.

ففعل الخيرات قد أوحى اللهُ تعالى به إلى الأنبياء-عليهم السلام-؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وأمر تعالى المؤمنين بفعل الخير؛ في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، كما أمر سبحانه وتعالى بالمسابقة والمسارة إلى فعل الخير؛ في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا فَاسْتَيقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وفي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَيقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]

ولم يكتفِ الحقُّ بالأمر بفعل الخير فقط، بل؛ أمر تعالى بدعوة الآخرين - كذلك- إلى فعل الخير؛ قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وأرشدنا تعالى إلى أن كثيراً مما يقع بين الناس من التناجي بالكلام لا خير فيه؛ إلا ما كان في دائرة الصدقة، والمعروف، والإصلاح بين الناس؛ وكلُّ ذلك يدخل في عمل الخير؛ قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ

بحوث مؤتمر العمل الخيري

بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾
[النساء: ١١٤].

هذه الآيات - وغيرها كثير جداً - تمثل تأصيلاً وأساساً لمشروعية "العمل الخيري" في القرآن الكريم.

ب - عمل الخير في السنة النبوية:

المُطَالَعُ للسُّنَّةِ النبوية - كذلك - يجد عدداً كبيراً من الأحاديث؛ التي تدعو إلى فعل الخَيْرِ، وتحثُّ على السَّعْيِ؛ في قضاء حوائج النَّاسِ، وتفريج كُرْبَاتِهِمْ، ومساعدة النَّاسِ، ومنع الأذى عنهم، وغير ذلك مما يدخل في دائرة "عمل الخَيْرِ"؛ ومن هذه الأحاديث ما يلي:

حَثَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ - عَلَى قِضَاءِ الْحَوَائِجِ، وَتَفْرِيجِ الْكُرْبَاتِ، وَسِتْرِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَكُلِّ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ؛ فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ؛ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً؛ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا؛ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». (١)

كما حَثَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ - عَلَى تَحْقِيقِ التَّعَاوُنِ وَالتَّكَاوُفِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: « بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصْرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب: المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم: ٢٤٤٢.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له»^(١).

وأخبر النبي -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- بحصول الأجر العظيم، والنعيم المقيم؛ لمن أزال الأذى من طريق الناس، وهذا من فعل الخير؛ فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس»^(٢).

هذه الأحاديث، وغيرها كثيرٌ جداً؛ يُمثلُ تأصيلاً وأساساً لمشروعية "العمل الخيري" في السنة النبوية المطهرة.

ثالثاً: تعريف «القصص القرآني»:

أ- القصص لغة: تتبّع الأثر.^(٣)

ب- قصص القرآن هي: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبؤات السابقة، والحوادث الواقعة.^(٤)

والقصص القرآني له مقاصد؛ من أبرزها ما ذكره العلامة ابن عاشور

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب: اللقطة، باب: استحباب الموساة بفضول المال، رقم: ١٧٢٨.

(٢) صحيح الإمام مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، رقم: ١٩١٤.

(٣) يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١١/٥، مادة (قص)، ولسان العرب، ابن منظور، ٧/٧٣، مادة (قَصَص).

(٤) يُنظر: مباحث في علوم القرآن، الشيخ. مناع القطان، ص: ٣١٦، وجدير بالذكر أن الإمام الزركشي والإمام السيوطي لم يذكرتا تعريفاً للقصص القرآني، إنما ذكر الإمام السيوطي الكلام على مسألة تكرار القصص القرآني في النوع السادس والخمسين: الإيجاز والإطناب (الإتقان: ٣/٢٣٠).

بحوث مؤتمر العمل الخيري

(ت: ١٣٩٣هـ) - رحمه الله - عندما قال: "من مقاصد القرآن في ذكر القصص الماضية؛ أن يعتبر بها المسلمون في الخير والشر".^(١)

والقصة القرآنية دوحة باسقة الظلال، دانية الجنى، عميقة الأصل، سامقة الفرع، لا ينتهي ظلُّها، رونق أسلوب، وبديع نظم، وجمال صورة، عدا ما فيها من المواقف والتحليل النفسية، والاستنتاجات الكامنة وراء الأحداث، ستبقى القصة القرآنية الشعلة التي تُضيء لهذا الإنسان؛ لتصل حاضره بمستقبله، وستبقى النفحة الربانية التي تُشرق بها النفس، وستبقى الوثيقة الصادقة التي يطمئن الإنسان لمصداقيتها، وستبقى النمط السوي الذي إن ترسمناه حقاً فسيقينا سلبيات التثويش والتثويش والتثويه.^(٢)

رابعاً: بيان مفهوم «الدراسة الموضوعية» و«الدراسة التأصيلية»:

أ - بيان مفهوم «الدراسة الموضوعية»:

الكلام على الموضوعية في هذه الفقرة من عنوان البحث؛ مُتَّجَةً حصراً إلى "الموضوعية"؛ التي هي نوع من أنواع الدراسات والبحوث العلمية الأكاديمية. ومعلوم أن البحوث العلمية والأكاديمية التَّخْصُّصِيَّة لها أنواع متعددة؛ فمنها: الموضوعي، والتحليلي، والتاريخي، والنقدي، والموازن، والاستقرائي، والوصفي، وغير ذلك.

والدراسة الموضوعية: يُقصدُ بها التزام الباحث بموضوع مُعيَّن اختاره للبحث، يجمع ما يتعلَّق بموضوعه في إطار حدود البحث، ولا يخرج عنها، وهي

(١) التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، ٢ / ٦٩.

(٢) يُنظر: القصص القرآني - إبحاره ونفحاته، د. فضل حسن عباس، ١ / ١٣ بتصرف.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

من أبرز خصائص البحث العلمي. (١)

ب - بيان مفهوم "الدراسة التأصيلية":

ذكرت معاجم اللغة أنّ "الأصل" هو: أسفل كلّ شيءٍ، وجمعه أصول، وأصل الشيء: قتله علماً فعرف أصله (٢)، و"أصل" الشيء: أساسه الذي يقوم عليه، ومنشؤه الذي ينبت منه، و"أصل" الشيء: جعل له أصلاً ثابتاً يبنى عليه. (٣)

وبناءً على ما ذكرته معاجم اللغة في معنى كلمة "أصل" واشتقاقاتها؛ فإنّ الدراسة التأصيلية يُراد بها: بيان أساس ومنشأ المصطلحات التي تقوم عليها أيّ دراسة، وتوضيح المعلومات الأولية التي يُحتاج إليها عند دراسة أي مصطلح.

✽ بيان المعنى العام لعنوان البحث:

بناءً على بيان المفاهيم والتأصيلات السابقة؛ فإن هذا البحث عبارة عن دراسة لموضوع السمات والقدرات الشخصية؛ التي تُسهم في نجاح الفرد في حياته، وأثرها في العمل الخيري؛ مُستنبطة من القصص القرآني المتعلّق بالأعمال الخيرية.

✽ توضيحات مهمة:

أ- أشير بدايةً إلى أن المهارات المستخرجة والمعروضة في ثنايا هذا البحث؛ لم يجدها الباحث صراحةً في أي كتاب؛ من كتب التفسير، أو كتب العلوم الشرعية،

(١) يُنظر: كتابة البحث العلمي - صياغة جديدة، أ.د. عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، ص: ٢٧.

(٢) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، باب اللام - فصل الألف، ١١ / ١٦.

(٣) يُنظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، باب الهمزة، ١ /

بحوث مؤتمر العمل الخيري

بل؛ هي من اجتهاد الباحث وفق ما تحصيل له من خلال البحث والقراءة عن مصطلح "المهارات الناعمة"؛ من حيث التعريف، والأمثلة، والتقسيمات التي ذكرها المتخصصون في هذا المجال.

وحاولت أن أجد في كلام علماء التفسير ما يمكن أن يكون أساساً أو إشارة لهذه المهارات، وقُمتُ بإثبات كل ما يصلح لذلك من نصوص كلام علماء التفسير.

ب- راعى الباحث مفهوم "المهارات الناعمة" في هذا البحث، ولم يخلط بين ما أدخله تحت هذا المصطلح -اجتهاداً منه في هذا البحث- وبين ما يدخل تحت مفاهيم قريبة؛ يكثر الحديث حولها في كتب التفسير -وغيرها من كتب العلوم الشرعية-؛ مثل: المضامين التي تندرج تحت مفهوم "الأخلاق"، والاستنباطات التي تندرج تحت مفهوم "الفوائد الإيمانية"، والمعاني التي تندرج تحت مفهوم "القيم التربوية"، ويظهر ذلك في صياغة عناوين المهارات المذكورة في ثنايا البحث.

ج- أُشيرُ إلى أن ترتيب المباحث جاء وفق هذا الترتيب المذكور في الخُطّة؛ مراعاةً لترتيب السور-التي اشتملت على آيات قصص العمل الخيري- في القرآن الكريم في المصحف العثماني.

والله المستعان، وعليه التكلان، ومنه الهداية والتوفيق، ولا حول ولا قوة إلا

به.

المبحث الأول

**المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛
من خلال قصة كفالة سيدنا زكريا للسيدة مريم**

ويشتمل على مطلبين

✽ **المطلب الأول: المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها.**

✽ **المطلب الثاني: المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛**

من خلال هذه القصة.



المطلب الأول

المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها.

✽ أولاً: بيان آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن هذه القصة:

قال تعالى: ﴿فَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنادته الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَأَذْكُرَنَّكَ كَثِيرًا وَسَيِّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾﴾. [آل عمران: ٣٧ - ٤١]

✽ ثانياً: بيان للمعنى الإجمالي لآيات هذه القصة، مع عرض موجز لها:

تقبل الله مريم من أمها بقبول حسن، ورضي أن تكون محررة خالصة للعبادة وخدمة البيت؛ على صغرها وأنوثتها، ورباها ونمائها بما يصلح أحوالها؛ تربية عالية تشمل الجسد والروح، وجعل زكريا- وكان زوج خالتها ومعروفاً بالخلق والتقوى - كافلاً لها، وراعياً مصالحها؛ حتى شبت وترعرعت.

وكان كلما دخل زكريا عليها المحراب؛ وجد عندها خيراً كثيراً ورزقا وافرا، وألوانا من الطعام لا توجد في مثل ذلك الوقت؛ قال جماعة من مفسري التابعين:

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

كان يجدُ عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فيقول لها: يا مريم من أين لك هذا؟ قالت: هو من عند الله الذي يرزق من يشاء من عباده بغير حساب.

وحينما رأى زكريا حال مريم، وتفردَّها للعبادة، وتفضَّلَ اللهُ عليها بالأرزاق الوفيرة؛ دعا ربَّه أن يرزقه ولدًا صالحًا مثلها؛ قائلاً: إِنَّكَ يَا رَبُّ سَمِيعٌ لِكُلِّ قَوْلٍ، مُجِيبٌ لِكُلِّ دَعَاءٍ صَالِحٍ، لِأَنَّ رُؤْيَةَ الْأَوْلَادِ النَّجْبَاءِ تُشَوِّقُ النَّفْسَ لِيَكُونَ لَهُ مِثْلَهُمْ؛ فخاطبته الملائكة وهو قائم يدعو الله، ويصلي في محراب عبادته، وقالت له: إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى؛ وهو معرَّبٌ يوحنا، ويُطَلَقُ عَلَيْهِ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى: «يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِي»، ويحيى أيضًا سيد قومه، ومِعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ، وَمَانِعٌ نَفْسَهُ مِنْ شَهَوَاتِهَا، وَنَبِيُّ يُوحَىٰ إِلَيْهِ - وهذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته.

ولكن زكريا تعجَّبَ قائلاً: كيف يكون لي غلام، وقد أصبحتُ كبير السنِّ، وامرأتي عقيم لا تلدُّ؟ فأجابه اللهُ تعالى عن طريق الملائكة: كذلك اللهُ يفعل ما يشاء؛ أي مثل ذلك الخلق غير المعتاد الحاصل مع امرأة عمران؛ يفعل اللهُ ما يشاء في الكون؛ فطلب زكريا من ربِّه أن يجعلَ له علامة تدلُّه على الحمل، ووجود الولد منه؛ استعجالاً للسرور، أو ليشكر تلك النعمة، فجعل اللهُ علامة ذلك ألا يقدر على كلام النَّاسِ مدَّةَ ثلاثة أيام مُتَوَالِيَةٍ؛ إلا بالإشارة والرَّمز بيد أو رأس أو نحوهما، وأمره بكثرة الذكر والتكبير والتسبيح في هذه الحال طوال الوقت، وخصوصاً في الصباح والمساء. ^(١)

(١) يُنظَر: التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ٣ / ٢١٤-٢١٩، وأيسر التفاسير، الشيخ أبو بكر الجزائري، ١ / ٣١١-٣١٤، والتفسير الميسر، إعداد نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص: ٥٤ - ٥٥.

المطلب الثاني

المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛
من خلال هذه القصة.

✽ أولاً: مهارة المتابعة المستمرة:

وهذه المهارة مُستفادَة من قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧] ، قال الإمام الطاهر بن عاشور -رحمه الله-: (دَلَّ قَوْلُهُ ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧] ؛ عَلَى كَلَامٍ مَحْدُوفٍ، أَي: فَكَانَتْ مَرِيْمٌ مُلَازِمَةً لِخِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانَتْ تَتَعَبَّدُ بِمَكَانٍ تَتَّخِذُهُ لَهَا مِحْرَابًا، وَكَانَ زَكَرِيَّا يُتَعَهَّدُ تَعَبُّدَهَا، فَيَرَى كَرَامَةً لَهَا؛ أَنَّ عِنْدَهَا نِمَارًا فِي غَيْرِ وَقْتِ وُجُودِ صِنْفِهَا).^(١)

فالتعبير القرآني بـ "كُلَّمَا" يشير إلى التعاهد والمتابعة من سيدنا زكريا -عليه السلام- للسيدة مريم، وهذا مَلْمَحٌ في غاية الأهمية لكل من يريد نجاح التربية، أو نجاح إدارة العمل الخيري.

ويظهر تطبيق وتفعيل هذه المهارة في العمل الخيري؛ من خلال المتابعة الدائمة لسير العمل في مؤسسات العمل الخيري، والمتابعة المستمرة كذلك لحال المنتفعين من العمل الخيري؛ من حيث استحقاقهم للاستفادة من العمل الخيري؛

(١) التحرير والتنوير، الشيخ الطاهر بن عاشور، ٣/ ٢٣٦.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

ومن حيث مراقبة الرُّشد والحكمة في تصرفات المستفيدين.

كما يظهر أثر هذه المهارة على العمل الخيري في صورة النجاح الإداري؛ المترتب على تفعيل مهارة المتابعة المستمرة.

❖ ثانياً: مهارة دقة الملاحظة:

وهذه المهارة مُستفاد من قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]؛ حيث يظهر من هذا التعبير القرآني البليغ أن سيدنا زكريا -عليه السلام- لم يكتفِ بمجرد الزيارة والمتابعة، بل؛ كان يلاحظ أحوالها ويدقق في أمورها، ويجد عندها الأرزاق غير المعتادة -كما ذكر علماء التفسير-، وهكذا ينبغي أن يكون المرابي، وكذا القائم على العمل الخيري.

ويظهر تطبيق وتفعيل هذه المهارة في العمل الخيري؛ من خلال ملاحظة أيّ جديد يطرأ على العمل في مجال مؤسسات العمل الخيري، والتعامل المناسب مع المُستجِدَّات؛ سواء على مستوى العاملين، أو على مستوى المتفاعلين المستفيدين، وكذلك ملاحظة سلوكيات وتصرفات كلِّ الداخلين في دائرة العمل الخيري.

كما يظهر أثر هذه المهارة في إدارة العمل الخيري؛ من خلال فنِّ التمكن من اتخاذ القرار المناسب، بالشكل المناسب، في الوقت المناسب، تبعاً للمُستجِدَّات التي تظهر نتيجة تفعيل مهارة دقة الملاحظة.

❖ ثالثاً: مهارة المحاسبة والسؤال:

وهذه المهارة مُستفاد من قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ [آل عمران: ٣٧]، فعندما لاحظ سيدنا زكريا -عليه السلام- أمراً عجيباً غير مُعتاد

بحوث مؤتمر العمل الخيري

بخصوص الأرزاق التي يجدها عند السيدة مريم؛ استدعى ذلك سؤالها، والاستفسار عن سبب ذلك، وهي مَنْ هي.

لم يتركها وهو يقول في نفسه - كما يفعل بعض أولياء الأمور والمدراء -: أنا واثق من أخلاقها ولا أحتاج لسؤالها!!!

ولا قال في نفسه: لن أسألها حتى لا أجرح مشاعرها!!!

وفي ذلك إشارة مهمة إلى أن التربية المثمرة - وكذا الإدارة الناجحة - لا بد أن يكون فيها حساب مستمر، وسؤال واستفسار عن كل ما يحتاج إلى توضيح وبيان حال.

ويظهر تطبيق هذه المهارة في العمل الخيري؛ من خلال حرص القائمين على إدارة العمل الخيري على السؤال والاستفسار عن كل ما يحتاج إلى توضيح وبيان.

كما يظهر أثر هذه المهارة؛ في التزام وانضباط العاملين في مجال العمل الخيري، ويظهر كذلك في حرص المستفيدين من العمل الخيري - من المحتاجين والضعفاء - على التصرف الرشيد الحكيم فيما يحصلون عليه من مؤسسات العمل الخيري، وذلك لإدراك الجميع بأنهم معرضون للمساءلة والمحاسبة في أي وقت.

❖ رابعاً: مهارة الاستماع والإصغاء للأخرين:

وهذه المهارة مستفادة من قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمْرِي أَنِّي لَلرَّحْمَنِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]؛ حيث يظهر جلياً الحوار الذي دار بين سيدنا زكريا - عليه السلام - والسيدة مريم، فقد سأل، وهي

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

أجابت، واستمع سيدنا زكريا للإجابة بعناية، ولم يكن استماع مجرد، بل؛ تفاعل مع إجابة السيدة مريم بإيجابية -كما سيأتي-، وهذا أمر أساس في التربية المثمرة، وكذا في الإدارة الناجحة للأعمال الخيرية، ويعالج آفة مجتمعية خطيرة تتمثل في عدم إتاحة الفرصة للحوار في بعض البيوت، وعدم الاستماع إلى المرؤوسين في بعض مؤسسات العمل عمومًا.

ويظهر تطبيق هذه المهارة في العمل الخيري؛ من خلال حرص القائمين على إدارة العمل الخيري على الاستماع لمرؤوسيه في العمل، والاستماع كذلك للفئات المستفيدة من العمل الخيري والمستهدفة منه.

كما يظهر أثر هذه المهارة في شيوخ جو الراحة والرضا بين العاملين في مجال العمل الخيري، وكذا في أوساط المستفيدين والمنتفعين من العمل الخيري، وذلك نتيجة لتفعيل مهارة الاستماع والإصغاء للآخرين، وإشاعة ثقافة الحوار.

❖ خامساً: مهارة الاستفادة من مقولات ومواقف الآخرين، والتفاعل الإيجابي مع

أحداث حياتهم:

وهذه المهارة مُستفادَة من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴿٣٧﴾ [آل عمران: ٣٧].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: (من هداية الآيات الاعتبار بالغير؛ إذ زكريا دعا بالولد لَمَّا رَأَى كَرَامَةَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَرْيَمَ) (١)، وهو ما أشار إليه قوله تعالى ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ [آل عمران: ٣٨]؛ إذ تدلُّ على تفاعل سيدنا زكريا -عليه السلام- بإيجابية مع موقف وحالة السيدة مريم؛ مع الأخذ في الاعتبار أن سيدنا زكريا رجل، والسيدة مريم امرأة، سيدنا زكريا أكبر في السن من السيدة مريم،

(١) أيسر التفاسير، الشيخ أبو بكر الجزائري، ٣١٤/١.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

سيدنا زكريا هو المتكفل برعاية وتربية السيدة مريم، ولم يمنعه شيء من ذلك؛ من الاستفادة من قولها والتفاعل بإيجابية مع كلامها.

وهذا يدلُّ على أهمية إهتِبال الفوائد التي تظهر للعاقل من خلال؛ مقولات الآخرين، وأحداث حياتهم، أيًا كان هذا الآخر، بدون كِبَرٍ أو استنكاف.

ويظهرُ تفعيل هذه المهارة في العمل الخيري؛ من خلال دراسة التجارب السابقة والمختلفة للمؤسسات العاملة في هذا المجال، والاستفادة من مسيرتها ونتائجها، والاستفادة من كل الخبرات التي عملت في هذا المجال، والتعاطي بإيجابية مع كل هذه النتائج والخبرات.

كما يظهرُ أثر هذه المهارة في اختصار الأوقات الكثيرة، وتوفير الثروات والمقدَّرات الوفيرة التي قد تضيع نتيجة التجارب بدون سابق خبرة، والتي سيتمُّ توفيرها واستثمارها بدون هدْرٍ؛ عند تفعيل مهارة الاستفادة من تجارب الآخرين، والتعاطي بإيجابية مع أحداث حياتهم.

كما يظهرُ أثر هذه المهارة كذلك في حصول الخيرات والأرزاق للعاملين في مجال العمل الخيري، والقائمين عليه؛ حيث ظهر من خلال هذه القصة أن العمل الخيري سبب من أسباب حلّ المشاكل الاجتماعية؛ إذ قد يكون من أسباب حصول الرزق بالأبناء - كما حصل في قصة سيدنا زكريا-، وفي ذلك حلٌّ لمشكلة من المشاكل الاجتماعية التي تؤرِّق بيوت بعض المسلمين؛ ألا وهي مشكلة "العقم" وعدم الإنجاب.

ويمكن القول: إنَّه بتفعيل وتطبيق المهارات السابقة؛ تحصل كفالة ورعاية اليتامى والمحتاجين وكل من لا عائل له؛ بشكل تربوي مؤسسي منظم، ويحصل نجاح في إدارة مؤسسات العمل الخيري، ويترتب على ذلك - بكل يقين - صلاح وإصلاح اجتماعي كبير في اتجاهات كثيرة ومتعددة.

المبحث الثاني

**المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛
من خلال قصة إقامة الخضر لجدار اليتيمين**

ويشتمل على مطلبين

✽ المطلب الأول: المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها.

✽ المطلب الثاني: المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛

من خلال هذه القصة.

المطلب الأول

المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها.

❖ أولاً: بيان لآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن هذه القصة:

قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾. [الكهف: ٧٧ - ٧٨]

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾. [الكهف: ٨٢]. [الكهف: ٨٢]

❖ ثانياً: بيان للمعنى الإجمالي لآيات هذه القصة، مع عرض موجز لها:

انطلق موسى والخضر في سفرهما؛ حتى إذا أتيا أهل قرية - قيل إنها إنطاكية -، ووصلاها في الليل والجو بارد؛ فطلباً منهم طعام الضيف الواجب لهما، فأبوا أن يُضَيِّقُوهُمَا، فوجد موسى والخضر في القرية جداراً يريد أن يسقط؛ فأقامه الخضر وأصلحه، فقال موسى له: لو شئت لاتخذت عليه أجراً مُقابل إصلاح هذا الجدار؛ لاسيما أن أهل هذه القرية لم يعطونا حقناً من الضيافة، وهنا قال الخضر لموسى: هذا فراق بيني وبينك، لأنك تعهدت إنك إذا سألتني بعد حادثة قتل

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

الغلام عن شيء أن لا تطلب صُحبتني، وها أنت قد سألتني، فهذا وقت فراقك، وسأخبرك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.

ثم أخبر الخضر موسى بأنَّ الجدار كان لُغلامين يتيمَّين في المدينة، وكان تحته كَنْزٌ لهما، وكان أبوهما صالحاً، فأراد الله أن يبلغ الغلامان سنَّ الرُّشدِ، ويستخرجا كنزهما؛ رحمة من الله بهما.^(١)



(١) يُنظَر: التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ١٦ / ٩-١١، وأيسر التفاسير، الشيخ أبو بكر الجزائري، ٣ / ٢٧٧-٢٧٩، والتفسير الميسر، إعداد نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص: ٣٠٢.



المطلب الثاني

المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال هذه القصة.

✽ أولاً: مهارة التعامل الإيجابي الفعال مع الأحداث:

وهذه المهارة مُستفادَة من قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧]؛ حيث ظهرت إيجابية الخضر - وهو القائم بالعمل الخيري في هذه القصة - عندما أقام جدار اليتيمين بعد أن كان آيلاً للسقوط؛ بالرغم من منع أهل القرية حقّ الضيافة الواجب للخضر وسيدنا موسى - عليه السلام -.

ويظهر تفعيل هذه المهارة في العمل الخيري؛ من خلال رصد الكوارث والأزمات والمحن؛ التي تحصل للضعفاء، والمحتاجين في المجتمع -؛ كسقوط البيوت، وحوادث السير، وغيرها-، والاهتمام بأهلها، والعمل على تخفيف المُصائب فيها بقدر الإمكان.

كما يظهر أثر هذه المهارة في تخفيف أو زوال أثر المحن والكوارث والأزمات؛ عن كثير من فئات المجتمع أولاً بأول، وترسيخ روح التفاعل الإيجابي، والحرص على إصلاح الواقع؛ وهذا سينعكس على المجتمع -بلا شك- تكاتفاً وتراحماً وسلاماً ومودةً.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

❖ ثانياً: مهارة اتخاذ القرارات الحاسمة؛ عند وجود مقتضياتها:

وهذه المهارة مُستفادَة من قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨]؛ حيث كان قرار الخضر حاسماً بالفراق؛ عندما لم يلتزم سيدنا موسى -عليه السلام- بشرط صُحبته للخضر، المتمثل في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا. [الكهف: ٦٦ - ٧٠]

ويظهر تفعيل هذه المهارة في العمل الخيري؛ عند اتخاذ القرارات الحاسمة -على اختلافها؛ كالتكريم، أو الفضل، أو الشُّطب، أو المنع، أو التأجيل، أو النقل، وغير ذلك- عند وجود أسبابها في الوقت المناسب، وبالشكل المناسب، سواء في مجال العاملين، أو مجال المستفيدين من العمل الخيري.

كما يظهر أثر هذه المهارة؛ في التزام وانضباط العاملين في مجال العمل الخيري، والمستفيدين منه، ويظهر كذلك في نجاح إدارة العمل الخيري؛ وذلك لإدراك الجميع بأنَّ القرارات الحاسمة سيتمُّ اتخاذها عند وجود مقتضياتها بدون تراخٍ أو تهاون.

❖ ثالثاً: مهارة حسن العرض والتعليل؛ لأسباب القرارات الحاسمة:

وهذه المهارة مُستفادَة من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]؛

بحوث مؤتمر العمل الخيري

حيث ذكر الخضر لسيدنا موسى -عليه السلام- سبب إقامته للجدار، ذلك السبب المُمَثِّلُ في أنَّ الجدار كان لِعَلامين يَتِيمَيْنِ، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحًا، فأراد الله أن يبلغَ العَلامان سنَّ الرشد، ويستخرجا كنزهما؛ رحمة من الله بهما.

وغير خافٍ ما في بيان الخضر من الجواب الكافي على سؤال سيدنا موسى -عليه السلام-، وغير خافٍ -كذلك- ما في بيان الخضر من حُسنِ العرض، والتعليل الوافي لسبب القرار الحاسم بالفراق.

ويظهر تفعيل وتطبيق هذه المهارة في العمل الخيري؛ عند اتخاذ القرارات الحاسمة عند وجود مقتضياتها؛ إذ لا بد من تعليلها وتَسْوِغها بشكل كافٍ وافٍ؛ لتحقيق الصراحة والوضوح والشفافية والمكاشفة من جهة؛ ولتحقيق استفادة الجميع من هذه القرارات، وأسبابها في مستقبل مؤسسات وهيئات والعاملين في مجال العمل الخيري؛ من جهة أخرى.

كما يظهر أثر هذه المهارة في نشر المعرفة والبيان، والاستفادة بين العاملين في مجال العمل الخيري، وكذا في أوساط المستفيدين والمتفاعلين من العمل الخيري؛ وذلك نتيجة لتفعيل مهارة العرض والتعليل لأسباب القرارات الحاسمة؛ حيث سترتب على ذلك استفادة الكل من الأخطاء، ومن تراكم الخبرات، وهذا ما سينعكس أثره -بلا شك- على صلاح المجتمع بشكل عام.

ويظهر أثر هذه المهارة -كذلك- في إشاعة الرّاحة النفسية، والاطمئنان والرضا؛ عند كل الفئات الموجودة في مجال العمل الخيري؛ نتيجة لشعور الجميع بالشفافية والوضوح الكامل؛ عند معرفتهم لأسباب أيّ قرارات يتمُّ اتخاذها.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

❖ رابعاً: مهارة الحفاظ على الموارد المنتظرة للمحتاجين:

وهذه المهارة مُستفادَة من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

قال الدكتور وهبة الزحيلي (ت: ١٤٣٦هـ) -رحمه الله-: (وهدمُ الجدارِ وإقامته؛ لَوْنٌ من ألوان توفير الثروة المنتظرة لِيَتِيمٍ أو ضعيف من الإله الرحيم بعباده الضعفاء).^(١)

ويظهر تفعيلاً وتطبيقاً هذه المهارة في العمل الخيري؛ من خلال عدم اقتصار فِكر القائمين على مؤسسات العمل الخيري على حصر العمل الخيري في العطاء -الماديّ أو العينيّ- التقليدي فقط، بل؛ يكون هناك مسارٌ للعمل الخيري في جانب توجيه طاقاتٍ وقدراتِ المحتاجين، ومسارٌ في جانب الحِفاظ على الثروات المنتظرة أو المتوقّعة للمحتاجين، ومسارٌ في جانب تنمية واثمير الموارد الموجودة في يدِ المحتاجين.

كما يظهر أثرُ هذه المهارة في العمل الخيري؛ عند استفادة الضعفاء والمحتاجين مُستقبلاً من الموارد والثروات؛ التي حافظتْ لهم عليها مؤسسات العمل الخيري، أو عملتْ على تنميتها واثميرها لأصحابها، وهذا سينعكس على كثير من فئات المجتمع، ويكون له أثره الإيجابي؛ صلاحاً، وإصلاحاً، ورخاءً، وسعةً في العيش والأرزاق، ووداً، ومحبةً.

(١) التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ١٦ / ١٧ - ١٨.

المبحث الثالث

**المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛
من خلال قصة بناء ذي القرنين للسد.**

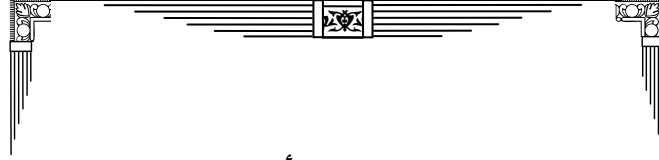
ويشتمل على مطلبين

✽ **المطلب الأول: المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها.**

✽ **المطلب الثاني: المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛**

من خلال هذه القصة.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني



المطلب الأول

المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها.

✽ أولًا: بيان لآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن هذه القصة:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۗ قَالُوا يَا قَرْنِينَ إِنَّا نَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۗ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۗ ۙ ٩٥ ۗ ءَأَنْتُمْ زُبُرُ الْحَدِيدِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَنْتُمْ أَفْرَعٌ عَلَيْهِ قَطْرًا ۗ ۙ ٩٦ ۗ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ۗ ۙ ٩٧ ۗ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۗ ۙ [الكهف: ٩٣ - ٩٨]

✽ ثانيًا: بيان للمعنى الإجمالي لآيات هذه القصة مع عرض موجز لها:

واصل ذو القرنين طريقه في الغزو والفتح؛ حتى إذا بلغ بين السدين؛ وهما جبلان بأقصى الشمال الشرقي للأرض، فلما بلغ ذلك؛ بنى ذو القرنين سدًا عظيمًا؛ حال به دون غزو يأجوج ومأجوج للإقليم المجاور لهم؛ وهم قوم لا يفهمون ما يقال لهم ويخاطبون به؛ إلا بشدة وبطء كبيرين.

وقد شكَّ سُكَّانُ المنطقة الشمالية الشرقية من الأرض لذي القرنين إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض؛ بالقتل والأكل والتدمير والتخريب، وعرضوا عليه أجرًا على أن يجعل بينهما حاجزًا قويًا منيعًا.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

فأجابهم ذو القرنين بأن ما أعطاه الله له من المال القوة والسلطان خَيْرٌ من أجرهم الذي عرضوه عليه، وطلب منهم أن يُعينوه بما عندهم من قوة الأبدان؛ حتّى يجعلَ بينهم سدًّا قويًّا، وقال لهم: آتوني بِقِطْعِ الحديد؛ كُلُّ قِطْعَةٍ كَاللَّبَنَةِ المضروبة، فجاءوا به إليه، فأخذ يضعُ الحجارةَ وقِطْعَ الحديد، ويبني، حتّى ارتفعَ البناء، فسأوى بين جانبي الجبلين، وقال لهم انفخوا النَّارَ على الحديد، حتّى إذا جعله نارًا، قال آتوني بالنُّحاس المذاب أُفْرِغْ عليه قِطْرًا، فأتوه به، فأفْرِغْ عليه من القِطْر ما جعله كأنّه صفيحة واحدة من نُحاس، فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا فوق هذا السدِّ، وما استطاعوا له خَرْقًا من أسفله، فلمّا نظرَ ذو القرنين إليه وهو جبل شامخ؛ قال: هذا من أثرِ رحمة ربي عليّ وعلى النَّاس، وقال: فإذا جاء وَعْدُ ربي بخروج يأجوج ومأجوج عند قرب الساعة، جعلَ الله هذا الجبلَ تُرَابًا مُساويًّا للأرض، هذا وعد الله وهو كائنٌ لا مَحَالَةَ.^(١)



(١) يُنظَر: التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ١٦ / ٢٦-٢٨، وأيسر التفاسير، الشيخ أبو بكر الجزائري، ٣ / ٢٨٣-٢٨٦، والتفسير الميسر، إعداد نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص: ٣٠٣-٣٠٤.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني



المطلب الثاني

المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال هذه القصة.

✽ أولاً: مهارة الاستماع والإصغاء للآخرين:

وهذه المهارة مُستفادَة من قوله تعالى: ﴿قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤] ، وتظهر بجلاء ووضوح؛ في استماع ذي القرنين لمشكلة هؤلاء القوم الموجودين بين السدّين، وشكواهم من إفساد يأجوج ومأجوج.

ويظهر تفعيل وتطبيق هذه المهارة في العمل الخيري؛ من خلال حرص القائمين على إدارة العمل الخيري على الاستماع للعاملين، وكذا الفئات المستفيدة من العمل الخيري.

كما يظهر أثر هذه المهارة في العمل الخيري في الارتقاء بمستوى التعامل الإنساني؛ حيث يتم الإصغاء والاستماع للآخرين، وهذا يترتب عليه كثير من الآثار المجتمعية؛ منها: احترام كل وجهات النظر، والاستماع للمعلومات الكافية التي تُساعد على أخذ القرارات الصحيحة، ومعرفة سلبيات الآخرين، وتصويب الأخطاء، والاستفادة من خبرات الآخرين، وغير ذلك من فوائد الاستماع والإصغاء؛ وكل ذلك له أثره الإيجابي على التّعاملات داخل المجتمع صلاحاً ورقياً وتقدماً.

❖ ثانياً: مهارة تطويع إمكانات المنتفعين من العمل الخيري؛ لتحقيق

بغيتهم:

وهذه المهارة مُستفادَة من قوله تعالى: ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَلْعَلَّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]؛ حيث طلب منهم ذو القرنين أن يُعينوه ويشاركوا معه في العمل بقوة أبدانهم؛ حتّى يستطيع إقامة الحاجز الذي يحول بينهم وبين يأجوج ومأجوج؛ وحتّى يمنع وصول إفساد يأجوج ومأجوج إليهم.

قال الدكتور وهبة الزحيلي - رحمه الله -: (وهذا بداية النجاح في العمل؛ فإنّ القوم لو جمعوا له خرجاً لم يُعنه أحدٌ، ولتركوه يبني، فكان عونهم أسرع في إنجاز العمل وإنجاح المشروع).^(١)

ويظهر تفعيل وتطبيق هذه المهارة؛ من خلال دعوة المتفعين والمستفيدين من العمل الخيري للمشاركة؛ بقدراتهم، وطاقاتهم، وجهودهم المتاحة في الأعمال والمشروعات التي تُنجز احتياجاتهم داخل مؤسسات العمل الخيري.

كما يظهر أثر هذه المهارة في العمل الخيري؛ في تحويل المستفيدين من العمل الخيري من قالب السلبية، ودائرة الأخذ والتلقي، والاستقبال فقط للعمل الخيري - من تبرعات مادية أو عينية مثلاً-؛ إلى قالب الإيجابية ودائرة المشاركة والتعاون والمساهمة في تحقيق الخير لهم، والنهوض بحالهم.

وهذا أثر له أهميته البالغة - إن تمّ الحرص على ترسيخه في مؤسسات العمل الخيري - في صلاح المجتمع؛ حيث سيجعل الفئات المستفيدة من العمل الخيري "فئات مؤقتة"؛ لأنّها بعد فترة ستكون قادرة على الاكتفاء بذاتها،

(١) التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ١٦ / ٣٢.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

وستخرج من دائرة المستفيدين من العمل الخيري، لتُفسح المجال لفئات أخرى؛ هي الأولى بالاستفادة من مؤسسات العمل الخيري؛ وبذلك سيؤول الأمر في النهاية إلى تحسُّن حالة المجتمع؛ نفسياً، ومادياً، وسلوكياً، واقتصادياً، وفي شتى المجالات.

❖ ثالثاً: مهارة تعزيز روح العمل الجماعي والمشاركة:

وهذه المهارة مُستفادة من قوله تعالى: ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَلْعَلَّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]؛ حيث لم يجعل ذو القرنين هؤلاء القوم في دائرة السلبية والكسل، بل؛ دعاهم إلى التعاون معه والمشاركة في بناء الرِّدم؛ بروح العمل الجماعي الذي سيستفَع به الجميع ويعودُ أثره عليهم.

ويظهر أثر هذه المهارة في العمل الخيري؛ في ترسيخ أهمية الاجتماع والتعاون في المجتمع، والتأكيد على بركتهما وأثرهما الشامل على المجتمع بأكمله، والتحذير من الميل إلى حياة العزلة والانفراد والانطوائية والأناية.

❖ رابعاً: مهارة التنظيم والتخطيط للعمل:

وهذه المهارة مُستفادة من قوله تعالى: ﴿أَتُونِي زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]؛ حيث يظهر بوضوح أنَّ ذا القرنين خطَّط ونظَّم العمل في إقامة الرِّدم؛ وفق خطوات ومراحل مرتَّبة ومنظَّمة ومدروسة؛- وفق ما تمَّ عرَضُه في بيان المعنى الإجمالي-

❖ خامساً: مهارة استخدام كلِّ المعارف والعلوم المتاحة؛ في تنفيذ العمل

الخيري:

وهذه المهارة مُستفادة من قوله تعالى: ﴿أَتُونِي زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ

بحوث مؤتمر العمل الخيري

قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ [الكهف:٩٦] ؛ حيث استخدم ذو القرنين المعارف المتاحة لديه؛ عن خواص الحديد، والنحاس، والنَّار، وكيفية بناء السُّدود المنيعة - وغير ذلك من المعارف-؛ خلال قيامه بهذا العمل وبنائه للردم.

❖ سادساً: مهارة إنجاز العمل باحتراف وإتقان:

وهذه المهارة مُستفادة من قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف:٩٧] ؛ حيث يتضح من هذا النص القرآني أنَّ العمل قد تمَّ، وأنَّ ذا القرنين أنجز بناء هذا السد المنيع، ولم يكن مجرد إنجاز، بل؛ كان إنجاز العمل متميِّزاً بالاحترافية والإتقان، ودليل هذا الإتقان وهذه الاحترافية أنَّ يأجوج ومأجوج ما استطاعوا أن يصعدوا ويرتقوا فوق هذا السدِّ المنيع بعد بنائه، وما استطاعوا أن يخرقوه من أسفله.

ويظهر تفعيل وتطبيق المهارات السابقة؛ من خلال حرص القائمين على مؤسسات العمل الخيري على إدارة هذه المؤسسات؛ وفق خُططٍ مُنظمة ومدروسة-بعيداً عن العشوائية-، بحيث يظهر فيها الاستفادة من كلِّ العلوم والمعارف الحديثة، مع التأكيد على إنجاز هذه الخُططِ وفق توقيتات محددة باحترافية وإتقان.

كما يظهر أثر هذه المهارات؛ في تحقيق الجُودة والرَّيادة والتميز؛ في كل دوائر العمل الخيري؛ حيث إنَّ العمل الخيري الذي يظهر فيه التخطيط والتنظيم الجيد، واستخدام كلِّ العلوم الحديثة والخبرات المتاحة، مع الإنجاز والإتقان؛ لا بدَّ أن يكون عملاً رائداً ومتميِّزاً، ومثلاً وقدوةً لكلِّ الأعمال والمؤسسات الأخرى.

كما تَلَفَتْ هذه المهارات الأنظار للاهتمام بـ "الكيف"؛ المتمثِّل في: الجودة

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

والإتقان وتحسين العمل، وعدم الاقتصار على الاهتمام بـ "الكَمِّ"؛ المتمثل في:
العدد.

تلك القيمة -قيمة الاهتمام بالكَيْفِ- التي نجدها ظاهرة في البيان القرآني؛ في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]؛ حيث عبّر الحق -سبحانه وتعالى- بقوله ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، ولم يقل: "أيكم أكثر عملاً"، للتدليل على أن العبرة إنما هي بحُسن العمل وجودته؛ لا بعدده وكثرته بدون تجويدٍ وإتقانٍ وإحسان.



المبحث الرابع

**المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛
من خلال قصة سقي سيدنا موسى للفتاتين.**

ويشتمل على مطلبين

✻ **المطلب الأول: المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها.**

✻ **المطلب الثاني: المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛**

من خلال هذه القصة.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني



المطلب الأول

المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها.

❖ أولاً: بيان لآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن هذه القصة:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَحْزَنْ نَجُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيكِ اسْتَعْجِرُهُ ابْنُكِ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَعْجَرْتِ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجْتُ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ سِتْرًا فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص:

[٢٣ - ٢٨]

❖ ثانياً: بيان للمعنى الإجمالي لآيات هذه القصة مع عرض موجز لها:

لما وصل سيدنا موسى -عليه السلام- ماء "مدين"، وجد عليه جماعة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد من دون تلك الجماعة امرأتين منفردتين عن الناس، تحبسان غنمهما عن الماء؛ لعجزهما وضعفهما عن مزاحمة الرجال، وتتظران حتى تنصرف عنه مواشي الناس، ثم تسقيان ماشيتهما، فلما رأهما

بحوث مؤتمر العمل الخيري

موسى -عليه السلام- رَقَّ لهما، ثم قال: ما شأنكما؟ قالتا: لا نستطيع مُزاحمة الرجال، ولا نسقي حتى يسقي النَّاس، وأبونا شيخ كبير، لا يستطيع أن يسقي ماشيته؛ لضعفه وكبره، فسقى موسى -عليه السلام- للمرأتين ماشيتهما، ثم تولى إلى ظلِّ شجرة فاستظلَّ بها وقال: رب إني مُفتقر إلى ما تسوقه إليَّ من أيِّ خيرٍ كان كالطعام وغيره، وكان قد اشتدَّ به الجوع.

ثم جاءت إحدى المرأتين اللَّتَيْنِ سَقَى موسى -عليه السلام- لهما، تسير إليه في حَيَاءٍ، قالت: إنَّ أبي يدعوك ليكافئك على سَقِيكَ الغنم لنا، فمضى موسى -عليه السلام- معها إلى أبيها، فلما جاء أبها وقصَّ عليه قصصه مع فرعون وقومه، قال له أبوها: لا تخفْ نجوتَ من القوم الظالمين، وهم فرعون وقومه؛ إذ لا سلطان لهم بأرضنا، وقالت إحدى الفتاتين لأبيها: يا أبتِ استأجره ليرعى لك ماشيتك؛ إنَّ خيرَ من تستأجره للرعي؛ القوي على حفظ ماشيتك، الأمين الذي لا تخاف خيانتَه فيما تأتمنه عليه.

قال الشيخ الصالح لموسى -عليه السلام-: إني أريدُ أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين، على أن تكون أجيراً لي في رعي ماشيتي ثمان سنين مقابل ذلك، فإن أكملتَ عشر سنين فإحسان من عندك، وما أريد أن أشقَّ عليك بجعلها عشرًا، ستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن الصُّحبة والوفاء بما قلتُ.

وعندها قال موسى -عليه السلام- للشيخ الصالح: ذلك الذي قلته قائم بيني وبينك، أيُّ المديتين أفضها في العمل أكنُ قد وفيتُك؛ فلا أطالبُ بزيادة عليها، والله على ما نقول وكيل حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدنا عليه.^(١)

(١) يُنظر: أيسر التفاسير، الشيخ أبو بكر الجزائري، ٤/٦٣-٦٨، والتفسير الميسر، إعداد نخبة من

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني



المطلب الثاني

المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال هذه القصة.

❖ أولاً: مهارة دقة الملاحظة:

وهذه المهارة مُستفادَة من قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣]؛ حيث يُبين النصُّ القرآني ملاحظة سيدنا موسى -عليه السلام- لحال هاتين المرأتين المبتعدتين عن الزحام، تحبسان غنهما عن الماء، وتنتظران حتى ينصرف الرجال، ليتمكنا من سقي الغنم.

وقد سبق الكلام على تفعيل وأثر هذه المهارة؛ في واقع العمل الخيري؛ عند الكلام على المهارات الناعمة؛ التي اشتملت عليها قصة كفالة سيدنا زكريا -عليه السلام- للسيدة مريم. ^(١)

❖ ثانياً: مهارة توضيح الذات، وإثبات أفضلية المنتفع بالعمل

الخيري:

وهذه المهارة مُستفادَة من قوله تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا

أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص: ٣٨٨.

(١) يُنظر: المبحث الأول، المطلب الثاني، في هذا البحث.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

سَيِّحٌ كَبِيرٌ ﴿ [القصص: ٢٣] ، والمهارة هنا وقعت من المنتفع أو المستفيد من العمل الخيري-وهما الفتاتان-؛ حيث بينتا بكل وضوح وشفافية حالهما المستوجب لمساعدتهما، وأعلتنا السبب في خروجهما للسقي وتحملهما لهذه المسؤولية؛ بالرغم من ضعفهما عنها.

ويظهر تفعيل وتطبيق هذه المهارة في الواقع؛ من خلال انتباه المحتاجين إلى أهمية تقديم بيان صادق عن حالتهم، وتقديم كل المستندات والوثائق التي تثبت حاجتهم، حتى يتم تصنيف هذه الحالات، وتحديد الأولويات لهذه الحالات، وتحديد درجة الاستحقاق.

كما يظهر أثر هذه المهارة؛ في حصول المستحق على حاجته التي يطلبها من مؤسسات العمل الخيري العاملة في المجتمع.

❖ ثالثاً: مهارة تكوين العلاقات مع الآخرين^(١) :

وهذه المهارة مُستفادَةٌ من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿ [القصص] ، وتظهر المهارة من خلال تجاوب سيدنا موسى -عليه السلام- مع طلب الشيخ الصالح، وذهابه لمقابلته، وحكاية سيدنا

(١) هذه المهارة لها مصطلح مختصر في كتب علم الاجتماع وعلم إدارة الأعمال، هذا المصطلح هو "التشبيك"، ويُقصد به -باختصار-: تكوين شبكة من العلاقات مع الآخرين.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

موسى -عليه السلام- عن حاله وسبب خروجه من ديار قومه، وكان هذا الحوار بين سيدنا موسى -عليه السلام- والشيخ الصالح مقدّمة لتكوين علاقة اجتماعية قوية، ألا وهي علاقة الزواج والنسب؛ حيث تزوّج سيدنا موسى من ابنة الشيخ الصالح.

ويظهر أثر هذه المهارة؛ في أنّ تقديم خدمات العمل الخيري تنشأ عنه علاقات قد تكون سبباً من أسباب فتح أبواب الأرزاق، وحلّ المشاكل الاجتماعية للقائمين بالأعمال الخيرية؛ حيث بيّنت آيات هذه القصة أنّ القيام بالأعمال الخيرية؛ كراعية ومساعدة الضعفاء، والرحمة بهم، والقيام على مصالحهم؛ من أسباب فتح أبواب الأرزاق، وتيسيرها.

إنها قصة تُنادي على القائمين على الأعمال والمؤسسات الخيرية قائلةً: عليكم بالأعمال الخيرية؛ فإنها مُقدّمة وسببٌ لفتح أبواب الأرزاق.

كما يظهر أنّ الاشتغال بالعمل الخيري؛ هو من أسباب حلّ المشاكل الاجتماعية الصعبة؛ حيث نجد في آيات هذه القصة حلاً لأصعب مشكلتين تواجهان شباب المسلمين في هذا العصر؛ الوظيفة والزواج، والعرض القرآني لهذه القصة يُبيّن أنّ سبب حلّ هاتين المشكلتين -المؤرقتين لأيّ مجتمع- هو القيام بالعمل الخيري؛ الذي تمثّل في هذه القصة؛ في سقّي سيدنا موسى -عليه السلام- للفتاتين.

رابعاً: مهارة الاحتياط، والتعامل مع كل الاحتمالات؛ عند إجراء

الاتفاقيات والتعاقدات؛

وهذه المهارة مُستفادّة من قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨].

بحوث مؤتمر العمل الخيري

قال الإمام الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "أَرَادَ بِذَلِكَ تَقْرِيرَ أَمْرِ الْخِيَارِ؛ يَعْنِي إِنْ شَاءَ هَذَا وَإِنْ شَاءَ هَذَا، وَيَكُونُ اخْتِيَارُ الْأَجَلِ الرَّائِدِ مُوَكَّوَلًا إِلَى رَأْيِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ إِجْبَارٌ".^(١)

يظهر من قول سيدنا موسى - عليه السلام - ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ ﴾ [القصص: ٢٨]؛ عِدَّةُ مَهَارَاتٍ وَسِمَاتٍ شَخْصِيَّةٍ؛ مِنْهَا: وَضُوحُ الشَّخْصِيَّةِ، وَالِاحْتِيَاظُ لِلنَّفْسِ، وَتَوَقُّعُ حُصُولِ كُلِّ الْإِحْتِمَالَاتِ؛ عِنْدَ إِجْرَاءِ الْإِتْفَاقِيَّاتِ وَالتَّعَاقِدَاتِ؛ وَالتَّعَامُلِ مَعَ ذَلِكَ.

ويظهر أثر هذه المهارة في الواقع؛ عندما يحتاج القائمون على الأعمال والمؤسسات الخيرية إلى إبرام العقود والاتفاقيات المتعلقة بالعمل الخيري، عند ذلك يكون من الأهمية بمكان تحقيق الوضوح والصراحة والاحتياط؛ بحيث تكون هناك فسحة للتحرك في دائرة القدرة والاستطاعة والإمكانات المتاحة؛ في كل الاتفاقيات والتعاقدات.

تَتِمَّةٌ:

بمناسبة الكلام على هذه القصة؛ لم يستطع الباحث أن يترك القلم؛ إلا بعد التأكيد والتذكير بضرورة تجرّد القائم على العمل الخيري من المَنِّ أو حُبِّ المَحْمَدَةِ أو انتظار الشُّكْرِ مِنَ النَّاسِ - كما هو ظاهر في آيات هذه القصة -؛ ويظهر ذلك عند التأمل في قوله تعالى: ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ [القصص: ٢٤].

قال الإمام ابن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ) - رحمه الله - في تفسير هذا الجزء من الآية: "وَكَانَ فِعْلُ مُوسَى مَعْرُوفًا مَحْضًا لَا يَطْلُبُ عَلَيْهِ جَزَاءً، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ

(١) مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، ٢٤ / ٥٩٢.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

المرأتين ولا بينهما".^(١)

وأكد على ذلك الإمام السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) - رحمه الله - بقوله: "غير طالب منهما الأجرة، ولا له قصد غير وجه الله تعالى".^(٢)

هكذا نرى أن سيدنا موسى - عليه السلام - بعد أن عرف سبب وجود الفتاتين، قام بمساعدتهما والسقي لهما فوراً، فهذا ما تدل عليه "الفاء" في قوله تعالى ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤]، وبعد ذلك ذهب سيدنا موسى - عليه السلام - إلى ظل شجرة ليستريح تحتها، ولم تذكر الآية أي حديث أو حوار بين هذين الموقفين "السقي" و"التولي إلى الظل"، وهذا يدل على نبل أخلاق سيدنا موسى - عليه السلام -؛ حيث لم ينتظر شكراً ولا ثناءً ولا محمداً، بل؛ ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤].

كم يحتاج واقعنا - الذي يغضب ويخزن فيه كثير من القائمين على الأعمال الخيرية؛ بسبب عدم توجيه الشكر لهم - إلى الوقوف مع هذه الآية؛ التي تجعلنا نراجع الإخلاص في أعمالنا، ونجعل القصد الأساس هو رضا الله سبحانه وتعالى؛ لا الشكر أو الثناء أو المحمداً من الناس.



(١) التحرير والتنوير، الإمام ابن عاشور، ٢٠ / ١٠٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، الشيخ السعدي، ص: ٦١٤.

الخاتمة

استعرضَ الباحث-بحولِ الله وقوّته- في هذا البحث؛ الكلامَ على المهارات النَّاعمة وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال القِصص القرآني، وقد ظَهَرَتْ - بفضلِ الله- من خلال هذا البحث العديداً من النتائج والتوصيات؛ أعرضُ أهمَّها وأبرزها فيما يلي:

❖ أولاً: أهمُّ نتائج البحث:

- ١- المهارات النَّاعمة وآثارها المتعددة في العمل الخيري؛ تُمثِّل رافداً كبيراً للإصلاح المجتمعي، وسبباً مباشراً لحلِّ كثير من المشاكل الاجتماعية المعقَّدة.
- ٢- حلُّ المشاكل الاجتماعية؛ المترتب على الأعمال الخيرية؛ ليس أثره مقصوداً على المحتاجين والمستفيدين فحسب، بل؛ يشمل -أيضاً- القائمين على العمل الخيري والعاملين في تقديم خدماته للمحتاجين.
- ٣- الحاجة إلى معرفة وتعلُّم "المهارات النَّاعمة" أعمُّ من أن تكونَ محصورة في دراسة "علم الاجتماع" أو علم "إدارة الأعمال" فقط؛ إذ يُحتَاج إليها في جميع جوانب الحياة؛ لأنَّها مهارات للنجاح في الحياة.
- ٤- المهارات النَّاعمة المستخرجة في ثنايا هذا البحث؛ لا وجودَ لها صراحةً - بنفس مصطلحات البحث- في أيِّ كتاب من كُتب التفسير أو كُتب العلوم الشرعية.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

- ٥- وجود بعض النصوص في كلام علماء التفسير يصلح أن يكون أساسًا أو إشارة؛ لعدد من السمات التي تدرج تحت مصطلح "المهارات الناعمة".
- ٦- أهمية عدم الخلط بين مفهوم "المهارات الناعمة"، وبين ما يدخل تحت مفاهيم قريبة؛ مثل مفهوم "الأخلاق"، ومفهوم "الفوائد الإيمانية"، ومفهوم "القيم التربوية".
- ٧- أبرز المهارات الناعمة في العمل الخيري؛ في قصة كفالة سيدنا زكريا للسيدة مريم؛ تتمثل في: المتابعة المستمرة، ودقة الملاحظة، والمحاسبة والسؤال، والاستماع والإصغاء للآخرين، والاستفادة من مقولات ومواقف الآخرين.
- ٨- أثر المهارات الناعمة في العمل الخيري؛ في قصة كفالة سيدنا زكريا للسيدة مريم؛ يظهر في: النجاح الإداري، والتمكّن من اتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب، والتزام وانضباط العاملين في مجال العمل الخيري، واختصار الأوقات الكثيرة، وتوفير الثروات والمقدّرات.
- ٩- أبرز المهارات الناعمة في العمل الخيري؛ في قصة إقامة الخضر لجدار اليتيمين؛ تتمثل في: التعامل الإيجابي الفعّال مع الأحداث، واتخاذ القرارات الحاسمة عند وجود مقتضياتها، وحُسن العرض والتعليل لأسباب القرارات الحاسمة، والحفاظ على الموارد المنتظرة للمحتاجين.
- ١٠- أثر المهارات الناعمة في العمل الخيري؛ في قصة إقامة الخضر لجدار اليتيمين؛ يتمثل في: تخفيف أو زوال أثر المحن والأزمات عن كثير من فئات المجتمع، وترسيخ رُوح التفاعل الإيجابي والحرص على إصلاح الواقع، وإشاعة الراحة النفسية والاطمئنان؛ نتيجة لشعور الجميع بالشفافية والوضوح.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

١١- أبرز المهارات الناعمة في العمل الخيري؛ في قصة بناء ذي القرنين للسد؛ تتمثل في: تطوير إمكانات المنتفعين من العمل الخيري لتحقيق بُغيتهم، وتعزيز رُوح العمل الجماعي والمشاركة، والتنظيم والتخطيط للعمل، واستخدام كلِّ المعارف والعلوم المتاحة في تنفيذ مشروعات الأعمال الخيرية، وإنجاز العمل باحتراف وإتقان.

١٢- أثر المهارات الناعمة في العمل الخيري؛ في قصة بناء ذي القرنين للسد؛ يتمثل في: الارتقاء بمستوى التعامل الإنساني، وتحويل المستفيدين من العمل الخيري من قالب السلبيّة إلى قالب الإيجابية والمشاركة، وتحقيق الجودة والريادة والتميز؛ في كل دوائر العمل الخيري.

١٣- أبرز المهارات الناعمة في العمل الخيري؛ في قصة سقي سيدنا موسى للفتاتين؛ تتمثل في: توضيح الذات، وإثبات أحقيّة انتفاع المنتفع بالعمل الخيري، وتكوين العلاقات مع الآخرين، والاحتياط والتعامل مع كل الاحتمالات عند إجراء الاتفاقيات.

١٤- أثر المهارات الناعمة في العمل الخيري؛ في قصة سقي سيدنا موسى للفتاتين؛ يتمثل في: حصول المستحقّ على حاجته، وهي سبب مُهمّ من أسباب فتح أبواب الأرزاق وحلّ المشاكل الاجتماعية.

١٥- ظهور المهارات الناعمة في العمل الخيري ليس حكرًا على القائمين على العمل الخيري، بل؛ منها ما يظهر من المحتاجين المستفيدين من العمل الخيري.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

❖ ثانياً: أبرز التوصيات:

- ١- الاهتمام بعقد المؤتمرات والندوات والملتقيات؛ التي تُعنى بتقريب هدايات القرآن الكريم للمفاهيم والمصطلحات الحديثة والمعاصرة.
- ٢- العمل على تكثيف الكتابة في البحوث المتعلقة بكل الدقائق والجزئيات؛ المتعلقة بالعمل الخيري.
- ٣- العمل على تكثيف الكتابة في البحوث التحليلية المتعلقة بكل قصة من القصص القرآني؛ لاستخراج هداياتها ومكوناتها.
- ٤- تكوين لجانٍ من المتخصصين؛ لرصد المشاكل المجتمعية في كل بلد مسلم؛ ثم بيان علاج وحلول هذه المشاكل وتطبيقها في الواقع من خلال مشاريع مؤسسات العمل الخيري.

هذا آخر ما تيسر لي إثباته في هذا البحث، فإن كان من توفيق فهذا فضل الله ومنه وحده، وإن كانت الأخرى فأسأل الله العفو والغفران، والله درُّ الإمام ابن القيم -رحمه الله- عندما قال: (فلك أيها القاريء صنفوه، ولمؤلفه كدره، وهو الذي تجشَّم غراسه وتعبه؛ ولك ثمرة، وها هو قد استهدف لسهام الراشقين، واستعذر إلى الله من الزلل والخطأ ثم إلى عباده المؤمنين).^(١)

وَحَسْبِي أَنِّي أُسِيرُ خَلْفَ رَكْبِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ مُتَمَثِّلاً قَوْلَ الْقَائِلِ:

لَقَدْ مَضَيْتُ وَرَاءَ الرَّكْبِ ذَا عَرَجٍ مُؤَمَّلاً جَبْرَ مَا لَاقَيْتُ مِنْ عَرَجٍ
فَإِنْ لَحِقْتُ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا سَبَقُوا فَكَمْ لَرَبِّ الْوَرَى فِي النَّاسِ مِنْ فَرَجٍ

(١) مفتاح دار السعادة، الإمام ابن القيم، ١ / ٤٧.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وإن ضللت بقفر الأرض منقطعاً
ولقد ختمتُ بهذا الختام كتابتي
إن كان توفيقُ فمن ربِّ الوزي
في حينها أدعو الذي بدعائه
سبحانك اللهم ثم بحمدك
فما على أعرج في الناس من حرج
وعلى الإله توكلني وثنائي
والعجز للشيطان والأهواء
يمحو الخطأ ويزيد في النعماء
أستغفرك وأتوب من أخطائي^(١)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



(١) هذه الأبيات من المحفوظات القديمة، وبحثتُ عن قائلها فلم أجدها منسوبة لأحد.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

ثَبَّتْ لَهُمْ مَرَاجِعَ الْبَحْثِ

❁ أولاً: المراجع المطبوعة: (الترتيب حسب الترتيب الأبجدي لأسماء الكتب)

- ١- أيسر التفاسير، الشيخ أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ط. ٥.
- ٢- الإتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ٣- التحرير والتنوير، الإمام ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ط. ١.
- ٤- تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ط. ٢.
- ٥- التفسير المنير، د. وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨هـ، ط. ٢.
- ٦- التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، مزينة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ط. ٢.
- ٧- تيسير الكريم الرحمن، الإمام السعدي، مؤسسة الرسالة، ط. ١.
- ٨- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض،

بحوث مؤتمر العمل الخيري

المملكة العربية السعودية.

- ٩- درجة امتلاك مدربي مراكز اللياقة البدنية والصحية من المهارات النَّاعمة؛ من وجهة نظر مدرائهم في العاصمة عمان، أ. ثامر نوري حمود المناصير، رسالة ماجستير في التربية الرياضية، كلية الدِّراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠١٥م.
- ١٠- دور المهارات النَّاعمة في الحصول على الوظائف الأكاديمية، أ. مؤمن خلف عبد الواحد، بحث محكَّم، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدِّراسات، العدد الثاني، المجلد السادس، يونيو ٢٠١٦م.
- ١١- دور المهارات النَّاعمة في عملية اقتناص الوظائف الإدارية، أ. علا نعيم حجاج، رسالة ماجستير في إدارة الأعمال، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م.
- ١٢- صحيح الإمام البخاري، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ط. ١.
- ١٣- صحيح الإمام مسلم، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٤- القَصص القرآني - إبحاؤه ونفحاته، د. فضل حسن عباس، الأردن، دار الفرقان، ١٩٨٧م، ط. ١.
- ١٥- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ط. ٣.
- ١٦- مباحث في علوم القرآن، الشيخ. مناع القطَّان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط. ٧.
- ١٧- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة.

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني

١٨- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

١٩- مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ط. ٣.

٢٠- مفتاح دار السعادة، الإمام ابن القيم، دار الكتب العلمية- بيروت.

٢١- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: أ. عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

❖ **ثانياً: مواقع إلكترونية على الشبكة العنكبوتية: (الترتيب حسب الترتيب الأبجدي لأسماء المواقع)**

١- مجلة التعليم الإلكتروني، وحدة التعليم الإلكتروني، جامعة المنصورة، العدد: ١٩، عنوان الرابط:

<http://emag.mans.edu.eg/index.php?page=news&task=show&id=573#>

٢- موقع منظمة اليونيسيف على شبكة المعلومات، عنوان الرابط:

https://www.unicef.org/arabic/lifeskills/lifeskills_25521.html





العمل الخيري
وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

الدكتور عبد الفتاح الزويني



ملخص الورقة البحثية

أولى الإسلام أهميةً عظيمةً للعمل الخيري والمبادرة إليه؛ خاطب في الإنسان جانبه النفسي بطريقة تربوية تسعى إلى تحفيزه وتعزيز النفس السخية الكريمة التي تروم تحقيق العدالة الاجتماعية، فسخرَ لذلك سُبُلًا نفسية وتربوية متباينة المسالك ومتعددة المقاصد، تركز في نسقها العام على ربط الإنسان بمهمته الوجودية، وتسعى لترسيخ المعنى الاجتماعي لمفهوم الملكية الفردية، كتعبير عن كمال التشريع الإسلامي، وقدرته على استيعاب التطور الحضاري، برؤية اجتماعية تجعل الأمنَ على المعاش المادي من الشروط الضرورية؛ لتحقيق كمال واكتمال الأمن الديني والروحي للإنسان في هذه الحياة، وتُحقق التوسعة على الناس بفتح مجالات النفع الاجتماعي، وغرس روح المسؤولية والمبادرة الاجتماعية، وإتاحة الفرصة لنمو مؤسسات أهلية فعالة تسهم في تكافل المجتمع وتربطه، بمقاربة نفسية وتربوية لا تُلغي غريزة حب التملك ولا تتجاوزها، ولكنها تهذبها وتطورها، وتوسّع من آفاقها، وتوظفها في خدمة الإنسان والمجتمع، وتحولها من وسيلة لتحقيق اللذة والمنفعة على حساب الآخرين إلى أداة لتحقيق اللذة والمنفعة في خدمة الآخرين، وفي طريق مرضاة الله، والفوز بالآخرة.



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن أزواجه أمهات المؤمنين، وصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

يسود العالم المعاصر توجّه نحو تنمية العمل الخيري باختلاف تجلياته، والرفع من إسهام المجتمع بمختلف مكوناته في تدبير الشأن العام والتنمية البشرية، إلى جانب ما تقوم به الدول والحكومات؛ قَصْدَ التخفيف من حدة الأزمات الاجتماعية التي يعاني منها الأفراد والجماعات.

ومن هذا المنظور، فلهذا البحث الموسوم بـ "العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي" أهمية كبرى في تبيان أن نظام العقود التبرعية في الإسلام يؤسس للعمل الخيري، ولانخراط المجتمع المدني في تدبير حاجيات المجتمع والشأن العام، وأن من منطلق الغاية التعبدية التي تُعد بمثابة المحرك الأساس للتبرع والتطوع في المجتمع الإسلامي، فهناك علاقة تلازمية بين مستوى تمسك المسلمين بدينهم ومستوى ترسخ مبدأ الإنفاق التطوعي وانتشار العقود التبرعية التكافلية والتنموية في معاملاتهم، ولاستجلاء هذه الأفكار؛ اخترت هذا البحث الذي يروم تحقيق الأهداف التالية:

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

❖ أهداف البحث:

تسير الدراسة جنباً إلى جنب مع أعمال المؤتمر الموسومة بـ "العمل الخيري: مقاصده وقواعده وتطبيقاته"، والتي تروم تحقيق الأهداف التالية:

أولاً: إبراز المقاصد النفسية والتربوية للعمل الخيري باختلاف تجلياته على الفرد والمجتمع.

ثانياً: توصيف تداعيات العمل الخيري الإيجابية على الفرد والجماعة وتحقيق التنمية الشاملة.

ثالثاً: المساهمة في تأصيل العمل الخيري وإبراز مفاهيمه وأسسها الشرعية.

رابعاً: الوقوف على بعض النماذج الشرعية المؤسسة والمحفزة للعمل الخيري.

❖ المنهج العلمي المتبع:

تعتمد الدراسة لبلوغ أهداف البحث والوصول إلى النتائج المأمولة على منهج علمي يجمع بين المنهج الوصفي والمنهج التحليلي القائمين على عرض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار المرورية، وتحليلها والوقوف على أبعادها، وربطها بواقع الدراسة؛ لاستلهاهم أهم الآثار ذات الأبعاد النفسية والتربوية المتعلقة بالعمل الخيري باختلاف تجلياتها، والوقوف على النتائج المتوقعة والمأمولة، واستخلاص أهم التوصيات المترتبة عليها.

❖ أدوات جمع البيانات للبحث:

– القيام بعملية استقراء تشمل النصوص الشرعية، والأقوال المأثورة، وأبرز النماذج التاريخية؛ لاستخراج واستخلاص أهم المقاصد النفسية والتربوية للعمل

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الخيري على الفرد والجماعة، وتنمية المجتمع المتكافل والمتضامن.
لذلك فالبحث يحاول الإحاطة العلمية بالآثار الإصلاحية ذات البعد النفسي
والتربوي للعمل الخيري، والإجابة عن أسئلة الدراسة من قبيل:

▪ ما الآثار النفسية والتربوية للعمل الخيري على الفرد والمجتمع؟
▪ ما المقاصد والغايات التي تروم العقود التبرعية تحقيقها من وجهة نظر
الإسلام؟

▪ ما دواعي إقبال الناس على العمل الخيري والتطوعي؟
▪ إلى أي حد يمكن للعقود التبرعية أن تسهم في تنظيم العمل الخيري،
وترفع من مردوديته؟

وسأحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة
أضمن فيها أهم النتائج والتوصيات حسب خطة العمل التالية:

✿ خطة البحث:

المبحث الأول: مهمات الإنسان الاستخلافية:

المطلب الأول: تحقيق مبدأ الاستخلاف في الأرض بالإصلاح والتعمير
والعمل الخيري.

المطلب الثاني: تحقيق مبدأ الاستخلاف في المال ومفهوم التصرف بمقتضاه.

المبحث الثاني: الأدلة الشرعية والترغيب في العمل الخيري:

المطلب الأول: ترغيب الكتاب المجيد في العمل الخيري.

المطلب الثاني: ترغيب السنة النبوية في العمل الخيري.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

المطلب الثالث: دعوة كافة مكونات المجتمع الإسلامي للانخراط في العمل الخيري.

المبحث الثالث: المقاصد النفسية ومحفزات العمل الخيري، وأثرها في تحقيق التنمية المجتمعية الشاملة:

المطلب الأول: المقصد العقدي.

المطلب الثاني: المقصد التعبدي.

المطلب الثالث: المقصد الفطري.

المطلب الرابع: المقصد الأخلاقي.

المبحث الرابع: المقاصد التربوية للعمل الخيري، وأثرها في تحقيق التنمية المجتمعية الشاملة:

المطلب الأول: تصحيح مفهوم الملكية الخاصة.

المطلب الثاني: تركية النفوس بالإنفاق والبذل.

المطلب الثالث: الحد من ظاهرة النزعة الاستهلاكية.

المطلب الرابع: تطهير النفوس من الشح والبخل.

المطلب الخامس: إشاعة روح التكافل بين مكونات المجتمع.

المطلب السادس: تطهير النفوس من الترف والغنى الفاحش.

المطلب السابع: المساهمة في القضاء على رذيلة التسؤل.

النتائج المتوقعة:

بحوث مؤتمر العمل الخيري

■ الوقوف على الآثار الإصلاحية ذات البعد النفسي والتربوي للعمل الخيري والتطوعي.

■ تبيان أن التشريعات الإسلامية لا تلغي غريزة حب التملك ولا تتجاوزها، لكنها تهذبها وتطورها، وتوسع من آفاقها، وتوظفها في خدمة الإنسان والمجتمع، وتحولها من وسيلة لتحقيق اللذة والمنفعة على حساب الآخرين إلى أداة لتحقيق اللذة والمنفعة في خدمة الآخرين، وفي طريق مرضاة الله، والفوز بالآخرة.

■ تبيان أن العمل الخيري في الإسلام له منظومة تشريعية متكاملة تضمن تحقيق التوازن في شخصية الفرد، وتحرره إلى حد بعيد من الانصياع لفتنة المال وسطوته وطغيانه.

■ ربط دوافع السلوك البشري في تعلقه بالمعاملات المالية بعلة غائية سامية متمثلة في الله تعالى والحياة الأخرى، وتحفيز المسلم على تهذيب غريزة حب التملك لديه، وتأهيله لكي تكون معاملته المالية منطلقة من مبدأ الاستخلاف في المال.

هذا، ونسأل الله الجواد التوفيق والسداد في كتابة ما ينفع العباد والبلاد، والنجاة يوم التناد، ولا تفوتني هذه الفرصة؛ لأن تقدم لمنظمتي هذا المؤتمر الدولي المبارك بالشكر والامتنان الكبير على ما يقدمونه من خدمات وأعمال جلييلة للإسلام والمسلمين، وما يعملون على تسطيره من صفحات العلم والمعرفة مما يشهد به التاريخ من الأفضال والمحامد، وكفى بكم فخراً أنكم دعاة للخير، وهداة للناس على سبيل الرشاد، تقبل الله منا ومنكم، ووفقكم لما يحب ويرضى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول

مهمات الإنسان الاستخلافية

✻ المطلب الثاني: تحقيق مهمة الاستخلاف في المال ومفهوم التصرف

بمقتضاه:

✻ المطلب الأول: تحقيق مهمة الاستخلاف في الأرض بالإصلاح والتعمير

والعمل الخيري (مهمة الإنسان الوجودية):



المطلب الأول

**تحقيق مهمة الاستخلاف في الأرض بالإصلاح
والتعمير والعمل الخيري (مهمة الإنسان الوجودية)**

وهذا الاستخلاف يستدعي القيام بالدور الموكول إلى الإنسان به من قبل رب العالمين؛ لتنفيذ مراده في الأرض وإجراء أحكامه فيها. وقد هيأ الله الإنسان لدوره الاستخلافي، وأوكل إليه أمانة تعمير الأرض بالتقديس والتسييح والعبادة الطوعية والاختيارية، ومهمة إعمارها بالخير والحق والعدل، وجوهر هذه المهمة التي جعلها الله غايةً للوجود الإنساني: هو أن يحصر الإنسان (ال خليفة) همّةً وجُهدَهُ في الاقتراب من الله تعالى، وذلك بالعمل الدائب والكدح المستديم؛ لترقية ذاته وتنميتها حتى يبلغ من الاكتمال الدرجة التي ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

ويرتبط مبدأ الاستخلاف في المال بمفهوم استخلاف الإنسان في الأرض ارتباطاً فرعياً بالأصل؛ فمفهوم الاستخلاف يحدد غايةً الوجود الإنساني وأدواره الكونية؛ أما مبدأ الاستخلاف في المال، فينظم علاقة الإنسان بالمال، حيث يهذب حبّ التملك لديه؛ ليُحسِن استثمار الثروات والخيرات المشتركة بين بني البشر.

ومبدأ الاستخلاف في المال بمنظومته التشريعية المتكاملة يرشد التصرف في الثروة المستخلف فيها وفق نظام الاستخلاف والمنهج الإلهي القائم على أساس

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

الكفاية والتوزيع العادل للثروات، فيجعل الملكية الفردية في خدمة المجتمع، ويجعل التكافل الاجتماعي واجباً شرعياً كفاً على كل من الفرد والجماعة؛ فيختفي مع هذا النظام التشريعي التفاوت الطبقي، ويحل الاستقرار والسلام الاجتماعيان، وترشُد علاقة الإنسان بالمال والثروة، فلا تطغى عليه النزعة العدوانية الجشعة للاستئثار ووضع اليد على المال والثروة واحتكارها وحرمان الآخرين منها.

إن وظيفة الخلافة لما كانت هي الغاية من حياة الإنسان، فإنها ستمثل المحور الذي ترجع إليه كل منازعة في الفكر والسلوك، والخيط الذي ينظم كل حركة وسكون في حياته، وهي بهذا المعنى تكون منهجاً شاملاً في التصرف الإنساني، سواء في سياسة نفسه؛ فرداً ومجتمعاً، أو في تعامله مع الكون، أو في صلته بخالقه.^(١)

فلا يمكن أن نغفل - ونحن نتحدث عن مهمة الإنسان الاستخلافية وعلاقتها بالعمل الخيري والإصلاح والتعمير - أن "بالأمن الاجتماعي يزدهر العمران الإنساني، وبغيته يتراجع هذا العمران ويضمحل، وإذا كانت المقومات الضرورية لتحقيق الأمن الاجتماعي والمجتمعي كثيرة ومتعددة، فإن في مقدمة هذه المقومات يأتي الأمن الروحي والفكري، والأمن على مقومات المعاش المادي في دنيا الإنسان"^(٢).

(١) خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، د/ عبد المجيد النجار، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار

الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٣م، ص: ٦٥

(٢) الروح والمادة في الأمن المجتمعي، د/ محمد عمارة، مقالة في مجلة حراء، السنة الخامسة،

العدد (١٩) ٢٠١٠، ص: ٢٨.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

بل إن هذه الرؤية الاجتماعية الإسلامية تبلغ القمة في العظمة عندما تجعل الأمن على المعاش المادي هو الشرط الضروري لتحقيق كمال واكتمال الأمن الديني والروحي للإنسان في هذه الحياة؛ وذلك عندما تُقرَّر أن صلاح الدين مؤسَّس على صلاح المعاش وتوفُّر الضروريات والحاجات المادية للإنسان.

وبعبارة حجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م): "فإن نظام الدين لا يصلح إلا بانتظام الدنيا؛ فنظام الدين بالمعرفة والعبادة، لا يتوصَّل إليهما إلا بصحة البدن، وبقاء الحياة، وسلامة قدر الحاجات من الكسوة، والمسكن، والأقوات والأمن..."، ثم يستطرد الغزالي: "ولعمري، إن من أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه، وله قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها. فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقاً في حراسة نفسه من سيوف الظلمة، وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل، وهما وسيلتاها إلى سعادة الآخرة؟ فإذا، بان أن نظام الدنيا - أعني: مقادير الحاجة - شرط لنظام الدين"^(١).

وبعبارة الشيخ المجدد محمد الغزالي (ت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م): "لقد رأيت - بعد تجارب عدة - أنني لا أستطيع أن أجد بين الطبقات البائسة الجوّ الملائم لغرس العقائد العظيمة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، إنه من العسير جداً أن تملأ قلب الإنسان بالهدى إذا كانت معدته خالية، أو أن تكسوه بلباس التقوى إذا كان جسده عارياً. إنه يجب أن يؤمَّن على ضروراته التي تقيم أودّه كإنسان، ثم

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م، ص: ١٢٨.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

يتنظر أن تستمسك في نفسه مبادئ الإيمان، فلا بد من التمهيد الاقتصادي الواسع، والإصلاح العمراني الشامل، إذا كنا مخلصين حقاً في محاربة الرذائل والمعاصي والجرائم باسم الدين، أو راغبين حقاً في هداية الناس لرب العالمين^(١). ومن هنا تبرز أهمية تحقيق مبدأ الاستخلاف في المال؛ كَلْبَنَةِ أساسية تُبنى عليها مهمة الإنسان الاستخلافية، وسبيل لتعمير الأرض بالخير والإصلاح والعدل والتكافل، وكمنهج رباني لإخراج الإنسانية من ظلمات الاستبداد إلى نور التآخي والمؤاساة وتحقيق العدالة الاجتماعية.



(١) الإسلام وأوضاعنا الاقتصادية، محمد الغزالي السقا (ت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، نهضة مصر للطباعة/ القاهرة- مصر، ط ٣، ٢٠٠٥م، ص: ٦١- ٦٢

المطلب الثاني

تحقيق مهمة الاستخلاف

في المال ومفهوم التصرف بمقتضاه

لعلَّه من نافلة القول الإشارةُ إلى أن البشرية لازالت تعاني من مشكلة استعصى عليها حلُّها، هي المشكلة الاجتماعية؛ فالبشرية في بحثٍ حثيثٍ عن نظام اقتصادي واجتماعي يُصلح حال الإنسانية، ويحقق التوازن العادل بين أفراد المجتمع البشري كافة دون إهدار طاقاتهم وإمكاناتهم في صراعاتٍ حول تلبية حاجاته، ويوجِّه سيرها المتكامل صوبَ تحقيق الغاية الكبرى من خَلْقها، وهي عبادة الله في إطار مجتمع عالميٍّ متعارفٍ، ومتضامنٍ وموحدٍ.

والإسلامُ يقدم للعالمين منظومةً تشريعيةً متعلقةً بالجانب المالي بوصفها الشمولي والتكاملي؛ إذ جوهر الحل الرباني للمشكلة الاجتماعية يقوم على التوفيق بين الدوافع الذاتية والمصالح الاجتماعية، لا بإلغاء الدوافع الذاتية وسخِّفها، ولا بتجاهلِ المصالح الاجتماعية وضربها.

ويتأسس هذا المبدأ على أن المال مالُ الله تعالى، وأن الإنسان موكلٌ على التصرف فيه بمقتضى أمرِ الله وشرعه المبيِّن في شريعته، ويرسي هذا المبدأ قواعدَ أساسيةً لنظرة الإسلام، يقول تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

ويمدنا الزمخشري (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) في تفسير هذه الآية الكريمة بالقول: "يعنى أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما مؤلِّكم إياها، وخوِّلكم الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها؛ فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب، فأنفقوا منها في حقوق الله" (١).

وبعبارة محمد عبده (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) الذي نبه على دلالات إضافة القرآن الكريم مصطلح (المال) إلى ضمير الجمع في سبع وأربعين آية، بينما لم يُضفهُ إلى ضمير المفرد إلا في سبع آيات؛ "لينبه الله بذلك على تكافل الأمة في حقوقها ومصالحها، كأنه يقول: إن مال كل واحد منكم إنما هو مال أممِّكم" (٢)؛ ولهذا كان نصيب الفقراء في الأموال والثروات حقاً وليس منة من الأغنياء؛ لأن الكافة مستخلفون في مال الله الذي خلقه وسخره للكافة، يقول الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠].

فَبِتَحَقُّقِ مفهوم الاستخلاف في المال، يتبوأ العمل الخيري شأنًا عظيمًا في إعادة توزيع الثروات ومنع تجمعها في أيدي قليلة، مما يُسهم في تحقيق العدل الاجتماعي والتقليل من الفوارق الاجتماعية؛ إذ يلعب العمل الخيري دوراً أساسياً كذلك في الرفع من القدرة الشرائية للفئات الفقيرة والمُعوزة، وفي تحرير المعاملات المالية من الاستغلال، فالقرض الحسن مثلاً باعتباره تبرعاً بمنفعة

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان، ط ٣، ١٤٠٧هـ، [ج ٤، ص ٤٧٣].

(٢) الأعمال الكاملة، محمد عبده (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م)، تحقيق وتقديم: محمد عمارة، دار الشروق، طبعة ١٤٠٤هـ / ١٩٩٣م، [ج ٥، ١٩٤].

بحوث مؤتمر العمل الخيري

النقود إلى أجلٍ يحمي المقترض من الزيادة الربوية.

فنظرة الإسلام إلى المال لا تختلف عن نظرتة إلى الدنيا بشكل عام، فموقف الإسلام من الدنيا موقف المتوازن، والمتوسط بين طرفين؛ فلا هو مع الراضين للدنيا بالكلية بدعوى أنها شرٌّ كله، يجب الخلاص منه بالتعجيل بفنائها، ولا مع عبّاد الدنيا الذين اتخذوها إلهاً ومعبوداً من دون الله، فالحياة عندهم مادة لا غير، فهو يعتبر الدنيا مَطِيَّةً ومزرعة للآخرة، والمال جزء من متاع الدنيا، وواحد من مقوماتها، فهو عصب الحياة وزينتها، وبه قوام عيش الناس وحاجاتهم؛ إذ يمثل واحداً من الضروريات الخمس التي لا تستقيم مصالح الدنيا إلا بها، وهو في حقيقته لا يعدو أن يكون وسيلة تخدم مقصد الوجود الإنساني في هذه الحياة، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]. فبالمال تُعَمَّرُ الحياة المادية وبالبنين تُعَمَّرُ الحياة الإنسانية.^(١)

١. والحاصل أن العمل الخيري يرتكز في نَسَقِهِ العام على مبدأ الاستخلاف الإنساني في المال الذي يتضمن الجواب الشرعي على كل الإشكاليات التربوية والاجتماعية المتعلقة بالمال وإدارته؛ ففيه الأسس الشرعية لمختلف الإشكاليات المترتبة عن التطبيق السيئ للملكية الفردية، والحد من تداعياتها الوخيمة على الفرد والمجتمع، وفي مقدمتها معاناة الفئات العريضة من الفقراء من تسلُّط واستغلال الفئة المترفّة التي تبحث عن مزيد من الثراء، وعدم تحقق الكفاية لكل الناس، والتوزيع غير العادل للثروات، والتفاوت الطبقي السحيق بين أفراد

(١) إدارة المال وأثرها في الحد من ظاهرة النزعة الاستهلاكية دراسة تحليلية في السنة النبوية، د/ إياد عبد الحميد نمر، الندوة العلمية الدولية السابعة التي عقدت بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي - دولة الإمارات العربية المتحدة ٢١/٢٣ - ٤ / ٢٠١٥، ص: ٧٢٨.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

المجتمع الواحد؛ لذلك فالعقود التبرعية تعبير عن كمال التشريع الإسلامي، وقدرته على استيعاب التطور الحضاري، والاستجابة لتجدد الحاجات بما يلائم فطرة الإنسان وسنن العمران، فهي تحقق التوسعة على الناس بفتح مجالات النفع الاجتماعي، وغرس روح المسؤولية والمبادرة الاجتماعية، وإتاحة الفرصة لنمو مؤسسات أهلية ومدنية فعالة تسهم في تكافل المجتمع وتربطه، وهذه المقاصد الإصلاحية للعمل الخيري ليست إجراءً علاجياً، أو تصرفاً طارئاً، بل هو مبدأ أصيل، وسنة حميدة في الدين، أرست قواعدها آيات القرآن الكريم والسنة المطهرة في مواضع كثيرة من نصوص الوحي.



المبحث الثاني
الأدلة الشرعية
والترغيب في العمل الخيري

✽ **المطلب الأول: ترغيب الكتاب المجيد في العمل الخيري**

✽ **المطلب الثاني: ترغيب السنة النبوية في العمل الخيري:**

✽ **المطلب الثالث: دعوة كافة مكونات المجتمع الإسلامي للانخراط**

في العمل الخيري:



المطلب الأول

ترغيب الكتاب المجيد في العمل الخيري

أولى البلاغ القرآني أهمية عظيمة للحث على العمل الخيري والمبادرة إليه، ولقد خاطب في الإنسان جانبه النفسي بطريقة تربوية تسعى إلى تحفيزه، وتعزيز النفس السخية الكريمة التي تعود بالنفع على الفرد والمجتمع، ولقد أجملها الخطاب القرآني في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

فكان ذلك تحفيزاً قوياً للنفس على العمل الخيري باختلاف تجلياته، وانخراط المجتمع المدني في تدبير الشأن العام إلى جانب مؤسسات الدولة في الحد من الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والمشاركة الواعية والمسؤولة لضمان التوزيع العادل للثروات، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وتقليص الفوارق بين فئات المجتمع، كما نوهت بذلك التوجيهات القرآنية؛ فجعلتها من علامات السمو الروحي للمقربين: ﴿وَالَّذِينَ فِيْ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤ - ٢٥].

فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون في المال نصيبٌ مفروضٌ للبائسين والمحرومين، يأخذونه من أموال إخوانهم، الذين وسَّعَ اللهُ عليهم في الرزق؛ إما

بحوث مؤتمر العمل الخيري

بطيب خاطر ورضى نفس، كالصدقات وأعمال البر، وإما على سبيل الوجوب والإلزام، كالزكاة، وجعلت الشريعة الإسلامية مصارف تُصرف فيها الأموال لمستحقيها، كما بين الله تعالى ذلك في مواضع كثيرة من كتابه المجيد، بحيث يعم الخير جميع مكونات المجتمع، وأن يتوافر لكل فرد حد الكفاية، لا الكفاف، أي: المستوى اللائق للمعيشة بحسب زمنه ومكانه، لا مجرد المستوى الأدنى اللازم للمعيشة، وذلك حتى يستشعر نِعَمَ الله وفضلَه، فيتجه تلقائياً إلى حمده تعالى وعبادته، هذا الحمد والشكر الذي لا يُعبَّرُ عنه في الإسلام بالقول والامتنان فحسب، وإنما بالعمل والإخلاص فيه؛ لقوله تعالى: ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، وهذه العبادة التي لا تتمثل في الإسلام بالصلاة والتوجه إلى الله فحسب؛ وإنما أساساً بالعمل الخيري، وبخدمة الغير، ومدد يد العون لكل محتاج؛ لقوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

ولقد جاء البلاغ القرآني مخاطباً النفس البشرية على مراتب تختلف باختلاف الأعيان والحالات؛ فقد حث على العمل الخيري والإنفاق مما زاد عن الحاجة في قوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، والعفو أو الفضل: هو كل ما زاد عن الحاجة، فالإسلام لا يكتفي بفريضة الزكاة مثلاً، بل يطالب القادرين أيضاً بفريضة الإنفاق في سبيل الله، وينذرهم في إغفالها بالتهلكة والحساب العسير، إذ يقول تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]؛ ولقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، كما أن فعل العمل الخيري جاء مقروناً في كثير من المواضع بكشف بلاء، أو

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

كرب، أو حزن، وربط فعل الخيرات بالفتوحات والعطاءات الربانية الدنيوية والأخروية، كقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

إن العمل الخيري في الإسلام ليس فقط تعبيراً فردياً عن صحوة في الضمير، أو يقظة في العقل والنفس، وإنما هو -إلى جانب ذلك- روح اجتماعية سارية في أوصال الجماعة المؤمنة، وهو كذلك من لبنات البناء الاجتماعي الفاضل الذي تتسابق أفراده وتتنافس في فعل الخيرات؛ امتثالاً للتوجيهات القرآنية المتكررة: ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.





المطلب الثاني

ترغيب السنة النبوية في العمل الخيري

بالانتقال إلى السنة النبوية الأنموذج التطبيقي للبلاغ القرآني؛ نجد أن الرسول ﷺ قد عني بتربية الصحابة على السلوك القويم، والأخلاق الحميدة، والعادات الحسنة المتعلقة بالعمل الخيري التضامني؛ فكان يبث فيهم حب الناس والتعاون والتضامن معهم، والود والإخاء والإيثار، وقد أجمل النبي ﷺ هذه القيم في قوله ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

لذلك كان المسلمون الأولون يتسابقون في البحث عن كل محتاج؛ لكفالتهم؛ ابتغاء وجه الله، بل لقد كان أثرياء المسلمين يسارعون في القيام بالتزامات الدولة ذاتها؛ فهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يقوم بتجهيز جيش العسرة، ويشترى بئر رومة للمسلمين، وهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يدفع كل ثروته؛ لإعتاق الرقيق، وسد حاجة كل طالب، ولم تكن المسارعة إلى البذل في سبيل

(١) رواه البخاري عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه [ح ٢٤٤٢، ج ٣، ص ١٢٨].

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

الخير من شأن المكثرين وحدهم، بل كان ذلك أيضاً من المقلين، حتى كان منهم من يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة! وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

ولقد لخص الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سياسة التوزيع في الاقتصاد الإسلام بقوله: "ما من أحد إلا وله في هذا المال حق: الرجل وحاجته... الرجل وبلاؤه" أي: عمله... "ثم قوله: "إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سددها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجزنا تأسنا في عيشنا، حتى نستوي في الكفاف"^(١).

وفي هذا إشارة بليغة على تكثيف الجهود في سبيل تشجيع العمل الخيري باختلاف تجلياته، خاصة في الظروف الصعبة التي يمر منها العباد، كالحروب أو المجاعات التي تشح فيها موارد البلاد، بحيث لا يتوافر فيها "حد الكفاية" لكل مواطن، فإنه يتأسى الجميع في "حد الكفاف"، بحيث لا يحصل أحد -أياً كان مركزه أو مكانته في المجتمع- على أكثر من احتياجاته الضرورية، ومن ثم لا يسمح بالشراء والغنى إلا بعد القضاء على الفقر والحاجة.

لقد عالج الخطاب النبوي الأمن النفسي والاجتماعي للإنسان المسلم في علاقة حاجياته ومتطلباته الاجتماعية، واستخدم لذلك وسائل تتوخى التخفيف من تبعات الحياة المادية التي نعيشها، وتشدُّ الرضى النفسي عن الحالة المادية

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن الجوزي أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م)، المطبعة التجارية الكبرى بالقاهرة. طبعة بدون تاريخ، ص ١٠١ وما بعده.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

للإنسان، وتقوم على تربية النفس على التعاون والتضامن، والعمل الخيري والإعطاء بمدح النبي ﷺ للمعطي بقوله ﷺ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنَى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»^(١).

وعموماً، فالخطاب النبوي خطاب "سيكولوجي"؛ يَنجُه إلى مكونات النفس البشرية، ويخاطب حاجاتها التي فطرت عليها، ويُعزِّزُ النَّفْسَ الكريمةَ والسَّخِيَّةَ؛ للإقبال على العمل الخيري، والمشاركة الفعالة في التنمية الاجتماعية، باختلاف تجلياتها المجتمعية، كقوله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمَسِّكَهُ شَرٌّ لَكَ»^(٢). وقوله ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْزَمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلِ، الصَّائِمِ النَّهَارِ»^(٣).

كما أن الخطاب النبوي يكشف عن الخلفية القيميَّة لأحكام المعاملات الذي توضح الرؤية الكلية لطريقة الإسلام في معالجة القضايا المالية والاجتماعية، وهي بذلك تقرر الكثير من الأحكام ذات التعليل القيمي؛ لتؤكد أن المنفعة المادية ليست هدفاً لذاتها، بل القيمة الأخلاقية لها الاعتبار الأكبر، فلا قيمة للمنفعة المادية إذا تسببت في خلل قيمي يهدد النسيج الاجتماعي ويُضعف تماسكه.

(١) رواه البخاري عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، كتاب الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى [ح ١٤٢٧، ج ٢، ص ١١٢].

(٢) رواه مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه، كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى [ح ١٠٣٦، ج ٢، ص ٧١٨].

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب النفقات، باب فضل النفقة الأهل [ح ٥٣٥٣، ج ٧، ص ٦٢].

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

فالمعيار الاجتماعي كان حاضراً بقوة في المدونة الحديثة؛ حيث جاء مُرغَباً في العمل الخيري ومؤكداً على واجب الإنسان تجاه مجتمعه، وتحمله المسؤولية في تقديم النفع لمحيطه؛ ليشمل كافة الناس من حوله، بدءاً بأهل بيته وأرحامه وجيرانه، ومن ذلك ما جاء في الحديث: «مَا آمَنَ بِي مِنْ بَاتِ سَبْعَانَ، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ»^(١).

وفي هذا التحذير النبوي تشجيعٌ مكونات المجتمع المدني على العمل الخيري، ورغبةٌ في تحمل الإنسان لهماوم من يحيط به، فلتلتمسه لحاجاتهم الاجتماعية أكبر الأثر في ترشيد الاستهلاك والشعور بحرمة الإسراف، حينما يُعابن الفقراء، وهم لا يجدون ما يسدون رمقهم به، وقد رفع نبي الرحمة المهداة ﷺ سقف التحفيز على العمل الخيري التضامني حينما قال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل، الصائم النهار»^(٢).



(١) رواه الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه في المعجم الكبير [ح ٥٧١، ج ١، ص ٢٥٩] واللفظ له، والبيهقي في السنن، [ح ١٩٦٦٨، ج ١٠، ص ٥] بلفظ: "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ"، والحاكم في المستدرک على الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بلفظ: "لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ سَبْعَانَ، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ"، وصححه الألباني في تعليقاته على الأدب المفرد [ح ١١٢، ج ١، ص ٦٠].

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب النفقات، باب فضل النفقة الأهل [ح ٥٣٥٣، ج ٧، ص ٦٢].

المطلب الثالث

**دعوة كافة مكونات المجتمع الإسلامي
للانخراط في العمل الخيري**

نظمتُ هذا المطلب، وأرفقته بمطلبي الترغيب في العمل الخيري من الكتاب والسنة؛ لتحديد نوع ومجالات العمل الخيري المقصود في الاعتبار الشرعي السديد، لا النظر العقلي السائد؛ إذ من الملاحظ أن العمل الخيري والعقود التبرعية تنحُو عموماً في مجتمعاتنا اليوم نحو التركيز على المعاملات الفردية المحدودة في آثارها التنموية، بحيث لم تبلور في صيغ جماعية مُنظَّمة وذات طابع مؤسساتي، تعود بالنفع العام على المجتمع، من مراكز مالية للاستثمار والتمويل، وجمعيات، وما شابه ذلك، حيث ظل إسهامها الاجتماعي يُركز بالأساس على توفير نفقات، وإنشاء دور العبادة، وتجهيزها وصيانتها وتسييرها، وعلى العمل الخيري الإحساني الاستهلاكي الذي يستهدف مساعدة الفقراء والمحتاجين بما يسد رمقهم الآني، والذي يُشرف على تنفيذه المتبرع بنفسه أو بمساعدة جمعيات محلية.

ولما للعقود التبرعية من رسالة عظيمة تتمثل في إقامة المؤسسات التنموية المرتبطة بمجالات متنوعة ومتعددة، ورعايتها، فإن النصوص الشرعية حثت كافة مكونات المجتمع على الانخراط الواعي والمسؤول في تطوير الدور التنموي للعمل الخيري والعقود التبرعية؛ فكانت حريصة بشتى السبل والمقاربات على

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

إشراك كافة الأفراد في الشأن الاجتماعي، وتنمية وعيهم بمسؤولياتهم الاجتماعية، والمشاركة في تطوير الإسهام الإنتاجي التنموي للعقود التبرعية بالتفكير المستديم في مجالات وبدائل جديدة تُعدُّ من الأولويات الاجتماعية الراهنة: (منح دراسية، مؤسسات البحث العلمي، دور إيواء الطلبة، المؤسسات الصحية، الرعاية الاجتماعية: السكن، التزويج، التشغيل، الأرامل، الأيتام.... وعدم الاقتصار فقط على المجالات التقليدية الشائعة: (المساجد، الخيريات، مؤسسات التعليم العتيق، الأقارب...).



المبحث الثالث

**المقاصد النفسية ومحفزات العمل الخيري،
وأثرها في تحقيق التنمية المجتمعية الشاملة**

✻ **المطلب الأول: المقصد العقدي**

✻ **المطلب الثاني: المقصد التعبدي**

✻ **المطلب الثالث: المقصد الفطري الإنساني:**

✻ **المطلب الرابع: المقصد الأخلاقي:**



المطلب الأول المقصد العقدي

يحدد هذا المقصد النسق العام الذي ينبغي أن تندرج تحته حركية المال عموماً؛ إنتاجاً وتداولاً، واستهلاكاً وتوزيعاً، ومن ثم فالتصور الإسلامي لموضوع المال عموماً يرتبط بالعقيدة منطلقاً، وما عنها من القيم؛ ممارسةً ومسؤوليةً؛ لما لهذه القيم من دور في ضبط هذا النشاط، وتوجيهه حتى لا ينفلت، ويصبح أداة للطغيان والفساد، وحتى لا تخرج المعاملة عن إطارها المشروع.

فالإيمان بالله تعالى - كأصل من أصول العقيدة - له شأنٌ عظيمٌ في استحضر الإنسان مراقبةً الله عند القيام بأي عملية مالية؛ لإكساب المعاملة تلك الصبغة الربانية، من معرفته تعالى ومحبته، وذكره وشكره، وحسن عبادته، والرجاء في رحمته، والخشية من عقابه، والتوكل عليه، إلى غير هذه المعاني التي تطبع "الجانبَ الرباني" في حياة المسلم، ولها علاقة مباشرة بكسب المال وإنفاقه، وفي ذلك جاء قول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيفَهُ»^(١).

وأما الإيمان باليوم الآخر، فيرسخ لدى المؤمن رغبةً عجيبةً للاستعداد

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف [ح ٧٤، ج ١، ص ٦٨].

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الواعي لتحمل مسؤولية التكاليف المالية بجانبها العوضي والتبرعي؛ ولذلك نجد السنة النبوية تربط دائماً السلوك الاجتماعي في إنفاق المال والثواب على ذلك باليوم الآخر، في إشارة تربوية بليغة أن هذه القيم الاجتماعية لها ما يقابلها من نفس الجزاء يوم القيامة، بل إن أي مجهود خيري يبذله الإنسان في سبيل الله، ينال ثمرته في الدنيا، وثوابه يوم القيامة، ومن ثم فهذا التوجيه له آثار نفسية وتربوية عظيمة، تشجع على العمل الخيري باختلاف تجلياته الاجتماعية، كقول النبي ﷺ: «وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

يعتبر المقصد العقدي الدافع الأساس للتبرع والعمل الخيري التضامني؛ إذ يهدف العامل إلى تكفير ذنب، أو صلة رحم، أو تحصيل ثواب، أو تقرب إلى الله تعالى، أو تأمين بقاء الثواب بعد الوفاة، أو مجاهدة نفسه وتطويعها وتربيتها على البذل والجود، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ لَكُمْ أَجْرًا وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]؛ لذلك فأعمال العاملين تجري على حسب معتقداتهم وأفكارهم، فجدير بمن صلحت عقائده وأفكاره أن تصدر عنه الأعمال الصالحة؛ ولهذا كان أسلوب الإسلام في الأمر بالأعمال الصالحة والنهي عن أضدادها أن يبتدئ بإصلاح العقيدة، دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].... ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البلد: ١٠-١٧]، فإن حرف (ثُمَّ) هنا لترتيب الرتبة في الإخبار الدال على أنه جدير بالتقديم، أي: بعد كونه ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٢).

(١) رواه البخاري عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه [ح ٢٤٤٢، ج ٣، ص ١٢٨].

(٢) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر بن عاشور، دار السلام، القاهرة / مصر، ط ١، =

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

وفي "الموطأ" درس تربوي بليغ: أن مالكا بَلَغَهُ أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إليه يذكر رجلاً مَنَّعَ زكاةَ ماله، فكتب إليه عمر: أن دَعُهُ، ولا تأخذُ منه زكاةً مع المسلمين، فبلغ ذلك الرجل، فاشتد عليه الأمر؛ فأدى بعد ذلك ما عليه من زكاة ماله، فكتب عاملٌ عمرَ يذكر له ذلك، فكتب إليه: أن خُذْها منه.^(١)

فلعظم أمر العمل الخيري عموماً، أراد الإسلام تشريفها وإقبال الناس على أدائها بسائقي في نفوسهم، فبتتبع نصوص الوحي المتعلقة بالعمل الخيري؛ تتضح بجلاء منهجية التشريعات الإسلامية في تهذيب غريزة التملك، من خلال ربط دوافع السلوك الإنساني بعلة غائية سامية متمثلة في الاستجابة لله وإيثار الحياة الأخرى، كما بيَّنه الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ [الكهف: ٤٦]، إلى جانب هذه العلة الغائية مد الإسلام الإنسان بمنظومة تشريعية متكاملة تضمن تحقيق التوازن في شخصية الفرد، وتحرره إلى حد بعيد من الانصياع لفتنة المال، بتنبه الإنسان إلى ضرورة الكدح، ومواجهة ميول النفس البشرية في الانشداد إلى الأرض أو الافتتان بزيبتها الزائلة، ومقاومة نزعات التملك والتسلط والهيمنة.

وهذه التشريعات لا تلغي غريزة حب التملك ولا تتجاوزها، ولكنها تهذبها وتطورها، وتوسع من آفاقها، وتوظفها في خدمة الإنسان والمجتمع، وتحولها من وسيلة لتحقيق اللذة والمنفعة على حساب الآخرين إلى أداة لتحقيق اللذة والمنفعة في خدمة الآخرين، وفي طريق مرضاة الله، والفوز بالآخرة.

١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص: ٥٨.

(١) موطأ مالك، كتاب الزكاة، باب ما جاء في أخذ الصدقات والتشديد فيها [ح ٩٢٦، ج ٢، ص ٣٨٠].

بحوث مؤتمر العمل الخيري

والحاصل أن هذا المنهج لا يحرر الإنسان من سطوة المال وطغيانه فحسب، بل يؤسس لمفهوم جديد للتملك، يقوم على الزهد بمعناه "الإيجابي"، لا بمفهومه "السلبى الهروبي" من التزامات الحياة، الأمر الذي يقود الإنسان إلى الإحساس بأنه ما دام يملك كفايته من الطعام والسكن والأمن، فهو مؤهّل للإحساس بامتلاك جميع الطيبات في هذه الحياة.



المطلب الثاني

المقصد التعبدي

معلوم أن القيم في حقيقتها ما هي إلا انعكاسٌ وتجلُّ للعقيدة والعبادة، وأن العبادة ليست مقصودةً لذاتها، بل هي تدريبٌ مستمرٌّ على الاستقامة، وبناء منظومة القيم في حياة الإنسان باختلاف تجلياتها، فإذا تمكن الإيمان من النفس الإنسانية سهَّلَ عليه الالتزام بتلك القيم، ولم تُعدِّ القيمُ مواداً تُدرَّس، بل سلوكاً يمارَس ويُطبَّق؛ ومن ثمَّ تصبح شخصية المتعامل المالي شخصيةً رساليةً؛ "المتعامل الخليفة"، ويُرفَعُ مقامه إلى مقامات الصالحين؛ لأنه مارس مهمة استخلافية عظيمة الشأن، وأدى وظيفة بالغة الخطورة في مجال حيوي كثيراً ما تنهزم فيه النفوس، فيكون حامل هداية بالحال قبل المقال.

فالغاية التعبدية تعتبر كذلك المحركَ الأساسَ للتبرع والتطوع في المجتمع الإسلامي؛ إذ توجد علاقة تلازمية بين مستوى تمسك المسلمين بدينهم ومستوى ترسُّخ مبدأ الإنفاق التطوعي في معاملاتهم الاجتماعية والمالية، وكذا درجة استجابة وتغطية العقود التبرعية للحاجات التكافلية والتنموية.

وباستقراء آيات القرآن المجيد يتضح أمر في غاية الأهمية؛ إذ إنه كلما نادى الله الناس في القرآن بالاستجابة لأمره التعبدي، ناداهم من حيث هو خالقهم، أي: أنه تعالى يسألهم أداءً حق الخالقية، هذه الصفة العظيمة لذاته تعالى التي بها كنا نحن في مقام الخليفة في الأرض، وهذا المقصد التعبدي له أثر عظيم على نفسية المتعامل المالي؛ إذ بإقدامه على العمل الخيري يحقق المعنى الاستخلافية الذي

بحوث مؤتمر العمل الخيري

لا ينفك عن تحقيق معنى العبودية والخضوع المطلق والاستسلام التام لله رب العالمين؛ ففي القيام بالعمل الخيري شكرُ المنعمِ على نعمه: ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وهو في نفس الوقت مطبّق لشرع الله، منفذٌ لأمره.

ويصرح الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) بأن المؤسسة في الإسلام تنقسم إلى قسمين: جبرية واجبة، واختيارية مندوب إليها، وأن في هذا التقسيم حكمة؛ لأن الناس صنفان: صنف يندفع إلى الإحسان بدافع من طبعه؛ لِمَا به من سخاء ومحبة الخير والزلفى، وصنف لا يندفع إليه من تلقاء نفسه، ولكن بدافع الإلزام والجبر وخوف العقوبة، فلم يجعل الإسلام المؤسسة كلها اختيارية؛ لثلاث يُحَرِّمُ المحتاجون مؤسسة كثير من الناس، ولم يجعلها واجبة؛ لثلاث يُحَرِّمُ المؤمنون فضيلة السخاء بالوقوف عند الواجب؛ لأن الاعتياد بالاختصار على الواجب يُنْسي النفوس طلبَ زيادة الثواب، فلعل كثيراً من النفوس لا تتبته إلى المؤسسة بما يزيد على أداء الواجب؛ لثلاث يرتفع الإحسان والفضل بين المؤمنين، بل يدومان ببذل الباذلين معروفهم عن اختيار منهم، وبتلقّي المعروف من المبدول إليهم، فيحصل بذلك بين الفريقين تآلفٌ وتوادُّ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].^(١)

إذ يُعْتَبَرُ النظام الإسلامي المتعلق بالعقود التبرعية مؤسساً للعمل التطوعي، ولانخراط المجتمع المدني في تدبير الشأن العام؛ فهو يغرس روح المسؤولية والمبادرة الاجتماعية لدى الأفراد، وينمي مؤسسات أهلية ومدنية فعالة تسهم في تكافل المجتمع وترابطه، ويوجه جهود المجتمع؛ لتتكامل مع جهود الدولة، وهو

(١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر بن عاشور، ص: ١٣٠

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

نظام شامل ومحكم، وقادر على استيعاب التطور الحضاري والاستجابة لتجدد الحاجيات في مجالات النفع الاجتماعي والتنموي.





المطلب الثالث

المقصد الفطري الإنساني

يقول الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م): "على أنك إذا أعمقت التدبر؛ وجدت المؤاساة من مقتضيات الفطرة؛ فهي راجعة إلى أصل وصف الإسلام مباشرة، كما رجعت إليه الأخوة حسبما بينته في مبحثها، فليست المؤاساة بحاجة إلى إيوائها تحت ظل الأخوة؛ لأن المؤاساة كفاية حاجة المحتاج عند الشعور بأنه محتاج، ومن الفطرة الإنسانية انفعال النفس برقة ورحمة عند مشاهدة الضعف والحاجة؛ لاستشعار تألم المحتاج، ثم اندفاع بذلك الانفعال إلى السعي في تخليصه من آلام تلك الحاجة، ولا يتخلف هذا الإحساس إلا نادراً، وعندما يَحْفُ به عارضٌ يعكسه إلى ضده، مثل حال عدم الرأفة بما لا يُتَّقَى أذاه، كالعقرب والسبع"^(١)

ولعظم أمر العمل الخيري عموماً؛ أراد الإسلام تشريفه، وإقبال الناس على أدائه بسائق في نفوسهم، وقد يكون هذا السائق مرتبطاً بالجملة الإنسانية، متعلقاً بالثناء وحب المحمودة بين الناس، ويمدنا محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م): "ويظن بعض الناس أن عمل الخير لأجل الشرف والمحمودة مذموم

(١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر بن عاشور، ص: ١٢٩

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

في نظر الدين، ولا ثواب لصاحبه عند الله تعالى، بل هو مؤاخذ، كما يؤخذ من كتب الصوفية. إن هذا الظن غير صحيح، وما كان الله ليؤاخذ الإنسان على شيء أودعه في فطرته وجعله سائقاً له إلى كماله؛ وهو حب المحمودة الحقة، وأما المذموم عند الله تعالى وعند الناس هو حب المحمودة الباطلة، والثناء الكاذب، ما توعده الله الذين يحبون أن يحمدا بما فعلوا، وإنما توعده الذين ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٨٨]"^(١).

ويستطرد القول: "حب المحمودة الحقة لا ينافي كون العمل الصالح لوجه الله تعالى، بل هو معنى من معانيه. وإنما لن نبلغ نفع الله؛ فننفعه! ولن نبلغ ضرره؛ فنضره، كما ورد، وإنما كلفنا بعمل الخير لأجلنا، لا لأجله، فابتغاء وجه الله في العمل هو إرادة المنفعة الباقية به، فإن لكل شيء في هذه الدنيا وجهين: وجهاً إلى الحظوظ الجزئية الفانية، ووجهاً إلى المنافع الكلية الباقية، وهذا هو وجه الله تعالى، والذي يرضيه ويشيب عليه، والثناء عليه حق: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

إذا عرف الناس للعامل المحسن فضله وشكروا له عمله؛ يكون ذلك باعثاً للهمم إلى المباراة والمسابقة في ميادين الأعمال النافعة، وإن تقدم الأمم وارتقاءها على قدر مباراة أفرادها في الأعمال النافعة ومسابقتهم في ميادينها، وإذا كان الملوك والأمراء هم الذين يحفلون بما يكون من أفراد رعاياهم ويتقدرون المحسنين قدرهم؛ فلا تسئل عن مبلغ تأثير ذلك في تقدم الأمة وارتقاءها"^(٢).

(١) مجلة المنار، محمد رشيد رضا وآخرون، [ج ٦، ص ١٥١].

(٢) نفسه، [ج ٦، ص ١٥٢].

بحوث مؤتمر العمل الخيري

ويقول الرازي (ت ٦٠٦هـ / ١٢١٠م): "أن الخلق إذا علموا في الإنسان كونه ساعياً في إيصال الخيرات إليهم، وفي دفع الآفات عنهم أحبوه بالطبع، ومالت نفوسهم إليه لا محالة، فالفقراء إذا علموا أن الرجل الغني يصرف إليهم طائفة من ماله، وأنه كلما كان ماله أكثر، كان الذي يصرفه إليهم من ذلك المال أكثر، أمدّوه بالدعاء والهمة، وللقلوب آثار وللأرواح حرارة، فصارت تلك الدعوات سبباً لبقاء ذلك الإنسان في الخير والخصب، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] (١).

كما أن آثار العمل الخيري لا تقتصر على الآخرة، بل تشمل الدنيا كذلك، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ: «أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمُ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ» (٢). فمن جاد ساد، ومن بخل رذل؛ ولهذا قال محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥هـ): "كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عُرف بالسؤدد، وانقاد له قومه، ورحل إليه القاصي والداني، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام وإكرام الضيف" (٣)، والمتصدق ذو يد على أخذ الصدقة، بل إنه كما قيل:

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان، ط ٣، ١٤٢٠هـ، [ج ١٦، ص ٧٨].

(٢) رواه البيهقي في السنن عن سعيد بن المسيّب، كتاب آداب القاضي، باب مشاورة الوالي والقاضي في الأمر [ج ٢٠٣٠٦، ج ١٠، ص ١٨٧]، والحاكم في المستدرک عن أنس بن مالك، كتاب العلم، باب فصل في توقيير العالم [ج ٤٢٩، ص ١، ج ٢١٣] وقال: سمعت أبا علي الحافظ، يقول: هذا الحديث لم أكتبه إلا عن أبي عبد الله الصفار، ومحمد بن إسحاق وابنه من البصريين لم نعرفهما بجرح، وقوله: «أهل المعروف في الدنيا». قد روي من غير وجه عن المنكدر، عن المنكدر بن محمد، عن أبيه، عن جابر. «والمنكدر وإن لم يخرجاه فإنه يذكر في الشواهد».

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

يرتهنُّ الشكر، ويسترقُّ بصدقته الحر^(١)؛ ولذا كان ابن السَّمَّك (ت ٣٤٤هـ / ٩٥٥م) يقول: "يا عجبي لمن يشتري المماليك بالثمن، ولا يشتري الأحرارَ بالمعروف، ليس للأحرارِ ثمنٌ إلا الإكرام، فأكرم حرّاً تملكه"^(٢).



حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ص: ٢٥٩

(١) الآداب الشرعية الكبرى، لابن مفلح شمس الدين المقدسي (ت ٧٦٣هـ / ١٣٦٢م)، تح: شعيب الأرنؤوط - عمر القيام، مؤسسة الرسالة، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، [ج ١، ص ٣١٠]

(٢) روضة العقلاء، ص: ٣١٢

المطلب الرابع المقصد الأخلاقي

يبرز هذا المقصد بجلاء من خلال ربط الإسلام المعاملات المالية ربطاً محكماً بالإيمان والأخلاق، وليس بمنهج يحكمه منطق الربح والخسارة فقط، فحياة المسلم في نظر الإسلام حلقات متشابكة ومتكاملة، يتصل بعضها ببعض بالمثل العليا في أي ناحية من نواحيها، والمتأمل في سياق الأحكام والتوجيهات الإسلامية المتعلقة بالمال سيجد بجلاء: "أن الإسلام يَفْرُضُ الأخلاقَ والمثلَ في كل جانب من جوانب استثمار المال: في إنتاجه، وفي استهلاكه، وفي توزيعه، وفي تداوله، ولا يقبل بحال أن تسير أيُّ ناحية من هذه النواحي في معزل عن الأخلاق"^(١).

فلم يغفل الإسلام إدخال قيمه الأخلاقية في المعاملات المالية؛ فَمَزَجَ بأسلوب حضاري بين الماديات والروحيات؛ وأخضع العناصر المادية لمتطلبات تحقيق مبدأ الاستخلاف التي تركز على العدل، ومراعاة حقوق الغير، فيكون هذا اللقاء الثنائي بين القيم والعنصر المادي مطيةً للتنمية البشرية والرفي والتقدم

(١) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، مكتبة وهبية، القاهرة- مصر، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص: ٥٩.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

الحضاري الإنساني، بل نجده في سياق هذا الاقتران يقدم القيم على المادة بقول النبي ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»^(١).

من سمات المجتمع المسلم أنه مجتمع متكافل، والتكافل قبل كل شيء إحساس داخلي يعيش في نفس الفرد يستشعر به أن عليه واجبات تجاه المجتمع، وأنه إذا لم يُقْمَ بهذه الواجبات حَلَّتِ الأضرار بالمجتمع كله، ومن هذا الإحساس التضامني، نبع التكافل سلوكاً داخل المجتمع، تُوفِّر الجماعةُ به حاجات الأفراد من الأمن والغذاء والتربية والصحة...^(٢)، ومتى هيمنت هذه القيم في مجتمع من المجتمعات إلا ازدهرت فيه الأعمال الخيرية التي تعود بالنفع على الفرد والجماعة.

وبفضل هذه الرؤية التي يرسخها الإسلام في نفوس المسلمين أثناء معاملاتهم المالية، ينشأ مجتمع متضامن ومتكافل يرحم فيه الغني الفقير، ويعول فيه الموسر المعسر، إنها القيم التي تحارب الفقر وتنشر الكفاف والعفاف بين الناس، وعلى هذا الأساس، شكَّلتِ المعاملاتُ الماليةُ ذات الطابع الخيري التبرعي نظاماً متكاملًا من الالتزامات الخيرية والإحسانية، فتنوعت أصنافها وتكاملت مقاصدها حتى غطت ضروريات الناس، ولَبَّتْ حاجياتهم الأساسية، بل امتدت إلى تلبية التحسينيات، وهذا يحيلنا إلى الحديث على الآثار التربوية للعمل الخيري على الأفراد والمجتمعات.

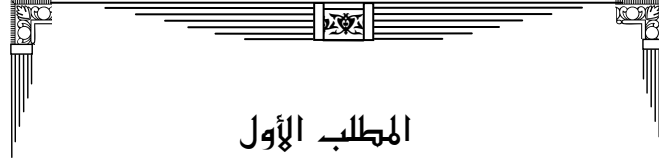
(١) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس [ح ٦٤٤٦، ج ٨، ص ٩٥].

(٢) نظام التبرعات في الشريعة الإسلامية، د/ محمد الحبيب التجكاني، دار النشر المغربية، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص: ٣.

المبحث الرابع

المقاصد التربوية للعمل الخيري، وأثرها في تحقيق التنمية المجتمعية الشاملة

- ✻ **المطلب الأول: تصحيح مفهوم الملكية الخاصة:**
- ✻ **المطلب الثاني: تزكية النفوس بالإنفاق والبذل:**
- ✻ **المطلب الثالث: الحد من ظاهرة النزعة الاستهلاكية:**
- ✻ **المطلب الرابع: تطهير النفوس من الشح والبخل وتعزيز مكانة النفس الكريمة السخية:**
- ✻ **المطلب الخامس: إشاعة روح التكافل بين مكونات المجتمع:**
- ✻ **المطلب السادس: تطهير النفوس من الترف والغنى الفاحش:**
- ✻ **المطلب السابع: المساهمة في القضاء على رذيلة التسول:**



المطلب الأول

تصحيح مفهوم الملكية الخاصة:

من المقاصد التربوية التي يعززها العمل الخيري حُدُّه من سطوة المغالات، والتطرف في معنى طبيعة الملكية، فبعد أن كان الناس يعتقدون أن لصاحب المال مطلق التصرف فيما يملك، ينفقه كيف يشاء وأين يشاء، فتعسف المالك، وبخل بماله، والمحتاجون يحقُّونه من كل جانب، يقتلهم العوزُ وتفتك بهم الحاجة، ولا منة ولا عطفَ عليهم. وفي هذا الظرف جاء القرآن ليعلن أن المال مال الله، ملكه مجموع هذه الأمة، فليس لأحد مطلق التصرف أو الاستئثار به، وأن ما يملكه ليس له وحده، بل هو لمجموع الأمة، قال الله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

ويُعطي مبدأ الاستخلاف في المال دلالةً متميزةً لمعنى الملكية والتملك؛ حيث يرفع يد الإنسان، ويجرده من التملك الحقيقي، ويعتبره وكيلًا ومستخلفًا، ويعتبر المال الذي في حوزته هو في حكم الوديعة والعارية؛ فهو استخلاف غير دائم، بل هو استخلاف محدود بأجال الإنسان، ومن ثم فهو منحة ربانية موقوتة، حيث شرعها الله، فهي إذاً ذات طابع تعبدية؛ ولذا تختلف عن طابع الملكية في الاقتصاد المعاصر على أساس أن هذه النظرة تؤثر على سلوك المسلم وعلى حياة الإنسانية كلها، وخصوصاً أنه يجب معها إتباع المُسْتَحْلِفِ، وهو الله تعالى، وينبني على هذا أن الملكية الفردية ليست وظيفة اجتماعية، كما تعبر عنه النظرية

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الحديثة؛ لأنه لم يتم بتوظيف من المجتمع، وإنما بتوظيف من الشارع، فالملكية في الشريعة الإسلامية حق فردي مقيد، وهو قائم باستخلاف ومنح الله؛ ليقوم المالك من خلالها بأداء وظائف شخصية واجتماعية حددتها الشريعة الغراء^(١).

وفي هذا حَصُّ على الكفالة الاجتماعية، وحثُّ بليغٌ على الإقدام على مختلف صنوف العمل الخيري الذي يعود على المجتمع بالخير العميم والتماسك والألفة، فالرزق والمال هما أصلان مملوكان على الشيوخ، والغني في تملكه للمال حائزٌ على حصة الفقير من هذا الرزق ومن هذا المال على الشيوخ، فللفقراء حق في هذا الاقتسام، يستردون أموالهم من الأغنياء بلا منة، ولا ابتذال، فالكل سواء، والفقراء بالنسبة للأغنياء سواء في امتلاك الرزق والمال^(٢).

فلا شك أن مثل هذه التوجيهات الشرعية - التي وصلت في الوعيد لحدِّ البراءة - تترك في نفس كل ذي لبٍّ أثراً عجيبيّاً، تغير معها نظرتها لمفهوم الملكية الخاصة التي لا ينبغي أن تصل إلى حد الاحتكار، بل تترك في نفوس الناس جميعاً؛ أفراداً ومؤسسات الخوف من براءة الله، وفي هذا مقصد لاستحضار مصلحة المجتمع، فتسود قيم التكافل والتآخي والإيثار الدافعة للعمل الخيري.

ولقد مارس الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مثل هذه التوجيهات المصححة والمؤطرة لمفهوم الملكية الفردية في أسْمَى تجلياتها الاجتماعية في إحقاق العدل والحق؛ فقد كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن

(١) دور الزكاة في علاج الفقر وتحقيق التكافل الاجتماعي، د/ أحمد أمحرزي العلوي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش - المملكة المغربية، ط ١، ٢٠٠٦م، ص: ١٩٢ وما بعدها.

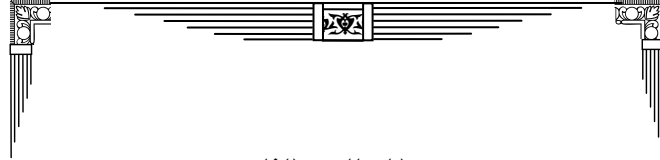
(٢) الاستخدام الوظيفي للزكاة في الفكر الاقتصادي الإسلامي، د/ غازي عناية، دار الجيل، بيروت/ لبنان، ١٩٨٩م، ص: ٤٧.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

بالعراق، وقال له: أن أخرج للناس أعطياتهم، أي: (رواتبهم ومخصصاتهم الدورية)، فكتب إليه: إني قد أخرجت للناس أعطياتهم، وقد بقي في بيت المال مال، (فأض في الخزانة)، فكتب إليه: أن انظر كل من عليه دين في غير سعة ولا سرف فاقض عنه، فكتب إليه: إني قد قضيت عنهم، وبقي في بيت المال مال، فكتب إليه: انظر إلى كل بكر، (أي: أعزب) ليس له مال فشاء أن تزوجه فزوجه وأصدق عنه، فكتب إليه: إني قد زوجت كل من وجدت، وقد بقي في بيت مال المسلمين مال...^(١)



(١) كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ)، تح: خليل محمد هراس، دار الفكر - بيروت. [ج ١، ص ٣١٩].



المطلب الثاني

تزكية النفوس بالإنفاق والبذل

لقد دعا القرآن الكريم في آيات شتى إلى الإنفاق والعمل الخيري التضامني، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، فالمال مال الله، وإنفاق الإنسان منه الذي استخلفه من جهة، وبأصرة الإنسانية من جهة أخرى، فوق ما فيه من تحرر شعوري من رِبْقَةٍ^(١) الحرص والشح، فكما أن العمل الخيري تطهير للنفس من البخل والشح، فهو تزكية لها بالإنفاق والبذل، وهو في الوقت ذاته ضمانات اجتماعية لتكافل الأمة كلها وتعاونها، وبهذا يكون للعمل الخيري عموماً دلالات شتى في عالم الضمير وعالم الواقع، وهذا يقرر أن السعادة الإنسانية الصحيحة في العطاء دون الأخذ، وأن الزائفة هي في الأخذ دون العطاء، وذلك آخر ما انتهت إليه فلسفة الأخلاق، فما المرء إلا ثمرة تنضج بموادها، حتى إذ نضجت واحلوت كان مظهر كمالها ومنفعتها في الوجود أن تهَبَ حلاوتها لغيرها، فإذا هي أمسكت الحلاوة على نفسها، لم يكن إلا هذه الحلاوة بعينها

(١) الربق، بالكسر: حبل فيه عدة عرى، يشد به البهم، كل عروة ربقة، بالكسر والفتح، ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ٨، ط ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م [ج ١، ص ٨٨٥].

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

سببٌ في عفتها وفسادها من بعد. (١)
وَالْمَالُ مِثْلُ الْحَصَى مَا دَامَ فِيهِ فَلَيْسَ يَنْفَعُ إِلَّا حِينَ يَنْتَقِلُ

في عالمنا المادي يسير كل أمر بالسرعة والفاعلية التي تتيحها الوسائل المادية، فالاقتصاد يعني تجميع المال، والناس فريقان: فريق يجمعه بالشح المضاعف؛ شحّ انتظار الفائدة، وفريق يجمعه بالغصب والاحتيال، وفي الطريق الإسلامي يكون برهانُ الصّدقِ وعلامةُ الإيْمَانِ البَذْلُ والعملُ الخَيْرِيُّ، قال ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ» (٢). ونهوض الإسلام إلى أن يبلغ غايته في حمل الرسالة يريد تربية النفوس على البذل والعطاء حتى تتخلق بأخلاق الله، فكلما اعتاد الإنسان البذل والعطاء ارتقى من حضيض الشُّحِّ الإنساني إلى أفق الكمال الرباني، فإن من صفات الحق سبحانه إفاضة الخير والرحمة على عباده دون نفع يعود عليه، والسعي في تحصيل هذه الصفات بقدر الطاقة البشرية تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ (٣)، قال الإمام الرازي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م): "إن النفس الناطقة -يعني: تلك التي صار بها الإنسان إنساناً- لها قوتان: نظرية، وعملية؛ فالقوة النظرية كمالها في التعظيم لأمر الله، والقوة العملية كمالها في الشفقة على خلق الله، فأوجب الله الزكاة؛ ليحصل لجوهر الروح هذا الكمال، وهو اتصافه بكونه محسناً إلى الخلق، ساعياً

(١) وحي القلم، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت ١٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م [ج ٣، ص ١٠].

(٢) رواه مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء [ج ٢٢٣، ص ١، ج ١، ص ٢٠٣].

(٣) فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م [ج ٢، ص ٨٦٢].

بحوث مؤتمر العمل الخيري

في إيصال الخيرات إليهم، رافعاً للآفات عنهم^(١)، وهو تخلق أيضاً بأخلاق النبي ﷺ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ»^(٢). وفي البذل والعمل الخيري تربية عظيمة للفرد والمجتمع ككل، وشُكْرٌ لنعم الله عز وجل، يقول الكاساني (ت ٥٨٧هـ / ١١٩١م): "ودفعُ جزء من المال إلى الفقير من باب شكر النعمة، وإقذارِ العاجز، وتقويته على القيام بالفرائض، ومن باب تطهير النفس من الشح ومن الذنوب، وتزكيتها بالبذل والإنفاق، وكل ذلك لازم عقلاً وشرعاً"^(٣).

وأكد الغزالي (٥٠٥هـ / ١١١١م) هذا التوجه بقوله: "إن الله عز وجل على عبده نعمةً في نفسه وفي ماله؛ فالعبادات البدنية شكرٌ لنعمة البدن، والمالية شكرٌ لنعمة المال، وما أحسن^(٤) من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق، وأحوج إليه، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال، وإحواج غيره إليه!"^(٥).

فالإيمان نصفان؛ نصف صبر، ونصف شكر، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ،

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، [ج ١٦، ص ٧٨].

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة [ج ١٤٦٩، ص ٢، ١٢٢].

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، [ج ٢، ص ٥٤].

(٤) من الدونية، وأحسن فلان: فعلاً خسيماً.

(٥) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت، [ج ١، ص ٢١٤].

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ^(١)، والزكاة بكونها شكراً لنعمة الله كانت نصف الإيمان، وإيتاء الزكاة فوق أنها شكر لله هي ابتلاء أيضاً، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]، أي: أتصبرون على شهود الحقيقة التي هي لب الثروة والبهجة؟ أو تجاذبكم سطحية النظر، وحسية الذوق، وخضوع إلى أنانية البشر، فلا يذكر الغني إلا امتيازَه على سواء، ولا يذكر الفقير إلا لوعة الحسد في تمنى القائلين: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُلُوبُنَا إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]؛ ولهذا كان من صفات المؤمنين أنهم ينفقون ابتغاء وجه الله: ﴿وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا لِأَنْتَبِغُوا وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. إن هذا هو شأن المؤمن لا سواء، إنه لا ينفق إلا ابتغاء وجه الله خالصاً مجرداً، ومن ثم يطمئن لقبول الله لصدقته، ويطمئن لبركة الله في ماله، ويطمئن لثواب الله وعطائه جزاء الإحسان لعباده، ويرتفع ويتطهر ويزكى بما أعطى وهو بعد في هذه الأرض، وعطاء الآخرة بعد ذلك كله فضل^(٢).

والمراد بالإنفاق أن يبذل المرء ضمن حدود وسائله الاقتصادية، لا أن تُبذَّر أموالُه؛ ليصبح عالئ على غيره؛ ولهذا كانت الزكاة هي أخذ قسط من المال للفقير على وجه لا يصير به الغني فقيراً، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، أي: ما زاد عن الحاجات الأصلية، ولعمري، إن من ضحى في سبيل الفقراء بدرهمات كفيلاً بأن يضحى في سبيل أمته بنفسه، في وقت تئن فيه

(١) رواه مسلم في صحيحه عن صهيب، كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير [ح ٢٩٩٩، ج ٤، ص ٢٢٩٥].

(٢) ظلال القرآن، سيد إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط ١٧ - ١٤١٢هـ، [ج ١، ص ٣١٥].

بحوث مؤتمر العمل الخيري

بعض جوانب الأمة تحت وطأة الفقر، وشدة الأضرار والأزمات الاجتماعية، يقول مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م) مخاطباً المسلمين: "لقد كان أسلافكم -أيها المسلمون- يفتحون الممالك، فافتحوا أنتم أيديكم، كانوا يرمون بأنفسهم في سبيل الله، فارموا أنتم في سبيل الحق بالدنانير والدراهيم، ولنعلم جميعاً أن كل قرش يبذله المسلم لأخيه المسلم يتكلم يوم الحساب، يقول: أنا إيمان فلان"^(١).



(١) وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٦هـ)، [ج ٢، ص ٢١١].



المطلب الثالث

الحد من ظاهرة النزعة الاستهلاكية

أفرز نظام العولمة الجديد مجتمعات إنسانية تعاني حمى الاستهلاك، وداء المادية الاقتصادية، التي صيرت الإنسان عموماً، والعربي بشكل خاص مستهلكاً نهماً لا تشبعه كثرة العروض وتنوعها، ولا يقنعه وفرة الإنتاج، واكتظاظ الأسواق بالكماليات والترفيهات اللامتناهية؛ حيث عمدت المادية الحديثة إلى نشر ثقافة الاستهلاك، وتصدير ثقافة الإنتاج، وقتل الإبداع في المجتمعات المستهلكة، وتعطيل الإرادة الانتاجية؛ سعياً في تحصيل الثراء للدول المنتجة على حساب الإنسان الذي لُقّب بعدُ بالمستهلك!

فكانت النتيجة أن وقعت الإنسانية التي أقبلت على الاستهلاك متجاوزة درجة إشباع الحاجات الضرورية للحياة إلى الحاجات الثانوية في شرك مخططات العولمة، وانساق في ذبول المؤامرة على الشعوب التي انشغلت بغير المهم على الأهم.

ولقد شكلت التوجيهات النبوية في إدارة المال على نطاق الفرد والأسرة والمجتمع سياجاً وحماية من السعي وراء شره الاستهلاك ولهث التبع للجديد الذي يُزَيَّن للمستهلك عبر وسائل الإعلام والإعلان التسويقية الجديدة، فكان للتوجيهات والإرشادات الإسلامية المتعلقة بإدارة المال وإنفاقه قدماً سبق في

بحوث مؤتمر العمل الخيري

إجابة النداء؛ لاستغاثة البشرية الغارقة في المادية المذلّة؛ لتصل بها إلى شاطئ العزة المنشودة، ونور الهداية.^(١)

فالعمل الخيري كاستجابة من المجتمع المتضامن للتوجيهات والإرشادات الشرعية هو معالجة حكيمة لكبح النزعة الاستهلاكية المستشرية بحدّة في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية التي تنخرُ الهشاشة والفاقة والعوز بعض جوانبها، وهذه الاستجابة تُعدُّ بمثابة تلبية واعية لأفراد المجتمع المتضامن لمقاربة اجتماعية تتوخى ترشيد الاستهلاك، باستحضار الحاجيات الاجتماعية لكافة مكونات المجتمع، وهذه الاستجابة للحد من النزعة الاستهلاكية ليست إجراءً علاجياً، أو تصرفاً طارئاً، بل هو مبدأ أصيل، وسنة حميدة في الدين، أرست قواعدها آيات القرآن الكريم والسنة المطهرة في مواضع كثيرة من نصوص الوحي، وفي مواطن عدة من حياة المسلم، إذ تمثل الوسطية والاعتدال سمة المسلم في منهج حياته كلها، حتى في أموره اليومية، بعيداً عن التبذير والاسراف، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقد أخرج البخاري في صحيحه: «كُلُوا وَاشْرَبُوا، وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ»^(٢)»^(٣).

(١) إدارة المال وأثرها على النزعة الاستهلاكية (دراسة تحليلية في السنة النبوية)، د/ إياد عبد الحميد نمر (مقال ضمن مؤلف جماعي: إدارة المال والأعمال في السنة النبوية المتضمن لأعمال الندوة العلمية السابعة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي / دولة الإمارات العربية المتحدة ٢١-٢٣ / ٢٠١٥م، ص: ٧١٩ وما بعدها).

(٢) من الخيلاء والكبر والعجب.

(٣) رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه، كتاب اللباس، مقدمة =

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

وهذا التوجيه النبوي الشريف يتوافق مع منهج القرآن الكريم، ويعضده في مبدأ الاقتصاد والاعتدال، حين وَجَّهَ الإنسانيةَ كُلَّهَا إلى التمتع بالطيبات في وسطية وتوازن، وفي مراعاة لحاجيات المجتمع مما فَضَّلَ من رزق، وتوجيهه في أوجه البرِّ والإحسان؛ تحقيقاً للتكافل الاجتماعي عبر مختلف الأعمال الخيرية، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، في حثِّ ضمنيٍّ على البذل والإنفاق، واستشراف مختلف الأعمال الخيرية، وفي تحفيز عظيم يَعُزُّ على نفس فاضت خيراً وكرماً تَرْكُهُ، قال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ويمدنا الجصاص (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) مبيناً علة تسمية الله للصدقة قَرْضًا: "سماه الله قرضاً؛ تأكيداً لاستحقاق الثواب به؛ إذ لا يكون قرضاً إلا والعوض مستحقُّ به"^(١)، وَعَلَّلَ ذلك ابن القيم (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠هـ) بأن "البازل متى عَلِمَ أن عَيْنَ ماله يعود إليه ولا بد؛ طَوَّعَتْ له نفسه، وسهل عليه إخراجها، فإن علم أن المستقرض ملىءٌ وفيُّ محسنٌ، كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه، فإن علم أن المستقرض يتجرُّ له بما اقترضه، وينمي له ويثمره حتى يصير أضعاف ما بذله، كان بالقرض أسمع وأسمح، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيد به عطائه أجراً آخر من غير جنس القرض، فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا لآفة في نفسه من البخل أو الشح، أو عدم الثقة بالضمان"^(٢).

الباب [ح ٥٧٨٣، ج ٧، ص ١٤٠].

- (١) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، طبعة ١٤٠٥ هـ، [ج ٢، ص ١٦٧].
- (٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط ٢، ١٣٩٤ هـ، ص: ٣٦٣.



المطلب الرابع

تطهير النفوس من الشح والبخل وتعزيز مكانة النفس الكريمة السخية

والقرآن المجيد حين تحدث عن البخل اعتبره داءً يصاب به المجتمع؛ فيشل حركته، قال سبحانه: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، وقال النبي ﷺ محذراً أمته من الشح: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».^(١)

فإذا كان الفقر طريق الفجور والموبقات، وبه هلاك الأمم والجماعات، فإن الشُّحَّ لا يقل عنه خطورة، وما اجتمعا في أمة إلا كان هلاكها بهما؛ لذلك كان من الضروري كلما ذُكِرَ الفقرُ أن يُذكَرَ الشح والبخل إلى جانبه، والإسلام لا يحارب الفقر فقط، بل يحارب كل ما من شأنه أن يزيل صفة الإنسانية عن المسلم، أو

(١) رواه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه [ح٦٧٩٢، ج١١، ص٣٩٨]، والبيهقي في السنن، باب كراهية البخل والشح والإقتار [ح٧٨١٨، ج٤، ص٣١٤]، والحاكم في المستدرک، کتاب الزكاة، [ح٤٧٠، ج١، ص٢٣٨] وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، "وأبو كثير الزبيدي من كبار التابعين"، وأبو داود في السنن كتاب الزكاة، باب في الشح [ح١٦٩٨، ج٢، ص١٣٣].

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

يزرع في نفسه حب الأنانية، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

ويقول أبو الحسن الماوردي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م): "ويحدث عن البخل من الأخلاق الذميمة، وإن كان ذريعة لكل مذمة أربعة أخلاق ناهيك بها ذمًا، وهي: الحرص والشَّره، وسوء الظن ومنع الحقوق؛ فأما الحرص: فهو شدة الكدح والإسراف في طلب الدنيا، فيفوت الكدح على نفسه ما أمره الله به من العبادة، وقد قيل: ما رأيت إسرافًا في شيء إلا بجانبه حقٌ مُضَيِّعٌ، وهذا الإسراف يدفع بصاحبه إلى جلب المال من أي جهة كان، لا يفرق بين ما يحل منها وما يحرم، وأما الشَّره: فهو استقلال الكفاية والاستكثار لغير حاجة، وقال بعض الحكماء: "الشَّره من غرائز اللؤم"^(١)، وأما منع الحقوق وهذا هو الأخطر؛ فإن نفس البخيل لما جبلت على حب المال واستعصى عليها تركه؛ فلا تدعن معه لحق، ولا تجيب إلى إنصاف، بل تكون طائعة لكل فحشاء وفسق"^(٢).

وقد عبر القرآن عن ذلك بقوله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، والفحشاء: هي البخل في هذا الموضوع خاصة، فعن مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، قال: "كل فحشاء في القرآن، فهي الزنا إلا في هذا الموضوع، فإنها البخل"^(٣).

(١) آدب الدنيا والدين: ١٣٠

(٢) نفسه: ١٣٠

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم

بحوث مؤتمر العمل الخيري

"والفحشاء - وإن كانت قد غَلَبَتْ على نوع من المعاصي - ولكنها شاملة، وخوف الفقر كان يدعو القوم في جاهليتهم لوأدِ البنات وهو فاحشة، والحرص على جمع الثروة كان يؤدي ببعضهم إلى أكل الربا وهو فاحشة، على أن خوف الفقر بسبب الإنفاق في سبيل الله فاحشة وتهلكة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، التهلكة الفردية بالعذاب في الآخرة، والتهلكة الجماعية بما يشيعه عدم الإنفاق في المجتمع من تفاوت وظلم وفتن وأحقاد وضعف وانحلال.^(١)

والحاصل أن الإسلام قد حارب الشح، ودعا المسلم إلى التجرد من حب المال، وما ذلك إلا لضبط السلطة القائمة على طبيعة التملك؛ ليقوم التعاون الإنساني على أساسه العملي، وليقيم محاجزه بين المصالح الاقتصادية الطاغية، حتى لا تأكل مصلحةً مصلحةً أخرى؛ فتهلك بها، ويوجب أن تلد مصلحةً مصلحةً؛ لتحيا بها.^(٢)



الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تح: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، [ج ١، ص ١٠٧].

(١) [ج ١، ص ٣١٢] (م.س).

(٢) دور الزكاة في علاج الفقر وتحقيق التكافل الاجتماعي، د/ أحمد أمحرزي العلوي، ص: ١٧٣.



المطلب الخامس

إشاعة روح التكافل بين مكونات المجتمع

إن وجود التفاوت والاختلاف في صفات الناس وقدراتهم ومهاراتهم، وما ينتج عن ذلك من وجود المنتج والعاطل، والقادر والعاجز في المجتمع يتطلب ملاحظة بعضهم بعضاً، وأخذ بعضهم بأيدي بعض؛ لذلك تعتبر العقود التبرعية - كنظام شمولي للعمل الخيري - من أهم التشريعات المحققة للتكافل والتكامل والتضامن في المجتمع الإسلامي، التي تحفظ لكثير من الجهات حقها في العيش الكريم، وأمنها النفسي والاجتماعي، كما تثبت وترسخ قيم الأخوة والترابط، والتواد والتراحم بين الأفراد والأسر والجماعات، بما يحقق مفهوم مجتمع الجسد الواحد، الذي دعا إليه نبي الرحمة المهداة ﷺ.

وبذلك يتحقق مبدأ الترابط والألفة؛ ذلك لأن النفس البشرية جُبِلَتْ على حب من أحسن إليها، وبذلك يعيش أفراد المجتمع الواحد متحابين متماسكين، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وتقل حوادث السرقة والنهب والاختلاس، فللعمل الخيري باختلاف تجلياته تداعيات حميدة وآثار عجيبة على الأفراد والجماعات على حد سواء، فوجوده الوازن يتحقق مفهوم الضمان الاجتماعي، والتوازن النفسي بين فئات المجتمع، وبازدهاره لا تبقى الثروات المالية والعينية مكدّسة في فئات محصورة من المجتمع ومحتكرة لديهم، وهذا

بحوث مؤتمر العمل الخيري

من مقاصد تشريع العمل الخيري عموماً، إذ يقول الباري تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

وبتتبع نصوص الوحي في هذا السياق نجد أن كثيراً منها جاء؛ ليعزز دور ومكانة النفس الكريمة والسخية لاستمالتها للإقدام على العمل الخيري، ولعلنا نستحضر هنا قول نبي الرحمة المهداة ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْعَزْوِ، وَقَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا عِنْدَهُمْ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ بِالسُّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»^(١)، وفي ذلك درس بليغ للحاضرين، فهو لم يقصد أنه من الأشعريين في النسب ولا أنهم من قريش، وإنما أراد أن خُلِقَهُمْ في المساواة والعمل الخيري أقرب الأخلاق إلى خُلِقِهِ الْعَظِيمِ ﷺ.

وإنَّ ذِكْرَ النبي ﷺ لحال الأشعريين وتقاسمهم للمال، وأنه منهم ﷺ وَهُمْ منه، كَيْعْطِي أثراً نفسياً عظيماً لديهم، ولكل من يتحلَّى بهذا الخلق الكريم؛ وفي هذا حثٌّ للأُسْرِ والعشائر والقبائل في بلاد المسلمين على التكافل فيما بينها، ولهذا التعزيز القيمي للعمل الخيري في نصوص الوحي عموماً فائدةٌ عظيمةٌ وقاعدةٌ هامةٌ: أن الفرد - وإن كسبَ المال وتملكه بجهدِه ومهارته - فإن المجتمع

(١) رواه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض [ح ٢٤٨٦، ج ٣، ص ١٣٨] ويعلق شارح الحديث د/ مصطفى البغا بالقول: (أرملوا) من الإرمال، وهو فناء الزاد وقلة الطعام، أصله من الرمل، كأنهم لصقوا بالرمل من القلة، (في إناء واحد)، أي: اقتسموه بمكيال واحد، حتى لا يتميز بعضهم عن بعض، (بالسوية): متساوين. (فهم مني وأنا منهم): طريقتي وطريقتهم واحدة في التعاون على البر والتقوى وطاعة الله عز وجل، ولذلك لا أتخلى عنهم.

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

قد شاركه في ذلك، فلولا المجتمع ما استطاع الفرد أن يحقق شيئاً وحده، ومن هنا يجب أن يتضامن المجتمع كله، فيكفل بعضهم بعضاً؛ وما لذلك من أثر في تنمية المال والحفاظ عليه، فبالتكافل يتعد الإنسان عن الغش والسرقة والحسد، وغيرها من أمراض المجتمعات المالية.

والحاصل أن إقدام المجتمعات على العمل الخيري كفيل بإشاعة روح التكافل بين مكوناتها، ومدعاة لتماسك النسيج الاجتماعي، وتقليص الفجوة بين طبقاته، وسبيل للنهوض برسالة عظيمة، تتمثل في إقامة المؤسسات التنموية المرتبطة بمجالات متنوعة ومتعددة ورعايتها، وقد ظهرت فعاليتها وآثارها العملية عبر تاريخ الأمة الإسلامية الطويل؛ فالوقف مثلاً ظل بمثابة الطاقة الدافعة نحو النماء والازدهار والتطور، من خلال توفير متطلبات التنمية، وما يُعين عليها من مرافق ومنشآت تعليمية وصحية واجتماعية، وتوفير البنيات والوسائل المحققة للخدمات العامة، كالطرق وحفر الآبار، والفنادق لعابري السبيل.





المطلب السادس

تطهير النفوس من الترف والغنى الفاحش

لقد شرع الإسلام العمل الخيري عموماً؛ لمحو الفقر وما يثيره من فوارق في المجتمع واغتناء طبقة على حساب أخرى، قال الله تعالى: ﴿كَفَى لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: 7]، وهذا ما فعله النبي ﷺ حين آخى بين الأنصار والمهاجرين، وخص هؤلاء بأموال بني النضير حتى تتحقق المساواة كاملة؛ ولهذا ذم الإسلام الترف والغنى الفاحش؛ لأنه تبذير لثروة الأمة في غير محلها، وإثارة للأحقاد والضغائن، ومن ثم ربط الإسلام بين الترف والانهيار الأخلاقي والمجتمعي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الاسراء: 16].

فكثرة المترفين في بلد من البلدان، أو أمة من الأمم لا بد وأن يؤدي إلى الهلاك والفساد؛ لأن الترف يؤدي إلى الفراغ وهو طاقة، وهذه الطاقة (القوة) مع الفراغ يدفعان الفرد إلى طرق الفساد والرذيلة، وعندما تنتشر الرذيلة في أمة من الأمم، فإنها تعلن عن نهايتها وفنائها وتدميرها، قال سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَغَتْ مَسْكِنَهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 58].

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

ومن الملاحظ حينما يتحدث القرآن عن تاريخ المترفين، أن هؤلاء كانوا دوماً يقفون في وجه حركات الأنبياء ودعاة الإصلاح؛ لأن دعوتهم كانت تركز على الرفع من مستوى المعيشي والاجتماعي للفقراء والمساكين، وإضعاف وكبح جماح المترفين، ومن ثم كان المترفون عائقاً أمام عقيدة التوحيد وتوجيهاتها الإصلاحية، فخطورتهم لا تقل عن خطورة الفقر، وضررهم لا يقل ضرراً عنه؛ لذلك كان حرب الإسلام على الفقر هي في نفس الوقت حرب ضد الغنى الفاحش والترف المفضع، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤].

ولما كان الترف مُخِلًّا بالتوازن الاجتماعي، فقد أهاب الله بالجماعة المسلمة أن تتحرك مقاتلةً مجاهدةً؛ لإنقاذ المستضعفين في الأرض من أيدي ظالمهم، وجعل السيف الحكم الأخير عندما تعجز كل الوسائل عن وقف الظلم وتخليص البائسين، يقول ابن جزم (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م): " والترف والغنى يدفع بصاحبه إلى منع حقوق الفقراء، ومانع الحق باغ على أخيه الذي له الحق، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة"^(١)، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ [النساء: ٧٥]^(٢).

(١) المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري

(ت ٤٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت/ لبنان، بدون طبعة وبدون تاريخ [ج ٤، ص ٢٨٤].

(٢) دور الزكاة في علاج الفقر وتحقيق التكافل الاجتماعي، د/ أحمد أمحرزي العلوي، ص: ١٧٩.



المطلب السابع

المساهمة في القضاء على رذيلة التسول

لعل مقصدَ تقليص الفوارق بين مكونات المجتمع، وإقامة مصالح الفئات الضعيفة والهشة من المقاصد الشرعية العظيمة للأعمال الخيرية والتبرعات؛ لذلك نجد التوجهات الربانية تُولي اهتماماً كبيراً لهؤلاء الفئات التي ينبغي أن تَلْقَى الدَّعْمَ المادي والمعنوي؛ لسدِّ ذريعة وقوعها تحت وطأة الفقر والحاجة المفضية إلى رذيلة التسول.

وبتتبع الآيات القرآنية نجد أن توجيهاتها الحكيمة تهدف بنسق بديع تمتزج فيه جوانبٌ متعددة: تربوية، نفسية، وتنظيمية، ومن تَلَكُمُ الآيات التي تختزل هذه الأبعاد الاستراتيجية قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فجمعت الآية بين ديمومة العمل الخيري وعمومه سائر الأوقات في يسر وسهولة، من لَدُنِ المنفقين، حينما يكون إنفاقهم من الفاضل على حاجياتهم الأساسية، ويمدنا الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) بخصوص هذا التوجيه:

"وبهذا يحصل التعميم والدوام بالإنفاق من الفاضل على حاجات المنفقين، فحينئذ لا يشق عليهم، فلا يتركه واحد منهم، ولا ييخلون به في وقت من أوقاتهم، وهذه حكمة بالغة وأصل اقتصادي عمراي.^(١)

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

ولقد جرى الإسلام في دأبه على مداوة النفوس، فلما أوجب المؤاساة وندب إليها، حذر من ليس بحاجة إلى المؤاساة من التعرض إليها؛ لئلا يتوكل المسلم، ويركن إلى البطالة، ويتربح ما في أيدي الناس، ففي الحديث الصحيح: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مِزْعَةٌ لَحْمٍ»^(١)، وفي الحديث: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنَى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»^(٢)، واليد العليا هي المعطية واليد السفلى هي المعطلة، وفي الحديث الصحيح: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ؛ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ»^(٣)، وفي الصحيح أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله، فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده، فقال ﷺ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٤).

الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ [ج ٢، ص ٣٥١].

(١) رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثر [ح ١٤٧٤، ج ٢، ص ١٢٣].

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى [ح ١٤٢٧، ج ٢، ص ١١٢]؛ (اليد العليا) التي تعطي وتنفق. (واليد السفلى) التي تأخذ. (يستعفف): يطلب العفة وهي الكف عن الحرام وعن سؤال الناس. (يستغن): يطلب الغنى من الله تعالى لا من الناس.

(٣) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن الناس [ح ١٤٧٠، ج ٢، ص ١٢٣].

(٤) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وفي أسلوب تربوي بليغ أثنى الله تعالى على قوم فقراء، يتعففون عن إظهار فقرهم في أحلك الظروف والأزمات، فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِي أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]^(١). ومن هذا المنطلق تبرز تربية النفس على الإعطاء بمدح النبي ﷺ للمعطي بقوله: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»؛ لما لهذا الخطاب التربوي من آثار تنظيمية للنسيج الاجتماعي، بإنفاق المحسن على الفقير، وعدم طلب المال لغير حاجة ملحة من فقر أو عوز.

والحاصل أن العمل الخيري له دور كبير في المساهمة في القضاء على رذيلة التسول؛ إذ يسهم في تحقيق الكفاية لكل فرد من أفراد المجتمع، وإن من الكفاية أن يملك كل محتاج ما يناسبه ويغنيه عن التسول، كآلة حرفة إن كان صانعاً، أو ضيعة إن كان فلاحاً، أو تُنشأ معامل ومصانع ومقاولات وتُملك للفقراء، وبهذا يتم تحقيق مقاصد اجتماعية عظيمة، تتمثل في التقليل من الأجراء والزيادة في عدد الملاك، وتحويل الفقراء المعوزين إلى مالكين لما يكفيهم ومن يعولونه.^(٢)



[ح ١٤٦٩، ج ٢، ص ١٢٢]، (فلن أدخره عنكم): لن أحبسها وأمنعكم منه. (يستعفف): يظهر العفة ويكف عن السؤال.

(١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر بن عاشور، دار السلام، القاهرة / مصر، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص: ١٣٢.

(٢) دور الزكاة في علاج الفقر وتحقيق التكافل الاجتماعي، د/ أحمد أمحرزي العلوي، ص: ١٩٤ — مجلة الإقتصاد الإسلامي، عدد ٦٤



الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات

هكذا نأتي بعون الله وتوفيقه إلى نهاية هذه الأوراق البحثية التي تروم دراسة الآثار النفسية والتربوية للعمل الخيري والعقود التبرعية على الفرد والمجتمع، حيث تم التطرق إلى تجليات الخطاب الشرعي المعتمدة في استمالة المخاطب للمبادرة إلى العمل الخيري، وتشجيعه باعتبارها منهجية اعتمدت في نسقها العام على مقارنة "سيكولوجية" تتجه إلى مكونات النفس البشرية، وتخطب حاجاتها التي فطرت عليها، وتعزز النفس الكريمة والسخية للإقبال على العمل الخيري، والمشاركة الفعالة في التنمية الاجتماعية باختلاف تجلياتها المجتمعية، حيث يمكن تلخيص أهم نتائجها وتوصياتها في المحاور التالية:

❁ أولاً: أهم نتائج البحث

١. خَلَصَ البحثُ إلى أن مبدأ الاستخلاف في المال يرتبط بمفهوم استخلاف الإنسان في الأرض ارتباطاً الفرع بالأصل؛ فمفهوم الاستخلاف يحدد غاية الوجود الإنساني وأدواره الكونية، أما مبدأ الاستخلاف في المال، فينظم علاقة الإنسان بالمال؛ حيث يهذب حب التملك لديه؛ ليُحسِنَ استثمار الثروات والخيرات المشتركة بين بني البشر.

٢. الاسترشاد بمبدأ الاستخلاف في المال بمنظومته التشريعية المتكاملة

بحوث مؤتمر العمل الخيري

يرشدُ التصرف في الثروة المستخلفَ فيها وَفَقَ نظام الاستخلاف والمنهج الإلهي القائم على أساس الكفاية والتوزيع العادل للثروات، فيجعل الملكية الفردية في خدمة المجتمع، ويجعل التكافل الاجتماعي واجباً شرعياً كفاً على كل من الفرد والجماعة.

٣. كشفَ البحث عن الخلفية القيمة لأحكام المعاملات المالية التي توضح الرؤية الكلية لطريقة الإسلام في معالجة القضايا المالية والاجتماعية، وهي بذلك تقرر الكثير من الأحكام ذات التعليل القيمي؛ لتؤكد أن المنفعة المادية ليست هدفاً لذاتها، بل القيمة الأخلاقية لها الاعتبار الأكبر، فلا قيمة للمنفعة المادية إذا تسببت في خلل قيمي يهدد النسيج الاجتماعي ويضعف تماسكه.

٤. تعتبر العقود التبرعية كنظام شمولي للعمل الخيري من أهم التشريعات المحققة للتكافل والتكامل والتضامن في المجتمع الإسلامي، التي تحفظ لكثير من الجهات حقها في العيش الكريم، وأمنها النفسي والاجتماعي، كما تثبت وترسخ قيم الأخوة والترابط والتواد والتراحم بين الأفراد والأسر والجماعات، بما يحقق مفهوم مجتمع الجسد الواحد الذي دعت إليه التوجيهات الشرعية.

٥. أبانَ البحث أن للعمل الخيري باختلاف تجلياته تداعيات حميدة وآثاراً عجيبةً على الأفراد والجماعات على حد سواء، فبوجوده الوازن يتحقق مفهوم الضمان الاجتماعي، والتوازن النفسي بين فئات المجتمع، وبازدهاره لا تبقى الثروات المالية والعينية مكدّسة في فئات محصورة من المجتمع ومحتكرة لديهم، وهذا من مقاصد تشريع العمل الخيري عموماً، وهذه الاستجابة للعمل الخيري ليست إجراءً علاجياً، أو تصرفاً طارئاً، بل هو مبدأ أصيل، وسنة حميدة في الدين، أرست قواعدها آياتُ القرآن الكريم والسنة المطهرة في مواضع كثيرة من نصوص

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

الوحي، وفي مواطنٍ عِدَّةٍ من حياة المسلم.

❁ ثانياً: أهم التوصيات والمقترحات:

١. يوصي البحث بتنويع المقاربات؛ لتطوير الإسهام التنموي للعقود التبرعية والعمل الخيري، والتي تُرَوِّمُ رَبْطَ المواطن بالشأن الاجتماعي، وتنمية وعيه بمسؤولياته الاجتماعية.
٢. يوصي البحث بتطوير منهجية العمل الخيري الفردي ذي الطابع الإحساني والمحدود في آثاره التنموية، بلورة صيغٍ جماعية مُنظَّمةٍ وذات طابع مؤسساتي وتنموي، تعود بالنفع العام على المجتمع.
٣. استغلال الوسائط الإعلامية باختلاف تجلياتها في استمالة كافة مكونات المجتمع الأهلي للانخراط الواعي والمسؤول في تطوير الدور التنموي للعمل الخيري والعقود التبرعية، واستثمار مختلف السبل والمقاربات لإشراك كافة الأفراد في الشأن الاجتماعي، وتنمية وعيهم بمسؤولياتهم الاجتماعية، والمشاركة في تطوير الإسهام الإنتاجي التنموي للعقود التبرعية.
٤. التفكير المستديم في مجالاتٍ وبدائلٍ جديدة، تُعَدُّ من الأولويات الاجتماعية الراهنة، وعدم الاقتصار فقط على المجالات التقليدية الشائعة.
٥. كما أقترح إنشاء مراكز أو أقسام دراسات وبحوث تُعنى بالعمل الخيري، ومهمتها الأساسية التفكير المستديم في مجالاتٍ وبدائلٍ جديدةٍ تُعَدُّ من الأولويات الاجتماعية الراهنة -بدل الاقتصار فقط على المجالات التقليدية الشائعة -تقدم دراسات استشرافية لآفاق تطوير الدور التنموي للعمل الخيري.
٦. أقترح تخصيص موضوعات المؤتمرات المقبلة لمحورين مهمين

بحوث مؤتمر العمل الخيري

جديرين بالبحث والدراسة:

أولهما: واقع العمل الخيري في العالم الإسلامي (التحديات وآفاق التطوير).

ثانيهما: واقع العمل الخيري في العالم الإسلامي (أولويات اجتماعية راهنة،

مجالات وبدائل جديدة).

وعند هذا القدر أصل إلى نهاية هذا البحث المتواضع، سائلاً المولى القدير

أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وعسى الله تعالى أن يرزقنا

الإخلاص في القول والعمل، إنه تعالى على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.



العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي



المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، طبعة ١٤٠٥ هـ.
٣. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت/ لبنان.
٤. الآداب الشرعية الكبرى، لابن مفلح شمس الدين المقدسي (ت ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م)، تح: شعيب الأرنؤوط - عمر القيام، مؤسسة الرسالة، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٥. إدارة المال وأثرها في الحد من ظاهرة النزعة الاستهلاكية دراسة تحليلية في السنة النبوية، د/ إياد عبد الحميد نمر، الندوة العلمية الدولية السابعة التي عقدت بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي - دولة الإمارات العربية المتحدة ٢١/٢٣ - ٤/٤ - ٢٠١٥م.
٦. آداب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، طبعة ١٩٨٦م.
٧. الاستخدام الوظيفي للزكاة في الفكر الاقتصادي الاسلامي، د/ غازي عناية، دار الجيل، بيروت/ لبنان، ١٩٨٩م.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

٨. الإسلام وأوضاعنا الاقتصادية، محمد الغزالي السقا (ت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)، نهضة مصر للطباعة/ القاهرة- مصر، ط ٣، ٢٠٠٥م.
٩. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر بن عاشور، دار السلام، القاهرة / مصر، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
١٠. الأعمال الكاملة، محمد عبده (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م)، تحقيق وتقديم: محمد عمارة، دار الشروق، طبعة ١٤٠٤هـ / ١٩٩٣م.
١١. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تح: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٢. الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
١٣. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٤. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.
١٥. خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، د/ عبد المجيد النجار، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٣م.
١٦. دور الزكاة في علاج الفقر وتحقيق التكافل الاجتماعي، د/ أحمد

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

- أمحرزي العلوي، المطبعة والوراقة الوطنية ، مراكش - المملكة المغربية، ط١، ٢٠٠٦م.
١٧. دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، مكتبة وهيبة، القاهرة- مصر، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١٨. الروح والمادة في الأمن المجتمعي، د/ محمد عمارة، مقالة في مجلة حراء، السنة الخامسة، العدد(١٩) ٢٠١٠م.
١٩. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت٣٥٤هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان.
٢٠. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ/٨٨٩م)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت/ لبنان.
٢١. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، أبي بكر (٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، تح: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز بمكة المكرمة/ السعودية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٢. صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، تح: د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير بيروت/ لبنان، ط١٤٠٧، ٣هـ/١٩٨٧م.
٢٣. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف الدين النووي، أبي زكريا الشافعي (ت٦٧٦هـ/١٢٧٨م)، تقرظ: محمد السمالوطي الأزهري، المطبعة المصرية بالأزهر/ مصر، ط١، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.

بحوث مؤتمر العمل الخيري

٢٤. طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط ٢، ١٣٩٤هـ.
٢٥. فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
٢٦. ظلال القرآن، سيد إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط ١٧ - ١٤١٢هـ.
٢٧. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٨. كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ)، تح: خليل محمد هراس، دار الفكر - بيروت.
٢٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت / لبنان، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
٣٠. مجلة المنار، محمد رشيد رضا وآخرون.
٣١. المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت / لبنان، بدون طبعة وبدون تاريخ.
٣٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبي عبد الله (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم

العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي

العرقسوسي، إبراهيم الزبيّق، ومحمد بركات، مؤسسة الرسالة بيروت/لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٣٣. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت/لبنان، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

٣٤. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن الجوزي أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م)، المطبعة التجارية الكبرى بالقاهرة، طبعة بدون تاريخ.

٣٥. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن عامر الأصبحي المدني، أبي عبد الله (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م)، رواية يحيى بن يحيى الليثي، المصمودي الأندلسي (ت ٢٣٤هـ/٨٥٤م)، تح: محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح القليوبي المصري (ت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، دار إحياء التراث العربي بالقاهرة/مصر.

٣٦. نظام التبرعات في الشريعة الإسلامية، د/ محمد الحبيب التجكاني، دار النشر المغربية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣٧. وحي القلم، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرفاعي (ت ١٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.





٥ الآثار الاجتماعية للعمل الخيري
٧ ملخص البحث
٩ المقدمة
١٣ التمهيد
١٣ أولاً: التعريف بالمصطلحات الأساسية للبحث:
٢٠ ثانياً: أهمية العمل الخيري:
٢٤ ثالثاً: مجالات العمل الخيري:
٢٦ المطلب الأول تحقيق تماسك المجتمع وتعاضد أفراده
٣٠ المطلب الثاني إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع
٣٦ المطلب الثالث تحقيق الأمن بمفهومه الشامل في المجتمع المسلم
٤٠ المطلب الرابع تعزيز قيم البذل والإيثار وتحمل المسؤولية في المجتمع المسلم
٤٠ أولاً: قيمة البذل:
٤٣ ثانياً: قيمة الإيثار:
٤٤ ثالثاً: تحمل المسؤولية الاجتماعية:
٤٧ المطلب الخامس الإسهام في علاج كثير من المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية
٥٠ ثانياً: الإصلاح بين الناس:

فهرس الكتاب

٥١	ثالثاً: علاج الأمراض النفسية والاضطرابات السلوكية:
٥٤	رابعاً: علاج الإدمان على تعاطي المخدرات:
٥٦	المطلب السادس الاستفادة من ملكات التفكير والإبداع لدى أفراد المجتمع .
٦١	الخاتمة.....
٦١	أولاً: أبرز النتائج العلمية:
٦٣	ثانياً: التوصيات والمقترحات:
٦٤	فهرس المصادر والمراجع.....
٦٩	العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة
٧٠	الملخص.....
٧١	المقدمة
٧٣	المبحث الأول العمل الخيري مفهومه وخصائصه ومقاصده.....
٧٤	المطلب الأول مفهوم العمل الخيري، وأهميته.....
٧٧	المطلب الثاني خصائص العمل الخيري في الإسلام
٨٢	المطلب الثالث مقاصد العمل الخيري في الإسلام
٨٧	المبحث الثاني التنمية المستدامة، مفهومها ومبادئها وأبعادها.....
٨٨	المطلب الأول مفهوم التنمية المستدامة.....
٩١	المطلب الثاني مبادئ التنمية المستدامة.....
٩٥	المطلب الثالث أبعاد التنمية المستدامة.....
	المبحث الثالث العمل الخيري (الوقف الخيري دراسة تطبيقية) ودوره في تحقيق
٩٩	التنمية المستدامة.....
١٠٠	المطلب الأول مفهوم الوقف الخيري وأهميته وخصائصه.....
١٠٠	الفرع الأول: مفهوم الوقف الخيري.....
١٠٣	الفرع الثاني: أهمية الوقف الخيري.....

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الفرع الثالث: خصائص الوقف الخيري.....	١٠٤
المطلب الثاني علاقة الوقف الخيري بالتنمية المستدامة.....	١٠٧
الفرع الأول: أوجه التوافق بين الوقف الخيري والتنمية المستدامة.....	١٠٧
الفرع الثاني: آثار وشواهد تحقيق الوقف الخيري لأبعاد التنمية المستدامة. .	١٠٩
المطلب الثالث آليات الوقف الخيري المعاصر في تحقيق التنمية المستدامة.	١١٤
الخاتمة وفيها أهم النتائج.....	١١٧
قائمة المصادر والمراجع.....	١١٩
العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية	١٢٥
المقدمة.....	١٢٧
المبحث الأول مقدمة عامة: العمل الخيري.....	١٣١
مفهوم العمل الخيري.....	١٣١
أنواع العمل الخيري.....	١٣٢
مجالات العمل الخيري.....	١٣٣
المبحث الثاني دور العمل الخيري في تحقيق التنمية الاقتصادية.....	١٣٦
١- أثر العمل الخيري في الإنتاج.....	١٣٩
٢- أثر العمل الخيري في الاستثمار:.....	١٤٠
٣- أثر العمل الخيري في إعادة توزيع الدخل والاستهلاك.....	١٤٢
٤- أثر العمل الخيري في تحقيق الاستقرار الاقتصادي:.....	١٤٥
٥- آثار العمل الخيري في أداء السياسة المالية:.....	١٤٦
٦- أثر العمل الخيري في أداء السياسة النقدية:.....	١٤٧
التوصيات.....	١٤٩
المراجع.....	١٥٠

فهرس الكتاب

١٥٣.....	دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة
١٥٥	ملخص البحث
١٥٦	مقدمة
١٦٠	المبحث الأول موازنة العمل الخيري
١٦٠	الفرع الأول: مفهوم العمل الخيري:
١٦١	الفرع الثاني: الوقف كإطار متميز للعمل الخيري:
١٦٤	الفرع الثالث: الدور الاقتصادي للوقف:
١٦٥	الفرع الرابع: مساهمة الوقف في تخفيف العبء عن الدولة:
١٦٧	المبحث الثاني مدخل عام للتعريف بالموازنة العامة
١٦٧	الفرع الأول: مفهوم الموازنة العامة:
١٦٧	الفرع الثاني: مفهوم عجز الموازنة العامة:
١٦٨	الفرع الثالث: مبادئ الموازنة العامة:
١٧٠	الفرع الرابع: بنود الموازنة العامة:
١٧٦	المبحث الثالث موازنة الوقف وعلاقتها بالموازنة العامة للدولة
١٧٦	الفرع الأول: العناصر الوظيفية المشتركة بين موازنة الوقف والموازنة العامة للدولة:
١٧٨	الفرع الثاني: موازنة العمل الخيري الدمج أو الاستقلالية؟
١٨٠	الفرع الثالث: مقترحات تطبيقية:
١٨٤	الخاتمة
١٨٥	المقترحات:
١٨٦	قائمة المصادر والمراجع

بحوث مؤتمر العمل الخيري

الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة ١٩١
الملخص ١٩٣
المقدمة ١٩٥
المبحث الأول مُحدّدات علاقة الدولة بالوقف ١٩٨
أولاً: ماهية الدولة والوقف: ١٩٩
ثانياً: خصوصية أموال الوقف: ٢٠٣
ثالثاً: ضوابط استفادة الدولة من ريع الوقف: ٢٠٥
المبحث الثاني أثر الوقف على السياسة المالية للدولة ٢٠٩
أولاً: التخفيف من عجز الميزانية العامة للدولة: ٢١٠
ثانياً: دور الوقف في التخفيف من الإنفاق الحكومي: ٢١٤
ثالثاً: توفير السيولة المالية: ٢١٩
المبحث الثالث أثر الوقف على السياسة الاقتصادية للدولة ٢٢٤
أولاً: دعم التنمية الاقتصادية: ٢٢٥
ثانياً: ترشيد السلوك الضريبي: ٢٢٩
ثالثاً: جذب الاستثمارات وتنمية الفرص الاستثمارية: ٢٣٤
الخاتمة ٢٣٧
لائحة المراجع ٢٣٩
فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث استثمار الخيرية أم
خيرية الاستثمار؟ ٢٤٧
الملخص ٢٤٩
مقدمة ٢٥٠
تمهيد ٢٥٣
أولاً: القطاع الثالث ٢٥٣

فهرس الكتاب

- ثانيا: اقتصاد المعرفة..... ٢٥٤
- المطلب الأول دور القطاع الثالث في تنمية اقتصاد المعرفة. ٢٥٦
- المطلب الثاني النهوض بالقطاع الثالث من خلال استثمار اقتصاد المعرفة. . ٢٦٢
- المطلب الثالث العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة في ضوء الفقه الإسلامي وقواعده..... ٢٦٩
- أولا: أهمية النصوص الشرعية في فقه العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة. ٢٧٢
- ثانيا: مكنم التأصيل الشرعي لفقه العلاقة بين القطاع الثالث واقتصاد المعرفة. ٢٧٥
- المطلب الرابع أثر تكامل القطاع الثالث واقتصاد المعرفة في الاقتصاد الإسلامي وفي التنمية البشرية. ٢٧٩
- أولا: التكوين والتكوين المستمر: ٢٨٣
- ثانيا: الصيغ التمويلية: ٢٨٤
- خاتمة ٢٨٨
- المراجع والمصادر ٢٩٠
- العمل الخيري وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي** ٢٩٧
- ملخص..... ٢٩٩
- مقدمة ٣٠٠
- المبحث الأول العمل الخيري: مفهومه ومشكلاته ٣٠٢
- المطلب الأول العمل الخيري في الكتاب والسنة ٣٠٣
- المطلب الثاني مشكلات العمل الخيري الإسلامي ٣٠٦
- الفرع الأول: المشكلات الخارجية: ٣٠٦
- الفرع الثاني: المشكلات الداخلية: ٣٠٧

بحوث مؤتمر العمل الخيري

- المبحث الثاني دور العمل الخيري في الإصلاح المالي ٣٠٩
- المطلب الأول أثر العمل الخيري على أداء السياسة المالية ٣١١
- المطلب الثاني أثر العمل الخيري على أداء السياسة النقدية ٣١٣
- المبحث الثالث دور العمل الخيري في الإصلاح الاقتصادي ٣١٥
- أولاً: دور العمل الخيري في إعادة توزيع الدخل: ٣١٦
- ثانياً: دور العمل الخيري في زيادة الإنفاق والتشغيل: ٣١٧
- ثالثاً: دور العمل الخيري في زيادة الاستهلاك: ٣١٧
- رابعاً: دور العمل الخيري في زيادة الاستثمار: ٣١٨
- خامساً: دور العمل الخيري في تحقيق الاستقرار الأمني: ٣١٩
- سادساً: دور العمل الخيري في مكافحة التمويل الربوي: ٣٢٠
- المبحث الرابع دور العمل الخيري في تحقيق المقاصد الشرعية: ٣٢٢
- المطلب الأول مؤسسة الزكاة ودورها في تحقيق المقاصد الشرعية ٣٢٤
- المطلب الثاني الآثار الاقتصادية للوقف ٣٢٧
- التتائج والتوصيات ٣٣١
- أهم المراجع ٣٣٣
- العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي .. ٣٣٥**
- ملخص ٣٣٧
- الفصل الأول/ خطة البحث ٣٣٨
- مقدمة ٣٣٨
- الفصل الثاني مفهوم التنمية والعمل الخيري ومشروعيته وأهم مجالاته في الإسلام
- ٣٤٢
- المبحث الأول/ تعريف التنمية في الفكر الاقتصادي: ٣٤٢
- المبحث الثاني/ مفهوم العمل الخيري في الإسلام ومشروعيته: ٣٤٤

فهرس الكتاب

المبحث الثالث/ مجالات العمل الخيري:.....	٣٤٦
الفصل الثالث آثار العمل الخيري في التنمية الاقتصادية:.....	٣٥٥
المبحث الأول أثر العمل الخيري في الإنتاج.....	٣٥٦
المبحث الثاني أثر العمل الخيري في الاستثمار.....	٣٥٧
المبحث الثالث أثر العمل الخيري في إعادة توزيع الدخل والاستهلاك.....	٣٦٠
المبحث الرابع أثر العمل الخيري في تحقيق الاستقرار الاقتصادي.....	٣٧١
الفصل الرابع آثار العمل الخيري في التنمية البشرية.....	٣٧٤
المبحث الأول أثر العمل الخيري في التعليم والتدريب.....	٣٧٦
المبحث الثاني أثر العمل الخيري في الصحة والخدمات الطبية.....	٣٨٠
المبحث الثالث أثر العمل الخيري في تحقيق الاستقرار النفسي والأمني ...	٣٨٤
الفصل الخامس أهم النتائج والتوصيات.....	٣٨٦
أولاً/ النتائج:.....	٣٨٦
ثانياً/ التوصيات:.....	٣٨٧
المصادر والمراجع.....	٣٨٩
رابعاً: مواقع الانترنت:.....	٣٩٤
عناية السنة النبوية بالعمل الخيري في خدمة البيئة.....	٣٩٥
ملخص البحث.....	٣٩٧
مقدمة البحث.....	٣٩٩
التمهيد العمل الخيري: ماهيته ومجالاته.....	٤٠٤
المبحث الأول تأصيل العمل الخيري في الإسلام.....	٤٠٨
المطلب الأول تأصيل العمل الخيري من خلال القرآن الكريم.....	٤٠٩
المطلب الثاني: تأصيل العمل الخيري من خلال السنة النبوية.....	٤١٠
المطلب الثالث تأصيل العمل الخيري من خلال أعمال الصحابة والتابعين	

بحوث مؤتمر العمل الخيري

وتابعيهم.....	٤١٢
المبحث الثاني: معالم المنهج النبوي في العناية بالعمل الخيري في خدمة البيئة	٤١٤
المطلب الأول في العناية بالعجماءات والطيور.....	٤١٧
المطلب الثاني في العناية بالغرس والزرع ومحاربة التصحر.....	٤٢١
المطلب الثالث في الاهتمام نظافة البيئة وإمالة الأذى عن الطريق.....	٤٢٦
المطلب الرابع في المحافظة على الماء والمجاري المائية.....	٤٢٨
المطلب الخامس في مكافحة تلوث الهواء ونشر الثقافة الصحية.....	٤٣٢
الخاتمة.....	٤٣٧
التتائج والتوصيات.....	٤٣٧
المصادر والمراجع.....	٤٤٠
العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي	٤٤٥
ملخص البحث.....	٤٤٧
مقدمة البحث.....	٤٤٨
المطلب الأول مفهوم العمل الخيري.....	٤٥٤
المطلب الثاني مرادفات العمل الخيري في القرآن الكريم.....	٤٥٩
المطلب الثالث المجالات المادية والمعنوية للعمل الخيري في القرآن الكريم:	
.....	٤٦٣
ومن المجالات المادية للعمل الخيري في القرآن الكريم:.....	٤٦٤
أولاً: مفهوم الإصلاح التربوي والنفسي.....	٤٦٩
المطلب الثاني أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي والنفسي للمجتمع:.....	٤٧٨
خاتمة البحث.....	٤٨٦
فهرس المراجع.....	٤٨٨

فهرس الكتاب

المهارات الناعمة وأثرها في العمل الخيري من خلال القصص القرآني ... ٤٩٣	
مُلخَصُ البَحْثِ ٤٩٥	
المُقَدِّمَةُ ٤٩٧	
التَّمْهِيدُ ٥٠٣	
أولاً: بيان وتأصيل لمفهوم "المهارات الناعمة": ٥٠٣	
ثانياً: تعريف "العمل الخيري"، والتأصيل الشرعي له: ٥٠٨	
التأصيل الشرعي للعمل الخيري في الإسلام: ٥٠٩	
ثالثاً: تعريف «القصص القرآني»: ٥١١	
رابعاً: بيان مفهوم "الدراسة الموضوعية" و"الدراسة التأصيلية": ٥١٢	
المبحث الأول المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال قصة كفالة سيدنا زكريا للسيدة مريم ٥١٥	
المطلب الأول المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها ٥١٦	
المطلب الثاني المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال هذه القصة ٥١٨	
المبحث الثاني المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال قصة إقامة الخضر لجدار التيممين ٥٢٣	
المطلب الأول المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها ٥٢٤	
المطلب الثاني المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال هذه القصة ٥٢٦	
المبحث الثالث المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال قصة بناء ذي القرنين للسد ٥٣٠	
المطلب الأول المعنى الإجمالي لآيات القصة، وعرض موجز لها ٥٣١	
المطلب الثاني المهارات الناعمة، وأثرها في العمل الخيري؛ من خلال هذه	

بحوث مؤتمر العمل الخيري

القصّة.	٥٣٣
المبحث الرابع المَهَارَات النَّاعِمَة، وأثرها في العَمَل الخَيْرِي؛ من خِلال قصة سَقِي سيدنا موسى للفتاتين.	٥٣٨
المطلب الأول المعنى الإجمالي لآيات القصّة، وعرض مُوجز لها.	٥٣٩
المطلب الثاني المَهَارَات النَّاعِمَة، وأثرها في العَمَل الخَيْرِي؛ من خِلال هذه القصّة.	٥٤١
تَمَمّة:	٥٤٤
الخاتمة	٥٤٦
ثَبَّتْ لَهُمْ مَرَاجِعَ البَحْث	٥٥١
العَمَل الخَيْرِي وأثره في الإِصْلَاح النَفْسِي والتَّرْبِيوي	٥٥٥
ملخص الورقة البحثية	٥٥٧
المقدمة	٥٥٨
المبحث الأول مهمات الإنسان الاستخلافية	٥٦٣
المطلب الأول تحقيق مهمة الاستخلاف في الأرض بالإصلاح والتعمير والعمل الخيري (مهمة الإنسان الوجودية)	٥٦٤
المطلب الثاني تحقيق مُهمَة الاستخلاف في المال ومفهوم التصرف بمقتضاه	٥٦٨
المبحث الثاني الأدلة الشرعية والترغيب في العمل الخيري	٥٧٢
المطلب الأول ترغيب الكتاب المجيد في العمل الخيري	٥٧٣
المطلب الثاني ترغيب السنة النبوية في العمل الخيري	٥٧٦
المطلب الثالث دعوة كافة مكونات المجتمع الإسلامي للانخراط في العمل الخيري	٥٨٠
المبحث الثالث المقاصد النفسية ومحفزات العمل الخيري، وأثرها في تحقيق التنمية المجتمعية الشاملة	٥٨٢

فهرس الكتاب

المطلب الأول المقصد العقدي.....	٥٨٣
المطلب الثاني المقصد التعبدي.....	٥٨٧
المطلب الثالث المقصد الفطري الإنساني.....	٥٩٠
المطلب الرابع المقصد الأخلاقي.....	٥٩٤
المبحث الرابع المقاصد التربوية للعمل الخيري، وأثرها في تحقيق التنمية المجتمعية الشاملة.....	٥٩٦
المطلب الأول تصحيح مفهوم الملكية الخاصة:.....	٥٩٧
المطلب الثاني تزكية النفوس بالإنفاق والبدل.....	٦٠٠
المطلب الثالث الحد من ظاهرة النزعة الاستهلاكية.....	٦٠٥
المطلب الرابع تطهير النفوس من الشح والبخل وتعزيز مكانة النفس الكريمة السخية.....	٦٠٨
المطلب الخامس إشاعة روح التكافل بين مكونات المجتمع.....	٦١١
المطلب السادس تطهير النفوس من الترف والغنى الفاحش.....	٦١٤
المطلب السابع المساهمة في القضاء على رذيلة التسول.....	٦١٦
الخاتمة.....	٦١٩
المصادر والمراجع.....	٦٢٣



فهرس الأبحاث

- الآثار الاجتماعية للعمل الخيري..... ٥
- العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية المستدامة ٦٩
- العمل الخيري ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية ١٢٥
- دور العمل الخيري في علاج أزمات الموازنة العامة للدولة..... ١٥٣
- الوقف وأثره في دعم إصلاح السياسة المالية والاقتصادية للدولة ١٩١
- فقه العلاقة بين اقتصاد المعرفة والقطاع الثالث استثمار الخيرية أم خيرية الاستثمار؟ ٢٤٧
- العمل الخيري وأثره في الإصلاح المالي والاقتصادي ٢٩٧
- العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي..... ٣٣٥
- عناية السُّنة النَّبَوِيَّة بالعمل الخيري في خدمة البيئَة ٣٩٥
- العمل الخيري في القرآن وأثره في الإصلاح التربوي والنفسي ٤٤٥
- المَهَارَات النَّاعِمَة وأثرها في العَمَل الخَيْرِي من خِلال القَصَص القُرْآنِي ٤٩٣
- العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي ٥٥٥

